أعمال الرُسُلِ

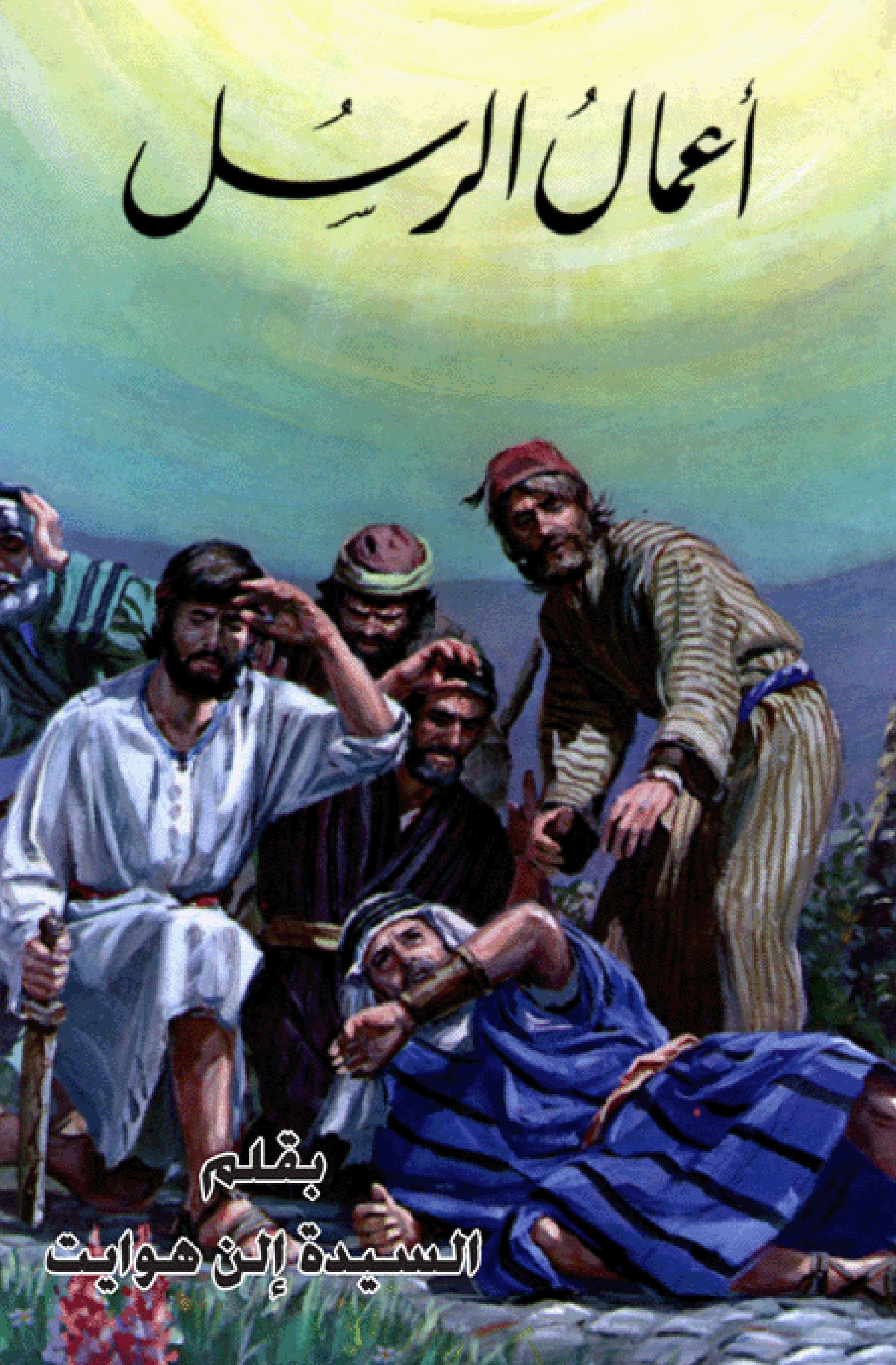

بقلم
السيدة إلن هوايت

أعْمَـــال الرُّسُـــل

في إعلان إنجيل يسوع المسيح

تأليف : إلن هوايت

ترجمة : إسحاق فرج الله

مؤلفة الكتب التالية:

الآباء والأنبياء

مشتهى الأجيال

الصراع العظيم

دَارُ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ

بَيْرُوت لُبْنَان

مقدمة

في وسط تقلبات الحياة وتناقضاتها المؤلمة يوجد لله شهود أمناء في كل زمان ومكان . فالعشب والزهر في عالم الطبيعة والأشجار والخمائل ، الأودية والسهول ، التلال والجبال ، الأنهار والبحيرات ، البر والبحر كلها تشهد لله ولواسع علمه ولبديع صنعه .

السماوات من فوق تشهد لقوته وحكمته وألوهيته . فالأفلاك الملتهبة والنجوم الساطعة تعلن بألسنة من نار مجد الله وتكشف لجميع الناس جمال خليقته وكمال خلقه .

لقد أعلنت كلمته الإلهية الحية لمدى أجيال محبته الخالقة والفادية التي كانت ولا زالت تتوسل للناس للرجوع إليه لإيجاد البر والسلام والراحة .

إن يسوع ليتجلى الآن كما تجلى بالأمس لكل الشعوب على حد سواء ويقدم طريقته النموذجية لكل باحث مخلص عن الحق .

بعد ذكر يسوع تأتي حياته ويأتي تأثيره المباشر العميق على حياة الناس والأتباع . لقد سُرّ الله أن يتخذ طبيعة الإنسان غير الكاملة ويجعلها «لمدح مجد نعمته» بقيامته من الأموات . إن الشهادة لله التي تجلت في حياة كل رسول وكارز إنما هي شهادة عن التجديد وإعادة الخلق والامتداد الإنساني . وما أكثر الرؤى التي ظهرت للناس على اختلاف طبقاتهم كالصيادين والكتبة والطلبة والأطباء وصانعي الخيام ، إذ جعلت هذه الرؤى الناس الذين يخافون الله ولا يرتجفون أمام القوى البشرية ، نماذج رائعة على امتداد التاريخ .

فمن كان يتوقع أن تلك الجماعة القليلة تغدو مع مرّ الزمن قوة روحية جبارة يتجاوز عدد أفرادها اليوم البليون نسمة . تلك هي الكنيسة المسيحية المعاصرة .

لقد تمكنت تلك الجماعة حينئذٍ من اكتساب الأتباع بغَيْرة تفوق الوصف حتى أن أعداءهم احتجوا قائلين بأنهم قلبوا العالم رأسا على عقب . لقد حققوا ذلك الإنجاز الكبير بالرغم من ضآلة مواردهم وإمكاناتهم وبرغم الفقر والمعاناة والاضطهاد المرير .

وبالإضافة إلى تشديد الكتاب على القوة التي آزرت الكنيسة الأولى وقيادتها إلى النصر ، فهو يشدد أيضاً على أن القوة إياها لا تزال متاحة للرجال والنساء اليوم أيضاً . وقد كتبت المؤلفة في ذلك تقول: «وكما أرسل يسوع تلاميذه بالأمس فهو يرسل كنيسته اليوم بالقوة ذاتها» . ولذلك سينتهي عمل الرب سريعا بزخم أقوى بقوته العاملة في شعبه بلا كلل .

فعن طريق هذا الكتاب الملهم شع نور دافق على الكنيسة الرسولية ونشاطها الروحي وما يعنيه لنا ذلك في يومنا الحاضر . لأن الكنيسة المناضلة هي الكنيسة المنتصرة . ففي كل حروبها وتجاربها وخيباتها كانت ترسم أمامها رؤى النصر والظفر . ومن وراء ضجيج هذا العالم وصخبه تسمع أبداً صوت قائدها الإلهي العذب يدوّي في آذانها بألحان التشجيع والعزاء . فالذي تألم من أجل أولاده سيختارهم ليملكوا معه ، والذي جاء متضعاً ليموت سيأتي في المجد ملكاً أبدياً .

إن مؤلفة هذا الكتاب هى سيدة فاضلة كتبت ما يزيد على خمسين مجلداً من الكتب الروحية القيّمة وهى من خيرة الكتب الكلاسيكية ذات الرواج الواسع . لذلك يعتبر الناشرون امتيازاً لهم أن يقدموا باللغة العربية هذا الكتاب الجديد لفائدة النفوس المتعطشة للخلاص .

الناشرون

المحتويات

الفصل الأول	قصد الله نحو كنيسته........................	١
الفصل الثاني	تدريب الاثني عشر	٧
الفصل الثالث	المأمورية العظمى............................	١٥
الفصل الرابع	يوم الخمسين..................................	٢٣
الفصل الخامس	عطية الروح..................................	٣٥
الفصل السادس	عند باب الهيكل	٤٥
الفصل السابع	تحذير ضد الرياء	٥٧
الفصل الثامن	أمام السنهدريم...............................	٦٥
الفصل التاسع	الشمامسة السبعة	٧٣
الفصل العاشر	الشهيد المسيحي الأوّل.........................	٨٣
لفصل الحادي عشر	دخول الإنجيل السامرة.......................	٨٩
الفصل الثاني عشر	المضطهد يصير تلميذاً.........................	٩٧
الفصل الثالث عشر	أيام الاستعداد.................................	١٠٧
الفصل الرابع عشر	رجل يبحث عن الحق	١١٥
الفصل الخامس عشر	النجاة من السجن.............................	١٢٥
الفصل السادس عشر	رسالة الإنجيل في أنطاكيا	١٣٧
الفصل السابع عشر	الكارزون بالإنجيل...........................	١٤٧
الفصل الثامن عشر	الكرازة بين الوثنيين	١٥٧
الفصل التاسع عشر	اليهود والأمم	١٦٧
الفصل العشرون	تمجيد الصليب................................	١٧٩
الفصل الحادي والعشرون	في الأقاليم البعيدة	١٨٩

الفصل الثاني والعشرون تسالونيكي ١٩٧
الفصل الثالث والعشرون بيريّة وأثينا ٢٠٥
الفصل الرابع والعشرون كورنثوس................................. ٢١٧
الفصل الخامس والعشرون رسالتا تسالونيكي........................ ٢٢٧
الفصل السادس والعشرون أبولس في كورنثوس...................... ٢٣٩
الفصل السابع والعشرون أفسس ٢٥١
الفصل الثامن والعشرون أيام عناء وتجارب ٢٦١
الفصل التاسع والعشرون رسالة إنذار واستعطاف ٢٦٧
الفصل الثلاثون مدعوون لبلوغ مقياس أسمى........... ٢٧٧
الفص الحادي والثلاثون قبول الرسالة ٢٩١
الفصل الثاني والثلاثون كنيسة سخية ٣٠١
الفصل الثالث والثلاثون العمل وسط الصعوبات ٣١١
الفصل الرابع والثلاثون خدمة مكرسة.............................. ٣٢٣
الفصل الخامس والثلاثون الخلاص لليهود........................... ٣٣٥
الفصل السادس والثلاثون ارتداد في غلاطية......................... ٣٤٥
الفصل السابع والثلاثون سفر بولس إلى أورشليم لآخر مرة ٣٥١
الفصل الثامن والثلاثون بولس يُؤخَذ أسيراً......................... ٣٦١
الفصل التاسع والثلاثون المحاكمة في قيصرية...................... ٣٧٩
الفصل الأربعون بولس يرفع دعواه إلى قيصر ٣٨٧
الفصل الحادى والأربعون «بقليل تقنعني» ٣٩١
الفصل الثاني والأربعون السفر وانكسار السفينة.................... ٣٩٧
الفصل الثالث والأربعون في روما ٤٠٥
الفصل الرابع والأربعون بيت قيصر.................................. ٤١٧

الفصل الخامس والأربعون رسائل كتبت من رومية ٤٢٥
الفصل السادس والأربعون إطلاق سراح بولس ٤٣٩
الفصل السابع والأربعون الاعتقال الأخير ٤٤٣
الفصل الثامن والأربعون بولس أمام نيرون ٤٤٧
الفصل التاسع والأربعون آخر رسالة كتبها بولس.................. ٤٥٣
الفصل الخمسون الحكم على بولس بالموت............... ٤٦٣
الفصل الحادي والخمسون راعٍ مساعد وأمين ٤٦٧
الفصل الثاني والخمسون الثبات إلى النهاية ٤٨١
الفصل الثالث والخمسون يوحنا الحبيب ٤٨٩
الفصل الرابع والخمسون شاهد أمين ٤٩٥
الفصل الخامس والخمسون إنسان غيّرته النعمة ٥٠٥
الفصل السادس والخمسون جزيرة بطمس ٥١٥
الفصل السابع والخمسون الرؤيا ٥٢٥
الفصل الثامن والخمسون الكنيسة المنتصرة ٥٣٩

الفصل الأول

قصد الله نحو كنيسته

إن الكنيسة هي وسيلة الله التي يستخدمها لأجل خلاص الناس . لقد نُظِّمت لأجل الخدمة ، ورسالتها هي حمل الإنجيل للعالم . ولقد كان تدبير الله منذ البدء أنه عن طريق كنيسته ينعكس على العالم ملؤه وكفايته . وأعضاء الكنيسة الذين دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب عليهم أن يعلنوا مجده . إن الكنيسة هي مستودع غنى نعمة المسيح وبواسطة الكنيسة سيظهر أخيرا عند «الرؤساء والسلاطين في السماويات» الإعلان الأخير الكامل لمحبة الله .

ما أكثر المواعيد العجيبة والمدونة في الكتاب عن الكنيسة: «بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى لِكُلِّ الشُّعُوبِ» (أفسس ٣: ١٠؛ إشعياء ٥٦: ٧) . «وَأَجْعَلُهُمْ وَمَا حَوْلَ أَكَمَتِي بَرَكَةً ، وَأُنْزِلُ عَلَيْهِمِ الْمَطَرَ فِي وَقْتِهِ فَتَكُونُ أَمْطَارَ بَرَكَةٍ» . «وَأُقِيمُ لَهُمْ غَرْسًا لِصِيتٍ فَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ مَفْنِيِّي الْجُوعِ فِي الأَرْضِ ، وَلاَ يَحْمِلُونَ بَعْدُ تَعْيِيرَ الأُمَمِ . فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ مَعَهُمْ ، وَهُمْ شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ . وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي ، غَنَمُ مَرْعَايَ ، أُنَاسٌ أَنْتُمْ . أَنَا إِلهُكُمْ ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حزقيال ٣٤: ٢٦؛ ٢٩-٣١) .

«أَنْتُمْ شُهُودِي ، يَقُولُ الرَّبُّ ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ . قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ . أَنَا أَنَا

الرَّبُّ ، ولَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ . أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ ولَيْس بَيْنَكُم غَرِيبٌ . وَأَنْتُمْ شُهُودِي» «أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ . لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ» (إشعياء ٤٣: ١٠- ١٢؛ ٤٢: ٦،٧) .

«فِي وَقْتِ الْقَبُولِ اسْتَجَبْتُكَ، وَفِي يَوْمِ الْخَلاَصِ أَعَنْتُكَ. فَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ، لإِقَامَةِ الأَرْضِ، لِتَمْلِيكِ أَمْلاَكِ الْبَرَارِيِّ، قَائِلاً لِلأَسْرَى: اخْرُجُوا. لِلَّذِينَ فِي الظَّلاَمِ: اظْهَرُوا. عَلَى الطُّرُقِ يَرْعَوْنَ وَفِي كُلِّ الْهِضَابِ مَرْعَاهُمْ. لاَ يَجُوعُونَ وَلاَ يَعْطَشُونَ، وَلاَ يَضْرِبُهُمْ حَرٌّ وَلاَ شَمْسٌ، لأَنَّ الَّذِي يَرْحَمُهُمْ يَهْدِيهِمْ وَإِلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ يُورِدُهُمْ. وَأَجْعَلُ كُلَّ جِبَالِي طَرِيقًا، وَمَنَاهِجِي تَرْتَفِعُ...

تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ ، وَابْتَهِجِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ . لِتُشِدِ الْجِبَالُ بِالتَّرَنُّمِ ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ ، وَعَلَى بَائِسِيهِ يَتَرَحَّمُ . وَقَالَتْ صِهْيَوْنُ قَدْ تَرَكَنِي الرَّبُّ ، وَسَيِّدِي نَسِيَنِي .هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا ؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ . هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ . أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا» (إشعياء ٤٩: ٨-١٦) .

إن كنيسة الله هي حصنه ومدينة ملجأه التي يقيمها ويثبتها في عالم متمرد . إن كل خيانة من الكنيسة هي خيانة لذاك الذي قد اشترى البشرية بدم ابنه الوحيد . فمنذ البدء تكونت الكنيسة على الأرض من النفوس الأمينة . وفي كل عصر كان للرب شهوده الذين قدموا شهادة أمينة للجيل الذي عاشوا فيه . فهؤلاء الحراس قدموا رسالة الانذار ، وعندما دعوا ليلقوا عنهم سلاحهم اضطلع غيرهم بالعمل . لقد جعل الله هؤلاء الشهود يدخلون في عهد معه إذ وحد بين الكنيسة على الأرض وبين الكنيسة في السماء . لقد أرسل ملائكته ليخدموا كنيسته . وأبواب الجحيم لم تقو على شعبه .

فخلال عصور الاضطهاد والحروب والظلام دعم الله كنيسته ورعاها . فلـــم تعكر صفوها سحابة واحدة لم يكن هو قد أعد المخرج والحل لها ، ولم تسع أيــة قوة مضادة لتعرقل عمله إلا ورآها هو مسبقاً . لقد حدث كل شيء كما سبق هــو وأنبأ به . إنه لم يترك كنيسته مهجورة ، بل تتبع الأحداث بإعلانات نبوية ، ومــا ألهم به روحه القدوس أنبياءه أن يعلنوه للناس قد تم فعـــلاً . إن كــل مقــاصده ستتحقق لأن شريعته مرتبطة بعرشه ولا يمكن لأية قوة مـــن قـــوات الشـــر أن تلاشيها . إن الله هو الذي يوحي بالحق وهو الـــــذي يحرســـه ويـــهيمن عليـــه وسينتصر على كل مقاومة أو تحد .

وفي غضون عصور الظلمة الروحية كانت كنيسة الله بمثابة مدينة موضوعـة على جبل . ومن جيل إلى جيل على مدى العصور المتعاقبة كانت تعاليم الســماء النقية تتكشف للناس من داخل حدود الكنيسة . ومع أن الكنيسة قد تبـــدو واهنــة وناقصة فإنها محط رعاية الله والشيء الوحيد الذي يمنحه اعتباراً وتقديراً عظيماً بمعنى خاص . إنها المجال الذي يظهر فيه نعمته والذي فيه يسر بإظهار قدرتـــه على تغيير القلوب .

لقد تساءل المسيح قائلا: «بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ ؟ أَوْ بِـــأَيِّ مَثَـل نُمَثِّلُـــهُ ؟» (مرقس ٤: ٣٠) . إنه لم يستطع أن يشبهه بممالك العالم . وفي المجتمع لم يجــد شيئاً يمثله به . إن الممالك الأرضية تحكم بسلطة القوة المادية ، أمـــا ملكــوت المسيح فيستبعد منه كل سلاح مادي وكـــل معـــدات القـــهر والإرغـــام . هـــذا الملكوت–يرفع من شأن البشرية إلى مراقي النبل والكرامة . إن كنيسة الله هـــي دار الحياة المقدسة المليئة بمواهب كثيرة ومختلفة ، وهي مزودة بالروح القدس . وأعضاؤها يجدون سعادتهم في إسعاد من يعينونهم ويباركونهم .

إن العمل الذي يقصد الرب أن يتممه بواسطة كنيسته لمجد اسمه هو عمل عجيب حقاً . والنبي حزقيال يقدم لنا في الرؤيا التي رآها عن النهر الشافي صورة لهذا العمل فيقول : «هذهِ الْمِيَاهُ خَارِجَةٌ إِلَى الدَّائِرَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَتَنْزِلُ إِلَى الْعَرَبَةِ وَتَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ . إِلَى الْبَحْرِ هِيَ خَارِجَةٌ فَتُشْفَى الْمِيَاهُ . وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ حَيْثُمَا يَأْتِي النَّهْرَانِ تَحْيَا...وَعَلَى النَّهْرِ يَنْبُتُ عَلَى شَاطِئِهِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ كُلُّ شَجَرٍ لِلأَكْلِ ، لاَ يَذْبُلُ وَرَقُهُ وَلاَ يَنْقَطِعُ ثَمَرُهُ . كُلَّ شَهْرٍ يُبَكِّرُ لأَنَّ مِيَاهَهُ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَقْدِسِ ، وَيَكُونُ ثَمَرُهُ لِلأَكْلِ وَوَرَقُهُ لِلدَّوَاءِ» (حزقيال ٤٧: ٨-١٢) .

إن الله قد عمل من البدء بواسطة شعبه لجلب البركة إلى العالم . لقد جعل يوسف نبع حياة الدولة المصرية القديمة . فبواسطة استقامة يوسف حفظت حياة ذلك الشعب كله . وبواسطة دانيال أنقذ الله حياة كل حكماء بابل . واختبارات الإنقاذ هذه هي نماذج مرئية ودروس نتعلمها . إنها توضح البركات الروحية المقدمة للعالم نتيجة الارتباط بالله الذي كان يعبده يوسف ودانيال . وكل من يسكن المسيح في قلبه ، وكل من يريد أن يعلن محبته للعالم هو عامل مع الله لمباركة الإنسانية . فإذ يقبل من المخلص نعمة ليشرك فيها الآخرين سيفيض سيل من الحياة الروحية من كيانه العميم .

لقد اختار الله إسرائيل قديماً لإعلان صفاته للناس وكان يريدهم أن يكونوا ينابيع خلاص للعالم . وقد استؤمنوا على أقوال السماء ، وإعلان إرادته . وفي الأيام الأولى لشعب الله أضاعت أمم العالم معرفة الله بسبب أعمالهم وممارستهم الفاسدة . كانوا قبلاً يعرفونه ، ولكنهم «لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ» (رومية ١: ٢١) . ومع ذلك فإن الله في رحمته لم يمحهم من الوجود . وقد قصد أن يعطيهم فرصة ليتعرّفوا به من جديد

عن طريق شعبه المختار . وبواسطة تعاليم الذبائح الكفارية كان المسيح سيُرفع عالياً أمام الأمم حتى يحيا ويخلص كل من يلتفت إليه . لقد كان المسيح هو أساس النظام اليهودي القديم . فكل الطقوس والصور والرموز ما كانت إلا نبوة دقيقة تعلن رسالة الإنجيل الذي تجلت فيه مواعيد الفداء بكل وضوح .

ولكن غابت عن شعب الله امتيازاتهم السامية كنواب عنه . فنسوا الله وأخفقوا في إتمام مأموريتهم المقدسة . والبركات التي نالوها لم تأت بأية بركة للعالم . فقد خصصوا كل امتيازاتهم لتمجيد ذواتهم . ونفوا أنفسهم بعيداً عن العالم هروباً من التجربة . كما استخدموا النواهي التي بموجبها حرّم الله عليهم معاشرة الوثنيين ليحول بينهم وبين التشبُّه بالأشرار الوثنيين في ممارستهم ، استخدموها في إقامة سور يفصل بينهم وبين الأمم الأخرى . فسلبوا الله من الخدمة التي طلبها منهم ، كما سلبوا بني جنسهم من الإرشاد الديني والمثال المقدس .

كان الكهنة والرؤساء قد اعتادوا على روتين الطقوس واكتفوا بحرفية الدين . لذلك استحال عليهم أن يقدموا للآخرين حقائق السماء الحية . وقد تصوروا أن برهم الذاتي فيه الكفاية ولم يرغبوا في إدخال عنصر جديد في دينهم . لم يقبلوا إرادة الله الصالحة نحو الناس كأنها شيء خارج ومنفصل عنهم ولكنهم قرنوها باستحقاقهم بسبب أعمالهم الصالحة . إن الإيمان العامل بالمحبة والذي يطهر النفس لم يجد مجالاً أو مكاناً في ديانة الفريسيين المكوّنة من طقوس ووصايا الناس .

لقد أعلن الله عن شعبه قائلاً : «وَأَنَا قَدْ غَرَسْتُكِ كَرْمَةَ سُورَقَ ، زَرْعَ حَقّ كُلَّهَا . فَكَيْفَ تَحَوَّلْتِ لِي سُرُوغَ جَفْنَةٍ غَرِيبَةٍ ؟» (إرميا ٢ : ٢١) . «إِسْرَائِيلُ جَفْنَةٌ مُمْتَدَّةٌ . يُخْرِجُ ثَمَرًا لِنَفْسِهِ» (هوشع ١٠: ١) . «وَالآنَ يَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُوذَا ، احْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي . مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ

أَصْنَعْهُ لَهُ ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا ، صَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا ؟ . فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ . أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ . وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لاَ يُقْضَبُ وَلاَ يُنْقَبُ ، فَيَطْلَعُ شَوْكٌ وَحَسَكٌ . وَأُوصِي الْغَيْمَ أَنْ لاَ يُمْطِرَ عَلَيْهِ مَطَرًا . إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ ، وَغَرْسَ لَذَّتِهِ رِجَالُ يَهُوذَا . فَانْتَظَرَ حَقًّا فَإِذَا سَفْكُ دَمٍ ، وَعَدْلاً فَإِذَا صُرَاخٌ» (إشعياء ٥: ٣-٧) . «الْمَرِيضُ لَمْ تُقَوُّوهُ ، وَالْمَجْرُوحُ لَمْ تَعْصِبُوهُ ، وَالْمَكْسُورُ لَمْ تَجْبُرُوهُ ، وَالْمَطْرُودُ لَمْ تَسْتَرِدُّوهُ ، وَالضَّالُّ لَمْ تَطْلُبُوهُ ، بَلْ بِشِدَّةٍ وَبِعُنْفٍ تَسَلَّطْتُمْ عَلَيْهِمْ (حزقيال ٣٤: ٤) .

لقد ظن رؤساء اليهود أنهم أحكم من أن يحتاجوا إلى تعليم ، وأكثر براً من أن يحتاجوا إلى خلاص ، وأنهم حاصلون على كرامة عظيمة بحيث لا يحتاجون إلى الكرامة التي تأتي من المسيح . وقد تركهم المخلص ليستودع الامتيازات التي قد أساؤوا استخدامها والعمل الذي احتقروه بين يدي قوم آخرين . لا بد من أن يعلن مجد الله ، ولا بد من أن يثبت كلامه . ولا بد من إقامة ملكوت المسيح في العالم . وينبغي أن يعرف سكان مدن العالم بخلاص الله ، وقد دُعي التلاميذ ليقوموا بالعمل الذي أخفق رؤساء اليهود في إنجازه .

الفصل الثاني

تدريب الاثني عشر

لم يختر المسيح علم رجال مجمع السنهدريم اليهودي وفصاحتهم ، ولا قوة روما وسلطانها لإنجاز عمله . فقد عبر تاركاً معلمي اليهود الأبرار في أعين أنفسهم واختار رجالاً وضعفاء غير متعلمين لكي يذيعوا الحقائق التي كانت على وشك أن تهز العالم . وقد قصد المسيح ، سيد العاملين جميعاً ، أن يدرب هؤلاء الرجال ويعلمهم ليكونوا قادة في الكنيسة . وكان عليهم بدورهم أن يعلموا آخرين ويرسلوهم مزودين برسالة الإنجيل . ولكي ينجحوا في عملهم كان لا بد من تزويدهم بقوة الروح القدس . إن الإنجيل لم يكن ليذاع بالقوة والحكمة البشريتين بل بقوة الله .

ظل التلاميذ يتلقون العلم والمعرفة لمدى ثلاث سنوات ونصف على يدي أعظم معلم عرفه العالم . فعن طريق الاتصال الشخصي والمرافقة درَّبهم المسيح على خدمته . ويوماً بعد يوم كانوا يسيرون ويتحدثون معه وهم يسمعون منه كلمات التشجيع الموجهة للمتعبين والثقيلي الأحمال ويرونه وهو يظهر قدرته لخير المرضى والمعذبين . كان أحياناً يعلمهم إذ يجلس في وسطهم على سفح أحد الجبال ، وأحياناً أخرى قرب البحر أو فيما هو سائر في الطريق وكان يكشف لهم عن أسرار ملكوت الله . وأينما كانت القلوب

مفتوحة لقبول الرسالة الإلهية أعلن لهم حقائق طريق الخلاص . وهو لم يأمر التلاميذ بأن يفعلوا هذا أو ذاك وإنما قال لكل منهم «اتْبَعْنِي». وإذ كان يطوف في القرى والمدن اصطحبهم لكي يروا بأنفسهم كيف كان يعلم الشعب . وكانوا يسافرون معه من مكان إلى آخر وقد قاسموه نصيبه المتواضع . وفي بعض الأحيان كانوا يجوعون مثله وكثيراً ما كانوا يعيون . ففي المدن المزدحمة وبقرب شواطئ البحيرة وفي الأماكن الخالية كانوا معه . لقد شاهدوه في كل مراحل الحياة .

وعند تعيين الاثنى عشر اتخذت أول خطوة نحو تنظيم الكنيسة التي كانت ستضطلع بعمل المسيح على الأرض بعد صعوده إلى السماء . وفي هذا الصدد يقول الكتاب: «ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ . وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا» (مرقس ٣: ١٣،١٤) .

انظروا إلى هذا المشهد المؤثر . هوذا جلال السماء محاط بالاثنى عشر الذين اختارهم . إنه مزمع أن يفرزهم لعملهم . بهذه الوسائل الضعيفة ، وبواسطة كلمته وروحه قصد المسيح أن يجعل الخلاص في متناول الجميع .

لقد شاهد الله وملائكته هذا المنظر بسرور وابتهاج . لقد عرف الآب أنه عن طريق هؤلاء الناس سيضيء نور السماء ، وأن الأقوال التي ينطقون بها حين يشهدون لابنه سيرن صداها من جيل إلى جيل إلى انقضاء الدهر .

كان على التلاميذ أن يخرجوا كشهود للمسيح ليعلنوا للعالم ما قد رأوه وسمعوه عنه . إن مركزهم كان أهم مركز دعي إليه بنو الإنسان ، فقد كانوا في المرتبة الثانية بعد المسيح مباشرة . وكان عليهم أن يكونوا عاملين مع الله لأجل خلاص الناس . فكما وقف الآباء الاثنا عشر نواباً عن إسرائيل في العهد القديم ، هكذا وقف الرسل الاثنا عشر نواباً عن الكنيسة الإنجيلية .

إن المسيح في إبان خدمته الأرضية ابتدأ ينقض حائط السياج بين اليهود والأمم ويكرز بالخلاص لجميع بنى الإنسان . ومع أنه كان يهوديا فقد اختلط بالسامريين بكل حرية مبطلاً عادات اليهود الفريسية الخاصة بهذا الشعب المحتقر . لقد نام في بيوتهم وأكل من طعامهم وعلم في شوارعهم .

وقد تاق المخلص أن يكشف لتلاميذه الحق الخاص بنقض «حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» بين إسرائيل والأمم الأخرى- ويوضح لهم حقيقة كون الأمم شركاء اليهود «فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» (أفسس ٢: ١٤؛ ٣: ٦) . وقد أعلن هذا الحق جزئياً عندما كافأ المسيح إيمان قائد المئة في كفرناحوم ، وكذلك عندما كرز بالإنجيل لسكان مدينة سوخار . وقد اتضح هذا الحق بشكل أعظم عندما زار فينيقية وحين شفي ابنة المرأة الكنعانية . هذه الاختبارات أعانت التلاميذ أن يفهموا أنه بين أولئك المعتبرين غير مستحقين للخلاص ، من قبل العديد من الناس ، توجد نفوس جائعة إلى نور الحق .

وهكذا حاول المسيح أن يعلم التلاميذ أنه لا توجد في ملكوت الله حدود إقليمية ولا نظام للطبقات ولا أرستقراطية ، وأن عليهم أن يذهبوا إلى كل الأمم حاملين إليهم رسالة محبة المخلص . ولكنهم ظلوا متباطئين لبعض الوقت عن فهم هذه الحقيقة في ملئها وهي أن الله : «وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ . لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا» (أعمال ١٧: ٢٦،٢٧) .

وقد ظهرت في هؤلاء التلاميذ الأولين اختلافات ملحوظة . كانوا مزمعين أن يكونوا معلمي العالم ، ولكنهم قدموا أمثلة متباينة لاختلاف الصفات .

فلكي ينجحوا في تقدم العمل الذي قد دعوا إليه كان هؤلاء الرجال المختلفون في المميزات الطبيعية وعادات الحياة ، بحاجة إلى توحيد مشاعرهم وأفكارهم وأعمالهم . وقد كان غرض المسيح هو تحقيق هذه الوحدة . فلكى يصل إلى هذه الغاية حاول أن يوحدهم بشخصه . إن عبء تعبه لأجلهم قد عُبِّر عنه في صلاته إلى الآب حين قال: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا ، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا... لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي» (يوحنا ١٧: ٢١،٢٣) . كانت صلاته الدائمة لأجلهم أن يكونوا مقدسين في الحق . وقد صلّى بيقين عالماً أن أمراً إلهياً قد صدر قبل خلق العالم . فقد علم أن إنجيل الملكوت سيكرز به لكل الأمم شهادة لهم . كما علم أن الحق المسلح بقدرة الروح القدس التي لا تقهر سينتصر في المعركة ضد الشر ، وأن الراية المخضَّبة بالدم سترفرف بانتصار فوق تابعيه .

وعندما قاربت خدمة المسيح الأرضية على الانتهاء وتأكد لديه أنه لا بد أن يترك تلاميذه قريباً ليقوموا بالعمل دون إشرافه المباشر عليهم ، حاول أن يشجعهم ويعدهم للمستقبل . إنه لم يخدعهم بآمال كاذبة ، وقد كان يقرأ الحوادث العتيدة كما من كتاب مفتوح . لقد علم أنه مزمع أن يفترق عنهم ويتركهم كغنم في وسط ذئاب . وأنهم مزمعون أن يقاسوا أهوال الاضطهاد ويُطردوا من المجامع ويلقى بهم في غياهب السجون . كما علم أن بعضاً منهم سيقاسون الموت عندما يشهدون بأنه المسيا . وقد أخبرهم ببعض ما ينتظرهم . وإذ كان يحدثهم عن مستقبل حياتهم كان كلامه صريحاُ ومحدداُ ، حتى عندما تهجم عليهم التجارب في المستقبل يذكرون أقواله ويتقوون ليؤمنوا به كفاديهم .

وقد خاطبهم أيضاً بكلام الرجاء والتشجيع ، فقال : «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ . أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي . فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ . أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا . وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا . وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» (يوحنا ١٤: ١-٤) . وكأن به يقول: لأجلكم أتيت إلى العالم ولأجلكم خدمت . وعندما أمضي سأواصل العمل بكل غيرة لأجلكم . لقد أتيت إلى العالم لأعلن لكم نفسي لتؤمنوا . وها أنا أمضي إلى أبي وأبيكم لأتعاون معه في العمل لأجلكم .

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا ، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا ، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي» (يوحنا ١٤: ١٢) . لم يكن المسيح يعني بهذا أن تلاميذه سيبذلون جهودا أسمى مما فعل هو ولكنه كان يعني أن عملهم سيكون أعظم في أهميته واتساع مداه . وهو لم يشر إلى مجرد صنع المعجزات بل أشار إلى كل ما سيحدث تحت إرشاد الروح القدس . وقد قال لهم: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ ، رُوحُ الْحَقِّ ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي . وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ» (يوحنا ١٥: ٢٦،٢٧) .

وقد تمت هذه الأقوال بطريقة مدهشة . فبعد نزول الروح القدس امتلأ التلاميذ بالمحبة للمسيح ولكل من قد مات لأجلهم بحيث أن قلوب الحاضرين ذابت لدى سماع أقوالهم وصلواتهم التي قدموها . فقد تكلموا بقوة الروح القدس ، وتحت تأثير تلك القوة اهتدى آلاف الناس .

وكنواب عن المسيح كان على الرسل أن يتركوا للعالم تأثيرا باقياً . إن حقيقة كونهم قوماً فقراء لم تكن لتقلل من تأثيرهم بل تزيده لأن عقول سامعيهم كانت

ستنتقل من التفكير فيهم إلى التفكير في المخلص الذي وإن يكن غير منظور فقد كان لا يزال يعمل معهم . إن تعليم الرسل العجيب وأقوالهم المشجعة المفعمة بالثقة كانت لتؤكد للجميع أنهم لم يكونوا يعملون لقوتهم بل بقوة المسيح . وباتضاع كانوا سيعلنون أن ذاك الذي قد صلبه اليهود هو رئيس الحياة وابن الله الحي وأنهم باسمه عملوا الأعمال التي قد عملها هو .

إن المخلص لم يشر في خطابه الوداعي ، الذي خاطب به تلاميذه في الليلة التي سبقت الصلب ، إلى الآلام التي كانت تنتظره والتي كان قد بدأ يتجرع مرارتها . لم يتكلم عن الهوان والاتضاع الذي أمامه بل أراد أن يرشد عقولهم إلى ما يشجعهم ويقوي إيمانهم فوجه أنظارهم إلى الأمام إلى الأفراح التي تنتظر كل الظافرين . وقد ابتهج بحقيقة كونه يستطيع بل ويريد أن يفعل لتابعيه أكثر مما قد وعدهم به ، وأن منه تفيض المحبة والرأفة مطهرة هيكل النفس وجاعلة الناس مثله في الصفات ، وأن حقه المصحوب بقوة الروح سيخرج غالباً ولكي يغلب .

وقال لهم: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ . فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يوحنا ١٦: ٣٣) . إن المسيح لم يفشل ولا فارقته شجاعته ، وكان على التلاميذ أن يبرهنوا على أن لهم إيمانا ثابتا كإيمانه . وأن يعملوا كما قد عمل هو مستندين عليه في طلب القوة . ومع أن طريقهم كانت ستعترضه بعض العقبات التي يستحيل تخطيها حسب الظاهر فإنه كان عليهم أن يتقدموا بنعمته ولا ييأسوا من شيء بل أن يرجوا الرب في كل شيء .

لقد أكمل المسيح العمل الذي أتى ليعمله ، وقد اختار أولئك الذين كانوا سيواصلون عمله ذلك بين الناس . فقال: «وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ . وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ

فِي الْعَالَمِ ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ . أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي ، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ» . «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ . لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا ... أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي» (يوحنا ١٧: ١٠،١١،٢٠-٢٣) .

الفصل الثالث

المأمورية العظمى

بعد موت المسيح كاد التلاميذ ينهزمون أمام الخيبة والفشل . لقد رُفض سيدهم وحُكم عليه وصُلب . وقد أعلن الكهنة والرؤساء قائلين بكل احتقار: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا ! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ» (متى ٢٧: ٤٢) . لقد غربت شمس رجاء التلاميذ وهجم الليل بظلامه على قلوبهم . ومراراً عديدة كانوا يكررون هذا القول: «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لوقا ٢٤: ٢١) .. وإذ كانوا مستوحشين ومنسحقي القلوب ذكروا كلامه القائل: «لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ ؟»).

لقد حاول يسوع مراراً أن يكشف لتلاميذه عن المستقبل ولكنهم لم يكترثوا للتأمل فيما قاله . وبسبب هذا كان موته مفاجأة لهم . وبعد أن راجعوا الماضي ورأوا نتيجة عدم إيمانهم امتلأت قلوبهم حزناً . عندما صلب المسيح لم يكونوا يؤمنون بأنه سيقوم . كان هو قد أبان لهم بكل وضوح أنه سيقوم في اليوم الثالث ، ولكنهم كانوا مرتبكين ومتحيرين في معرفة معنى كلامه . فعدم فهمهم لكلامه أوقعهم وقت صلبه في يأس شديد . وقد أحسوا بالخيبة المرة . لم يستطع إيمانهم أن يخترق الحجب بحيث يستطيعون أن يروا خلف الظلال القاتمة التي طرحها الشيطان على أفق حياتهم . وقد بدا كل شيء لأنظارهم غامضاً ومبهماً

فلو كانوا قد آمنوا بكلام المخلص فما كان أعظم الحزن الذي كـــان يمكنـــهم أن يوفروه على أنفسهم .

فإذ انسحقت أنفسهم تحت ثقل اليأس والحزن والقنوط والجزع اجتمع التلاميـذ معا في العلية وأغلقوا خلفهم الأبواب وأوصدوها بكل حرص خشـــية أن يكــون مصيرهم كمصير معلمهم الحبيب . وفي هذا المكان عينه ظهر لهم المسيح بعـــد قيامته .

وقد بقي المسيح على الأرض أربعين يوماً وهو يعد التلاميـــذ للعمـــل الـــذي أمامهم ويوضح لهم الأمور التي استعصى عليهم فهمها . فحدثهم عـــن النبـــوات الخاصة بمجيئه ، ورفض اليهود له وموته ، مبرهناً لهم أن كل تلك النبوات قـــد تمت بحذافيرها . وأخبرهم أنهم يجب أن يعتبروا إتمام هـــذه النبـــوات تـــأكيداً وضماناً للقوة التي ستصحبهم في مستقبل عملهم . والكتاب يقول: «حِينَئِذٍ فَتَـــحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ . وَقَالَ لَهُمْ:«هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِـــي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَـــةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ» ثم أضاف قـــائلا: «وَأَنْتُـــمْ شُهُودٌ لِذلِكَ» (لوقا ٢٤: ٤٥-٤٨) .

وفي غضون هذه الأيام التي قضاها المسيح مع تلاميذه حصلوا على اختبـــار جديد . فإذ سمعوا معلمهم الحبيب يوضح لهم الكتب في نور كل ما قد حـــدث ، رسخ إيمانهم به تماماً . وقد وصلوا إلى الحد الذي أمكنهم معه أن يقولوا: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ» (٢تيموثاوس ١: ١٢) . وبدأوا يتحققون من طبيعـــة عملـــهم ومدى اتساعه ، ويرون أن عليهم أن يذيعوا للعالم الحقائق المسلمة إليهم . لقـــد كانوا شهودا لحوادث حياة المسيح وموته وقيامته ، والنبوات المشيرة إلى تلـــك الحوادث ، وأسرار تدبير الخلاص ، وسلطان يسوع أن يغفر الخطايا - كـــانوا

شهوداً لذلك كله ، وكان عليهم أن يعرفوا العالم بتلك الحقائق كلها ، وأن يذيعوا إنجيل السلام والخلاص بالتوبة وبقوة المخلص .

إن المسيح قبل صعوده إلى السماء أعطى لتلاميذه تفويضا للقيام بمأموريتهم ، وأخبرهم أن عليهم أن يكونوا منفذي الوصية التي فيها يرث العالم كنوز الحياة الأبدية . قال لهم: لقد كنتم شهودا لحياة التضحية التي عشتها لأجل العالم رأيتم أتعابي وخدماتي لأجل شعبي . ومع أنهم لم يريدوا أن يأتوا إلي لتكون لهم حياة ، ورغم أن الكهنة والرؤساء قد عملوا بي كما أرادوا ، ومع أنهم رفضوني ، إلا أنه ستعطى لهم فرصة أخرى لقبول ابن الله . لقد رأيتم أن كل الذين يأتون إليَّ معترفين بخطاياهم فأنا أقبلهم مجاناً . ومن يقبل إليَّ فلا أخرجه خارجا . فيا تلاميذي إني أستودع رسالة الرحمة هذه بين أيديكم . وينبغي تقديمها لليهود وللأمم- ولكل الألسنة والقبائل والشعوب ، وكل من يؤمنون ينبغي ضمهم إلى الكنيسة .

إن تفويض الإنجيل هذا هو الميثاق الكرازي العظيم لملكوت المسيح . كان على التلاميذ أن يخدموا النفوس بكل غيرة إذ يقدمون دعوة الرحمة للجميع . لم يكن لهم أن ينتظروا حتى يأتيهم الناس بل كان عليهم أن يذهبوا إلى الناس ليقدموا إليهم الرسالة .

كان على التلاميذ أن يسيروا قُدُماً في عملهم باسم المسيح . وكل كلمة يقولونها وكل عمل يعملونه كان يجب أن يوجه انتباه الناس إلى اسمه على أن فيه تلك القوة الحيوية التي بها يخلص الخطاة . كان ينبغي أن يتركز إيمانهم في ذاك الذي هو نبع الرحمة والقوة . وباسمه كان عليهم أن يقدموا توسلاتهم إلى الآب فتعطى لهم الإجابة . كما كان عليهم أن يعمّدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس . فاسم المسيح كان يجب أن يكون هو كلمة السر لهم ، ووسام

رفعتهم ، وميثاق اتحادهم ، والسلطان الذي به يسيرون قدماً في عملهم ، ونبع نجاحهم . فلم يكن هنالك شيء يُعترف به في ملكوته ما لم يكن ممهوراً باسمه وعنوانه .

عندما قال المسيح للتلاميذ اذهبوا باسمي لتضموا إلى الكنيسة كل من يؤمنون ، فقد أظهر لهم بكل وضوح ضرورة التحلي بالبساطة . فكلما قل التفاخر والمباهاة كلما عظم تأثيرهم للخير . كان على التلاميذ أن يتكلموا بالبساطة نفسها التي كان المسيح يتكلم بها . كان عليهم أن يثبِّتوا في أذهان سامعيهم التعاليم نفسها التي علمهم إياها .

لم يقل المسيح لتلاميذه إن عملهم سيكون سهلاً هيناً . ولكنه أراهم اتحاد قوى الشر العظيمة المصطفة ضدهم وأخبرهم أن محاربتهم ستكون «مَعَ الرُّؤَسَاءِ ، مَعَ السَّلاَطِينِ ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦: ١٢) . ولكنهم لن يتركوا ليحاربوا وحدهم بل أكد لهم أنه سيكون معهم وأنهم إذا ذهبوا بالإيمان فإنما يذهبون تحت حماية القدرة الإلهية القادرة على كل شيء . وقد أمرهم بأن يتشجعوا ويتقووا ، لأن ذاك الذي هو أعظم من الملائكة سيكون بين صفوفهم– قائد جيوش السماء . لقد أعد المؤونة الكافية لينجزوا عملهم وأخذ على نفسه مسؤولية نجاحه . وطالما كانوا مطيعين لكلمته وعاملين بالارتباط معه ، فلم يكن ممكنا أن يفشلوا أبداً . لقد أمرهم قائلاً اذهبوا إلى كل الأمم ، اذهبوا إلى أقصى المسكونة وتأكدوا بأنني سأكون معكم هناك . اخدموا بإيمان وثقة ، لأنه لن يأتي وقت فيه أتخلى عنكم . سأكون معكم كل الأيام معينا لكم على إتمام واجبكم ، مرشدا لكم ومعزياً ومقدساً ومسنداً ومعطياً إياكم النجاح وأنتم تنطقون بالأقوال التي تجذب انتباه الآخرين إلى السماء .

كانت ذبيحة المسيح لأجل الإنسان تامة وكاملة . لقد أكمل شــرط الكفــارة . وتمم العمل الذي لأجله أتى إلى العالم . لقد ربح المملكة إذ انتزعها من الشيطان وصار وارثاً لكل شيء . وكان في طريقه إلى عرش الله ليحصل علــى إكــرام أجناد السماء وتمجيدهم . وإذ كان متسربلا بسلطان لا حد له أعطــى لتلاميــذه تفويضاً للاضطلاع برسالتهم قائلا لهم: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ . وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ . وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ١٩،٢٠) .

وقبيل تركه لتلاميذه شرح لهم المسيح طبيعة ملكوته بوضوح أكمــل . وقــد ذكرهم بالأمور التي سبق أن قالها لهم عن ذلك الملكوت . كما أعلن لهم أنــه لا ينوي أن يقيم في هذا العالم ملكوتاً زمنياً . فلم يتعين عليه أن يملك كملك أرضي على كرسي داود . وعندما سأله التلاميذ قائلين: «يَارَبُّ ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْــتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ ؟» أجابهم قائلا: «لَيْــسَ لَكُــمْ أَنْ تَعْرِفُــوا الأَزْمِنَــةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (أعمال ١: ٦،٧) . لــم يكــن مــن الضروري أن يروا من المستقبل أكثر من الإعلانات التي كشفها لهم الرب . فقد كان عملهم يتركز في إذاعة رسالة الإنجيل .

كان حضور المسيح المنظور مزمعاً أن ينسحب من بين التلاميــذ ، ولكــن كانت ستعطى لهم هبة قوة جديدة . فالروح القدس كان مزمعا أن يعطى لهم فــي ملئه فيختمهم لأجل عملهم . وقد قال لهم المخلص: «هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُــمْ مَوْعِــدَ أَبِي . فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِــنَ الأَعَــالِي» (لوقــا ٢٤: ٤٩) . «لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ ، لَيْسَ بَعْــدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ» «سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُــونَ لِــي

شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال ١: ٥،٨) .

لقد عرف المخلص أنه لا توجد حجة مهما تكن منطقية تستطيع أن تذيب القلوب القاسية أو تخترق غِشاء محبة العالم والأنانية . وعرف أيضاً أن تلاميذه ينبغي لهم أن يقبلوا هبة السماء ، وأن الإنجيل يمكن أن تكون له فاعليته على قدر ما تذيعه القلوب الملتهبة والشفاه التي اكتسبت الفصاحة من معرفتها الحية لذاك الذي هو الطريق والحق والحياة . إن العمل المسلم للتلاميذ كان يتطلب كفاءة عظيمة لأن تيار الشر كان يجري ضدهم في عمقه وقوته . لقد كان على رأس قوات الظلمة قائد يقظ وعنيد ، وما كان لأتباع المسيح أن يناضلوا من أجل الحق إلا بواسطة العون الذي يمنحهم اياه الله بروحه .

وقد أوصى المسيح تلاميذه بأن يبدأوا عملهم من أورشليم . فقد كانت تلك المدينة مسرحاً لذبيحته العجيبة لأجل الجنس البشري . فهناك ، إذ كان متسربلاً برداء الناسوت ، كان يسير ويتحدث مع الناس ، ولكن قليلين هم الذين عرفوا مقدار اقتراب السماء من الأرض . وفي تلك المدينة حُكم عليه وصُلب ، وكان كثيرون فيها يؤمنون سراً أن يسوع الناصري هو المسيا ، كما كان يوجد كثيرون ممن قد خدعهم الكهنة والرؤساء . فكان ينبغي تقديم رسالة الإنجيل لهؤلاء أولاً ودعوتهم إلى التوبة . والحقيقة العظيمة التي مؤداها أنه بالمسيح وحده يمكن أن تغفر خطاياهم كان يجب إيضاحها . وبينما كانت كل أورشليم مهتاجة بالحوادث التي هزت المشاعر في الأسابيع القليلة الأخيرة فإن كرازة التلاميذ كانت مزمعة أن تحدث أعمق تأثير .

إن يسوع في إبان خدمته جعل نصب عيون تلاميذه وأذهانهم حقيقة كونهم يجب أن يتحدوا معه في عمله لتحرير العالم من عبودية الخطيئة . وعندما أرسل

الاثنى عشر وبعد ذلك السبعين لإذاعة تعاليم ملكوت الله ، كان عليهم أن يتبعوا إرشاداته في تعليم الآخرين ما قد تعلموه هم منه . وفي كل أعماله كان يدربهم على العمل الفردي ، والذي كان سيمتد ويتسع بنسبة زيادة عددهم حتى يصل أخيراً إلى أقصى الأرض . وآخر درس ذكَّر به تابعيه هو أنهم قد استؤمنوا على بشارة الخلاص لإذاعتها للعالم .

وعندما جاء الوقت الذي فيه يصعد المسيح إلى أبيه أخذ تلاميذه إلى بيت عنيا . ثم توقف هنالك فتجمعوا حوله . وإذ بسط يديه ليباركهم ويؤكد لهم دوام رعايته وحمايته بدأ يصعد عنهم ببطء . «وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ» (لوقا ٢٤: ٥١) .

وإذ كان التلاميذ يشخصون إلى فوق ليلقوا النظرة الأخيرة على سيدهم الصاعد رأوا جموع ملائكة السماء المتهللين يحفون به وهم ينشدون أنشودة الانتصار في طريقهم إلى المواطن العليا قائلين: «يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا لِلهِ . رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ . لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ...أَعْطُوا عِزًّا لِلهِ...جَلاَلُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ» (مزمور ٦٨: ٣٢،٣٤) .

وفيما كان التلاميذ لا يزالون شاخصين بكل جدية إلى السماء . «إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ وَقَالاَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال ١: ١٠،١١) .

إن الوعد بمجيء المسيح ثانية كان ينبغي أن يظل ماثلاً في أذهان التلاميذ على الدوام . فيسوع هذا الذي قد رأوه صاعداً إلى السماء سيأتي ثانية ليأخذ لنفسه أولئك الذين يكرسون ذواتهم لخدمته هنا على الأرض . فنفس الصوت

الذي أكد لهم: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» سيرحب بهم للمثول في حضرته في ملكوت السموات .

وكما كان رئيس الكهنة يخلع عنه حلته الكهنوتية في الخدمة الرمزية ويخدم وهو لابس ثوب الكتان الأبيض الذي يلبسه أي كاهن عادي ، كذلك المسيح خلع عنه حلته الملكية وتسربل برداء البشرية وقدم الذبيحة ، وكان هو نفسه الكاهن والذبيحة ، وكما كان رئيس الكهنة ، بعدما يتمم خدمته في قدس الأقداس ، يخرج في ثيابه الكهنوتية إلى الشعب المنتظر ، كذلك سيأتي المسيح ثانية متسربلاً بثياب أشد بياضاً من كل شيء «لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ» (مرقس ٩: ٣) . وسيأتي في مجده ومجد أبيه وسيحف به كل أجناد الملائكة في طريقه .

وهكذا سيتم وعد المسيح لتلاميذه إذ قال لهم: «آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ» (يوحنا ١٤:٣) . فأولئك الذين قد أحبوه وانتظروه سيكللهم بالمجد والكرامة والخلود . والأموات الأبرار سيخرجون من قبورهم والأحياء سيخطفون معهم لملاقاة الرب في الهواء . وسيسمعون صوت يسوع الذي هو أحلى وأعذب من أية موسيقى سمعتها إذن بشر قائلا لهم: لقد انتهت حربكم: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي ، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (متى ٢٥: ٣٤) .

لقد كان التلاميذ محقين في فرحهم برجاء مجيء سيدهم .

الفصل الرابع

يوم الخمسين

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ٢: ١-٣٩) .

عندما رجع التلاميذ من جبل الزيتون إلى أورشليم نظر الناس إليهم متوقعين أن يروا على وجوههم دلائل الحزن والارتباك والهزيمة ، ولكن بدلاً من ذلك رأوا نور الفرح والنصرة يشع من عيونهم . فلم يعد التلاميذ ينوحون على آمالهم التي اعتقدوا أنها خابت . فلقد رأوا مخلصهم الذي قام ، وظل وعده الوداعي لهم يرن في آذانهم دائماً .

وامتثالاً لوصية المسيح أقاموا في أورشليم في انتظار موعد الآب بانسكاب الروح القدس . إنهم لم ينتظروا في خمول أو بلادة . فالسِّفْر المقدس يقول عنهم: «كَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللهَ» (لوقا ٢٤: ٥٣) . كما أنهم كانوا يجتمعون معا ليقدموا صلواتهم وطلباتهم إلى الآب باسم يسوع . فقد علموا أن لهم نائباً يمثلهم في السماء ، إنه شفيعهم أمام عرش الله . ففي خشوع مقدس انحنوا يصلون مرددين وعد الرب الأكيد القائل: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ . إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي . اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا ، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا ١٦: ٢٣،٢٤) . لقد مدوا يد الإيمان عالية

جداً وفي أفواههم هذه الحجة القوية: «اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا ، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا» (رومية ٨: ٣٤) .

وإذ كان التلاميذ ينتظرون إتمام الوعد ذللوا قلوبهم في توبة صادقة واعترفوا بعدم إيمانهم . فإذ ذكروا الأقوال التي كان المسيح قد تفوه بها لهم قبل موته أدركوا فحواها إدراكاً أكمل . لقد عادت الحقائق التي كانت قد غابت عن أذهانهم إلى عقولهم فجعلوا يرددونها الواحد للآخر . كما لاموا أنفسهم على سوء فهمهم للمخلص . وقد مرت أمام أذهانهم مشاهد حياته العجيبة الواحدة تلو الأخرى كما في موكب عظيم . وإذ تأملوا في حياته الطاهرة المقدسة ما عادوا يحسون أن أي تعب هو أشق من أن يحتملوه ولا أية تضحية أعظم من أن يُقدِموا عليها لو أمكنهم أن يمثلوا في حياتهم جمال صفات المسيح . وكم تمنوا لو أمكنهم أن يعيشوا السنوات الثلاث الماضية من جديد ، وكانوا يفكرون قائلين لو حدث ذلك فكم كان يبدو تصرفهم مغايراً لما اعتادوه في الماضي . ولو أمكنهم أن يروا معلمهم مرة أخرى فأي غيرة سيحاولون أن يبرهنوا على حبهم العميق له ، وحزنهم الصادق لكونهم أحزنوا قلبه بكلمة أو عمل من أعمال عدم الإيمان . ولكن الذي عزاهم هو الفكر أنه قد غُفِر لهم . ولذلك عقدوا العزم على التكفير بقدر الإمكان عن عدم إيمانهم السابق بالاعتراف به الآن أمام العالم بكل جرأة .

وقد صلى التلاميذ بغيرة عظيمة طالبين أن يكونوا مؤهلين لمواجهة الناس وأن يتحدثوا بكلمات أثناء اتصالاتهم اليومية ، يكون من شأنها أن تقود الخطاة إلى المسيح . وإذ طرحوا عنهم كل الخلافات وكل تطلع إلى السيادة ، اتحدوا معا في شركة مسيحية وثيقة . كما ازدادوا قربا إلى الله . وإذ فعلوا هذا تحققوا من قيمة الامتياز الذي كان لهم إذ سمح لهم بمصاحبة المسيح عن

قرب . وقد استولى على قلوبهم الحزن وهم يفكرون في المرات التي أحزنوا فيها قلب السيد بسبب بطء فهمهم وإخفاقهم في تعلم الدروس التي كان يحاول أن يعلمهم إياها لخيرهم .

وقد كانت أيام الاستعداد هذه أياماً فحصوا فيها قلوبهم فحصاً عميقاً دقيقاً . لقد أحس التلاميذ بحاجتهم الروحية فصرخوا إلى الرب في طلب المسحة المقدسة التي ستؤهلهم لعمل خلاص النفوس . إنهم لم يطلبوا البركة لأنفسهم فقط . ولكنهم كانوا مثقلين بعبء خلاص النفوس . كانوا متأكدين من أن الإنجيل ينبغي أن يذاع على كل العالم ، فجعلوا يطالبون بالقوة التي قد وعدهم المسيح بها .

في إبان عهد الآباء أعلنت قوة الروح القدس وظهر تأثيره بشكل ملحوظ ، ولكن الروح لم يتجلَّ في ملئه أبداً . أما الآن فقدم التلاميذ ابتهالاتهم إطاعة لقول المخلص في طلب هذه العطية ، كما أن المسيح في السماء أضاف شفاعته ووساطته إلى هذه الابتهالات . فقد طالب بموهبة الروح القدس لكي يسكبها على شعبه .

«وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ» (أعمال ٢: ١،٢) .

وإذ كان التلاميذ منتظرين ومصلين حل عليهم الروح بفيضٍ وصل إلى كل قلب . فالإله السرمدي أعلن نفسه لكنيسته بقوة . وقد بدا كأن هذه القوة قد حُجزت مدى أجيال طويلة ، أما الآن فها السماء تفرح لأنها استطاعت أن تسكب على الكنيسة غنى نعمة الروح . وتحت تأثير الروح اختلطت كلمات التوبة والاعتراف بأغاني الشكر على الخطايا التي غفرت . كما سمعت أقوال الشكر والنبوة . وقد انحنى كل سكان السماء ليشاهدوا ويمجدوا حكمة المحبة التي لا

تبارى ولا يدركها العقل . وإذ استولت الدهشة على الرسل صاحوا قائلين «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ». لقد تمسكوا بالعطية الممنوحة لهم . وماذا تبع ذلك يا ترى ؟ إن سيف الروح الذي حُدد حديثاً بالقوة واغتسل في برق السماء ، شق طريقه مخترقاً عدم الإيمان . وقد اهتدى وتجدد آلاف الناس في يوم واحد .

كان المسيح قد قال لتلاميذه : «خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي ، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ» «مَتَى جَاءَ ذَاكَ ، رُوحُ الْحَقِّ ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يوحنا ١٦: ١٣،٧) .

إن صعود المسيح إلى السماء كان علامة على أن تابعيه سيقبلون البركة الموعود بها . لهذا كان عليهم أن ينتظروا هذه البركة قبل البدء في عملهم . وعندما دخل المسيح من أبواب السماء جلس على عرشه وسط تمجيد الملائكة . وحالما تم كل هذا نزل الروح القدس على التلاميذ في سيول غامرة وتمجد المسيح حقا بالمجد الذي كان له عند الآب منذ أيام الأزل . إن انسكاب الروح في يوم الخمسين كان علامة السماء على أن عملية تتويج الفادي وتسلمه للسلطة قد تمت . فبناءً على وعده أرسل الروح القدس من السماء إلى تابعيه كعلامة على أنه قد أخذ كل سلطان في السماء وعلى الأرض ككاهن وملك ، وصار هو المسيح (الممسوح) على شعبه .

«وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ . وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا» (أعمال ٢: ٣،٤) . إن الروح القدس إذ اتخذ هيئة السنة من نار استقر على أولئك المجتمعين . وكان هذا رمز العطية التي منحت للتلاميذ حينئذٍ والتي مكّنتهم أن يتكلموا بطلاقة بلغات لم يسبق

لهم أن عرفوها ولا كان لهم بها أدنى علم . إن منظر النار كان يرمز إلى الغيرة الملتهبة التي كان الرسل مزمعين أن يخدموا بها ، والقوة التي سترافق عملهم .

«وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ» (أعمال ٢: ٥) . في أثناء الشتات كان اليهود قد تفرقوا وتبددوا في كل أنحاء المسكونة تقريباً ، وإذ كانوا في أرض غربتهم تعلموا التكلم بلغات مختلفة . وفي ذلك الحين تواجد كثيرون منهم في أورشليم لإحياء الأعياد الدينية التي كان قد حان ميعادها . كان المجتمعون يمثلون كل اللغات المعروفة وقتذاك . وكان يمكن أن يكون هذا الاختلاف في اللغات عائقاً عظيماً يحول دون إذاعة الإنجيل ، ولذلك سد الله عجز الرسل وقصورهم بطريقة معجزية . فقد عمل الروح القدس لأجلهم ما كانوا يعجزون عن القيام به بمفردهم مدى الحياة . فتمكنوا عندها من إذاعة حقائق الإنجيل في الخارج إذ كانوا يتكلمون بدقة وإتقان بلغات أولئك الذين كانوا يخدمونهم . فهذه العطية المعجزية كانت برهاناً قوياً للعالم أن التفويض المعطى لهم يحمل ختم السماء . ومنذ ذلك الحين صارت لغة التلاميذ نقية وبسيطة ومضبوطة سواء تكلموا بلغتهم الوطنية أو بلغة أجنبية .

«فَلَمَّا صَارَ هذَا الصَّوْتُ ، اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا ، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ . فَبُهِتَ الْجَمِيعُ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَتُرَى لَيْسَ جَمِيعُ هؤُلاَءِ الْمُتَكَلِّمِينَ جَلِيلِيِّينَ ؟ فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ؟»» (عدد ٦-٨) .

وقد ثار غضب الكهنة والرؤساء بسبب هذا الإعلان العجيب ولكنهم لم يجسروا على التعبير عن حقدهم وخبثهم خشية تعريض أنفسهم لقسوة الشعب .

لقد قتلوا الناصري ، ولكن هاهم عبيده الأميون من أهل الجليل يخبرون الناس بقصة حياته وخدمته بكل اللغات المعروفة حينئذٍ . وإذ صمم الكهنة أن يعللوا سبب قوة التلاميذ الإعجازية بعوامل طبيعية أعلنوا أنهم سكارى لأنهم أفرطوا في شرب الخمر الجديدة المعدة للعيد . فبعض ممن كانوا حاضرين ، من أشد الناس جهلا ، تمسكوا بهذا الاقتراح على أنه الحق ، ولكن الأذكياء منهم عرفوا زيف هذا الادعاء ، والذين كانوا يستطيعون تمييز اللغات وفهمها شهدوا للدقة التي كان يتكلم بها التلاميذ بتلك اللغات .

ورداً على تهمة الكهنة برهن بطرس على أن هذه الظاهرة كانت إتماماً صريحاً لنبوة يوئيل النبي التي أنبأ فيها بأن مثل هذه القوة ستحل على الناس لتؤهلهم لعمل خاص . فقال: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ ، لِيَكُنْ هذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَى كَلاَمِي لأَنَّ هؤُلاَءِ لَيْسُوا سُكَارَى كَمَا أَنْتُمْ تَظُنُّونَ ، لأَنَّهَا السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ النَّهَارِ . بَلْ هذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ . يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا . وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ» (عدد ١٤-١٨) .

فبطلاقة وفصاحة وقوة شهد بطرس لموت المسيح وقيامته قائلا: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ . هذَا أَخَذْتُمُوهُ... وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ . اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (عدد ٢٢-٢٤) .

إن بطرس لم يشر إلى تعاليم المسيح ليبرهن على متانة مركزه ، لأنه كان يعلم أن تعصب سامعيه كان شديداً بحيث أن كلامه عن هذا الموضوع لن يكون

له أي تأثير . ولكن بدلاً من ذلك حدثهم عن داود الذي كان اليهود يعتبرونه أحد الآباء في أمتهم . فأعلن قائلا : «لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ ، أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي ، لِكَيْ لاَ أَتَزَعْزَعَ . لِذلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي . حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ . لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا ...

«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ ، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هذَا الْيَوْمِ» . وداود «تَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا . فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ» (عدد ٢٥-٣٢) .

إن هذا المشهد مثير للاهتمام . وهوذا الشعب يأتي من كل ناحية ليسمع التلاميذ وهم يشهدون للحق كما هو في يسوع . إنهم يزدحمون حولهم في الهيكل . والكهنة والرؤساء هناك وعلى وجوههم عبوسة الخبث القاتمة ، وقلوبهم لا تزال مليئة بالكراهية الدفينة الدائمة للمسيح ، وأيديهم ملطخة بالدم الذي سفك عندما صلبوا فادي العالم . لقد ظنوا أنهم سيرون الرسل وقد جبنوا خوفاً تحت وطأة يد الظلم والقتل القاسية ، ولكنهم يجدونهم الآن مرتفعين فوق كل خوف وممتلئين بالروح وبكل قوة يذيعون حقيقة لاهوت يسوع الناصري . ويسمعونهم يعلنون بكل جرأة أن ذاك الذي قد أذل منذ عهد قريب وعُيِّر ، وبالأيدي القاسية ضُرب وصُلب إن هو إلا رئيس الحياة الذي ارتفع الآن بيمين الله .

إن بعض من أصغوا إلى أقوال الرسل كانت لهم يد في إدانة المسيح وموته . لقد اختلطت أصواتهم بأصوات الدهماء وهم يطلبون صلبه . فعندما وقف يسوع وباراباس جنبا إلى جنب في دار الولاية وسألهم بيلاطس قائلا: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ ؟» صرخوا قائلين: «لَيْسَ هذَا بَلْ بَارَابَاسَ» .

وعندما أسلم بيلاطس المسيح إليهم قائلا: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ ، لأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً» «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ» ، صرخوا قائلين: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متى ٢٧: ١٧؛ يوحنا ١٨: ٤٠؛ يوحنا ١٩: ٦؛ متى ٢٧: ٢٤،٢٥) .

أما الآن فها هم يسمعون التلاميذ يعلنون أن الذي صلب هو ابن الله . وقد ارتعب الكهنة والرؤساء . كما تملك التبكيت والحزن قلوب الشعب و«نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرَ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ» ؟» وكان بين من أصغوا إلى التلاميذ رجال أتقياء كانوا مخلصين في اعتقادهم . فالقوة التي كانت تصحب أقوال المتكلم أقنعتهم بأن يسوع هو المسيا حقاً .

«فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ :«تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا ، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ . لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا»» (عدد ٣٨،٣٩) .

وقد أقنع بطرس أولئك الناس المتبكتين بحقيقة كونهم قد رفضوا المسيح لأن الكهنة والرؤساء قد غرروا بهم ، وأنهم إذا ظلوا يتطلعون إلى هؤلاء الرجال في طلب المشورة وانتظروهم حتى يعترفوا بالمسيح قبلما يجرؤون هم على عمل ذلك فلن يقبلوه أبداً . إن هؤلاء الرجال ذوي السلطان مع أنهم كانوا يعترفون بالتقوى كانوا يطمحون إلى الغنى والمجد الأرضيين . فلم يريدوا أن يأتوا إلى المسيح ليحصلوا على النور .

وتحت تأثير هذه الإنارة السماوية ظهرت الأقوال الكتابية التي أوضحها المسيح للتلاميذ أمام أذهانهم في بهاء الحق الكامل . والحجاب الذي كان قد أعاقهم عن رؤية ما قد أبطل ، أزيح الآن فأدركوا بكل وضوح غاية رسالة

المسيح وطبيعة ملكوته . وقد أمكنهم أن يتحدثوا عن المخلص بقوة وإذ كشفوا لسامعيهم عن تدبير الخلاص تبكت كثيرون واقتنعوا . وقد اكتُسحت الطقوس والخرافات التي فرضها الكهنة وتحررت عقولهم وقبل الناس تعاليم المخلص .

«فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ ، وَاعْتَمَدُوا ، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ» (عدد ٤١) .

كان رؤساء اليهود يظنون أن عمل المسيح سيبطل ويتلاشى بموته ، ولكنهم بدلاً من ذلك شهدوا أحداث يوم الخمسين المدهشة . وسمعوا التلاميذ وهم مزودون بسلطان وقوة لم يكن لهم بهما علم من قبل ، يكرزون بالمسيح ، وكانت أقوالهم تثبت بقوة الآيات والعجائب . وفي أورشليم التي كانت معقل الديانة اليهودية جاهر آلاف من الناس بإيمانهم بيسوع الناصرى باعتباره المسيا .

وقد ذهل التلاميذ وفرحوا فرحاً عظيما عندما رأوا عظمة حصاد النفوس هذا . إنهم لم يكونوا يعتبرون هذا الحصاد العجيب نتيجة أتعابهم أو جهودهم ، ولكنهم تحققوا أنهم كانوا يدخلون على تعب سواهم . فمنذ سقط آدم ، والمسيح يسلم لعبيده المختارين بذار كلمته ليزرعوها في قلوب الناس . وفي إبان سني حياته على هذه الأرض زرع هو بذار الحق ورواه بدمه . وحوادث اهتداء الناس التي تمت في يوم الخمسين كانت نتيجة هذا الزرع . إنه حصاد المسيح الذي أعلن سلطان تعاليمه .

إن الحجج التي قدمها الرسل وإن تكن واضحة ومقنعة لم تكن وحدها كافية لإزالة التعصب الذي تصدى للبراهين الكثيرة المفحمة . ولكن الروح القدس أدخل هذه الحجج إلى القلوب بقوة الله . وقد كانت أقوال الرسل كسهام القدير الحادة المبرية إذ بكتت الناس على جريمتهم الهائلة في رفض رب المجد وصلبه .

وفي ظل تدريب المسيح وتعليمه ابتدأ التلاميذ يحسون بحاجتهم إلى قوة الروح . وفي ظل تدريب الروح وإرشاده قبلوا المؤهلات الأخيرة وخرجوا لممارسة عمل حياتهم . وما عادوا بعد ذلك جهلة أو أميين ، أو مجرد مجموعة من الأفراد المستقلين عن بعضهم البعض ومن العناصر المتنافرة المتضاربة ، وما عادوا يركزون آمالهم في العظمة الدنيوية . لقد صاروا «بِرَأْيٍ وَاحِدٍ» ، «قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ» فقد ملأ المسيح أفكارهم واحتلها ، وكان هدفهم امتداد ملكوته ، فصاروا مثل سيدهم في الفكر والصفات بحيث أن الناس «عَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ (بطرس ويوحنا)» – (أعمال ٢: ٤٦،٤: ٣٢،٤: ١٣) .

لقد أتاهم يوم الخمسين بالإنارة السماوية . فالحقائق التي استعصى عليهم فهمها حين كان المسيح معهم انكشفت لهم الآن . وبإيمان ويقين لم يكن لهم بهما عهد من قبل قبلوا تعاليم الكلمة المقدسة . فما عاد الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله مجرد إيمان أو عقيدة . لقد عرفوا أنه مع كونه كان متسربلا بالناسوت فقد كان في حقيقة الأمر هو المسيا ، وقد أخبروا العالم باختبارهم بثقة صحبها الإقناع بأن الله كان معهم .

لقد أمكنهم أن يذكروا اسم يسوع بيقين ، أو لم يكن هو صديقهم وأخاهم الأكبر ؟ فإذ صارت لهم شركة وثيقة مع المسيح تيقنوا من أنهم سيجلسون معه في السماء . فبأي لغة ملتهبة وملهبة عبروا عن آرائهم عندما شهدوا له ، لقد كانت قلوبهم مفعمة بمحبة كاملة جدا وعميقة جداً وبعيدة المدى إلى أقصى حد بحيث دفعتهم للذهاب إلى أقاصي الأرض شاهدين بقدرة المسيح . لقد امتلأت قلوبهم بشوق عميق طاغٍ كي يتقدموا بالعمل الذي بدأوه . وقد تحققوا من عظمة مديونيتهم للسماء ومسؤولية عملهم . فإذ تقووا بعطية الروح القدس خرجوا وهم ممتلئون غيرة لتوسيع رقعة انتصارات الصليب .

وقد نشطهم الروح وتكلم على أفواههم ، وشع سلام المسيح في وجوهـــــهم . فقد كرسوا حياتهم لخدمته كما دلت قسمات وجوههم بجلاء تام على التســـليم الذي قاموا به .

الفصل الخامس

عطيّة الروح

عندما أعطى المسيح لتلاميذه الوعد بالروح ، كان يقترب من نهاية خدمته الأرضية . كان واقفاً في ظل الصليب ، وهو متحقق تماماً من ثقل العبء الهائل الذي كان سيستقر عليه بوصفه الحامل خطية العالم . فقبلما قدّم نفسه ذبيحة كفارية كان قد أحاط تلاميذه علماً عن العطية الجوهرية الكاملة التي كان مزمعاً أن يمنحها لتابعيه . تلك التي ستجعل موارد نعمته غير المحدودة في متناول أيديهم . قال لهم: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ . رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ» (يوحنا ١٤: ١٦،١٧) . كان المخلص يشير بهذا الكلام إلى الوقت الذي فيه سيأتي الروح القدس ليقوم بعمل عظيم بوصفه نائباً عنه . فالشر الذي تجمّع مدى أجيال طويلة كان لا بدّ أن يُقاوَم ويُوقَف عند حدّه بقوة الروح القدس الإلهية .

وماذا كانت نتيجة انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين ؟ فلقد وصلت أخبار المخلص المقام السارّة إلى أقصى أرجاء المسكونة . وعندما أذاع التلاميذ رسالة النعمة الفادية خضعت القلوب لسلطان هذه الرسالة . وقد شهدت الكنيسة كثيراً من المهتدين يتقاطرون عليها من كل مكان . فقد رجع المرتدون واشترك

الخطاة مع المؤمنين في طلب يسوع اللؤلؤة الكثيرة الثمن . وبعض ممن كـــانوا من ألد خصوم الإنجيل صاروا حماته المدافعين عنه وتمت النبوة القائلة: «فَيَكُونُ الْعَاثِرُ ... مِثْلَ دَاوُدَ وَبَيْتُ دَاوُدَ ... مِثْلَ مَلاَكِ الرَّبِّ» (زكريا ١٢: ٨) . لقد رأى كل مسيحي في أخيه إعلاناً للحب والإحسان الإلهيين . فســاد الجميــع اهتمــام واحد . كما طغى موضوع واحد للمناقشة على كل ما عداه . فكــان المؤمنــون يطمحون إلى إعلان صفات المسيح والاجتهاد في توسيع نطاق ملكوته .

«وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ ، وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ» (أعمال ٤: ٣٣) . وقد انضم بفضل جهودهم إلى الكنيســة رجال مختارون ، وهؤلاء إذ قبلوا كلمة الحق كرسوا أنفسهم لعمل تقديم الرجــاء الذي ملأ قلوبهم سلاماً وفرحاً للآخرين . ولم يكن ممكناً ردعهم أو تخويفهم عــن طريق التهديد . فقد تكلم الرب بواسطتهم وإذ كانوا يذهبون من مكان إلى آخــر كان يُكرَز للمساكين بالإنجيل فأُجريت معجزات النعمة الإلهية .

إن الله يستطيع أن يعمل بقوة متى سلّم الناس ذواتهم لسيادة روحه . فـــالوعد بالروح القدس غير مقتصر على عصر أو جنس دون الآخر .

فقد أعلن المسيح أن تأثير قوّة روحه سيصاحب تابعيه حتى النهاية . فمنذ يوم الخمسين إلى عصرنا الراهن أرسل المعزي إلى كل من قد سلموا أنفسهم بالتمــام للرب ولخدمته . وكل الذين قبلوا المسيح مخلصا شخصياً لهم أتاهم الروح القدس باعتباره المشير والمقدّس والمرشد والشاهد . وكلما سار المؤمنون مع الله عـــن أكثر قرب شهدوا بأكثر صراحة وقوة لمحبة فاديهم ونعمتـــه المخلصـــة . وإن الرجال والنساء الذين تمتعوا لمدى عصور الاضطهاد والتجربة الطويلة المريــرة بنصيب كبير من حضور الروح في حياتهم ، أعلنوا أمام الناس والملائكة عـــن قوة المحبة الفادية المغيِّرة .

إنّ أولئك الذين تزودوا بقوة من الأعالي في يوم الخمسين لم يتحرروا بذلك من المحن والتجارب المستقبلة . فإذ شهدوا للحق والبر هاجمهم عدو كل حق مراراً وتكراراً إذ حاول أن يجرّدهم من اختبارهم المسيحي . لقد أجبروا على الجهاد بكل القوى المعطاة لهم من الله ليصلوا إلى قياس قامة الرجال والنساء الذين هم في المسيح يسوع . وفي كل يوم كانوا يصلّون في طلب المزيد من إمدادات النعمة لبلوغ أسمى مراقي الكمال . وقد تعلم حتى أضعف المؤمنين بواسطة الروح القدس أن يدرّبوا إيمانهم بالله وأن يحسّنوا القوى المودعة بين أيديهم ويصيروا مقدسين وأنقياء وشرفاء . وإذ أسلموا أنفسهم بوداعة لقوة الروح لتصوغهم أخذوا من ملء الله وتشكلوا على شبه الصورة الإلهية . ثم أن مرور الزمن لم يُحدِث أي تغيير في وعد المسيح الوداعي بإرسال الروح القدس نائباً عنه . إن السبب في كون غنى نعمة الله لا يفيض على سكان الأرض ليس سببه وجود بعض التحفظ من جانب الله . فإذا لم تتم رؤية إتمام الوعد كما ينبغي ، فالسبب هو كون الناس لا يقدّرون الوعد كما يجب . فلو رغب الجميع لامتلأوا بالروح . وعندما يقلّ تفكير الناس أو ينعدم في ملاحظة حاجتهم الماسة إلى الروح القدس ، يحل الجفاف والقحط الروحيين ، وتخيّم الظلمة الروحية الداجية ويتبع ذلك هبوط أدبي وموت روحي . وكلما استأثرت الشؤون الصغرى بانتباهنا ، فإن الكنيسة تفتقر إلى القوة الإلهية اللازمة لنموها ونجاحها وتقدمها . وهذه القوة مقدَّمة بوفرة وغنى ويمكن لجميع البركات الأخرى أن تأتي في أثرها .

وبما أن هذه هي الوسيلة التي يمكننا بواسطتها الحصول على القوة فلماذا لا نجوع ونعطش إلى عطية الروح ؟ ولماذا لا نتحدث عنها ونصلي في طلبها ونكرز بها ؟ إن رغبة الرب في إعطاء الروح القدس للذين يخدمونه تفوق رغبة

الآباء في إعطاء أولادهم عطايا جيدة . ينبغي لكل عامل التوسل إلى الله كل يوم طلباً لمعمودية الروح . فعلى جميع المسيحيين أن يجتمعوا معا في جماعات ويطلبوا معونة خاصة وحكمة سماوية لكي يعرفوا كيف يرسمون الخطط وينفذّونها . وعليهم أن يصلوا بوجه خاص من أجل سفراء الله المرسلين لحقول الخدمة الشاسعة ليمدهم الله بفيض من روحه القدوس . فوجود الروح مع خدام الله سيضفي على إذاعة الحق قوة تعجز كل كرامة العالم أو مجده من منح مثيل لها .

إن الروح القدس يمكث مع خادم الله المكرّس أينما وجد . والأقوال التي قيلت للتلاميذ تقال لنا نحن أيضاً . فالمعزي هو لنا كما كان لهم . والروح يمنح القوة التي تسند النفوس المجاهدة في كل ظرف طارئ في وسط كراهية العالم وعندما يتحققون من فشلهم ومن أخطائهم . وفي أوقات الحزن والتجارب والضيقات ، عندما يبدو كل شيء مظلماً والمستقبل محيراً مربكاً ، وحين نحس بعجزنا ووحدتنا ، فهذه هي الأوقات التي فيها يجيء الروح القدس بالعزاء للقلب إجابة لصلاة الإيمان .

إن حقيقة كون الإنسان يبدو عليه فرح مقدس فوق العادة ونشوة روحية غامرة في ظروف غير اعتيادية ، ليست دليلاً قاطعاً على كونه مسيحياً . فالقداسة ليست هي الطرب أو السرور العظيم بل هي تسليم الإرادة بالتمام لله ، وهي أن نحيا بكل كلمة تخرج من فم الله ، وعمل إرادة أبينا السماوي والاتكال عليه في التجارب وفي الظلمة كما في النور ، والسلوك بالإيمان لا بالعيان والاعتماد على الله بثقة أكيدة والاستراحة في محبته .

ولكنه ليس أمراً جوهرياً بالنسبة إلينا أن نحدد ما هو الروح القدس بالضبط . فالمسيح يخبرنا أن الروح هو المعزي ، «رُوحُ الْحَقِّ ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ

يَنْبَثِقُ» . لقد أعلن بكل وضوح عن الروح القدس أنه في عملية إرشاد الناس إلى جميع الحق «لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ» (يوحنا ١٥: ٢٦، ١٦: ١٣) .

إن طبيعة الروح القدس هي سر . فليس في مقدور الناس أن يوضحوها لأن الرب لم يعلنها لهم . والناس ذوو الآراء الخيالية قد يقتبسون بعض الفصول الكتابية ويقيمون عليها بناء بشرياً ، ولكن اعتناق هذه الآراء لا يقوي الكنيسة . ففيما يختص بمثل هذه الأسرار التي هي أعمق من أن يسبر غورها الإدراك البشري ، يكون السكوت من ذهب .

أما وظيفة الروح القدس فتحددها أقوال المسيح إذ يقول : «وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ» (يوحنا ١٦: ٨) . فالروح القدس هو الذي يبكت على خطية . فإذا استجاب الخاطئ لتأثير الروح المحيي فسينتهي به ذلك إلى التوبة وسيتيقظ إلى أهمية إطاعة مطاليب الله .

إن الخاطئ التائب الذي يجوع ويعطش إلى البر فالروح القدس سيعلن له حمل الله الذى يرفع خطية العالم . وقد قال المسيح : «يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» ، «يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٦:١٤ ، ١٤:٢٦) .

إن الروح قد أعطي كعامل في التجديد لكي يجعل الخلاص الذي قد تم بموت فادينا ذا فاعلية عظيمة . وهو يحاول دائماً أن يحوّل انتباه الناس إلى الذبيحة العظيمة التي قدمت على صليب الجلجثة ويكشف للعالم عن محبة الله ويطلع النفس المتبكتة على كنوز الكتاب الثمينة .

إن الروح القدس بعدما يبكت النفس على خطية ويضع أمام الذهن مقياس البر فهو يجتذب عواطفها بعيداً عن أمور هذه الأرض ويملأ النفس شوقاً إلى القداسة : «يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنا ١٦: ١٣) هذا ما أعلنه

المخلص . فإذا رغب الناس في أن يصاغوا فسيحدث تقديس في كل كيانهم . والروح سيأخذ من أمور الله ويطبعها على النفس . وبقوته سيصير طريق الحياة واضحاً جداً بحيث لا تكون بأحد حاجة إلى أن يضله أو يخطئه .

إن الله منذ البدء كان يعمل بروحه بواسطة الوسائل البشرية لإتمام مقاصده لأجل جنسنا الساقط . وقد ظهر هذا في حياة الآباء . وقد أعطى الله أيضاً للكنيسة في البرية ، في عهد موسى ، «رُوحَكَ الصَّالِحَ لِتَعْلِيمِهِمْ» (نحميا ٩: ٢٠) . وفي أيام الرسل عمل بقوة لأجل كنيسته بواسطة الروح القدس . فنفس القوة التي أسندت الآباء والتي منحت كالب ويشوع إيماناً وشجاعة ، والتي جعلت عمل الكنيسة الرسولية فعالاً ، هي التي أعانت وأسندت أولاد الله الأمناء في كل العصور المتعاقبة . فبواسطة قوة الروح القدس أمكن للمسيحيين الولدنسيين في العصور المظلمة أن يمهدوا الطريق للإصلاح . وبواسطة هذه القوة نفسها نجحت مساعي الرجال والنساء النبلاء الذين مهدوا الطريق لإنشاء المرسليات الحديثة وترجمة الكتاب المقدس إلى لغات ولهجات كل الأمم والشعوب .

واليوم لا يزال الله يستخدم كنيسته ليجعل مقاصده معروفة في الأرض . واليوم نرى الكارزين بالصليب يذهبون من مدينة إلى أخرى ومن قطر إلى قطر ليعدوا الطريق لمجيء المسيح ثانية . إن مقياس شريعة الله يرتفع ويتمجد . وروح الله القدير يرف على قلوب الناس ، فالذين يستجيبون لتأثيره يصيرون شهوداً لله ولحقه . وفي أماكن كثيرة يمكن أن يرى رجال ونساء مكرسون يقدمون للناس النور الذي قد أوضح لهم طريق الخلاص بالمسيح . وإذ يداومون على جعل نورهم يضيء كما فعل أولئك الذين قد

تعمدوا بالروح القدس في يوم الخمسين فسيأخذون شيئا أكثر وأكثر من قوة الروح . وهكذا تستنير الأرض من مجد الله .

ومن الناحية الأخرى يوجد بعض ممن ينتظرون بتكاسل وخمول الوقت المناسب للفرج الروحي الذي فيه تزيد قدرتهم على إنارة الآخرين . فبدلاً من أن يحسنوا استخدام الفرص الحاضرة التي بين أيديهم يهملون الواجبات والامتيازات الراهنة ويتركون نورهم يخبو ويصير مظلماً . إنهم يتطلعون إلى المستقبل إلى الوقت الذي فيه سيحصلون على بركة خاصة بها يتغيرون ويؤهلون للخدمة بدون أي مجهود من جانبهم .

إنه أمر حقيقي أنه في وقت النهاية عندما يقترب عمل الله في الأرض في نهايته فالمساعي الجادة التي يبذلها المؤمنون المكرسون تحت قيادة الروح القدس وإرشاده ستصحبها علامات خاصة لرضى الله . إن الأنبياء العبرانيين استخدموا رمز المطر المبكر والمتأخر الذي يسقط في بلاد الشرق في وقت إلقاء البذار والحصاد لينبئوا عن النعمة الروحية التي ستمنح بغنى وبفيض غير عادي لكنيسة الله . إن انسكاب الروح في أيام الرسل كان هو بدء المطر المبكر وكانت نتيجته مجيدة . إن الروح سيمكث مع الكنيسة الحقيقية إلى انقضاء الدهر .

ولكن قرب انتهاء حصاد الأرض يوجد وعد بأن نعمة روحية خاصة ستمنح لإعداد الكنيسة لمجيء ابن الإنسان . فهذا الانسكاب مشبه بسقوط المطر المتأخر ، وعلى المسيحيين أن يقدموا توسلاتهم إلى رب الحصاد في طلب هذه القوة المضافة «فِي أَوَانِ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ» . وإجابة على تلك

التوسلات : «يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ (الرب) مَطَرًا مُبَكِّرًا وَمُتَأَخِّرًا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ» (زكريا ١٠: ١؛ يوئيل ٢: ٢٣) .

ولكن ما لم يكن لأعضاء كنيسة الله اليوم اتصال وارتباط حي يتبع كل نمو روحي فلن يكونوا مستعدين لوقت الحصاد . وما لم يصلحوا مصابيحهم ويبقوها مضيئة فسيخفقون في الحصول على نعمة زائدة في أوقات الحاجة الخاصة .

إنما فقط أولئك الذين يتقبلون استمرار إمدادات النعمة الجديدة هم الذين ستكون لهم قوة تتناسب مع حاجتهم اليومية وقدرتهم على استخدام تلك القوة . وبدلاً من التطلع إلى الأمام إلى زمن مستقبل فيه يحصلون على إعداد معجزي يعدهم لربح النفوس بواسطة منحهم قوة روحية خاصة ، فهم في كل يوم يسلمون أنفسهم لله ليجعلهم أوانى معدة له ليستخدمها . وفي كل يوم هم يحسنون استخدام الفرص المقدمة لهم والتي هى في متناول ايديهم للخدمة . وفي كل يوم يشهدون للسيد أينما يوجدون سواء أكانوا في محيط عمل وضيع في البيت أو في حقل الخدمة العام .

إن الخادم المكرس له تعزية عجيبة حين يعلم أنه حتى المسيح نفسه في أثناء حياته على الأرض كان كل يوم يطلب من أبيه إمدادات جديدة من النعمة التي كان يحتاجها ، ومن هذه الشركة مع الله كان يخرج ليقوي الآخرين ويباركهم . انظروا ابن الله ساجداً في الصلاة أمام أبيه ، فمع أنه ابن الله فهو يقوّي إيمانه بالصلاة ، وبواسطة شركته مع السماء استجمع لنفسه قوة لمقاومة الشر ولخدمة حاجات الناس . وكالأخ الأكبر لجنسنا هو يعرف حاجات أولئك الذين إذ هم محاطون بالضعف وعائشون في عالم الخطية والتجربة لا يزالون يشتاقون إلى خدمته . إنه يعرف أن الرسل الذين يرى أنهم أهل لأن يرسلهم للخدمة هم أناس ضعفاء ومخطئون ، ولكن كل من يقدمون أنفسهم لخدمته بالتمام يقدم لهم وعدا

بالمعونة الإلهية . إن مثاله هو تأكيد وضمان بأن الابتهالات والصلوات الحـــارة المثابرة إلى الله والمقدمة بإيمان – ذلك الإيمان الذي يقود صاحبه إلى الاعتمـــاد التام على الله والتكريس لخدمته في غير تحفظ– ستنتصر في الإتيـــان بمعونـــة الروح القدس إلى الناس في حربهم ضد الخطية .

فكل خادم يتبع مثال المسيح يكون معداً لقبول واستخدام القوة التي قد وعد بها الله كنيسته لأجل إنضاج حصاد الأرض . ومن صباح إلـــى صبـــاح إذ يجثـــو الكارزون بالإنجيل أمام الرب ويجددون عهد التكريس لـــه فســيمنحهم امتيـــاز حضور روحه معهم بقوته المحيية المقدســـة . وإذ يخرجـــون لأداء واجباتـــهم اليومية يكون عندهم الضمان بأن العامل غير المنظور الذي هو الروح القـــدس يقدرهم على أن يكونوا «عاملين مع الله» .

الفصل السادس

عند باب الهيكل

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٣ و٤: ١-٣١) .

كان تلاميذ المسيح يحسون إحساساً عميقاً بعدم كفايتهم ، فباتضاع وتذلل وصلاة قرنوا ضعفهم بقوته وربطوا جهلهم بحكمته وعدم استحقاقهم ببره وفقرهم بغناه الذي لا ينفذ . فإذ تقووا وتم إعدادهم على هذه الصورة لم يترددوا عن التقدم إلى الأمام في خدمة السيد .

بعد حلول الروح القدس بوقت قصير ، وتواً بعد فرصة قضيت في الصلاة الحارة ، كان بطرس ويوحنا صاعدين إلى الهيكل للعبادة فشاهداً عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل رجلا أعرج يبلغ الأربعين من العمر ، كانت حياته منذ ولادته حياة الألم والعجز والضعف . وقد اشتاق هذا الرجل السيئ الحظ طويلاً لأن يرى يسوع ليشفيه ، ولكنه كان عاجزاً عجزاً يكاد يكون كاملاً ، وقد أقصى بعيداً عن مشهد خدمات الطبيب العظيم . وأخيراً أفلحت توسلاته في إقناع بعض الأصدقاء لحمله إلى باب الهيكل ، ولكن لدى وصوله إلى هناك اكتشف أن ذاك الذي تركزت فيه آماله كان قد مات ميتة قاسية ...

وقد أثارت خيبته عطف الذين عرفوا كم من الوقت ظل ذلك المسكين ينتظر بشوق ولهفة لكى يشفيه يسوع ، فكانوا كل يوم يحملونه إلى الهيكل أملا أن ينال

بعض العطف من العابرين فيجودون عليه بالقليل مما عندهم ليسد به أعـــوازه . فإذ مر به بطرس ويوحنا سألهما صدقة . فتطلع إليه ذانـــك التلميـذان بحنـان وإشفاق . وقال له بطرس: «انْظُرْ إِلَيْنَا . فَلاَحَظَهُمَا مُنْتَظِرًا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمَا شَيْئًا . فَقَالَ بُطْرُسُ لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ» (أعمال ٣: ٤-٦) . فعندما أعلن بطــرس أنه فقير سقط وجه الرجل الأعرج ، ولكنه أشرق بعد ذلك وتألق بنور الرجـاء عندما تابع الرسول كلامه قائلا: «وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ : بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ» .

وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَهُ ، فَفِي الْحَالِ تَشَدَّدَتْ رِجْلاَهُ وَكَعْبَاهُ . فَوَثَبَ وَوَقَفَ وَصَارَ يَمْشِي ، وَدَخَلَ مَعَهُمَا إِلَى الْهَيْكَلِ وَهُوَ يَمْشِي وَيَطْفُرُ وَيُسَبِّحُ اللهَ . وَأَبْصَرَهُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَهُوَ يَمْشِي وَيُسَبِّحُ اللهَ . وَعَرَفُوهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ لأَجْلِ الصَّدَقَةِ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ الْجَمِيلِ ، فَامْتَلأُوا دَهْشَةً وَحَيْرَةً مِمَّا حَدَثَ لَهُ .

«وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلُ الأَعْرَجُ الَّذِي شُفِيَ مُتَمَسِّكًا بِبُطْرُسَ وَيُوحَنَّا ، تَرَاكَضَ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى الرِّوَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «رِوَاقُ سُلَيْمَانَ» وَهُمْ مُنْدَهِشُونَ» (أعمال ٣: ٦-١١) . لقد اندهشوا لأن التلاميذ استطاعوا أن يصنعوا معجـزات شبيهة بما كان يصنعه يسوع . ومع ذلك فها هو الرجل الذي كان أعرج وعاجزاً أربعين سنة ، يفرح متهللاً لأنه استطاع أن يحرك أعضاء جسمه التي لـم يعـد فيها أي ألم ، وهو الآن سعيد بإيمانه بيسوع .

وعندما رأى التلميذان دهشة الشعب قال لهم بطرس : «مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا ؟ وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا ، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي ؟» (أعمال ٣: ١٢) . وقد أكد لهم أن الشفاء قد تم باسم واستحقاق يسوع النـاصري الذي أقامه الله من الأموات . ثم أعلن الرسول قائلا: «وَبِالإِيمَانِ بِاسْمِهِ ، شَدَّدَ

اسْمُهُ هذَا الَّذِي تَنْظُرُونَهُ وَتَعْرِفُونَهُ ، وَالإِيمَانُ الَّذِي بِوَاسِطَتِهِ أَعْطَاهُ هذِهِ الصِّحَّةَ أَمَامَ جَمِيعِكُمْ» (أعمال ٣: ١٦) .

وقد تكلم الرسولان بكل صراحة عن خطية اليهود العظيمة في رفضهم لرئيس الحياة وقتلهم إياه ، ولكنهما كانا حريصين ألا يسوقا سامعيهما إلى اليأس . فقال لهم بطرس: «أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ . وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ ... وَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا . وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ ، أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ ، قَدْ تَمَّمَهُ هكَذَا» (أعمال ٣: ١٤، ١٥،١٧،١٨) . وقد أعلن أن الروح القدس يدعوهم إلى التوبة والرجوع ، وأكد لهم أنه لا رجاء في الخلاص إلا بواسطة رحمة ذاك الذي قد صلبوه . فبالإيمان به وحده يمكن أن تغفر خطاياهم .

ثم صاح يقول لهم: «فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ» (أعمال ٣: ١٩) .

«أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ . إِلَيْكُمْ أَوَّلاً ، إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ ، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ» (أعمال ٣: ٢٥،٢٦) .

هكذا كرز التلميذان بقيامة المسيح . وكثيرون من السامعين كانوا ينتظرون هذه الشهادة فلما سمعوها آمنوا لأنها ذكَّرتهم بأقوال المسيح التي نطق بها فانضموا إلى صفوف أولئك الذين قبلوا الإنجيل . إن البذرة التي كان المخلص قد زرعها نبتت ونمت وأتت بثمر كثير . وإذ كان التلميذان يخاطبان الشعب: «أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ وَقَائِدُ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالصَّدُّوقِيُّونَ . مُتَضَجِّرِينَ مِنْ تَعْلِيمِهِمَا الشَّعْبَ ، وَنِدَائِهِمَا فِي يَسُوعَ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أعمال ٤: ١،٢) .

بعد قيامة المسيح نشر الكهنة في كل مكان ذلك الخبر الكاذب الذي يقول إن التلاميذ قد سرقوا جسده فيما كان الحراس الرومان نياماً . فلا غرابة إذا استاؤا عندما سمعوا بطرس ويوحنا يكرزان بقيامة ذاك الذي قد قتلوه . وقد ثار الصدوقيون بوجه خاصة واهتاجوا جداً . فلقد أحسوا بأن عقيدتهم المأثورة لديهم مهددة بالخطر وبأن سمعتهم بات يخشى عليها .

ازداد عدد المنضمين إلى الإيمان الجديد بسرعة ، فأجمع رأي الفريسيين والصدوقيين على أنه إذا تُرِك هؤلاء المعلمون الجدد يواصلون عملهم دون رادع ، فإن نفوذهم هم سيمسي مهدِّداً بخطر أعظم مما لو كان يسوع على الأرض . ولذلك قبض رئيس جند الهيكل بمعونة بعض الصدوقيين على بطرس ويوحنا ووضعوهما في حبس إلى الغد لأن الوقت كان مساء ولم يكن ممكناً التحقيق معهما في ذلك اليوم .

إن أعداء التلاميذ لم يسعهم إلاّ أن يقتنعوا بأن المسيح قام من بين الأموات . كان البرهان واضحاً جداً بحيث لم يحتمل الشك . ومع ذلك فقد قسّوا قلوبهم إذ رفضوا التوبة عن خطيتهم الهائلة التي ارتكبوها بقتلهم ليسوع . وما أكثر البراهين التي قدمت لرؤساء اليهود للدلالة على أن الرسل كانوا يتكلمون ويعملون بإرشاد إلهي ، ولكنهم قاوموا رسالة الحق بكل إصرار . إن المسيح لم يأت بالطريقة التي كانوا ينتظرونها ، ومع أنهم اقتنعوا في بعض الأحيان بأنه ابن الله ، فقد خنقوا اقتناعهم هذا وصلبوه . وقد قدم الله لهم في رحمته براهين أخرى ، والآن هاهي فرصة أخرى تقدم لهم للرجوع إليه . فأرسل إليهم التلاميذ ليخبروهم بأنهم قد قتلوا رئيس الحياة ، وفي هذه التهمة الهائلة قدم لهم دعوة أخرى ليتوبوا . ولكن إذ أحسوا– بالطمأنينة في اعتصامهم ببرهم الذاتي ، رفض معلمو اليهود الاعتراف بأن أولئك الرجال الذين يتهمونهم بصلب المسيح يتكلمون بتوجيه الروح القدس .

فإذ أسلم الكهنة أنفسهم لمسلكٍ ناصَبوا فيه المسيح المقاومـة والعـداء ، صـار مسلكهم هذا بالنسبة إليهم حافزاً إضافياً ليسيروا فـي نفـس الاتجـاه . وقـد زاد إصرارهم على العناد ، ليس لأنهم لم يستطيعوا التسليم والعدول عن رأيهم ، فقـد كانوا يستطيعون ذلك ولكنهم لم يريدوا . إنهم لم يُقطعوا بعيداً عن الخلاص لأنـهم كانوا مذنبين ويستحقون الموت فحسب ، وليس فقط لكونهم قتلوا ابن الله ، بل لأنهم أيضاً تسلحوا بالمقاومة ضد الله . فبكل إصرار قاوموا النور ورفضـوه وأخمـدوا تبكيت الروح . إن القوة التي تسيطر على أبناء المعصية كانت تعمل فيهم فجعلتـهم يهينون الرجال الذين كان الله يعمل بواسطتهم . إن خبث عصيانـهم زاد وتفـاقم بواسطة كل عمل من أعمال المقاومة المتتابعة ضد الله والرسالة التـي أعطاهـا لخدامه ليعلنوها . في كل يوم كان يمر ويرفض فيه رؤساء اليهود التوبـة ، إنمـا كانوا بذلك يبدأون بالعصيان مجدداً استعداداً لأن يحصدوا ما قد زرعوه .

إن غضب الله لا يعلن على الخطاة غير التائبين لأجل الخطايا التي قد ارتكبوها فقط ، بل لأنهم بعدما دُعوا للتوبة اختاروا الإمعان في المقاومة وهم يرتكبون مـن جديد نفس الخطايا التي سبق أن ارتكبوها متحدين النور المعطى لهم . فلو خضـع رؤساء اليهود لقوة الروح القدس المبكتة لكانت خطاياهم قـد غفـرت . ولكنـهم أصروا على عدم الإذعان . وبنفس هذه الطريقـة نجـد أن الخـاطئ بمقاومتـه المستمرة يضع نفسه في وضع لا يمكن للروح القدس أن يؤثر فيه .

وفي اليوم التالي بعد شفاء الرجل الأعرج اجتمع حنان وقيافا مع باقي أحبـار الهيكل للمحاكمة ، فجيء بالسجينين ليمثلا أمامهم . في نفس تلك الـدار وأمـام بعض الرجال ذاتهم كان بطرس قد أنكر سيده ذلك الإنكار المشين ، وقد مثل هذا الأمر بكل وضوح أمام ذهنه عندما وقف ليحاكم . كانت لديه الآن فرصة فيـها يفتدي جُبنه ذاك .

إن أولئك الذين كانوا حاضرين والذين تذكروا الدور الذي مثله بطرس عند محاكمة سيده كانوا يخدعون أنفسهم بالفكر أنه يمكنهم الآن أن يخيفوه بتهديده بالسجن والموت . ولكن بطرس السريع الاندفاع والواثق من ذاته والذي أنكر المسيح في أحرج ساعاته كان يختلف اختلافاً عظيماً عن بطرس الذي جيء به الآن أمام السنهدريم للتحقيق معه . فمنذ سقطته تجدد ولم يعد متكبراً أو فخوراً بل صار متضعاً وغير واضع ثقته في نفسه . وإذ امتلأ بالروح القدس وبمساعدة هذه القوة عقد العزم على محو لطخة الارتداد من نفسه باكرام وتمجيد الاسم الذي كان قد أنكره سابقاً .

لقد تحاشى الكهنة قبل ذلك ذكر شيء عن صلب يسوع أو قيامته . أما الآن فلكي يتمموا أغراضهم أجبروا أن يسألوا المتهمين كيف تم شفاء الرجل الأعرج العاجز فسألوهما قائلين: «بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هذَا ؟»

فبجرأة مقدسة وبقوة الروح أعلن بطرس قائلا بلا خوف : «لِيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ، بِذَاكَ وَقَفَ هذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحًا . هذَا هُوَ: الْحَجَرُ الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا الْبَنَّاؤُونَ ، الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ . وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ . لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال ٤:٧،١٠-١٢) .

هذا الدفاع الباسل أفزع رؤساء اليهود . كانوا يظنون أن التلاميذ سينهزمون من الخوف والارتباك عندما يؤتى بهم أمام السنهدريم . ولكن بدلاً من ذلك فقد تكلم هذان الشاهدان كما كان المسيح نفسه يتكلم ، بقوة إقناع عظيمة أبكمت كل خصومهم . ولم يكن هنالك أي أثر للخوف في صوت بطرس وهو يعلن قائلا

عن المسيح : «هذَا هُوَ: الْحَجَرُ الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا الْبَنَّاؤُونَ، الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ» .

لقد استخدم بطرس تعبيراً مجازياً معروفا للكهنة . لقد تحدث الأنبياء عن الحجر المرفوض . وإذ كان المسيح نفسه يخاطب الكهنة والشيوخ في إحدى المناسبات قال: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ . الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا ! لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ . وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ» (متى ٢١:٤٢-٤٤) .

وإذ أصغى الكهنة إلى كلمات الرسولين الجريئة «عَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ» (أعمال ٤: ١٣) ..

والكتاب يقول عن التلاميذ بعد تجلى المسيح أنهم في ختام ذلك المشهد العجيب : «وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ» (متى ١٧: ٨) . «يَسُوعَ وَحْدَهُ» ، هذه الكلمات تشتمل على سر الحياة والقوة اللتين بهما امتاز تاريخ الكنيسة الأولى . إن التلاميذ عندما سمعوا أقوال المسيح أول مرة ، أحسوا بحاجتهم إليه . لقد طلبوه فوجدوه وتبعوه . كانوا معه في الهيكل وعلى المائدة وعند سفح الجبل وفي الحقل . كانوا كالتلاميذ مع معلمهم ، فكانوا يتلقون منه كل يوم دروس الحق الأبدي .

وبعد صعود المسيح كانوا لا يزالون يحسون بحضور الله معهم ، ذلك الحضور المليء بالحب والنور . وقد كان حضوراً شخصياً . فيسوع المخلص الذي سار وتحدث وصلى معهم ، والذي خاطب قلوبهم بكلام الرجاء والعزاء ، إذ كانت رسالة السلام على شفتيه أُخذ من بينهم إلى السماء . وإذ أخذته مركبة الملائكة ذكروا كرمه القائل: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى

انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ٢٠) . وقد صعد إلى السماء في هيئة بشرية . لقد عرفوا أنه أمام عرش الله ، ولا يزال صديقهم ومخلصهم ، وأن عواطفه نحوهم لم تتغير ، وأنه سيكون متحداً إلى الأبد بالبشرية المتألمة . وعرفوا أنه يقدم أمام الله استحقاق دمه ، ويكشف عن يديه ورجليه المثقوبتين كتذكار للثمن الذي قدمه لأجل مفدييه . هذا الفكر منحهم القوة على احتمال العار لأجله . وصار اتحادهم به أقوى الآن مما كان حين عاش معهم شخصياً . إن النور والمحبة والقوة المنبثقة من سُكنَى المسيح فيهم جعل النور يشع منهم ، حتى أن الناس إذ شاهدوا ذلك تعجبوا .

لقد وضع المسيح ختمه على الكلمات التي تكلم بها بطرس دفاعاً عنه . وقد وقف الرجل الذي شفي بكيفية معجزية إلى جوار بطرس كشهادة مقنعة . إن منظر هذا الرجل الذي كان منذ ساعات قليلة أعرج عاجزاً ، ولكنه صار الآن يتمتع بكامل الصحة ، أضاف شهادة قوية إلى أقوال بطرس . لقد صمت الكهنة والرؤساء إذ كانوا عاجزين عن تفنيد تصريح بطرس ، ومع ذلك فإنهم لم يكونوا أقل إصراراً على إيقاف تعليم التلاميذ .

إن معجزة المسيح الأخيرة التي توَّجت كل معجزاته الأخرى- أي معجزة إقامة لعازر- ختمت على تصميم الكهنة لحرمان العالم من يسوع وآياته العجيبة التي كانت تعجل بتقويض نفوذهم على الشعب . لقد صلبوه ، ولكن ها هو برهان مقنع على أنهم لم يستطيعوا إيقاف صنع المعجزات باسمه ولا إذاعة الحق الذي علم به . وها هي جوانب مدينة أورشليم قد اهتاجت على أثر كرازة الرسولين وإذاعة نبأ شفاء الأعرج وانتشاره في كل مكان .

فلكي يخفوا حيرتهم وارتباكهم أمر الكهنة والرؤساء بإخراج الرسولين ليتشاوروا في الأمر فيما بينهم . وقد أجمع رأيهم على أنهم عبثاً يحاولون إنكار

حقيقة كون الرجل قد شفي . كانوا سيسرون لو تمكنوا من إخفاء المعجزة بالأكاذيب ، ولكن ذلك كان أمرا مستحيلا لأن المعجزة صنعت في وضح النهار وأمام جمهور من الشعب وقد علم بخبرها آلاف من الناس . وقد أحسوا أن عمل التلاميذ ينبغي إيقافه وإلا فإن أناساً كثيرين سيتبعون يسوع . وسيلحقهم العار بعد ذلك لأنهم سيُتَّهمون بقتل ابن الله .

ولكن برغم تحرقهم لقتل التلميذين وإهلاكهما لم يجرؤ الكهنة إلا على تهديدهما بأقسى العقوبات إذا استمرا ينطقان أو يخدمان باسم يسوع . فإذ استدعوهما ليمثلا مرة أخرى أمام السنهدريم أمروهما ألاّ ينطقا أو يعلّما باسم يسوع . ولكن بطرس ويوحنا أجاباهم قائلين: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ ، فَاحْكُمُوا . لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أعمال ٤: ١٩،٢٠) . كم كان سيُسر الكهنة بمعاقبة هذين الرجلين على ولائهما الذي لا يميل ولا ينحرف لدعوتهما المقدسة ، ولكنهم كانوا يخافون الشعب: «لأَنَّ الْجَمِيعَ كَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ عَلَى مَا جَرَى» (أعمال ٤: ٢١) . وهكذا أطلق سراح الرسولين بعد تكرار التهديدات والتوصيات .

بينما كان بطرس ويوحنا سجينين فالتلاميذ الآخرون لعلمهم بخبث اليهود كانوا يصلون بلا انقطاع لأجل أخويهم إذ كانوا يخشون لئلا تتكرر القسوة التي عومل بها المسيح . وحالما أطلق الرسولان ذهبا إلى باقي التلاميذ وأخبراهم بنتيجة التحقيق . وإذ كان فرح المؤمنين عظيما: «رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى اللهِ وَقَالُوا : «أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا . الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ ؟ قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ . لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ

اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ ، الَّذِي مَسَحْتَهُ ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ .

«وَالآنَ يَارَبُّ ، انْظُرْ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ ، وَامْنَحْ عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلاَمِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ . بِمَدِّ يَدِكَ لِلشِّفَاءِ ، وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ» (أعمال ٤: ٢٤-٣٠) .

صلى التلاميذ لكي ينالوا مزيداً من القوة في عمل الخدمة ، لأنهم رأوا أنهم سيواجهون نفس المقاومة العنيدة التي واجهها المسيح حين كان على الأرض . وعندما كانت الصلاة التي رفعوها بنفس واحدة تصعد بالإيمان إلى السماء ، جاءت الإجابة . فلقد تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من جديد من الروح القدس . فإذ امتلأت قلوبهم شجاعة خرجوا مرة أخرى ليذيعوا كلمة الله في أورشليم: «وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (أعمال ٤: ٣٣) . وقد بارك الله جهودهم بكيفية عجيبة .

إن المبدأ الذي لأجله وقف التلاميذ بلا خوف ، عندما أعلنوا ، جواباً على الأمر الصادر إليهم بألا ينطقوا مرة أخرى باسم يسوع ، قائلين: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا» ، هو نفس المبدأ الذي جاهد أنصار الإنجيل لتأييده في أيام الإصلاح . فعندما اجتمع الأمراء الألمان في عام ١٥٢٩ في مجمع سبايرز عرض أمر الامبراطور الذي ضيق الخناق على الحرية الدينية ونهى عن نشر العقيدة المصلحة فيما بعد . وقد بدا كأن رجاء العالم كان على وشك الانهيار . فهل يرضى الأمراء بهذا الأمر ؟ وهل يحجز نور الإنجيل بعيدا فتحرم منه جموع الناس الذين لا زالوا جالسين في الظلام ؟ إن نتائج عظيمة لأجل العالم كانت مهددة بالخطر . وقد اجتمع أولئك الذين قبلوا العقيدة المصلحة معاً ، وكان هذا هو قرارهم بالاجماع: «لنرفض هذا الأمر . ففي أمور الضمير لا قوة ولا سلطان للأغلبية» .

وعلينا نحن في أيامنا هذه أن نؤيد هذا المبدأ بكل قوة . إن راية الحق والحرية الدينية التي رفعها مؤسسو الكنيسة الإنجيلية عالياً ، والتي رفعها أيضاً شهود الله في غضون القرون التي مرت منذ ذلك الحين – هذه الراية قد سلمت بين أيدينا في هذه المعركة الأخيرة . إن المسؤولية عن هذه العطية العظيمة تستقر على أولئك الذين قد باركهم الله بمعرفة كلمته . فعلينا أن نقبل هذه الكلمة على أنها السلطة العليا . وعلينا أن نعتبر الحكومة البشرية معينة من الله ونعلم الناس الطاعة لها على أنها واجب مقدس في حدود محيطها المشروع . ولكن عندما تتعارض مطاليبها مع مطاليب الله فينبغي لنا أن نطيع الله أكثر من الناس . علينا أن نعتبر كلمة الله فوق كل قانون بشري . ففيما يختص بالأمور الروحية ينبغي ألا نستبدل القول: «هكذا قال الرب» بالقول: «هكذا قالت الكنيسة» أو «هكذا قالت الدولة» . يجب أن يُرفَع إكليل المسيح فوق كل تيجان ملوك الأرض* .

إنه لا يطلب منا أن نتحدى السلطات . فكلامنا سواء أكان شفهياً أو مكتوباً ينبغي التأمل فيه بكل حرص وحذر لئلا يسجل علينا أننا ننطق بكلام يجعلنا نبدو كأننا خصوم القانون والنظام . علينا ألا نقول أو نفعل شيئاً يقطع علينا الطريق بلا داع أو ضرورة . وعلينا أن نتقدم باسم المسيح مدافعين عن الحقائق المسلمة لنا . فإن كان الناس ينهوننا عن مباشرة هذا العمل فحينئذ يمكننا أن نقول نفس ما قاله الرسل: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ ، فَاحْكُمُوا . لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» .

* «تاريخ الإصلاح» لمؤلفه روبينييه مجلد ١٣، أصحاح ٥ .

الفصل السابع

تحذير ضد الرياء

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ٤: ٣٢- ٥: ١١) .

إن التلاميذ إذ أذاعوا حق الإنجيل في أورشليم شهد الله لكلامهم وآمن جمع من الناس . وكثيرون من هؤلاء المؤمنين الأولين قطعت الصلة بينهم وبين عائلاتهم وأصدقائهم في الحال بسبب تعصب اليهود الأعمى فصار من اللازم إمدادهم بالمأكل والمسكن .

والكتاب يعلن قائلا: «لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا» (أعمال ٤: ٣٤) ، كما يخبرنا كيف سدت الحاجة . فالمؤمنون الذين كانوا يملكون أموالاً أو مقتنيات ضحوا بها بكل سرور لمواجهة الطوارئ . فإذ كانوا يبيعون بيوتهم أو أراضيهم كانوا يجيئون بأثمانها ويضعونها عند أرجل الرسل: «فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ» (أعمال٤: ٣٥) .

هذا السخاء الذي أظهره المؤمنون كان نتيجة انسكاب الروح القدس . فالمهتدون إلى الإنجيل كان لهم «قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ» (أعمال ٤: ٣٢) . إن اهتماماً واحداً مشتركاً سيطر عليهم ألا وهو نجاح الرسالة المسلمة لهم ، فلم يكن للطمع مكان في حياتهم . إن محبتهم لإخوتهم وللملكوت الذي قبلوه

وأيدوه كانت أعظم من محبتهم للمال والأملاك . وقد شهدت أعمالهم علــى أنهم كانوا يعتبرون نفوس الناس أغلى قيمة من ثروات الأرض .

وهذا ما يحدث دائماً عندما يتسلط روح الله على الحياة . فأولئك الذيــن قــد امتلأت قلوبهم بمحبة المسيح سيتبعون مثال ذاك الذي من أجلنـــا افتقــر لكــي نستغنى نحن بفقره . فالمال والوقت والنفوذ- كل العطايا التي نالوها من يــد الله سيقدّرونها فقط على قدر ما تكون وسيلة لتقدم عمل الإنجيل . هكذا كانت الحــال في أيام الكنيسة الأولى ، وعندما يرى في الكنيسة اليوم أنه بقوة الروح قد حــول الأعضاء عواطفهم عن أمور العالم وأنهم يرغبون في التضحية كي يسمع بنــو جنسهم الإنجيل ، فالحقائق المعلنة سيكون لها تأثير قوي على السامعين .

ولكن تصرف حنانيا وسفيرة ، الذي سجّله قلم الوحى ، أوجد فرقاً شاسعاً وتبايناً حاداً يخالف مثال كرم المؤمنين وحبهم للخير ، الأمر الذي وصــم تاريخ الكنيسة الأولى بلطخة سوداء . فهذان الشخصان المعترفان بأنهما من التلاميذ كانا قد اشتركا في امتياز سماع الإنجيل الذي كرز بــه الرســل . وكانا حاضرين مع بعض المؤمنين الآخرين عندما «تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ الَّــذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ ، وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» على أثر الصلاة التي قدمها الرسل (أعمال ٤: ٣١) . وقد استولى على جميع الحاضرين تبكيــت عميق ، وتحت قوة تأثير روح الله المباشر تعهد حنانيا وسفيرة أن يقدمــا لله ثمن ملك لهما بعد بيعه .

ولكن حنانيا وسفيرة أحزنا روح الله فيما بعد إذ خضعا لمشاعر الطمع . فبدءا يأسفان على وعدهما الذي قدماه ، وسرعان ما خسرا التأثير الحلو للبركة التــي كانت قد أضرمت في قلبيهما الرغبة لعمل أشياء عظيمة لأجل ملكوت المســيح .

وقد ظنا أنهما تسرعا وأنه ينبغي لهنا أن يفكرا في المسألة من جديد . وقد تحدثا معا في هذا الشأن وقررا عدم الوفاء بعهدهما . ومع ذلك فقد رأيا أن الذين باعوا أملاكهم لسد أعواز اخوتهم الفقراء ظفروا باحترام المؤمنين وتقديرهم ، وإذ كانا يخجلان من أن يعرف إخوتهما أن أنانيتهما جعلتهما يطمعان فيما قد تعهدا بكل وقار بتقديمه لله وتكريسه لعمله ، أصرا على بيع ملكهما والتظاهر بتقديم كل الثمن للخزانة العامة ، ولكن في واقع الأمر يبقيان جانباً كبيراً من الثمن لنفسيهما . وهكذا يضمنان معيشتهما من الخزانة العامة (المخصصة لمساعدة المحتاجين) وفي نفس الوقت ينالان تقدير إخوتهما .

ولكن الله يمقت الرياء والكذب . لقد لجأ حنانيا وسفيرة إلى الغش في معاملتهما مع الله وكذبا على الروح القدس فافتقدت خطيتهما بدينونة سريعة ورهيبة . فعندما جاء حنانيا بعطيته قال له بطرس : «يَاحَنَانِيَّا ، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ ؟ وَلَمَّا بِيعَ ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ .

«فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَّا هذَا الْكَلاَمَ وَقَعَ وَمَاتَ . وَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذلِكَ» (أعمال ٥: ٣-٥) .

لقد سأله بطرس قائلا: «أَلَيْسَ وَهُوَ بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ ؟» إن حنانيا لم يقع تحت أي ضغط غير لائق لارغامه على التضحية باملاكه للخير العام . فلقد اتخذ قراره بمحض اختياره . ولكنه إذ حاول أن يخدع التلاميذ كذب على الله القدير .

«ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ مُدَّةِ نَحْوِ ثَلاَثِ سَاعَاتٍ ، أَنَّ امْرَأَتَهُ دَخَلَتْ ، وَلَيْسَ لَهَا خَبَرُ مَا جَرَى . فَأَجَابَهَا بُطْرُسُ قُولِي لِي أَبِهذَا الْمِقْدَارِ بِعْتُمَا الْحَقْلَ ؟ فَقَالَتْ نَعَمْ ، بِهذَا الْمِقْدَارِ . فَقَالَ لَهَا بُطْرُس مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ ؟ هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ دَفَنُوا رَجُلَكِ عَلَى الْبَابِ ، وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجًا . فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَمَاتَتْ . فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيْتَةً ، فَحَمَلُوهَا خَارِجًا وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رَجُلِهَا . فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذلِكَ» (أعمال ٥:٧-١١) .

لقد رأت حكمة الله غير المحدودة أن هذا الإعلان المميز لغضب الله كان لازماً لحفظ الكنيسة الفتية وصيانتها من الفساد . كان عددهم يتكاثر بسرعة . وكان يمكن أن تتعرض الكنيسة للخطر لو أنها في حالة الازدياد السريع لعدد المهتدين ، ينضم إليها بعض الرجال والنساء الذين يتظاهرون بأنهم يخدمون الله وهم في الحقيقة يخدمون المال . فهذا القصاص شهد بأن الناس لا يمكنهم أن يخدعوا الله ، وأنه يكتشف الخطية المستترة في القلب ولا يمكن أن يشمخ عليه . وقد قصد به أن يكون إنذاراً للكنيسة ليجعلهم يتجنبون التصنع والتظاهر والرياء ، ويحترسون من سلب الله .

إن هذا المثال على بغض الله للطمع والغش والنفاق قدم كإشارة خطر ليس للكنيسة الأولى فحسب بل أيضاً لكل الأجيال المستقبلة . إن الطمع هو الذي احتضنه حنانيا وسفيرة من البدء . فرغبتهما في إبقاء جزء من المال الذي كانا قد تعهدا بتقديمه للرب ساقتهما إلى الغش والرياء .

لقد جعل الله إذاعة الإنجيل تعتمد على جهود شعبه وعطاياهم . فالتقدمات التطوعية والعشور يتكون منها إيراد عمل الرب . ومن الإمكانات والأموال

المودعة أمانة عند الإنسان يطلب الله جزءاً معينا – العشر . وهو يترك للجميع كامل الحرية لأن يقولوا ما إذا كانوا يريدون تقديم جزء أكثر من هذا أو لا . ولكن عندما يتحرك قلب الإنسان بفاعلية الروح القدس وينذر أن يقدم قدر معيناً لله فلا يحق له أن يسترد شيئا لنفسه مما كرسه لله إذ لم يعد ملكاً له . إن الوعود التي نقدمها للناس من هذا النوع توقعنا تحت التزام ، أفلا توقعنا عهودنا التي قدمناها لله تحت التزام أعظم ؟ وهل الوعود التي ينظر فيها أمام محكمة الضمير أقل التزاما من مستندات الناس المكتوبة ؟

عندما يشرق النور الإلهي في القلب بوضوح وقوة غير عاديين فإن الأنانية التي تعوّد الإنسان عليها ترخي من قوة قبضتها ويتولد في النفس ميل لتقديم العطايا لله . ولكن لا يظننَّ أحد أنه سيُسمح له بالوفاء بعهوده لله دون أن يحتج الشيطان على ذلك . إنه لا يُسر عندما يرى ملكوت الفادي يؤسس على الأرض . فهو يقترح قائلاً إن التعهد الذي قدم هو أكثر من اللازم وأنه كفيل بأن يعجزهم عن إحراز الأملاك أو إشباع رغبات عائلاتهم .

إن الله هو الذي يبارك الناس بالنجاح . وهو يفعل هذا حتى يستطيعوا أن يقدموا عطاياهم لنجاح عمله وتقدمه . إنه يرسل نور الشمس والأمطار . ويجعل النباتات والمزروعات تنمو وتزدهر . إنه يمنح الإنسان صحة وقدرة على اصطناع الثروة . فكل البركات التي نتمتع بها تأتينا من يده الكريمة السخية . وفي مقابل ذلك يريد من الرجال والنساء أن يظهروا شكرهم وعرفانهم للجميل بتقديم جزء من أموالهم له في العشور والتقدمات– وعطايا الشكر والتقدمات التطوعية وقربان الإثم . فلو تدفقت العطايا السخية في خزانة الرب وفقاً لتلك الخطة الإلهية –وهو العشر من كل مدخولنا بالإضافة إلى التقدمات السخية– فسيكون هنالك فيض من البركات لتقدم عمل الرب .

إلا أن قلوب الناس تتقسى بالأنانية ، وكما فعل حنانيا وسفيرة ، يحاولون هم أيضاً أن يستبقوا جزءاً من الثمن في حين يتظاهرون بأنهم قد تمموا مطاليب الله . إن كثيرين من الناس ينفقون ببذخ ليمتعوا أنفسهم . فالرجال والنساء يراعون ملذاتهم ويشبعون شهواتهم ، في حين أنهم يقدمون لله عطاياهم الشحيحة وهم يكادون يكونون كارهين . إنهم ينسون أن الله سيحاسبهم يوماً ما حساباً دقيقاً عن كيفية تصرفهم في عطاياه وأنه لن يقبل بعد ، العطايا الزهيدة التي يقدمونها إلى خزانته بأكثر مما قبل عطية حنانيا وسفيرة .

والله يريدنا أن نتعلم أيضاً من القصاص الشديد الذي وقع على ذينك الكاذبين مقدار كرهه الشديد لكل رياء وخداع . إن حنانيا وسفيرة إذ تظاهرا بأنهما قد قدما كل الثمن ، كذبا على الروح القدس وكان من نتائج ذلك أنهما خسرا هذه الحياة والحياة العتيدة أيضاً . ونفس الإله الذي أوقع عليهما هذا القصاص يدين اليوم كل كذب . إن شفاه الكذب مكروهة لديه . وهو يعلن أن المدينة المقدسة «لَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا» (رؤيا ٢١: ٢٧) . فلا نتمسك بقول الصدق بيد مرتخية أو بقبضة ضعيفة مترددة ، بل ليكن جزءاً لا يتجزأ من الحياة . إن التلاعب بالحق والتظاهر بأنه يطابق خطط الإنسان الأنانية معناه ارتطام سفينة الإيمان وتحطمها : «فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ» (أفسس ٦: ١٤) . إن من ينطق بأكاذيب يبيع نفسه بثمن بخس . قد يبدو أن أكاذيبه تخدمه في الأزمات ، وقد يبدو أنه بذلك ينجح في تجارته ، الأمر الذي لم يستطع تحقيقه بالعدل والإنصاف والصدق في معاملاته ، ولكنه أخيراً يصل إلى الحد الذي لا يمكنه معه أن يثق في إنسان . فلأنه هو نفسه كذاب ومزور فهو لا يثق فيما يقوله الآخرون .

في قضية حنانيا وسفيرة عوقبت خطية الغش ضد الله بقصاص سريع . وقد ارتُكبت كثيراً هذه الخطية نفسها في تاريخ الكنيسة بعد ذلك ، ولا يزال كثيرون يرتكبونها في أيامنا هذه . ولكن مع أنه قد لا تصحبها أية علامة ظاهرة على غضب الله ، فإنها ليست أقل فظاعة في نظره الآن مما كانت في عصر الرسل . لقد قُدِّم الإنذار ، وقد أظهر الله بكل جلاء كراهيته لهذه الخطية ، فكل من يعمدون إلى الرياء والطمع يمكنهم أن يتأكدوا من أنهم إنما يُهلكون أرواحهم .

الفصل الثامن

أمام السنهدريم

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٥: ١٢- ٤٢) .

إن الصليب، وسيلة العار والعذاب، هو الذي أتى بالرجاء والخلاص إلى العالم. كان التلاميذ قوما بسطاء لا مال عندهم ولا سلاح عدا كلمة الله، ومع ذلك فقد خرجوا بقوة المسيح ليخبروا الناس عن تلك القصة العجيبة، قصة المِزوِدِ والصليب وينتصروا على كل مقاومة. ومع أنهم كانوا بلا كرامة أو شهرة أرضية فقد كانوا أبطال الإيمان. وقد نطقوا بأقوال الفصاحة التي هزت العالم .

وفي أورشليم التي كان التعصب فيها على أشده والتي سادت فيها أعظم الآراء المتضاربة عن ذاك الذي قد صلب كفاعل شر ، واصل التلاميذ التكلم بكلام الحياة بكل جرأة موضحين لليهود عمل المسيح ورسالته وصلبه وقيامته وصعوده . وبكل دهشة وحيرة استمع الكهنة والرؤساء لشهادة الرسل الواضحة الجريئة . حقاً لقد استقرت قوة المخلص المقام على التلاميذ وكان عملهم مصحوباً بالآيات والمعجزات التي كانت كل يوم تزيد من عدد المؤمنين . ففي الشوارع التي كان التلاميذ يمرون فيها كان الناس يضعون المرضى «عَلَى فُرُشٍ

وَأَسِرَّةٍ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظِلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ» (أعمــال ٥: ١٥) . وكان يؤتى إلى هناك أيضاً بالمعذبين من أرواح نجسة . وقد تجمهرت جمــــوع الناس حولهم والذين شفوا منهم كانوا يهتفون تمجيدا لله ممجدين اسم الفادي .

وقد رأى الكهنة والرؤساء أن المسيح قد تمجد أكثر منهم . أما الصدوقيــون ، الذين لم يكونوا يؤمنون بالقيامة ، فإذ سمعوا الرسل يعلنون أن المسيح قد قام من الأموات غضبوا ، متحققين أنه إذا سُمح للرسل بأن يكرزوا بـــالمخلص المقــام ويصنعوا معجزات باسمه فإن جميع الناس سيرفضون العقيدة التي تنكر القيامـــة وسرعان ما تستأصل شيعة الصدوقيين . أما الفريسيون فقد غضبوا إذ لاحظـــوا أن نزعة كرازة التلاميذ كانت تهدف إلى تقويض الطقوس اليهودية وجعل الذبائح الكفارية عديمة التأثير .

وإلى ذلك الحين لم تفلح كل الجهود التي بذلت لكبت هـــذا التعليــم الجديــد وقمعه . أما الآن فقد قرر كل من الصدوقيين والفريسيين إيقاف عمــل التلاميــذ لأنه قد برهن على أنهم قد أجرموا بقتلهم المسيح يسوع . فإذ امتلأ الكهنة غضبــاً ألقوا الأيادي على بطرس ويوحنا ووضعوهما في حبس العامة .

إن رؤساء الأمة اليهودية قد أخفقوا إخفاقا فاضحاً في إتمام مقاصد الله نحـــو شعبه المختار . فأولئك الذين قد جعلهم الله حفاظاً على الحق برهنوا على عـــدم أمانتهم لتلك الوديعة فاختار الله قوماً آخرين ليقوموا بعمله .

إن هؤلاء القادة في عماهم أطلقوا الآن العنان لما سموه بالغضب العادل علــى أولئك الذين ألقوا جانباً عقائدهم المحبوبة . أنهم لم يريـــدوا أن يعـــترفوا حتـــى بإمكانية كونهم هم أنفسهم لم يفهموا الكلمة فهما صائباً صحيحاً أو أنهم حرفوا أو أساءوا تطبيق ما جاء في الكتب المقدسة . وقد تصرفوا تصرف من قد ضـــاعت

عقولهم . فقالوا : بأي حق يقدم هؤلاء المعلمون آراء مناقضة لما قد علمنا بــه الشعب ، مع أن بعضاً منهم لا يزيدون عن كونهم صيادين ؟ فإذ أصروا علــى وضع حد للتعليم بهذه الآراء ، ألقوا في السجن بمن كانوا ينشرونها .

ولكن التلاميذ لم يجبنوا ولا انسحقت نفوسهم من هذه المعاملــة . فلقــد ذكرهم الروح القدس بالأقوال التي قالها لهم المسيح: «اُذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّــذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْــدٌ أَعْظَــمَ مِــنْ سَــيِّدِهِ . إِنْ كَــانُوا قَــدِ اضْطَــهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ . لكِنَّــهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» ، «سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُــمْ أَنَّــهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً ِللهِ» . «لكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّــي أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٥: ٢٠،٢١؛ ١٦: ٢،٤) .

إن إله السماء ، حاكم المسكونة العظيم ، أخذ مسألة وضع التلاميذ في السجن بين يديه لأن الناس كانوا يحاربون عمله . ففي الليل فتح ملاك الــرب أبــواب السجن وقال للتلاميذ : «اذْهَبُوا قِفُوا وَكَلِّمُوا الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ بِجَمِيعِ كَلاَمِ هــذِهِ الْحَيَاةِ» (أعمال ٥: ٢٠) . كان هذا الأمر مناقضاً تماماً لما أمرهم به الرؤســاء ، ولكن هل استعفى الرسل قائلين: إننا لا نستطيع أن نفعل هذا قبلما نستشير الحكام ونحصل على إذن منهم ؟ كلا فلقد قال لهم الله : «اذْهَبُوا» فأطاعوا أمره : «دَخَلُوا الْهَيْكَلَ نَحْوَ الصُّبْحِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ» (عدد ٢١) .

عندما جاء بطرس ويوحنا وظهرا بين المؤمنين وقصا عليهم كيــف قادهمــا الملاك في وسط فرقة الجنود الذين كانوا يحرسون السجن ، وأمرهما بأن يستأنفا العمل الذي كان قد توقف ، امتلأ الإخوة دهشة وفرحاً .

وفي أثناء ذلك الوقت «جَاءَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَعَوُا الْمَجْمَعَ وَكُلَّ مَشْيَخَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (عدد ٢١) . لقد قرر الكهنة والرؤساء أن يثبتوا على التلاميذ تهمة العصيان والثورة ، وأن يتهموهم بقتل حنانيا وسفيرة ، والتآمر على تجريد الكهنة من سلطتهم . وقد كانوا يؤملون أنهم بذلك سيثيرون ثائرة الرعاع ليتولوا الأمر ويعاملوا التلاميذ كما قد عاملوا يسوع . كانوا يعلمون أن كثيرين ممن لم يقبلوا تعاليم المسيح كانوا متبرمين بالحكم التعسفي الذي فرضته عليهم السلطات اليهودية ومشتاقين إلى حدوث تغيير . وكان الكهنة يخشون من أنه لو قبل هؤلاء المتذمرون الحقائق التي يكرز بها الرسل واعترفوا بيسوع كالمسيا فإن غضب الشعب كله سيشتعل ضد الرؤساء الدينيين الذين سيحاكمون على قتلهم المسيح . فصمموا على اتخاذ إجراءات قوية ليمنعوا حدوث هذا .

وعندما أرسلوا يطلبون أن يمثل الأسرى أمامهم كانت دهشتهم عظيمة عندما جاء من يخبرهم أن أبواب السجن كانت مغلقة بكل حرص وأن الحراس كانوا واقفين خارجاً على حراستهم ، ولكنهم لما فتحوا الأبواب لم يجدوا السجناء !

وسرعان ما وصلهم الخبر المدهش القائل: «هُوَذَا الرِّجَالُ الَّذِينَ وَضَعْتُمُوهُمْ فِي السِّجْنِ هُمْ فِي الْهَيْكَلِ وَاقِفِينَ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ. حِينَئِذٍ مَضَى قَائِدُ الْجُنْدِ مَعَ الْخُدَّامِ، فَأَحْضَرَهُمْ لاَ بِعُنْفٍ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يُرْجَمُوا» (عدد ٢٥،٢٦) .

ومع أن الرسل خرجوا من السجن بطريقة معجزية فإنهم لم يعفوا من الفحص والقصاص . ولكن المسيح كان قد قال لهم وهو معهم : «فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ . لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ» (مرقس ١٣: ٩) . إن الله إذ أرسل اليهم ملاكاً ليخرجهم من السجن قدم لهم البرهان على محبته لهم ويقين حضوره معهم . والآن فها قد جاء الوقت الذى فيه يتألمون لأجل ذاك الذي كانوا يكرزون بإنجيله .

في تاريخ الأنبياء والرسل يوجد كثير من الأمثلة النبيلة على الولاء لله. لقد احتمل شهود المسيح السجن والعذاب والموت، مفضلين ذلك على كسر أوامر الله . إن مثال بطرس ويوحنا إنما يدل على البطولة كأي مثال آخر في عهد الإنجيل. فإنهما إذ وقفا للمرة الثانية أمام أولئك الرجال الذين كانوا يصرون على إهلاكهما لم يظهر في كلامهما أو موقفهما أي أثر للخوف أو التردد. وعندما قال رئيس الكهنة: «أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ» . أجاب بطرس قائلا: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (عدد ٢٨-٢٩). إن ملاكاً من السماء هو الذي أخرجهم من السجن وأمرهم أن يعلموا في الهيكل، فإذ أطاعوا توجيهاته كانوا يطيعون أمر الله وهذا ما سيواظبون على عمله مهما كلفهم ذلك .

حينئذ حل روح الإلهام على التلاميذ فالمشتكي عليهم صاروا مشتكين إذ ألقوا تبعة قتل المسيح على أعضاء المجمع. فقال بطرس: «إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا. وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ» (عدد ٣٠-٣٢) .

وقد كان حنق اليهود بسبب هذه الأقوال عظيماً بحيث صمموا على تنفيذ القانون بأنفسهم وبدون محاكمة أخرى وبدون انتظار قرار من السلطات الرومانية لقتل أولئك الأسرى . فإذ كانت قد ثبتت عليهم تهمة قتل المسيح كانوا يتوقون الآن أن يلطخوا أيديهم بدم تلاميذه .

ولكن كان يوجد في المجمع رجل ميَّز صوت الله في الكلمات التي نطق بها التلاميذ . كان هذا الرجل هو غمالائيل الفريسي ذو السمعة الطيبة ورجل العلم والمكانة الرفيعة . رأى هذا الرجل بذهنه الصافي أن الإجراء القاسي العنيف

الذي كان الكهنة يفكرون في اتخاذه ستنجم عنه عواقب وخيمة . فقبلما خـاطب الحاضرين طلب إخراج الأسرى من ذلك المكان . لقد اختبر جيداً العناصر التـي كان عليه أن يتعامل معها وعلم أن قاتلي المسيح لن يترددوا في تنفيذ نواياهم .

فجعل يخاطبهم بكل حرص وهدوء قائلا: «أَيُّـهَا الرِّجَـالُ الإِسْـرَائِيلِيُّونَ ، احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا . لأَنَّـهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ ، الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ ، الَّذِي قُتِلَ ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَـارُوا لاَ شَيْءَ . بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ ، وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَـعْبًا غَفِيرًا . فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا . وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ . وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْـدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُـوهُ ، لِئَـلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضًا» (عدد ٣٥-٣٩) .

وقد رأى الكهنة أن هذه الآراء معقولة فاضطروا للانقياد إلى غمالائيل . ومع ذلك فإنهم بالكاد كانوا يستطيعون ضبط تعصبهم وكراهيتهم . فبنفـور وتـردد عظيم أطلقوا التلاميذ بعدما جلدوهم وبعدما أوصوهم من جديد ألا يكرزوا مـرة أخرى باسم يسوع وإلا فجزاؤهم سيكون الموت: «وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِـنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ . وَكَـانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُـوعَ الْمَسِـيحِ» (عدد ٤١،٤٢) .

إن المسيح قُبَيل صلبه كان قد أورث تلاميذه ميراث السلام . فقد قال لـهم : «سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ . سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ . لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَـا . لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ» (يوحنا ١٤: ٢٧) .

ولكن هذا السلام لا يأتي عن طريق مشاكلة العالم . فالمسيح لم يشتر السلام قط بالتواطؤ مع الشر . فالسلام الذي تركه المسيح لتلاميذه هو سلام ينبع من الداخل لا من الخارج وكان سيبقى مع شهوده في وسط النزاع والصراع .

لقد قال المسيح عن نفسه: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ . مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا» (متى ١٠: ٣٤) . فرئيس السلام كان لا يزال هو سبب الانقسام . فذاك الذي جاء ليذيع الأخبار السارة ويولد الرجاء والفرح في قلوب بنى الإنسان ، فتح باباً للصراع الذي يحرق في الأعماق ويثير أعنف الانفعالات في القلب البشري . وهو ينذر تابعيه قائلا: «فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ» ، «يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعِ وَسُجُونٍ ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي» . «وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْوَةِ وَالأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ ، وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ» (يوحنا ١٦: ٣٣؛ لوقا ٢١: ١٢،١٦) .

وقد تمت هذه النبوة بكيفية ملحوظة . فكل إهانة وعار وقسوة أمكن للشيطان أن يحرّض الناس على ابتكارها وقعت على أتباع يسوع . وستتم النبوة أيضاً بكيفية ملحوظة ، لأن القلب الشهواني لا يزال يقف موقف العداء لشريعة الله ولن يخضع لأوامرها . فالعالم ما عاد في حالة وفاق مع مبادئ المسيح اليوم كما كان في أيام الرسل . فنفس العداوة التي أوعزت إلى الناس بأن يصرخوا قائلين : «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» ونفس العداوة التي دفعتهم لاضطهاد التلاميذ لا تزال تعمل في أبناء المعصية . إنها نفس الروح التي وجدت في العصور المظلمة والتي أرسلت الناس إلى السجون وإلى المنفى وإلى الموت ، والتي ابتكرت عذابات محكمة التفتيش الرهيبة ، والتي رسمت خطة مذبحة سان بارثولوميو ونفذتها ، والتي أضرمت النار في ساحة سميث فيلد . هذه الروح لا تزال تعمل بنشاط خبيث في قلوب غير المتجددين . إن تاريخ الحق كان ولا يزال دائما سجلاً للحرب بين

الصواب والخطأ . وإن الكرازة بالإنجيل قام بها أصحابها وانتشرت في هذا العالم في وجه المقاومة والخطر والخسائر والآلام .

وماذا كانت قوة أولئك الذين قاسوا آلام الاضطهاد لأجل المسيح ؟ لقد كانت هي قوة الاتحاد بالله وبالروح القدس وبالمسيح . لقد فصل العار والاضطهاد كثيرين عن أصدقائهم الأرضيين ولكنها لم تستطع أن تفصل بينهم وبين محبة المسيح . وما من وقت تكون فيه النفس المعرَّضة لعواصف التجربة أحبّ إلى قلب مخلصها أكثر مما عندما تقاسي العار لأجل الحق . قال المسيح : «وَأَنَا أُحِبُّهُ ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يوحنا ١٤: ٢١) . فعندما يقف المؤمن أمام المحاكم الأرضية لأجل الحق فالمسيح يقف إلى جانبه . وعندما يلقى في غياهب السجن ويكون حبيس زنزانة ضيقة ، فالمسيح يظهر له ذاته ويفرح قلبه بمحبته . وعندما يموت لأجل المسيح فالمخلص يقول له : قد يقتلون الجسد أما النفس فلا يقدرون أن يمسوها : «ثِقُوا أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» . «لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ . لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ . قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي» (يوحنا ١٦: ٣٣؛ إشعياء ٤١: ١٥) .

«اَلْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى الرَّبِّ مِثْلُ جَبَلِ صِهْيَوْنَ ، الَّذِي لاَ يَتَزَعْزَعُ ، بَلْ يَسْكُنُ إِلَى الدَّهْرِ . أُورُشَلِيمُ الْجِبَالُ حَوْلَهَا ، وَالرَّبُّ حَوْلَ شَعْبِهِ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ» ، «مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ» (مزمور ١٢٥: ١،٢؛ ٧٢: ١٤) .

«رَبُّ الْجُنُودِ يُحَامِي عَنْهُمْ ... وَيُخَلِّصُهُمُ الرَّبُّ إِلهُهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ . كَقَطِيعٍ شَعْبَهُ ، بَلْ كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ» (زكريا ٩: ١٥،١٦) .

الفصل التاسع

الشمامسة السبعة

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ٦: ١-٧) .

«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ تَكَاثَرَ التَّلاَمِيذُ ، حَدَثَ تَذَمُّرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ عَلَى الْعِبْرَانِيِّينَ أَنَّ أَرَامِلَهُمْ كُنَّ يُغْفَلُ عَنْهُنَّ فِي الْخِدْمَةِ الْيَوْمِيَّةِ» (أعمال ٦ :١) .

كانت الكنيسة الأولى مكونة من طبقات كثيرة من الناس ، من جنسيات مختلفة . وعند انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين «كَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ» (أعمال ٢: ٥) . وكان بين من يدينون بالعقيدة العبرانية ممن كانوا مجتمعين في أورشليم جماعة ممن اعتاد الناس أن يسموهم يونانيين ، وكان بينهم وبين يهود فلسطين عدم ثقة تطورت فصارت خصومة .

إن قلوب الذين اهتدوا على أيدي الرسل ليَّنتها المحبة المسيحية ووحَّدتها . فبرغم التعصب السابق كان الجميع في حالة وفاق مع بعضهم البعض . وقد عرف الشيطان أنه طالما بقي ذلك الاتحاد فسيكون عاجزاً عن صد تقدم حق الإنجيل . وقد حاول الاستفادة من عادات التفكير القديمة آملاً أنه بواسطتها سيتمكن من دس عناصر الشقاق في الكنيسة .

وهكذا حدث أنه إذ تكاثر التلاميذ أفلح العدو في إثارة شكوك بعض من اعتادوا قبلا أن ينظروا إلى إخوتهم في الإيمان بعين الحسد ، محاولين أن يكتشفوا غلطة في حياة قادتهم الروحيين ، وهكذا «حَدَثَ تَذَمُّرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ عَلَى الْعِبْرَانِيِّينَ» وكان سبب الشكوى هو الادعاء بأن الأرامل اليونانيات قد أُهمل أمرهن في الخدمة اليومية . إن أي تحيُّز أو عدم مساواة هو مغاير لروح الإنجيل ، ومع ذلك فقد أفلح الشيطان في إثارة الشكوك . فلا بد من اتخاذ إجراءات سريعة الآن لإزالة كل أسباب التذمر لئلا ينتصر العدو في سعيه لإحداث انقسام بين الإخوة .

إن تلاميذ يسوع قد واجهتهم أزمة في اختبارهم . ولكن تحت القيادة الحكيمة للرسل الذين عملوا معاً متحدين بقوة الروح القدس، فالعمل المسلم لرسل الإنجيل كان ينمو ويتقدم بسرعة . كانت الكنيسة تتسع بدون توقف وهذا النمو في العضوية جلب أعباء لا تنقطع على الذين أنيط العمل بهم. ولم يكن ممكنا لرجل أو حتى لمجموعة من الرجال أن يواصلوا تحمل هذه الأعباء وحدهم دون أن يعرضوا نجاح الكنيسة في المستقبل للخطر. فعلى الرسل الآن أن يتخذوا خطوة هامة نحو إكمال نظام الإنجيل في الكنيسة بوضع بعض الأعباء على كاهل قوم آخرين- تلك الأعباء التي كانوا حتى ذلك الحين يضطلعوا بها وحدهم .

فإذ دعا الرسل المؤمنين لحضور اجتماع ، أرشدهم الروح القدس لرسم خطة لتنظيم أفضل كل قوات الكنيسة العاملة . قال الرسل إنه قد جاء الوقت الذى فيه يعفى القادة الروحيون الذين لهم الإشراف على الكنيسة من عمل التوزيع على الفقراء وما شابهه من الأعباء بحيث يتفرغون لعمل الكرازة بالإنجيل . فقالوا : «فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ ، فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هذِهِ الْحَاجَةِ . وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ

وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ» (عدد ٣، ٤) . وقد أتُّبِعت هذه النصيحة ، وعن طريق الصلاة ووضع الأيدى تمَّ اختيار سبعة رجال وأفرزوا بكل وقار لواجباتهم كشمامسة .

إن تعيين أولئك السبعة ليقوموا بعملية الإشراف على نواحي العمل الخاصة برهن على كونه بركة كبيرة للكنيسة . فقد أبدى المعينون للخدمة اعتباراً وحرصاً نحو حاجات الأفراد كالاعتبار الذى أبدوه نحو مصالح الكنيسة المالية . وبفضل تدبيرهم الحكيم ومثالهم المقدس كانوا عوناً هاماً لزملائهم في ربط مصالح الكنيسة المختلفة معا في وحدة كاملة .

وقد دلت النتائج الباهرة التي تجلت سريعاً بعد ذلك ، على أن هذه الخطوة كانت هي نظام الله وجاءت بإرشاده وموافقته . ويقول الكتاب : «وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو ، وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإِيمَانَ» (عدد ٧) . إن حصاد النفوس هذا يعزى إلى أمرين– الحرية العظمى التي كفلها الرسل ، وإلى الغيرة والقوة اللتين أظهرهما الشمامسة السبعة . إن حقيقة كون هؤلاء الأخوة قد رُسموا للعمل الخاص ألا وهو الاهتمام بحاجات الفقراء لم يحرمهم من تعليم الناس مبادئ الإيمان . بل على العكس فقد كانوا مؤهلين أهلية كاملة لتعليم الحق للآخرين ، فاشتغلوا في ذلك العمل بغيرة ونجاح عظيمين .

لقد أوكل إلى الكنيسة الأولى عمل كان يتسع مداه بلا توقف – ألا وهو إقامة مراكز للنور والبركة أينما وجدت نفوس أمينة راغبة في تكريس ذاتها لخدمة المسيح . إن إذاعة بشرى الإنجيل كانت ستشمل العالم كله في اتساع مداه ، ولم يكن رسل الصليب يؤملون أن يتمموا رسالتهم الهامة ما لم يظلوا متضامنين في وحدة مسيحية وثيقة ، وهكذا يعلنون للعالم أنهم واحد مع المسيح في الله . ألم يصلِّ قائدهم الإلهي إلى الآب قائلاً : «احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ

الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي ، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ» (يوحنا ١٧: ١١) . أو لم يعلن عن تلاميذه قائلا: «وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ١٤) . ألم يتوسل لأجلهم إلى الآب قائلا: «لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (عدد ٢٣) «لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (عدد ٢١) . إن حياتهم وقوتهم الروحية كانت موقوفة على الارتباط الوثيق بذاك الذي قد أرسلهم ليكرزوا بالإنجيل .

وعلى قدر ما كانوا متحدين بالمسيح كان التلاميذ يرجون أن تصحبهم قوة الروح القدس ويتعاون معهم ملائكة السماء . فبمساعدة هذه العوامل الإلهية كان يمكنهم أن يظهروا أمام العالم كجبهة متحدة وينتصروا في الحرب الدائمة التي كانوا مضطرين لخوض غمارها ضد قوات الظلمة . وإذ كان عليهم أن يظلوا متضامنين في العمل معاً فإن رسل السماء كانوا سيسيرون في طليعتهم ليفتحوا الطريق أمامهم ، والقلوب كانت ستجهز أيضاً لقبول الحق ، وكثيرون كانوا سيربحون للمسيح . وطالما كانوا متحدين فإن الكنيسة ستسير قدماً : «جَمِيلَةٌ كَالْقَمَرِ ، طَاهِرَةٌ كَالشَّمْسِ ، مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ» (نشيد ٦: ١٠) . ولم يكن أي شيء يستطيع أن يتصدى لها في تقدمها إلى الأمام . وستسير الكنيسة من نصرة إلى نصرة متممة رسالتها الإلهية في الكرازة بالإنجيل للعالم بكيفية مجيدة .

كان نظام الكنيسة في أورشليم مزمعاً أن يكون نموذجاً لنظام الكنائس في كل الأماكن الأخرى حيث كان رسل الحق سيربحون نفوسا إلى الإنجيل . ولكن أولئك الذين وضعت عليه مسؤولية الإشراف العام على الكنيسة لم يكن لهم أن يتسلطوا على ميراث الله ، بل كرعاة حكماء كان عليهم أن «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ ... صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ» (١ بطرس ٥: ٢،٣) . أما الشمامسة فينبغي أن يكونوا رجالاً «مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ» (أعمال ٦:

٣) . كان على أولئك الرجال أن يتخذوا موقفهم متحدين معاً في جانب الحق ، وأن يحتفظوا بموقفهم بثبات وتصميم . إذ بهذه الكيفية يكون لهم تأثير موحد على الرعية كلها .

في التاريخ اللاحق للكنيسة الأولى ، عندما انتظمت جماعات كثيرة من المؤمنين في كنائس منتشرة في أنحاء العالم المختلفة ، صار نظام الكنيسة أقرب إلى الكمال حتى أمكن الاحتفاظ بالنظام والعمل المتوافق . وقد نصح كل عضو بأن يؤدي دوره على الوجه أكمل ، وأن يحسن استخدام المواهب و الوزنات المسلمة له . كان الروح القدس قد وهب بعضا منهم مواهب خاصة- «أَوَّلاً رُسُلاً ، ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ، ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ ، ثُمَّ قُوَّاتٍ ، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ ، أَعْوَانًا ، تَدَابِيرَ ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ» (١كورنثوس ١٢: ٢٨) . ولكن كان يجب على كل هؤلاء العمال المختلفين أن يعملوا معاً في توافق وانسجام .

«فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ . فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ . وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ . وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ . فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ . وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ . وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ . وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ ، كَمَا يَشَاءُ . لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا» (١كورنثوس ١٢: ٤-١٢) .

إن التبعات الملقاة على عواتق أولئك المدعوين ليقوموا بدور القيادة في كنيسة الله على الأرض هى تبعات لها خطورتها . في أيام الحكومة الإلهية عندما كان موسى يحاول أن ينهض وحده بأعباء ثقيلة جداً أنهكت قواه بسرعة ، أشار عليه يثرون بأن يرسم خطة حكيمة لتوزيع المسؤوليات. فنصحه يثرون قائلا: «كُنْ أَنْتَ لِلشَّعْبِ أَمَامَ اللهِ ، وَقَدِّمْ أَنْتَ الدَّعَاوِيَ إِلَى الله. وَعَلِّمْهُمُ الْفَرَائِضَ وَالشَّرَائِعَ ، وَعَرِّفْهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ» وبالإضافة إلى ذلك نصحه أن يقيم رجالا «رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ، وَرُؤَسَاءَ مِئَاتٍ، وَرُؤَسَاءَ خَمَاسِينَ ، وَرُؤَسَاءَ عَشَرَاتٍ». وكان ينبغى أن يكون هؤلاء «ذَوِي قُدْرَةٍ خَائِفِينَ اللهَ ، أُمَنَاءَ مُبْغِضِينَ الرَّشْوَةَ» وكان عليهم أن «فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلَّ حِينٍ» (خروج ١٨: ١٩-٢٢)، وبهذا أراح موسى من المسؤولية المنهكة، مسؤولية فحص مسائل صغيرة كثيرة يمكن أن تحل بحكمة بواسطة مساعدين مكرسين.

إن أولئك الذين قد وضعتهم عناية الله في مراكز المسؤولية الرئيسية في الكنيسة ينبغي أن يصرفوا الوقت والقوة في النظر في أخطر المسائل التي تتطلب حكمة خاصة ودراية . فليس في نظام الله أن يطلب من هؤلاء الناس تنظيم المسائل الصغيرة التي يمكن لغيرهم من ذوي الكفاءة أن يعالجوها . لقد اقترح يثرون على موسى قائلا: «يَكُونُ أَنَّ كُلَّ الدَّعَاوِي الْكَبِيرَةِ يَجِيئُونَ بِهَا إِلَيْكَ ، وَكُلَّ الدَّعَاوِي الصَّغِيرَةِ يَقْضُونَ هُمْ فِيهَا . وَخَفِّفْ عَنْ نَفْسِكَ ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ مَعَكَ . إِنْ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ وَأَوْصَاكَ اللهُ تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ . وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ أَيْضًا يَأْتِي إِلَى مَكَانِهِ بِالسَّلاَمِ» (خروج ١٨: ٢٢،٢٣) .

وتمشياً مع هذه الخطة «وَاخْتَارَ مُوسَى ذَوِي قُدْرَةٍ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَجَعَلَهُمْ رُؤُوسًا عَلَى الشَّعْبِ ، رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ ، وَرُؤَسَاءَ مِئَاتٍ ، وَرُؤَسَاءَ خَمَاسِينَ ،

وَرُؤَسَاءَ عَشَرَاتٍ. فَكَانُوا يَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلَّ حِينٍ . الدَّعَاوِي الْعَسِرَةُ يَجِيئُونَ بِهَا إِلَى مُوسَى، وَكُلُّ الدَّعَاوِي الصَّغِيرَةِ يَقْضُونَ هُمْ فِيهَا» (خروج ١٨: ٢٥،٢٦).

وبعد ذلك عندما اختار موسى سبعين شيخاً ليشتركوا معه في مسؤوليات القيادة كان حريصاً بأن يختار لمساعدته رجالاً ذوي كرامة وحكم صائب وخبرة . وفي وصيته لهؤلاء الشيوخ عند إقامتهم ، لخّص بعضاً من المؤهلات التي تؤهل الإنسان ليكون رئيساً حكيماً في الكنيسة فقال : «اسْمَعُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ وَاقْضُوا بِالْحَقِّ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَأَخِيهِ وَنَزِيلِهِ . لاَ تَنْظُرُوا إِلَى الْوُجُوهِ فِي الْقَضَاءِ . لِلصَّغِيرِ كَالْكَبِيرِ تَسْمَعُونَ . لاَ تَهَابُوا وَجْهَ إِنْسَانٍ لأَنَّ الْقَضَاءَ لِلهِ» (تثنية ١: ١٦،١٧) .

والملك داود قرب نهاية ملكه قدم وصية مقدسة لأولئك الذين كانوا يضطلعون بعمل الله في عهده . فإذ جمع إلى أورشليم «رُؤَسَاءِ إِسْرَائِيلَ ، رُؤَسَاءَ الأَسْبَاطِ وَرُؤَسَاءَ الْفِرَقِ الْخَادِمِينَ الْمَلِكَ ، وَرُؤَسَاءَ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءَ الْمِئَاتِ ، وَرُؤَسَاءَ كُلِّ الأَمْوَالِ وَالأَمْلاَكِ الَّتِي لِلْمَلِكِ وَلِبَنِيهِ ، مَعَ الْخِصْيَانِ وَالأَبْطَالِ وَكُلِّ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ» . فذلك الملك الشيخ أوصاهم بكل وقار قائلا: «فِي أَعْيُنِ كُلِّ إِسْرَائِيلَ مَحْفَلِ الرَّبِّ ، وَفِي سَمَاعِ إِلهِنَا ، احْفَظُوا وَاطْلُبُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ» (١أخبار ٢٨: ١،٨) .

أما لابنه سليمان الذي كان مدعواً ليشغل مركزاً ذا مسؤولية هامة فقد قدم داود وصية خاصة فقال : «وَأَنْتَ يَا سُلَيْمَانُ ابْنِي ، اعْرِفْ إِلهَ أَبِيكَ وَاعْبُدْهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ ، لأَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ ، وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الأَفْكَارِ . فَإِذَا طَلَبْتَهُ يُوجَدُ مِنْكَ ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ يَرْفُضُكَ إِلَى الأَبَدِ . اُنْظُرِ الآنَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَكَ ... فَتَشَدَّدْ» (١أخبار ٢٨: ٩،١٠) .

إن نفس مبادئ التقوى والعدالة التي كانت مرشداً لرؤساء شعب الله في عهد موسى وداود كان يجب أن يتبعها أولئك الذين أعطي لهم حق الإشراف والمناظرة على كنيسة الله المنظمة حديثاً في عهد الإنجيل . وفي عمل تنظيم الأمور في كل الكنائس وإقامة رجال لائقين ليعملوا كموظفين ورؤساء ، تمسك الرسل بمثل القيادة العليا الملخصة في أسفار العهد القديم . واعتبروا أن من يدعى ليحتل مركزاً مرموقاً ذا مسؤولية في الكنيسة يجب أن «يَكُونَ ... بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ ، غَيْرَ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ ، وَلاَ غَضُوبٍ ، وَلاَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ ، وَلاَ ضَرَّابٍ ، وَلاَ طَامِعٍ فِي الرِّبْحِ الْقَبِيحِ . بَلْ مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ ، مُتَعَقِّلاً ، بَارًّا ، وَرِعًا ، ضَابِطًا لِنَفْسِهِ . مُلاَزِمًا لِلْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ التَّعْلِيمِ ، لِكَيْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَعِظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُوَبِّخَ الْمُنَاقِضِينَ» (تيطس ١: ٧-٩) .

إن النظام الذي استتب في الكنيسة المسيحية الأولى جعل من السهل عليهم أن يتقدموا إلى الأمام بخطى راسخة كجيش منظم حسن التدريب ومتسلح بسلاح الله . ومع أن جماعات المؤمنين كانوا مشتتين في أقاليم واسعة إلا أنهم كانوا كلهم أعضاء في جسد واحد ، وكانوا يسيرون متحدين ومتوافقين بعضهم مع بعض . وعندما كان يقوم نزاع ما في كنيسة محلية ، كما قد حدث بعد ذلك في أنطاكية وغيرها من الكنائس ، وكان المؤمنون عاجزين على الاتفاق فيما بينهم ، لم يُسمح لمثل تلك الشؤون أن تخلق انشقاقاً في الكنيسة ، بل كانت تُرفع إلى مجمع عام من المؤمنين مكون من مندوبين معينين من الكنائس المحلية المختلفة بالإضافة إلى الرسل والمشايخ ذوي المراكز التي تنطوي على مسؤوليات خطيرة . وهكذا قوبلت مساعي الشيطان لمهاجمة الكنيسة في الأماكن المنعزلة بعمل متحد مكرس قام به الجميع ، وأحبطت خطط العدو للتمزيق والإهلاك .

«اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ ، كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ» (١كورنثوس ١٤: ٣٣) . وهو يطلب أن يراعى النظام والتناسق في إدارة شؤون الكنيسة اليوم كما كان الحال في أيام القدم . وهو يرغب أن يتقدم عمله بإتقان ودقة حتى يختمه بختم الاستحسان والمصادقة . فعلى المسيحي أن يتحد مع أخيه المسيحي ، والكنيسة بأختها ، وأن تتعاون الوسائل البشرية مع الوسائل الإلهية ، وكل هذه الوسائل تكون خاضعة للروح القدس وأن يتحد الجميع في تقديم بشائر نعمة الله المفرحة للعالم .

الفصل العاشر

الشهيد المسيحي الأوّل

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ٦: ٥-١٥ وص ٧) .

إن استفانوس الذي كان في طليعة الشمامسة السبعة كان رجلا عميقاً في تقواه وواسع الأفق في إيمانه . ومع أنه من نسل اليهود فقد كان يتكلم اليونانية ، كما كان عليماً بعادات اليونانيين وأخلاقهم . ولذلك وجد فرصة للكرازة بالإنجيل في مجامع اليهود اليونانيين . وقد كان نشيطاً جداً في عمل المسيح وبكل جرأة جاهر بإيمانه . وقد اشتبك معه المعلمون الفهماء وأساتذة الشريعة في مجادلات علنية وهم واثقون من إحراز نصرة ميسورة ، «وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ» (٦: ١٠) . وهو لم يتكلم بقوة الروح القدس وحسب ولكنه كان أمراً واضحاً أنه كان ضليعاً بالنبوات ومتبحراً في كل شؤون الناموس . وبكل براعة دافع عن الحقائق التي هب لمناصرتها ، وهزم خصومه هزيمة ماحقة . وقد تم له الوعد الإلهي القائل : «فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا . لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمًا وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا» (لوقا ٢١: ١٤،١٥) .

فإذ رأى الكهنة والرؤساء القوة التي كانت تصحب كرازته امتلأت قلوبهم كراهية مُرة له . فعوض التسليم بالبراهين التي أوردها ، صمموا على إسكاته بالقضاء عليه بالموت . وفي مناسبات عديدة قدموا رشوة للسلطات الرومانية

حتى يتجاوزوا ولا ينتقدوا اليهود في المرات العديدة التي فيها أخذوا على عاتقهم تنفيذ القانون وحاكموا أسراهم وأدانوهم وقتلوهم بموجب عاداتهم القومية . ولم يشك أعداء استفانوس في أنهم سينتهجون تلك الخطة ذاتها دون أن يعرضوا أنفسهم للخطر . وإذ صمموا على المجازفة بالعواقب قبضوا على استفانوس وأوقفوه أمام مجمع السنهدريم ليحاكم .

وقد دعي بعض علماء اليهود من البلدان المجاورة لكي يفندوا الحجج التي سيدلي لم بها الأسير وينقضوها . كان شاول الطرسوسي حاضراً وكانت له اليد الطولى في مقاومة استفانوس . وقد استخدم قوة فصاحة المعلمين ومنطقهم لمقارعة الحق وإقناع الشعب بأن استفانوس كان يعلم تعاليم خادعة خطيرة . ولكنه وجد في استفانوس إنساناً ذا معرفة وفهم وإلمام كامل بقصد الله في نشر الإنجيل في ربوع الأمم الأخرى .

فلما لم يستطع الكهنة والرؤساء أن ينتصروا على حكمة استفانوس الواضحة الهادئة ، عقدوا العزم أن يمثّلوا به . وبينما كانوا بذلك يشبعون كراهيتهم وانتقامهم أرادوا في نفس الوقت أن يخيفوا الآخرين ويمنعوهم من قبول عقيدته . وقد قدموا رشوة لأناس كي يشهدوا زوراً بأنهم سمعوه يجدف على الهيكل والناموس . وقد أعلن هؤلاء الشهود قائلين : «لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هذَا سَيَنْقُضُ هذَا الْمَوْضِعَ ، وَيُغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى» (٦: ١٤) .

فإذ وقف استفانوس وجهاً لوجه أمام قضاته للدفاع عن تهمة التجديف ، أشرق على وجهه نور مقدس ، «فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ ، وَرَأَوْا

وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ» (٦: ١٥) . وكثيرون ممن أبصروا هذا النور ارتعدوا وغطوا وجوههم ، ولكن عدم إيمان الرؤساء وتعصبهم العنيد لم يتأثر ولا تردد.

وعندما سئل استفانوس عن صدق التهم الموجهة إليه بدأ يدلي بدفاعه بصوت واضح يهز المشاعر دوى في أرجاء دار المجمع. وبأقوال أذهلت المجمع تقدم ليتلو تاريخ شعب الله المختار. وقد برهن على معرفته الكاملة للنظام اليهودي والتفسير الروحي له والذى تجلى الآن في حياة المسيح. وقد ردد النبوة التي نطق بها موسى المنبئة عن المسيا إذ قال: «نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ» (٧: ٣٧). وقد أوضح ولاءه لله وللعقيدة اليهودية، كما أظهر لهم في الوقت نفسه أن الناموس الذي اتكل عليه اليهود للخلاص لم يكن قادراً على تحرير إسرائيل من عبادة الأوثان. وقد أظهر مدى الترابط بين يسوع المسيح وكل التاريخ اليهودي . كما أشار إلى بناء سليمان للهيكل وأقوال سليمان واشعياء فقال: «لكِنَّ الْعَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَيٌّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ أَلَيْسَتْ يَدِي صَنَعَتْ هذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا؟» (٧: ٤٨-٥٠).

وعندما وصل استفانوس إلى هذا الحد حدث شغب بين الشعب. فإذ ربط المسيح بالنبوات وتحدث عن الهيكل، فالكاهن إذ تظاهر بأنه يرتعب ويستاء مما يسمع، مزق رداءه. وقد كان هذا العمل بالنسبة إلى استفانوس علامةً على أن صوته سرعان ما سيبكم إلى الأبد. فإذ رأى المقاومة التي بها قوبلت أقواله، علم أنه كان يقدم آخر شهادة له. ومع أنه كان في منتصف موعظته فقد ختمها فجأة.

وفجأة إذ ابتعد عن سلسلة التاريخ التي كان يتتبع مراحلها، التفت إلى قضاته الساخطين وصاح قائلا: «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! أَنْتُمْ

دَائمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ. أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ، الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ» (٧: ٥١-٥٣) .

وعند هذا الحد جن جنون الكهنة والرؤساء من فرط الغضب . وكان تصرفهم أقرب إلى الوحوش الكاسرة منه إلى البشر ، فهجموا على استفانوس وهم يصرون بأسنانهم عليه . وقد قرأ الأسير مصيره في الملامح القاسية المحدقة به ولكنه لم يضعف ولم يتردد . فبالنسبة إليه كانت مخاوف الموت ومرارته قد زالت . ولم يرتعب من الكهنة الساخطين أو الرعاع الثائرين . فالمنظر الذي أمامه اختفى عن عينيه . وقد انفتحت له أبواب السماء وإذ نظر إلى الداخل رأى مجد مساكن الله ، كما رأى المسيح وكأنه قد قام للتو عن عرشه ، ووقف مستعداً لإسناد خادمه . فبكلام النصرة هتف استفانوس قائلاً : «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً ، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ» (٧: ٥٦) .

فإذ وصف المنظر المجيد الذي كانت عيناه تشخصان إليه لم يعد مضطهدوه يستطيعون الاحتمال . فسدوا آذانهم حتى لا يسمعوا كلامه وصاحوا بأصوات عالية وهجموا عليه بوحشية «وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ» «فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي . ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ يَارَبُّ ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ . وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ» (أعمال ٧: ٥٨ – ٦٠) .

إن استفانوس لم يحكم عليه بحكم شرعي ، بل أعطيت رشوة كبيرة للسلطات الرومانية كي لا تتقصى هذه القضية .

ولكن استشهاد استفانوس أثّر تأثيراً عميقاً على كل من شاهدوه . إن ذكـــرى ختم الله على وجهه ، وأقواله التي لمست قلوب من قد سمعوها ظلت حيـــة فـــي عقول مشاهديه وشهدت لصدق ما قد أعلنه . وقد كان موته تجربة قاسية علـــى الكنيسة ولكن كان من نتائجه أن تبكت شاول الذي لم يســـتطع أن يمحـــو مـــن ذاكرته إيمان الشهيد وثباته والمجد الذي استقر على وجهه .

إن شاول عند مشهد محاكمة استفانوس وموته بدا كأنه متشبع بغيرة مجنونة . وفيما بعد غضب من الاقتناع الدفين الذي ثار في أعماقه من أن الله قـــد أكـــرم استفانوس في الوقت ذاته الذي كان الناس يهينونه فيه . وقد ظل شاول يضطـــهد كنيسة الله ويتصيد تلاميذ المسيح ويقبض عليهم وهم في بيوتهم ويسلمهم للكهنـــة والرؤساء ليسجنوا ويقتلوا . إن غيرته التي جعلته يثير عليهم هـــذا الاضطـــهاد أرعبت المسيحيين الساكنين في أورشليم . ولم تبذل السلطات الرومانية مجـــهوداً خاصاً لإيقاف أعمال القسوة تلك ، بل كانوا في الخفاء يناصرون اليـــهود لكـــي يستميلوهم ويظفروا برضاهم .

وبعد موت استفانوس اختير شاول ليكون عضواً في مجمع السنهدريم تقديـــراً للدور الذي قام به في تلك المأساة . وقد ظل بعض الوقت أداة قويـــة فـــي يـــد الشيطان لإتمام تمرده علق ابن الله . ولكن بعد ذلك بقليل كان هـــذا المضطـــهد الذي لا يرحم مزمعاً أن يستخدم في بناء الكنيسة التي كان الآن يهدمها . إن سيداً أقوى وأعظم من الشيطان قد اختار شاول ليأخذ مكان استفانوس الشهيد ليكـــرز ويتألم لأجل اسم المسيح وينشر في كل الأماكن القاصية والدانية أخبار الخـــلاص بدمه الكريم .

الفصل الحادي عشر

دخول الإنجيل إلى السامرة

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال اصحاح ٨) .

بعد موت استفانوس ثار اضطهاد عنيف ضد المؤمنين في أورشليم ، وقد كان هذا الاضطهاد من القسوة بحيث «تَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ» . «وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ» (عدد ١،٣) . وفي تاريخ لاحق وصف غيرته عندما كان يقوم بهذا العمل القاسي ، بهذه الكلمات : «فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُورًا كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ وَفَعَلْتُ ذلِكَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ ، فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْقِدِّيسِينَ ... وَفِي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَارًا كَثِيرَةً ، وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ . وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ» . أما حقيقة كون استفانوس لم يكن هو الشخص الوحيد الذى ذاق الموت فيمكننا أن نعرفها من كلام شاول نفسه إذ قال : «وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيْتُ قُرْعَةً بِذلِكَ» (أعمال ٢٦: ٩-١١) .

ولكن في وقت الخطر هذا تقدم نيقوديموس مجاهراً بإيمانه بالمخلص المصلوب بلا خوف. كان نيقوديموس عضواً في السنهدريم وقد تأثر هو وآخرون من تعليم يسوع. فإذ شاهد الآيات التي صنعها المسيح ثبت في ذهنه

اقتناع راسخ بأنه كان (المسيا) مرسلاً من قبل الله. ولكنه إذ كان متكبراً جداً عن أن يجاهر بتعاطفه العلني مع المعلم الجليلي، سعى لأن يقابله على انفراد في السر . وفي ذلك اللقاء كشف له يسوع عن تدبير الخلاص ورسالته إلى العالم، ومع ذلك فقد ظل نيقوديموس متردداً. لقد أخفى الحق بين جنبات قلبه، ولمدى ثلاث سنين لم يظهر فيه غير ثمر قليل. ولكن في حين أن نيقوديموس لم يعترف بالمسيح جهاراً، ففي مجمع السنهدريم عرقل مؤامرات الكهنة لإهلاك يسوع وأحبطها مراراً كثيرة. فلما رفع المسيح أخيراً على الصليب تذكر نيقوديموس الكلمات التي كان قد قالها له عندما كانا يتحادثان معا في تلك الليلة على جبل الزيتون : «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يوحنا ٣: ١٤). وقد رأى في شخص يسوع فادي العالم .

وقد اشترك نيقوديموس مع يوسف الرامي في تحمل نفقات دفن يسوع . كان التلاميذ يخافون من إظهار أنفسهم بأنهم اتباع المسيح ، ولكن نيقوديموس ويوسف أسرعا لنجدتهم بكل جرأة . لقد كانوا في أشد الحاجة إلى معونة هذين الرجلين الغنيين المكرّمين في ساعة الظلمة تلك . فقد كانا قادرين على أن يعملا لمعلمهما المائت ما كان يستحيل على التلاميذ الفقراء أن يعملوه ، وقد كان ثراؤهما ونفوذهما كفيلين بوقايتهم ، إلى حد كبير ، من خبث الكهنة والرؤساء .

والآن عندما كان اليهود يحاولون ملاشاة الكنيسة الوليدة تقدم نيقوديموس يدافع عنها ويحميها . ما عاد بعد حذراً ولا متشككاً فشجع إيمان التلاميذ وأنفق أمواله في إعالة كنيسة أورشليم وفي نشر عمل الإنجيل . فالذين كانوا قبلاً يوقرونه صاروا الآن يحتقرونه ويضطهدونه ، فصار فقيراً في أملاك هذا العالم إلا أنه لم يتردد في الدفاع عن إيمانه .

إن الاضطهاد الذي وقع على الكنيسة في أورشليم نتج عنه إعطاء عمل الإنجيل قوة دفعته إلى الأمام. لقد لازم النجاح خدمة الكلمة في ذلك المكان وكان هنالك خطر من أن يبقى التلاميذ هناك وقتاً أطول من اللازم غافلين عن المهمة التي أوكلها المخلص اليهم بأن يذهبوا إلى العالم أجمع. فإذ نسوا أن القوة على مقاومة الشر تكتسب فقط عن طريق الخدمة المناضلة والكفاح، بدأوا يظنون أنه لا يوجد لهم عمل يعملونه أهم من وقاية الكنيسة في أورشليم من هجمات العدو. وبدلاً من أن يدربوا المهتدين الجدد على حمل الإنجيل إلى من لم يسمعوا عنه، كانوا في خطر الإقدام على عمل يجعل الجميع يكتفون بما قد أنجز. فلكي يشتت الله ممثليه هؤلاء إلى الخارج حيث يمكنهم أن يخدموا الآخرين، سمح بأن يثور الاضطهاد ضدهم. فإذ طردوا من أورشليم «جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (عدد ٤) .

وقد كان بين الذين كلفهم المخلص القيام بعمل الكرازة قائلاً لهم: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ» (متى ٢٨: ١٩) كثيرون ممن قد أتوا من مسالك الحياة الوضيعة– من الرجال والنساء الذين قد تعلموا أن يحبوا سيدهم وعقدوا العزم على اتباع مثاله في الخدمة المضحية . فلأولئك الناس المحتقرين كما للتلاميذ الذين كانوا مع المخلص مدى سني خدمته على الأرض أعطيت المأمورية الثمينة سواء بسواء . كان عليهم أن يحملوا إلى العالم تلك البشرى المفرحة ، بشرى الخلاص بالمسيح .

وعندما تشتتوا بسبب الاضطهاد خرجوا ممتلئين بالحماسة الكرازية ، وكانوا متحققين من مسؤولية كرازتهم والقيام بمأموريتهم . لقد عرفوا أنهم كانوا يمسكون بخبز الحياة بين أيديهم للعالم الذي يتضور جوعاً ، وقد كانت محبة المسيح تحصرهم لأن يكسروا هذا الخبز لكل من كانوا بحاجة اليه . ومد عمل الرب بواسطتهم . وأينما ذهبوا كان المرضى ينالون الشفاء والمساكين يُبشرون .

وقد كان فيلبس ، أحد الشمامسة السبعة ، ضمن من قد طردوا من أورشليم . هذا الرجل : «انْحَدَرَ ... إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ وَكَانَ يَكْرِزُ لَهُمْ بِالْمَسِيحِ . وَكَانَ الْجُمُوعُ يُصْغُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَا يَقُولُهُ فِيلُبُّسُ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ وَنَظَرِهِمُ الآيَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا . لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ أَرْوَاحٌ نَجِسَةٌ كَانَتْ تَخْرُجُ ... وَكَثِيرُونَ مِنَ الْمَفْلُوجِينَ وَالْعُرْجِ شُفُوا . فَكَانَ فَرَحٌ عَظِيمٌ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ» (عدد ٥- ٨) .

إن رسالة المسيح إلى المرأة السامرية التي تحدث إليها عند بئر يعقوب قد أثمرت. فتلك المرأة بعدما أصغت إلى أقواله مضت إلى أهل المدينة قائلة: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ ؟» فذهبوا معها وسمعوا يسوع وآمنوا به. وإذ كانوا مشتاقين إلى أن يسمعوا المزيد طلبوا إليه أن يمكث عندهم. فمكث عندهم يومين: «فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ» (يوحنا ٤ : ٢٩،٤١) .

فعندما تشتت تلاميذ المسيح من أورشليم وجد بعضهم ملجأ لهم يلوذون به في السامرة . وقد رحب السامريون برسل الإنجيل هؤلاء . وجمع المهتدون من اليهود حصاداً ثميناً من بين أولئك الذين كانوا قبلاً ألد أعدائهم .

وقد حالف فيلبس في خدمته نجاح عظيم ، فإذ حصل على هذا التشجيع أرسل إلى أورشليم يطلب المساعدة . وقد فهم الرسل الآن فهما كاملاً معنى كلام المسيح عندما قال: «وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال ١ : ٨) .

وإذ كان فيلبس لا يزال في السامرة أمره رسول سماوي قائلا له : «قُمْ وَاذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ ، عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى غَزَّةَ ... فَقَامَ

وَذَهَبَ» (عدد ٢٧،٢٦)٠ إنه لم يشك في الدعوة ولا تردد في الطاعة لأنه كان قد تعلم درس الامتثال لإرادة الله .

«وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ ، وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا . فَهذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ . وَكَانَ رَاجِعًا وَجَالِسًا عَلَى مَرْكَبَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشَعْيَاءَ» (عدد ٢٨،٢٧) . كان هذا الرجل الحبشي عظيم المقام ذا مركز كبير ونفوذ عظيم . وقد رأى الله أنه عندما يهتدي هذا الرجل فسيشرك آخرين في النور الذي حصل عليه وسيكون له نفوذ قوي في نشر الإنجيل . وقد كان ملائكة الله يلازمون هذا الرجل الطالب النور وقد اجتُذب إلى المخلص . وبواسطة خدمة الروح القدس جعله الرب يلاقي إنساناً يستطيع أن يرشده إلى النور .

وقد وجه الله فيلبس بالذهاب إلى ذلك الحبشي ليشرح له النبوة التي كان يقرأها . قال له الروح : «تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هذِهِ الْمَرْكَبَةَ» فلما اقترب فيلبس من الخصى سأله: «أَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مَا أَنْتَ تَقْرَأُ ؟ فَقَالَ كَيْفَ يُمْكِنُنِي إِنْ لَمْ يُرْشِدْنِي أَحَدٌ ؟ وَطَلَبَ إِلَى فِيلُبُّسَ أَنْ يَصْعَدَ وَيَجْلِسَ مَعَهُ . وَأَمَّا فَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُهُ فَكَانَ» من نبوة أشعياء المتعلقة بالمسيح والقائلة :

«مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . فِي تَوَاضُعِهِ انْتُزِعَ قَضَاؤُهُ ، وَجِيلُهُ مَنْ يُخْبِرُ بِهِ ؟ لأَنَّ حَيَاتَهُ تُنْتَزَعُ مِنَ الأَرْضِ» .

«فَأَجَابَ الْخَصِيُّ فِيلُبُّسَ وَقَالَ : «أَطْلُبُ إِلَيْكَ: عَنْ مَنْ يَقُولُ النَّبِيُّ هذَا ؟ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ ؟ فَفَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ وابْتَدَأَ مِنْ هذَا الْكِتَابِ فَبَشَّرَهُ بِيَسُوعَ» (عدد ٢٩-٣٥) وفتح أمامه حق الفداء العظيم .

وقد اختلج في قلب ذلك الرجل اهتمام عظيم عندما كانت الكلمة الإلهية تُفسر له . فلما انتهى ذلك التلميذ من كلامه كان الوزير مستعداً لقبول النور المعطى له . ولم يجعل مركزه الدنيوي السامي عذراً لرفض الإنجيل . «وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلاَ عَلَى مَاءٍ ، فَقَالَ الْخَصِيُّ هُوَذَا مَاءٌ . مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ ؟ فَقَالَ فِيلُبُّسُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ . فَأَجَابَ وَقَالَ أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ . فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ ، فَنَزَلاَ كِلاَهُمَا إِلَى الْمَاءِ ، فِيلُبُّسُ وَالْخَصِيُّ ، فَعَمَّدَهُ .

«وَلَمَّا صَعِدَا مِنَ الْمَاءِ ، خَطِفَ رُوحُ الرَّبِّ فِيلُبُّسَ ، فَلَمْ يُبْصِرْهُ الْخَصِيُّ أَيْضًا ، وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحًا . وَأَمَّا فِيلُبُّسُ فَوُجِدَ فِي أَشْدُودَ . وَبَيْنَمَا هُوَ مُجْتَازٌ ، كَانَ يُبَشِّرُ جَمِيعَ الْمُدُنِ حَتَّى جَاءَ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ» (عدد ٣٦ – ٤٠) .

إن هذا الرجل الحبشي يمثل طائفة كبيرة من الناس الذين يحتاجون إلى أن يعلمهم كارزون كفيلبس ، رجال يسمعون صوت الله ويذهبون إلى حيث يرسلهم . يوجد كثيرون ممن يقرأون الكتاب ولكنهم لا يفهمون المعنى الحقيقي لما يقرأون . وفي كل مكان في العالم ينظر الرجال والنساء إلى السماء في لهفة وشوق . فالصلوات والدموع والأسئلة تصعد من النفوس المشتاقة إلى النور والنعمة والروح القدس . وكثيرون هم الذين يقفون على أعتاب الملكوت في انتظار أن يجمعوا إليه .

إن ملاكاً أرشد فيلبس إلى الشخص الذي كان يبحث عن النور والذي كان مستعداً لقبول الإنجيل ، واليوم سيرشد الملائكة أولئك الخدام الذين يسمحون للروح القدس بأن يقدس ألسنتهم ويطهر قلوبهم ويشرفها . إن الملاك المرسل إلى فيلبس كان يمكنه أن يقوم بذلك العمل للرجل الحبشي ، ولكن هذه ليست خطة الله في العمل . إن خطته هي أن الناس يجب أن يخدموا إخوتهم من بني الإنسان .

لقد اشترك المؤمنون في كل عصر في المأمورية المسلمة للتلاميذ الأوليــن . فكل من قبل الإنجيل سُلم له الحق المقدس ليبلغه للعالم . إن شــعب الله الأميـن كانوا دائماً كارزين مناضلين مقتحميـــن مكرســين مواردهــم لتمجيــد اســمه ومستخدمين وزناتهم بكل حكمة في خدمته . إن خدمة المسيحيين المتحررة مــن الأنانية في الماضي ينبغي أن تكون درساً مرئياً وإلهاماً . إن أعضاء كنيســة الله ينبغى أن يكونوا غيورين في أعمال صالحة ، وأن ينفصلوا عن الطموح العالمي ويسيروا في آثار خطوات ذاك الذي جال يصنع خيراً . فبقلوب ملؤها العطـــف والحنان عليهم أن يخدموا من هم في حاجة إلى العون إذ يقدمون للخطاة معرفــة محبة المخلص . مثل هذا العمل يتطلب جهداً وكداً ولكن لــــه جــزاءاً عظيمــاً مفرحاً . والذين يضطلعون به بنية خالصة سيرون نفوساً تُربَح للمخلـــص ، لأن التأثير الذي يلازم التنفيذ العملي للمأمورية الإلهية لا يمكن مقاومته .

إن مسئولية الخروج لإتمام هذه المأمورية لا تستقر علـــى الخـــادم المرتســم وحده . فكل من قبل المسيح مدعو ليعمل على خلاص بنـــي جنســـه: «الـــرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولاَن تَعَالَ» (رؤيا ٢٢: ١٧) . إن الوصية المقدمة لإذاعـــــة هــذه الدعوة تشمل الكنيسة كلها . وكل من قد سمع الدعوة عليه أن يردد الرسالة لكــي يرن صداها فوق الجبال الشاهقة والوديان السحيقة قائلا: «تَعَالَ» .

إنها لغلطة مميتة أن نظن أن عمل تخليص النفــوس يتوقــف علـــى الخـــدام وحدهم . فالمؤمن الفقير المكرس الذي يضع عليه رب الكرم حمل مسؤولية ربح النفوس عليه أن ينال التشجيع من أولئك الذين وضع الرب عليـــهم مســؤوليات أعظم . وأولئك المعتبرون قادة في كنيسة الله عليهم أن يتحققوا من أن مأموريــة المخلص مقدمة لكل من يؤمنون باسمه . والرب سيرسل إلى كرمه كثيرين ممــن لم يكرسوا للخدمة بوضع الأيدي .

إن مئاتٍ بل آلافاً ممن سمعوا رسالة الخلاص لا يزالون قياماً في السوق بطالين في حين كان يمكنهم القيام بأي نوع من أنواع الخدمة النشطة . فلمثل هؤلاء يقول المسيح : «لِمَاذَا وَقَفْتُمْ ههُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ ؟» ثم يضيف قائلا : «اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ» (متى ٢٥: ٦،٧) . ولكن لماذا يحدث أن كثيرين جداً لا يستجيبون للدعوة ؟ هل لأنهم يظنون أنفسهم معذورين لأنهم لا يقفون على المنابر ؟ ليفهم هؤلاء أنه يوجد عمل كثير ومتسع يُعمل خارج المنبر يمكن أن يقوم به آلاف من العلمانيين المكرسين .

لقد ظل الله طويلاً ينتظر أن تتملك روح الخدمة على كل الكنيسة ، بحيث يكون كل فرد عاملاً لأجله بقدر استطاعته . فعندما يقوم أعضاء كنيسة الله كلٌّ بالعمل المعيّن له في الحقول المحتاجة في الوطن وفي الخارج إتماماً لمأمورية الإنجيل ورسالته ، فسرعان ما يسمع العالم كله الإنذار ويأتي الرب يسوع إلى هذا العالم بقوة ومجد كثير : «وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ . ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى» (متى ٢٤: ١٤) .

الفصل الثاني عشر

المُضطهِد يصير تلميذاً

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ٩: ١-١٨) .

كان شاول الطرسوسي من أشهر قادة اليهود الذين ثاروا واغتاظوا جداً من النجاح المنقطع النظير الذي لازم الكرازة بالإنجيل . ومع كونه مواطناً رومانياً بفضل ميلاده فإن شاول هذا كان من نسل اليهود وتهذب في أورشليم على أيدي أشهر المعلمين الروحيين . فإذ كان شاول «مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ» فقد كان «عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ . مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ ، مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ . مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ» (فيلبي ٣: ٥،٦) . وكان أحبار اليهود يعتبرونه شاباً يُرجى منه كل خير ، وكانت لهم فيه آمال كبار كمن هو مدافع مقتدر وغيور عن إيمان الآباء . هذا وإن ترقيته التي صار بموجبها عضواً في مجلس السنهدريم جعلته في مركز النفوذ والقوة .

وكان شاول قد لعب دوراً كبيراً في محاكمة استفانوس وإدانته ، ولكن البراهين المدهشة على وجود الله مع الشهيد جعلت شاول يشك في عدالة القضية التي ناصرها ودافع عنها ضد تابعي يسوع . لقد اضطرب عقله اضطراباً هائلاً . ففي حيرته لجأ إلى أولئك الذين كان يثق في حكمتهم وعدلهم ثقة كاملة .

ولكن حجج الكهنة والرؤساء أقنعته أخيراً بأن استفانوس كان مجدفاً وأن المسيح ، الذي كان ذلك التلميذ الشهيد يبشر به كان محتالاً ، وأن أولئك الذين يقومون بالخدمة المقدسة هم على صواب .

ولكن شاول لم يصل إلى هذه النتيجة إلا بعد تجربة قاسية . أخيراً ، وبسبب تهذيبه وتعصبه واحترامه لمعلميه السابقين وكبرياء الشهرة استجمع شاول قواه ليتمرد على صوت الضمير ونعمة الله . وإذ حكم حكماً قاطعاً بأن الكهنة والكتبة كانوا على صواب ، اشتد شاول في مقاومته للتعاليم التي كان يعلم بها تلاميذ يسوع . إن نشاطه المنقطع النظير في جره للرجال والنساء القديسين إلى المحاكم ، حيث حكم على بعض منهم بالسجن والبعض الآخر بالموت لمجرد أنهم كانوا يؤمنون بيسوع ، جلب كل ذلك على الكنيسة المنظمة حديثاً الحزن والوجوم ، وتسبب في هروب كثيرين لينجوا بحياتهم .

وأولئك الذين طردوا من أورشليم بسبب هذا الاضطهاد «جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أعمال ٨: ٤) . ومن بين المدن التي ذهبوا إليها كانت مدينة دمشق حيث اهتدى كثيرون إلى الإيمان الجديد .

كان الكهنة والرؤساء يؤملون أن المساعي اليقظة التي يقومون بها والاضطهاد العنيف الذي يثيرونه ستكون كفيلة بالقضاء على تلك البدعة . والآن هاهم يشعرون بوجوب تطبيق الإجراءات الحاسمة التي اتخذوها في أورشليم ضد التعليم الجديد ، على أماكن أخرى . وقد أبدى شاول استعداده للقيام بالعمل الخاص الذي تاقوا إلى تنفيذه في دمشق . فإذ كان «يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ (المجامع) حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً ، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (عدد ١،٢) . وهكذا شرع شاول الطرسوسي في

تلك الرحلة التي لا تنسى «بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ» (أعمال ٢٦: ١٢) وهو في ملء قوة الرجولة ونشاطها وعنفوانها تحفزه على ذلك حماسة مضللة ، وقد غيرت الأحداث الغريبة التي حدثت في رحلته تلك ، مجرى حياته كلها .

ففي آخر أيام تلك الرحلة «فِي نِصْفِ النَّهَارِ» إذ اقترب المسافرون المتعبون من دمشق انبسطت أمام أنظارهم مساحات واسعة من الأراضي الخصبة والحدائق الغناء والبساتين الغنية بالثمار التي تسقيها مياه الينابيع المنحدرة من الجبال المجاورة . فبعد السفر الطويل عبر القفار والأراضي المجدبة كانت هذه المناظر الأخيرة منعشة لهم جداً . فإذ نظر شاول ومرافقوه بإعجاب إلى ذلك السهل الخصيب وإلى المدينة الجميلة الرابضة أسفله ، «بَغْتَةً»، كما أعلن هو بعد ذلك ، أبرق «نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ ... حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي» (أعمال ٢٦: ١٢،١٣) . وكان ذلك النور أمجد من أن تستطيع العيون البشرية احتماله . فانطرح شاول على الأرض وقد عميت عيناه وشمله الارتباك والحيرة .

وإذ ظل النور يغمرهم سمع شاول صوتا يكلمه (باللغة العبرانية) قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس (أعمال ٩:٤،٥؛ ٢٦:١٣،١٤) .

ورفاق شاول الذين امتلأوا خوفاً وكاد لمعان النور يعميهم ، سمعوا صوتاً ولكنهم لم يروا أحداً . أما شاول ففهم الكلام الذي قيل ، وبكل جلاء استعلن له ذاك الذي تكلم– ابن الله نفسه . وقد رأى في الكائن المجيد الذي وقف أمامه ، المسيح المصلوب . وانطبعت إلى الأبد صورة وجه المخلص على نفس ذلك اليهودي المصعوق . وقد اخترق ذلك الكلام شغاف قلبه بقوة مروعة . وفي

مخادع عقله المظلم انسكب فيض من النور معلناً وكاشفاً له عن جهالة وخطأ حياته الماضية ، وحاجته الراهنة إلى إنارة الروح القدس .

وقد رأى شاول الآن أنه إذ كان يضطهد أتباع يسوع كان في الحقيقة يعمل عمل الشيطان . وقد رأى أن قناعته بواجبه وبما ارتآه صواباً كانت مبنية بأكثر على ثقته الراسخة في الكهنة والرؤساء . لقد صدقهم عندما أخبروه أن قصة القيامة كانت اختلاقاً ماكراً من صنع التلاميذ . أما الآن وقد وقف يسوع نفسه ظاهراً أمامه فقد اقتنع شاول بصدق ما قاله التلاميذ .

وفي تلك الساعة التي أشرق عليه فيها نور السماء كان عقل شاول يفكر بسرعة عظيمة . وقد انكشفت نبوات الكتاب المقدس أمام ذهنه . ورأى أن رفض اليهود ليسوع وصلبه وقيامته وصعوده ، الأمور التي كان الأنبياء قد سبقوا فأنبأوا بها ، برهنت على أنه هو المسيا الموعود به . ثم أن العظة التي فاه بها استفانوس في يوم استشهاده عادت بقوتها إلى عقل شاول ، فتحقق أن ذلك الشهيد رأى «مَجْدَ اللهِ» عندما قال : «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً ، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ» (أعمال ٧: ٥٥،٥٦) . لقد قال الكهنة أن هذا الكلام تجديف ولكن شاول يراه الآن عين الصدق .

ما كان أعظم هذا من إعلان يراه المضطهد ، لقد عرف شاول الآن بكل يقين أن المسيا الموعود به قد أتى إلى الأرض في شخص يسوع الناصرى ، وأنه رفض وصلب بأيدى أولئك الذين قد أتى ليخلصهم . كما عرف أيضاً أن المخلص قد خرج من القبر ظافراً وصعد إلى السموات . في لحظة الإعلان الإلهي تلك تذكر شاول برعب كيف أنه وافق على قتل استفانوس الذي قد شهد للمخلص المصلوب والمقام ، وأنه بعد ذلك مات كثيرون من أتباع يسوع الأفاضل لأنه اضطهدهم حتى الموت .

كان المخلص قد كلم شاول بواسطة استفانوس الذي لم يمكن مناقضة حججه الدامغة . إن ذلك العالم اليهودي كان قد رأى وجه الشهيد يعكس بهاء مجد المسيح . إذ ظهر «كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ» (أعمال ٦: ١٥) . لقد عاين احتمال استفانوس لاعتداءات أعدائه وغفرانه لهم . كما عاين الصبر والتسليم والرضى الذي أظهره كثيرون ممن تسبب هو في ضيقهم وعذابهم . وقد رأى بعضاً منهم يسلمون الروح بفرح لأجل إيمانهم .

كل هذه الأمور خاطبت شاول بصوت عالٍ ، وفي بعض الأحيان أقحمت على عقله اقتناعاً يكاد يكون غامراً وقاهراً بأن يسوع هو المسيا الموعود به . وفي مثل تلك الأوقات كان يصارع ليالي طويلة ضد هذا الاقتناع ، وفي كل مرة كان ينهي المسألة بالاعتقاد بأن يسوع ليس هو المسيا وأن تلاميذه هم قوم متعصبون ومخدوعون . أما الآن فقد كلم المسيح شاول بصوته قائلا له : «شَاوُلُ ، شَاوُلُ ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي ؟» فسأله قائلاً : «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ ؟» فأجابه نفس الصوت قائلاً : «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْت تَضْطَهِدُهُ» . فالمسيح هنا يقرن نفسه بشعبه . إن شاول إذ اضطهد أتباع يسوع كان يوجه ضرباته المباشرة إلى رب السماء . وحين وجه إليهم اتهامات كاذبة وشهد ضدهم زوراً كان يتهم مخلص العالم ويشهد ضده .

إن الشك لم يتطرق إلى عقل شاول أن الذي كلمه هو يسوع الناصري المسيا الذي ظل الشعب ينتظرونه أمداً طويلاً ، تعزيةً لهم وفداءً . «فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ يَارَبُّ ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ» (عدد ٦) .

فبعدما انسحب ذلك المجد الباهر ونهض شاول عن الأرض وجد نفسه أعمى لا يبصر . لقد كان بهاء مجد المسيح أقوى من أن تحتمله العيون البشرية . فلما

انسحب ذلك النور اكتنف عينيه ظلام الليل المدلهم . وقد اعتقد أن هذا العمى هو قصاص من الله على اضطهاده القاسي لتلاميذ يسوع . فكان يتلمس طريقه في ذلك الظلام المخيف ، وإذ كان رفاقه خائفين ومتحيرين «اقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ» (عدد ٨) .

في صبيحة ذلك اليوم الكثير الوقائع كان شاول قد اقترب من دمشق وعوامل الرضا تملأ قلبه بسبب الثقة التي وضعها فيه رؤساء الكهنة . لقد وُكِّلت إليه مسؤوليات خطيرة ، وأُوفد لكي يروّج ويساعد على تقدم مطاليب الديانة اليهودية ومصالحها بكونه يوقف تقدم الإيمان الجديد وانتشاره في دمشق إن أمكن ذلك . وقد قرر شاول أن تُكلَّل مأموريته بالنجاح وكان يتطلع إلى الأمام بأمل وشوق إلى الاختبارات التي كان يتوقع أن يراها أمامه .

ولكن كم كان دخوله إلى المدينة مغايراً لآماله التي كانت تملأ عقله ، فإذ ضُرب بالعمى وصار عاجزاً ومعذباً من الألم والندامة وهو لا يعلم ما الذي كان مخبوءاً بين طيات الغيب من قصاص وعقوبة مزمعة أن تنقض عليه ، ذهب يطلب بيت التلميذ يهوذا حيث اعتكف فيه فكانت لديه فرصة كافية للتأمل والصلاة .

وإذ كان لمدى ثلاثة أيام : «لاَ يُبْصِرُ ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ» (عدد ٩) . إن أيام العذاب النفسي تلك كانت في اعتباره كسنين طويلة . ففي عذاب روحه تذكر مراراً وتكراراً الدور الذي مثله في استشهاد استفانوس . وبرعب عظيم جعل يفكر في جريمته التي ارتكبها حين سمح أن يسيطر عليه خبث الكهنة والرؤساء وتعصبهم ، حتى عندما أشرق وجه استفانوس بنور سماوي . ففي حزنه وانسحاق روحه تذكر المرات الكثيرة التي فيها أغمض عينيه وصم أذنيه عن أعظم البراهين المدهشة ، ليواصل اضطهاده للمؤمنين بيسوع الناصري .

فهذه الأيام ، أيام امتحان النفس واتضاع القلب ، قضاها شاول وهو معتكف في عزلته . إن المؤمنين إذ قد أرسل إليهم الإنذار عن نوايا شاول في مجيئه إلى دمشق كانوا يخشون لئلا يكون يمثل دوراً لكي يستطيع أن يخدعهم بسهولة ، فتباعدوا عنه ورفضوا أن يمنحوه عطفهم . ولم يكن هو يريد الالتجاء إلى اليهود غير المهتدين الذين كان قد اتفق معهم على اضطهاد المؤمنين ، لأنه علم أنهم لن يصغوا إلى روايته . وهكذا بدا كأنه قد حُرم من كل عطف بشري . ولكن رجاءه الوحيد كان في رحمة الله فالتجأ إليه في انسحاق قلبه .

وفي أثناء الساعات الطويلة التي كان فيها شاول منفرداً مع الله جعل يتذكر كثيراً من أقوال الكتاب المشيرة إلى المجيء الأول للمسيح . وبكل اهتمام جعل يتتبع النبوات بذاكرته التي نشطها اقتناعه الذي سيطر على عقله . وإذ كان يتأمل في معنى هذه النبوات اندهش من عمى إدراكه السابق وعمى اليهود عموماً الذي أدى بهم إلى رفض يسوع باعتباره المسيا الموعود به . أما الآن فقد وضح كل شيء أمام بصيرته المستنيرة . وقد عرف الآن أن تعصبه وعدم إيمانه فيما مضى كانا قد أظلما بصيرته الروحية ومنعاه من رؤية يسوع الناصري باعتباره المسيا الذي تنبأت عنه النبوات .

وإذ سلم شاول نفسه وخضع بالتمام لقوة تبكيت الروح القدس رأى أخطاء حياته واعترف بمطاليب شريعة الله البعيدة المدى . فذاك الذي كان فريسياً متكبراً واثقاً في التبرر بأعماله الصالحة انحنى وسجد الآن أمام الله باتضاع وبساطة ، كطفل صغير ، مقراً بعدم استحقاقه وتوسل طالباً أن يكون له نصيب في استحقاقات المخلص المصلوب والمقام . وقد تاق شاول لأن يدخل في شركة وتوافق كاملين مع الآب والابن ، ثم قدم ابتهالات حارة أمام عرش النعمة لأنه كان مشتاقاً جداً إلى الغفران والقبول لدى الله .

ولم تكن صلوات ذلك الفريسي التائب باطلة . لقد غيرت النعمة الإلهية أفكاره الخفية وبواعثه ، وقد صارت قواه السامية في حالة وفاق مع مقاصد الله الأزلية . لقد صار المسيح وبره أعظم وأسمى من كل العالم في نظر شاول .

إن اهتداء شاول هو برهان مدهش لقدرة الروح القدس على تبكيت الناس على الخطية . لقد كان قبلاً يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن يسوع الناصري ازدرى بشريعة الله وعلم تلاميذه أنّ لا تأثير لها ولا قوة . ولكن شاول بعدما اهتدى إلى الله اعترف بأن يسوع قد أتى إلى العالم لأجل الغاية الصريحة التي هي تزكية شريعة أبيه . وقد اقتنع بأن يسوع هو مبدع كل نظام الذبائح اليهودية . ورأى أنه عند الصلب التقى الرمز بالمرموز إليه ، وأن يسوع قد تمم نبوات العهد القديم الخاصة بفادي العالم .

في قصة اهتداء شاول توجد بعض المبادئ الهامة التي ينبغي لنا أن نتذكرها دائما . فشاول أوقف في حضرة المسيح مباشرة وجهاً لوجه . كان هو الشخص الذي قصد المسيح أن يقوم بعمل هام جداً ، والذي سيكون «إِنَاءً مُخْتَاراً» له ، ومع ذلك فالرب لم يخبره لأول وهلة بالعمل المعين له . لقد أوقفه عن السير في طريقه وبكته على خطيته ، ولكن عندما سأل شاول قائلاً : «يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ ؟» جعل المخلص ذلك اليهودي السائل يتصل بكنيسته حيث يمكنه أن يحصل على معرفة مشيئة الله بالنسبة إليه .

ثم إن النور العجيب الذي بدد ظلمات قلب شاول كان من عمل الرب ، ولكن كان يوجد أيضاً عمل يعمل لأجله يقوم به التلاميذ . لقد قام المسيح بعملية الإعلان والتبكيت ، والآن فها هو ذلك التائب قد صار في حالة فيها يمكنه أن يتعلم من أولئك الذين قد أقامهم الله لتعليم حقه .

وإذ كان شاول يواظب على الصلاة والابتهال إلى الله وهو معتكف في بيت يهوذا ظهر الرب في رؤيا «لتلميذ في دمشق اسمه حنانيا» ليخبره أن شاول الطرسوسي يصلى وفي حاجة إلى العون . قال له رسول السماء : «قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلاً طَرْسُوسِيًّا اسْمُهُ شَاوُلُ . لأَنَّهُ هُوَذَا يُصَلِّي . وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَا رَجُلاً اسْمُهُ حَنَانِيَّا دَاخِلاً وَوَاضِعًا يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُبْصِرَ» (عدد ١١،١٢) .

لم يكد حنانيا يصدق كلام الملاك لأن أنباء اضطهاد شاول المر لقديسي أورشليم انتشرت في كل مكان . فتجرأ حنانيا على الاعتراض والمحاجة قائلاً : «يَارَبُّ ، قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هذَا الرَّجُلِ ، كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ . وَههُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ» (عدد ١٣،١٤) . ولكن الأمر كان قاطعاً : «اذْهَبْ ! لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» (عدد ١٥) .

فامتثالاً لتوجيهات الملاك خرج حنانيا يطلب الرجل الذي كان منذ عهد قريب ينفث تهديداً وقتلاً على كل من كانوا يؤمنون باسم يسوع ، وإذ وضع يديه على رأس ذلك المتألم التائب قال له : «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ ، قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ ، لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ .

فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ ، فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ ، وَقَامَ وَاعْتَمَدَ» (عدد ١٧،١٨) . وهكذا أعلن يسوع مصادقته على سلطة كنيسته المنظمة ، وجعل شاول على اتصال بوسائله المعينة وخدامه المختارين على الأرض . لقد صارت للمسيح كنيسة تمثله على الأرض وكان لها عمل هو توجيه الخاطئ التائب في طريق الحياة .

إن كثيرين يرون أنهم مسئولون أمام المسيح وحده عن النور والاختبار الــذي لهم ، وأنهم مستقلون عن تلاميذه المعترف بهم على الأرض . إن يســـوع هــو صديق الخطاة وقلبه يرثي لأحزانهم وشقائهم ، ومع أنه له سلطان فـــي الســماء وعلى الأرض ، إلا أنه يحترم الخدام الذين أقامهم لأجل إنارة الناس وخلاصهم . فهو يوجه الخطاة إلى الكنيسة التي قد جعلها أداة لتوصيل النور إلى العالم .

عندما ظهر المسيح لشاول الذي كان يضطهده ، وهو مكتنف بعمى الضـــلال والتعصب ، فقد وضعه على اتصال بالكنيسة التي هي نور العالم . وفـــي هــذه الحالة نجد أن حنانيا يمثل المسيح كما يمثل خدام المسيح على الأرض المعينيــن لينوبوا عنه في العمل . فحنانيا الذي ناب عن المسيح لمس عينى شاول لكي ينال البصر ، وكنائب عن المسيح يضع عليه يديه وإذ يصلي باسم المسيح يقبل شاول الروح القدس . فكل شيء قد تم باسم المسيح وسلطانه . فالمســـيح هــو النبــع والكنيسة هى قناة الاتصال .

الفصل الثالث عشر

أيام الاستعداد

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٩: ١٩-٣٠) .

بعدما اعتمد الرسول بولس تناول طعاماً : «وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلاَمِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّامًا . وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ» (عدد ١٩، ٢) فبكل جرأة أعلن أن يسوع الناصري هو المسيا المنتظر الذي «مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ ، وَأَنَّهُ دُفِنَ ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» وبعد ذلك رآه الاثنا عشر وآخرون . ثم أضاف الرسول بولس قائلاً : «وَآخِرَ الْكُلِّ - كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ - ظَهَرَ لِي أَنَا» . كانت حججه التي اقتبسها من النبوات قاطعة . وقد صحبت جهوده قوة الله بشكل ملحوظ بحيث ارتبك اليهود واستغلق عليهم الكلام فلم يجدوا جواباً (١ كورنثوس ١٥: ٣،٤،٨) .

وقد أدهشت أنباء اهتداء بولس جميع اليهود إذ كانت مفاجأة عظيمة لهم . فذاك الذي سافر إلى دمشق «بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ» (أعمال ٢٦: ١٢) ليقبض على المؤمنين ويحاكمهم أخذ يكرز الآن بإنجيل المخلص المصلوب والمقام مشدداً أيادى أولئك الذين كانوا يكرزون به ، وكان دائباً على الإتيان بمهتدين جدد إلى الإيمان الذي كان قبلاً يقاومه مقاومة مريرة .

كان معروفاً عن الرسول بولس من قبل أنه المدافع الغيور عن الدين اليهودي وأنه المضطهد الذي لا يكل لاتباع يسوع . وإذ كان جسوراً ومعتزاً بنفسه ومثابراً فإن مواهبه وتربيته أعانته على أن يخدم بكل قوة في كافة المجالات . كان يمكنه أن يحاج ويجادل بوضوح منقطع النظير ، وبتهكمه اللاذع كان يستطيع أن يوقف خصمه في موقف لا يحسد عليه . والآن فإن اليهود يرون هذا الشاب الذي كانوا يعلقون عليه الآمال الكبار ينضم إلى أولئك الذين كان قبلاً يضطهدهم وبلا خوف يكرز باسم يسوع .

إن القائد الذي يقتل في المعركة يخسره جيشه ولكن موته لا يزيد من قوة العدو . ولكن عندما ينضم رجل شهير إلى الجيش المعادى فإنه فضلاً عن كون الفريق الأول الذي كان ينتمي إليه تضيع عليه خدماته ، فالذين ينضم إليهم يحصلون على ميزة حاسمة . إن شاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشق كان يمكن للرب بكل سهولة أن يضربه الضربة القاضية ، وبذلك كانت جحافل الاضطهاد تخسر قوة عظيمة . ولكن الله في عنايته فضلاً عن إبقائه على حياة شاول فقد جدده وخلصه وبذلك نقل الخصم من جانب العدو إلى جانب المسيح . فإذ كان بولس خطيباً فصيحاً وناقداً قوي الحجة فإنه بعزمه الصارم الذي لا يفل وشجاعته وبسالته كانت له المؤهلات نفسها التي كانت تفتقر إليها الكنيسة الأولى .

وإذ كان بولس يكرز بالمسيح في دمشق بهت الذين كانوا يسمعونه وقالوا : «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهذَا الاسْمِ ؟ وَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا لِهذَا لِيَسُوقَهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ» (عدد ٢١) وقد أعلن بولس أن التغيير الذي طرأ على معتقده لم يكن بسبب أية نزوة أو تعصب ولكن ذلك حدث بقوة برهان قاطع لا يقهر . وفي كرزاته بالإنجيل حاول إيضاح

النبوات التي تشير إلى المجيء الأول للمسيح . وقد برهن بشكل قاطع أن هذه النبوات قد تمت في يسوع الناصري . وقد كان أساس إيمانه كلمة النبوة الثابتة . وإذ ظل الرسول بولس يناشد سامعيه المدهوشين : «أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (أعمال ٢٦: ٢٠) ، «كَانَ يَزْدَادُ قُوَّةً ، وَيُحَيِّرُ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ فِي دِمَشْقَ مُحَقِّقًا أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ» (عدد ٢٢) . ولكن كثيرين منهم قسوا قلوبهم ورفضوا الاستجابة لرسالته ، وسرعان ما انقلبت دهشتهم من اهتدائه إلى عداوة شديدة كتلك التي أظهروها ليسوع .

ولقد اشتدت وطأة المقاومة بحيث لم يسمح للرسول بولس أن يواصل عمله في دمشق . وقد أمره رسول سماوي بأن يرحل عن المدينة إلى حين ، ولذلك فقد «انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ» (غلاطية ١: ١٧) حيث وجد معتكفاً أميناً .

هنا وهو في وحدته وعزلته في البرية وجد الرسول بولس متسعاً من الوقت للدرس والتأمل الهادئ . وفي هدوء راجع اختباره الماضي وتأكد من أنه قد تاب توبة صادقة . لقد طلب الله بكل قلبه ولم يسترح حتى تأكد أن توبته قد قبلت وأن خطاياه قد غفرت . كان يتوق إلى التأكيد بأن يسوع سيكون معه في خدمته القادمة . لقد أفرغ نفسه من التعصب والتقليد الذي كان قد طبع حياته إلى ذلك الحين . وقبل التعليم من نبع الحق . وقد تحادث يسوع معه وثبته في الإيمان مانحاً إياه نصيباً كبيراً من الحكمة والنعمة .

عندما يكون فكر الإنسان في شركة واتصال مع فكر الله ، المحدود مع غير المحدود ، فإن أثر ذلك على الجسد والعقل والنفس يتجاوز كل الحدود . وفي مثل هذه الشركة يوجد أسمى تهذيب . فهذه هي وسيلة الله لنمو الإنسان . «تَعَرَّفْ بِهِ» (أيوب ٢٢: ٢١) ، هذه هي رسالته لبنى الإنسان .

إن المأمورية المقدسة التي قدمت للرسول بولس عندما ذهب حنانيا لزيارته استقرت على قلبه بثقلها المتزايد . فعندما فتح عينيه استجابةً للكلمات : «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ ، أَبْصِرْ» ، ولأول مرة شاهد وجه هذا الرجل التقي ، فإن حنانيا وهو مسوق بالروح القدس مال له «إِلهُ آبَائِنَا انْتَخَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ ، وَتُبْصِرَ الْبَارَّ ، وَتَسْمَعَ صَوْتًا مِنْ فَمِهِ . لأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَاهِدًا لِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ . وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى ؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ» (أعمال ٢٢: ١٤-١٦) .

كان هذا الكلام متوافقاً مع قول يسوع نفسه الذي عندما أوقف بولس عند حده وهو في طريقه إلى دمشق أعلن قائلاً له : «لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ ، مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦: ١٦-١٨) .

وإذ كان الرسول يردد هذه الأقوال متأملاً بها في قلبه أدرك بوضوح أشد معنى دعوته «رَسُولاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ» (١كورنثوس ١: ١) . إن دعوته قد أتت «لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ» (غلاطية ١: ١) . إن جسامة العمل العظيم الذي أمامه ساقته إلى الاستزادة من دراسة الكتب المقدسة حتى يستطيع أن يكرز بالإنجيل : «لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ» «بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ» (١كورنثوس ١: ٢،١٧: ٤،٥) .

وإذ فتش بولس الكتب عرف أنه مدى أجيال التاريخ: «لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ ، بَلِ اخْتَارَ اللهُ

جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ . وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ . وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ ، لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ» (١كورنثوس ١: ٢٦-٢٩) . وهكذا إذ نظر الرسول بولس إلى حكمة العالم في نور الصليب قال : «لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا ... إلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» (١كورنثوس ٢: ٢) .

إن بولس مدى حياته بعد ذلك لم يغب عن ناظريه قط نبع الحكمة والقوة . اسمعوه بعد ذلك بسنين يعلن قائلاً : «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ» (فيلبي ١: ٢١) ، «إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ ... لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ ، وَأُوجَدَ فِيهِ ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ . لأَعْرِفَهُ ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ» (فيلبي ٣: ٨-١٠) .

ومن العربية «رجع بولس الرسول إلى دمشق» وكان «يكرز بمجاهرة ... باسم يسوع» فإذ لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام حججه السديدة الحكيمة «تَشَاوَرَ الْيَهُودُ لِيَقْتُلُوهُ» (عدد ٢٣) . وكانوا يراقبون أبواب المدينة بيقظة واجتهاد نهاراً وليلاً ليقطعوا عليه طريق الهروب . فهذه الأزمة ساقت التلاميذ إلى أن يطلبوا الله باجتهاد وغيرة . وأخيراً «أَخَذَهُ التَّلاَمِيذُ لَيْلاً وَأَنْزَلُوهُ مِنَ السُّورِ مُدَلِّينَ إِيَّاهُ فِي سَلّ» (عدد ٢٥) .

وبعد هروبه من دمشق ذهب إلى أورشليم ، بعد انقضاء حوالي ثلاث سنين على اهتدائه . كان غرضه الرئيسي من تلك الزيارة كما قد أعلن هو بعد ذلك ، أن «يرى بطرس» (غلاطية ١: ١٧) . وحالما وصل إلى المدينة التي كان معروفاً عنه فيها أنه «شاول المضطهد» ، فقد «حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلاَمِيذِ ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ» (عدد ٢٦) . لقد كان من الصعب عليهم

أن يصدقوا أن مثل ذلك الفريسي المتعصب والذي بذل كل ما في طاقته لملاشاة الكنيسة يمكن أن يكون تابعاً مخلصاً ليسوع . «فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ» (عدد ٢٧) .

فإذ سمع التلاميذ هذا قبلوه كواحد منهم . وحينئذ توافر لديهم البرهان على صدق اختباره المسيحي . فذاك الذي كان مزمعاً أن يصير رسولا للأمم في المستقبل كان الآن في المدينة التي عاش فيها زملاؤه الأولون ، وكان الرسول بولس يتوق لأن يوضح لقادة اليهود النبوات الخاصة بالمسيا والتي تمت بمجيء المخلص وكان موقناً من أن معلمي الشعب هؤلاء الذين كان قبلاً يعرفهم جيداً ، مخلصون وأمناء كما كان هو . ولكنه كان ممعناً في التفاؤل فأساء تقدير روح إخوته اليهود . وإذ كان يؤمل أنهم سيهتدون إلى الإيمان سريعاً كانت خيبته مريرة . ومع أنه كان «يُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَكَانَ يُخَاطِبُ وَيُبَاحِثُ الْيُونَانِيِّينَ» (عدد ٢٨،٢٩) ، فإن من كانوا رؤساء الكنيسة اليهودية رفضوا الإيمان «فَحَاوَلُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ» (عدد ٢٩) . فامتلأ قلبه حزناً . كان على أتم استعداد لأن يسلم حياته للموت لو أمكنه بهذه الوسيلة أن يجعل بعضاً منهم يقبلون إلى معرفة الحق . وبكل خزي وخجل كان يفكر في الدور الذي قام به عند استشهاد استفانوس ، والآن هاهو في جزعه ومحاولته أن يمحو اللطخة التي لصقت بذاك الذي قد اتهم ظلما فقد حاول أن يزكي ويبرر الحق الذي في سبيله أسلم استفانوس روحه .

وإذ كان بولس مثقل القلب حزناً بسبب قساوة أولئك الذين رفضوا الإيمان ، ظل يصلي في الهيكل ، كما قد شهد هو بذلك فيما بعد ، وإذا به قد حصل في

غيبه ، ومن ثم ظهر أمامه رسول سماوى وقال له : «أَسْرِعْ ! وَاخْرُجْ عَاجِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ ، لأَنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ شَهَادَتَكَ عَنِّي» (أعمال ٢٢: ١٨) .

كان بولس يميل للبقاء في أورشليم حيث كان يستطع مواجهة المقاومة . كان يعتبر الهروب جبناً لو أمكنه بواسطة بقائه أن يقنع بعض اليهود العنيدين بحق رسالة الإنجيل ، حتى ولو كلفه البقاء حياته . وهكذا أجاب قائلاً : «يَارَبُّ ، هُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي كُنْتُ أَحْبِسُ وَأَضْرِبُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِكَ . وَحِينَ سُفِكَ دَمُ اسْتِفَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِفًا وَرَاضِيًا بِقَتْلِهِ ، وَحَافِظًا ثِيَابَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ» (أعمال ٢٢: ١٩-٢١) . ولكن غرض الله لم يتفق مع تعريض حياة خادمه للخطر بلا داع . فأجابه رسول السماء قائلاً : «اذْهَبْ ، فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا» (أعمال ٢٢: ١٩-٢١) .

فإذ علم الأخوة بهذه الرؤيا أسرعوا بتمهيد سبيل هروبه سراً من أورشليم خيفة اغتياله : «أَحضَرُوهُ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَأَرْسَلُوهُ إِلَى طَرْسُوسَ» (عدد ٣٠) . وقد كان من نتائج رحيل بولس أن توقفت المقاومة والعنف من جانب اليهود إلى حين فكانت الكنيسة تنعم بفترة راحة في خلالها انضم إلى جماعة المؤمنين أناس كثيرون .

الفصل الرابع عشر

رجل يبحث عن الحق

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٩: ٣٢ ؛ ١١: ١٨) .

إن بطرس الرسول وهو يجول في البلاد خادماً وكارزاً زار المؤمنين في لدة . وفي هذه المدينة شفي إينياس الذي ظل ملازماً فراشه ثمانى سنين إذ كان مفلوجا . قال له الرسول : «يَا إِينِيَاسُ ، يَشْفِيكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ . قُمْ وَافْرُشْ لِنَفْسِكَ . فَقَامَ لِلْوَقْتِ . وَرَآهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ وَسَارُونَ ، الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ» (أعمال ٩: ٣٤،٣٥) .

أما يافا التي لم تكن تبعد كثيراً عن لدة فكانت تعيش فيها امرأة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة . فقد حببتها أعمالها الصالحة الكثيرة إلى قلوب الجميع . كانت طابيثا إحدى فضليات تلميذات يسوع وكانت حياتها ممتلئة بأعمال الحنان والحب والإحسان . كانت تعرف المحتاجين إلى الثياب المريحة والظامئين إلى الحب والعطف ، فكانت تقوم بخدمات مجانية للفقراء والمحزونين . وكانت أصابعها أمهر وأسرع في العمل من شقشقة لسانها .

«وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَّهَا مَرِضَتْ وَمَاتَتْ» (أعمال ٩: ٣٧) . وقد أحست كنيسة يافا بخسارتها الفادحة ، فإذ سمع التلاميذ هناك أن بطرس في لدة أرسلوا

إليه رسولين «يَطْلُبَانِ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَوَانَى عَنْ أَنْ يَجْتَازَ إِلَيْهِمْ . فَقَامَ بُطْرُسُ وَجَاءَ مَعَهُمَا . فَلَمَّا وَصَلَ صَعِدُوا بِهِ إِلَى الْعِلِّيَّةِ ، فَوَقَفَتْ لَدَيْهِ جَمِيعُ الأَرَامِلِ يَبْكِينَ وَيُرِينَ أَقْمِصَةً وَثِيَابًا مِمَّا كَانَتْ تَعْمَلُ غَزَالَةُ وَهِيَ مَعَهُنَّ» (أعمال ٩: ٣٨،٣٩) . فبالنظر إلى حياة الخدمة التي عاشتها غزالة فلا غرابة إذا كانت الأرامل ينحن ويبكين ويسكبن الدموع السخينة على جثمانها العديم الحياة .

وقد تأثر قلب الرسول بالعطف وهو يرى حزن أولئك النسوة . وحينئذٍ أمر بإخراج أولئك الصديقات الباكيات من العلية وجثا وقدم لله صلاة حارة كي يعيد إلى غزالة الحياة والصحة . ثم التفت إلى الجسد وقال : «يَا طَابِيثَا ، قُومِي فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا . وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ» (أعمال ٩: ٤٠) لقد كانت غزالة (طابيثا) ذات نفع عظيم للكنيسة . فرأى الله أنه من المناسب إعادتها من أرض العدو حتى تظل مهارتها ونشاطها بركة للآخرين ، وكي يتقوى ملكوت المسيح ويشتد بواسطة إظهار قدرته .

وإذ كان بطرس لا يزال في يافا استدعاه الله ليقدم رسالة الإنجيل إلى كرنيليوس في قيصرية ، وكان كرنيليوس هذا رومانياً وقائد مئة . وكان رجلاً غنياً كريم الخلق شريف النسب . وكان مركزه الاجتماعي محط ثقة وكرامة . ورغم أنه كان وثنياً بحكم مولده وتربيته وتهذيبه ، إلا أنه عن طريق اتصاله باليهود واحتكاكه بهم حصل على معرفة الإله الحقيقي وكان يعبده بإخلاص القلب مبرهناً على خواص إيمانه بالرفق بالمساكين . وقد اشتهر هذا الرجل في كل مكان بإحسانه ، كما أكسبته حياة البر التي عاشها شهرة حسنة وسيرة عطرة بين اليهود والأمم . وكان تأثيره سبب بركة لكل من عاشرهم . والسِّفْر المقدس الموحى به يصفه على أنه : «تَقِيٌّ وَخَائِفُ اللهِ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ ، يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ ، وَيُصَلِّي إِلَى اللهِ فِي كُلِّ حِينٍ» (أعمال ١٠: ٢) .

فإذ كان كرنيليوس يؤمن بالله على أنه خالق السماء والأرض كان يوقره ويعترف بسلطانه ويسأل مشورته في كل شؤون الحياة . لقد كان أميناً للرب في حياته البيتية وفي شؤون وظيفته وواجباتها . كما أنه أقام في بيته مذبحاً لله لأنه لم يكن يجرؤ على تنفيذ خططه أو الاضطلاع بمسؤولياته بدون معونة الله .

ومع أن كرنيليوس كان يؤمن بالنبوات وينتظر مجيء المسيا فإنه لم يكن يعرف شيئاً عن الإنجيل المعلن في حياة السيد المسيح وموته . لم يكن عضواً في الكنيسة اليهودية ، وقد نظر إليه اليهود على أنه وثني ونجس . ولكن نفس الساهر القدوس الذي قال عن ابراهيم «عرفته» عرف كرنيليوس أيضاً وأرسل إليه رسالة من السماء مباشرة . وقد ظهر الملاك لكرنيليوس فيما كان يصلي . فإذ سمع قائد المئة شخصاً يناديه باسمه داخله الخوف ، ومع ذلك فقد علم أن هذا الرسول قد أتاه من قبل الله ، فقال : «مَاذَا يَا سَيِّدُ ؟» فأجابه الملاك قائلاً : «صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعِدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ اللهِ . وَالآنَ أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالاً وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ . إِنَّهُ نَازِلٌ عِنْدَ سِمْعَانَ رَجُل دَبَّاغٍ بَيْتُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ» (أعمال ١٠: ٤-٦) .

إن دقة هذه التعليمات التي ذكرت فيها حتى حرفة الرجل الذي كان بطرس نازلاً عنده تبرهن على أن السماء عليمة بتاريخ وعمل الناس في كل مراكز الحياة . فالله عليم باختبار العامل الوضيع وعمله ، كما هو عليم باختبار وعمل الملك الجالس على عرشه .

«أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالاً وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ» وهكذا برهن الله على تقديره لخدمة الإنجيل ولكنيسته المنظمة . ولكن الملاك لم يفوض إليه بأن يخبر كرنيليوس برواية الصليب . ولكن رجلاً خاضعاً للضعفات والتجارب البشرية ، كما كان قائد المئة نفسه ، كان هو الشخص المعين ليبشره بالمخلص المصلوب والمقام .

إن الله لا يستخدم الملائكة الذين لم يسقطوا أبداً ليكونوا ممثليه بين الناس ، بل يستخدم أناساً تحت الآلام مثل أولئك الذين يطلبون تخليصهم . لقد اتخذ المسيح جسم إنسان ليتمكن من الوصول إلى البشرية . كانت هنالك حاجة إلى مخلص إلهي بشري ليجيء بالخلاص إلى العالم . وقد أوكل إلى الرجال والنساء بتلك المأمورية المقدسة ألا وهي تعريف الناس : «بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى» (أفسس ٣: ٨) .

إن الرب في حكمته يجعل الذين يطلبون الحق في صلة مع من يعرفونه من بني جنسهم . فخطة السماء هي أن الذين حصلوا على النور يقدمونه لمن يعيشون في الظلمة . إن البشرية إذ تحصل على قدرتها وأهليتها من نبع الحكمة تغدو الوسيلة الفعالة التي عن طريقها يؤثر الإنجيل بقوته المنيرة على العقل والقلب .

كان كرنيليوس مطيعاً للرؤيا بكل سرور . فعندما انطلق الملاك : «نَادَى اثْنَيْنِ مِنْ خُدَّامِهِ ، وَعَسْكَرِيًّا تَقِيًّا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُلاَزِمُونَهُ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى يَافَا» (أعمال ١٠: ٧،٨) .

إن الملاك بعدما تحدث مع كرنيليوس ذهب إلى بطرس في يافا . وكان بطرس في ذلك الوقت يصلي على سطح البيت ، ويخبرنا الكتاب قائلاً أنه «جَاعَ كَثِيرًا وَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ . وَبَيْنَمَا هُمْ يُهَيِّئُونَ لَهُ ، وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبَةٌ» (أعمال ١٠: ١٠) . فبطرس لم يكن جائعاً إلى الخبز الجسدي وحده ، فهو إذ أشرف من فوق السطح على مدينة يافا والقرى المجاورة لها كان يجوع إلى خلاص بني جنسه . كان يرغب رغبة حارة في أن يريهم من الكتب المقدسة النبوات التي تشير إلى آلام المسيح وموته .

في الرؤيا رأى بطرس «السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً ، وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ وَمُدَلاَةٍ عَلَى الأَرْضِ . وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ

وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ . وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ قُمْ يَا بُطْرُسُ ، اذْبَحْ وَكُلْ . فَقَالَ بُطْرُسُ كَلاَّ يَارَبُّ ! لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نَجِسًا . فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتٌ ثَانِيَةً مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ . وَكَانَ هذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ الإِنَاءُ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ» (عدد ١١-١٦) .

هذه الرؤيا انطوت على توبيخ وتعليم لبطرس . فقد كشفت له عن قصد الله- أنه بموت المسيح ينبغي أن يصير الأمم ورثة مع اليهود في بركات الخلاص . إلى ذلك الحين لم يكن أحد من التلاميذ قد كرز بالإنجيل للأمم . فحائط السياج المتوسط الذي قد هدمه موت المسيح كان لا يزال موجوداً في أذهانهم . ولذلك فقد قصروا خدماتهم على اليهود إذ كانوا يعتبرون أن الأمم محرومون من بركات الإنجيل . أما الآن فقد كان الرب يحاول أن يعلم بطرس مدى اتساع تدابيره التي تشمل العالم كله .

كان كثيرون من الأمم يصغون بكل انتباه إلى كرازة بطرس والرسل الآخرين ، وكثيرون من اليهود اليونانيين صاروا مؤمنين بالمسيح ، ولكن اهتداء كرنيليوس كان هو الأول في أهميته بين الأمم .

لقد حان الوقت الذي فيه تشرع كنيسة المسيح بالدخول في مظهر جديد من مظاهر العمل . فالباب الذي أغلقه كثيرون من المهتدين اليهود في وجه الأمم كان سيفتح الآن على مصراعيه . والذين قبلوا الإنجيل من الأمم كانوا سيعتبرون متساوين مع التلاميذ اليهود دون أن تكون بهم حاجة إلى ممارسة فريضة الختان .

فبأي حرص واهتمام عمل الرب للتغلب على التعصب ضد الأمم الذي كان متأصلاً وراسخاً في ذهن بطرس بواسطة تربيته اليهودية . فبرؤية الملاءة ومحتوياتها حاول الرب أن يحرر عقل الرسول من هذا التعصب ويعلمه الحق

الهام القاضي بأن السماء ليس فيها محاباة للوجـــوه ، وأن اليـــهودي والأممـــي كلاهما مكرمان في نظر الله ، وأنه في المسيح يمكن للوثنيين أن يصيروا شركاء في بركات الإنجيل وامتيازاته .

وإذ كان بطرس يفكر متأملاً في معنى الرؤيا وصل إلى يافا الرجال الموفدون من قبل كرنيليوس ووقفوا أمام البيت الذي كان فيه . فقال له الـــروح : «هُــوَذَا ثَلاَثَةُ رِجَال يَطْلُبُونَكَ . لكِنْ قُمْ وَانْزِلْ وَاذْهَبْ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَـــيْءٍ ، لأَنِّي أَنَا قَدْ أَرْسَلْتُهُمْ» (عدد ١٩،٢٠) .

وكان هذا أمراً صعب التنفيذ في نظر بطرس ، ولذلك فبكل نفور كان بطرس يخطو خطوة في أثر خطوة وهو يشرع في القيام بالواجب المفـــروض عليـــه ، ولكنه لم يكن يجرؤ على العصيان . «فَنَزَلَ بُطْرُسُ إِلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ أُرْسِـــلُوا إِلَيْه مِنْ قِبَلِ كَرْنِيلِيُوسَ ، وَقَالَ هَا أَنَا الَّذِي تَطْلُبُونَهُ . مَـــاهُوَ السَّـــبَبُ الَّـــذِي حَضَرْتُمْ لأَجْلِه ؟» فأخبروه عن مهمتهم الفريدة قـــائلين: «إِنَّ كَرْنِيلِيُـــوسَ قَـــائِدَ مِئَةٍ ، رَجُلاً بَارًّا وَخَائِفَ اللهِ وَمَشْهُودًا لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ الْيَهُودِ ، أُوحِـــيَ إِلَيْـــهِ بِمَلاَكٍ مُقَدَّسٍ أَنْ يَسْتَدْعِيَكَ إِلَى بَيْتِهِ وَيَسْمَعَ مِنْكَ كَلاَمًا» (عدد ٢١،٢٢) .

فامتثالاً للتعليمات التي كان قد تلقاها من الله في تلك الساعة وعدهم بطـــرس بالذهاب معهم . وفي صبيحة اليوم التالي انطلق معهم إلى قيصريـــة مصطحبـــاً معه ستة من إخوته . وكان لا بد من وجود شهود يشهدون عن كل ما سيقوله أو يفعله في أثناء زيارته للأمم ، لأن بطرس كان يعلم أنه لا بد سيدعى ليقدم حساباً عن مثل ذلك الانتهاك المباشر للتعاليم اليهودية .

وعندما دخل بطرس بيت ذلك الرجل الأممي لم يصافحه كرنيليوس على أنـــه إنسان عادي بل كمن تكرمه السماء وكمن أرسله إليه الله . من بين عادات أهـــل الشرق أن ينحني الإنسان أمام ملك أو أمير أو أحد الأحبار العظام ، كمـــا كـــان

على الأولاد أن ينحنوا أمام والديهم ، أما كرنيليوس فإذ غمره شعور بـــالاحترام والتوقير لمن قد أرسله إليه الله ليعلمه خرَّ عند قدمي الرسول وسجد له . فارتعب بطرس وأقام قائد المئة قائلاً له: «قُمْ ، أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ» (عدد ٢٦) .

عندما انطلق رسل كرنيليوس في مهمتهم لاستدعاء بطرس ، «وَقَـــدْ دَعَـــا أَنْسِبَاءَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ الأَقْرَبِينَ» (عدد ٢٤) لكي يســـمعوا هـــم أيضـــاً الكـــرازة بالإنجيل . فلما وصل بطرس وجد كثيرين مجتمعين وهم ينتظـــرون بلهفـــة للإصغاء إلى أقواله .

وخاطب بطرس أولئك المجتمعين أولاً عن عادة اليهود التي تحرم على رجـل يهودي أن يختلط بالأمميين في المجتمع ، وكيف أن هذا العمل ينطـــوي علـــى نجاسة طقسية . فقال لهم : «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ . وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُـــولَ عَـــنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ . فَلِذلِكَ جِئْتُ مِنْ دُونِ مُنَاقَضَةٍ إِذِ اسْتَدْعَيْتُمُونِي . فَأَسْتَخْبِرُكُمْ : لأَيِّ سَبَبٍ اسْتَدْعَيْتُمُونِي ؟» (عدد ٢٨،٢٩) .

حينئذ أخبره كرنيليوس باختباره وبكلمات الملاك ، وختم حديثـــه بـــالقول : «فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ حَالاً . وَأَنْتَ فَعَلْتَ حَسَنًا إِذْ جِئْتَ . وَالآنَ نَحْنُ جَمِيعًا حَـــاضِرُونَ أَمَامَ اللهِ لِنَسْمَعَ جَمِيعَ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللهُ» .

فقال بطرس: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ . بَلْ فِي كُـــلِّ أُمَّـــةٍ ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (عدد ٣٤،٣٥) .

بعد ذلك كرز بطرس بالمسيح أمام هؤلاء القوم الذين أصاخوا بآذانهم حتى لا تفوتهم أي كلمة . فتكلم عن حياة المسيح ومعجزاته وتسليمه وصلبـــه وقيامتـــه وصعوده وعمله في السماء كنائب وشفيع عن الإنسان . فإذ وجه بطرس أنظـــار

أولئك الحاضرين إلى يسوع باعتباره رجاء الخاطئ الوحيد فهم هو نفسه وأدرك إدراكاً كاملاً معنى الرؤيا التي كان قد رآها ، فاتقد قلبه بروح الحق الذي كان يقدمه لهم . وفجأة قوطع الكلام بحلول الروح القدس : «فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ . فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ ، لأَنَّ مَوْهِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضًا . لأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَيُعَظِّمُونَ اللهَ»

«حِينَئِذٍ أَجَابَ بُطْرُسُ أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لاَ يَعْتَمِدَ هؤُلاَءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا ؟ وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ» (عدد ٤٤-٤٨) .

وهكذا قدم الإنجيل إلى الذين كانوا غرباء وأجانب مما جعلهم مواطنين مع القديسين وأعضاء في بيت الله . إن اهتداء كرنيليوس وأهل بيته كان باكورة حصاد عظيم ومزمعاً أن يجمع إلى المخزن . ومن ذلك البيت أنجز عمل من أعمال النعمة الواسعة النطاق في تلك المدينة الوثنية .

واليوم لا يزال الله يبحث عن النفوس بين العظماء كما بين البسطاء . يوجد كثيرون أمثال كرنيليوس يرغب الرب في أن يربط بينهم وبين عمله في العالم . إن ميولهم وعواطفهم هي مع شعب الرب ولكن الروابط التي تربطهم بالعالم تشدهم إليه بكل قوة . إن وقوفهم إلى جانب المسيح يتطلب شجاعة أدبية . فينبغي بذل جهود خاصة مع هذه النفوس لأن هؤلاء الناس هم في خطر جسيم بسبب التزاماتهم وعلاقاتهم بمن حولهم .

إن الله يطلب عمالاً غيورين وُدَعاء يحملون رسالة الإنجيل إلى الطبقات الراقية . هنالك معجزات ينبغي أن تتم نحو تجديد الناس تجديداً حقيقياً- معجزات لا نشاهدها

في هذه الأيام . إن أكبر عظماء هذه الأرض ليسوا أبعد من أن تصل إليهم قـدرة الله صانعة المعجزات . فلو أن أولئك العاملين معه يحسنون انتهاز الفـرص ويـؤدون واجبهم بكل شجاعة وأمانة ، فالله سيهدي ويجدد الذين يحتلون مراكز تنطوي علـى مسؤوليات جسيمة والذين يتمتعون بالذكاء ، والنفوذ العظيـم . فكثـيرون سـيقبلون المبادئ الإلهية عن طريقة قوة الروح القدس . وإذ يهتدون إلى الحـق فسـيصيرون آلات في يد الله لمشاركة النور مع الآخرين سيما الجالسين في الظلمة . وسيشـعرون بمسئوليتهم العظيمة تجاه النفوس من بين أفراد هذه الطبقة المهملـة . وسيكرسـون الوقت والمال لعمل الرب فتضاف إلى الكنيسة كفاءة وقوة جديدتان .

إن كرنيليوس إذ كان مطيعاً للتعليمات التي قد تلقاها فقد وجـه الله الأحـداث بحيث أعطي له حق أعظم . فقد جاء رسول من مواطن السماء إلى قائد المئـة الروماني هذا ، وإلى بطرس كي يكون كرنيليوس على اتصال بذلـك الإنسـان الذي كان يستطيع أن يقوده إلى نور أعظم وأكمل .

كثيرون في عالمنا هذا هم أقرب إلى ملكوت الله مما نظن . ففـي عـالم الخطية المظلم هذا هنالك خاصة للرب (جواهر ثمينة) وسيرشد رسله إليهم . وفي كل مكان يوجد من سيقفون إلى جانب المسيح . وكثـيرون سـيقدرون حكمه الله فوق كل ميزة أرضية وسيصونون حاملي النـور الأمنـاء . فـإذ تحصرهم محبة المسيح يقنعون الآخرين بالمجيء إليه .

وعندما سمع الإخوة الذين في اليهودية أن بطرس قد ذهب إلى بيت رجـل أممي وكرز للمجتمعين هناك دهشوا واغتاظوا . وقد باتوا يخشون أن يكـون تصرفه هذا الذي بدا لهم أنه ينطوي على كثير من الجرأة ، معطلاً لتعليمـه . فعندما رأوا بطرس بعد ذلك جعلوا يوجهون إليه ألفاظ اللوم القاسية قـائلين : «إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَال ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ» (أعمال ١١: ٣) .

وقد بسط بطرس أمامهم المسألة كلها . فحدثهم عن اختباره في أمــر الرؤيــا التي رآها وقال أنها كانت إنذارا له حتى لا يعود فيمــا بعــد يراعــى الفــروق الطقسية الخاصة بالختان والغرلة ، ولا أن ينظر إلى الأمم على أنهم نجســون . وأخبرهم عن الأمر الذي صدر إليه بأن يذهب إلى الأمم ، وعن مجــيء رســل قائد المئة ، وعن سفره إلى قيصرية ومقابلته لكرنيليوس . وأخبرهم عن حديثــه مع قائد المئة الذي فيه أخبره كرنيليوس عن الرؤيا التي أمر باستدعاء بطــرس بناء عليها .

وإذ كان بطرس يسرد عليهم اختباره قال : «فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ ، حَلَّ الــرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضًا فِي الْبُدَاءَةِ . فَتَذَكَّرْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَــالَ إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ . فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضًا بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، فَمَنْ أَنَا ؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ ؟» (أعمال ١١:١٥-١٧) .

فإذ سمع الأخوة هذا التقرير سكتوا وإذ اقتنعوا بأن تصرف بطرس كان إتماماً مباشراً لتدبير الله وأن تعصبهم وانطواءهم يناقضــان روح الإنجيــل مناقضــة قاطعة ، كانوا يمجدون الله قائلين : «إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَــاةِ» (أعمال ١١: ١٨) .

وهكذا بدون جدال ، نُقض سياج التعصب ، والاعتزال والانطواء والموانــع التي ظلت راسخة بحكم العادة مدى عصور طويلة تُركت واندثــرت ، وفتحــت الطريق للكرازة بالإنجيل بين الأمم .

الفصل الخامس عشر

النجاة من السجن

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٢: ١-٢٣) .

«وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيئَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ» (عدد ١) .

وفي ذلك الحين كانت إدارة اليهودية تحت سلطان هيرودس أغريباس وكان هذا خاضعاً لكلوديوس الامبراطور الروماني . كما كان هيرودس أيضاً والياً على الجليل . وكان يجاهر باهتدائه إلى الإيمان اليهودي وكان حسب الظاهر غيوراً جداً في حفظ طقوس الشريعة اليهودية . وإذ كان يحاول أن يخطب ود اليهود ويكتسب رضاهم ، آملاً أن هذا سيجعله يحتفظ بوظائفه وألقاب الشرف التي له ، بدأ في تنفيذ رغباتهم باضطهاد كنيسة المسيح ، مدمراً بيوت المؤمنين ومفسداً أمتعتهم وملقياً في السجن بكبار أعضاء الكنيسة . فطرح يعقوب أخا يوحنا في السجن ثم أرسل جلاداً فقتله بالسيف تماماً كما فعل هيرودس آخر من قبله ، بقطع رأس النبي يوحنا المعمدان . وإذ رأى أن اليهود قد سروا كثيراً بتلك الجهود عاد فقبض على بطرس وألقى به في غياهب السجن .

وقد ارتكبت أعمال القسوة والوحشية هذه في أثناء عيد الفصح . ففيما كان اليهود يحتفلون بذكر نجاتهم من مصر ويتظاهرون بالغيرة على شريعة الله كانوا

في الوقت ذاته يتعدون على كل مبدأ من مبادئ تلك الشريعة باضطهادهم وقتلهم للمؤمنين بالمسيح .

وقد أحدث موت يعقوب حزناً وذعراً شديدين بين المؤمنين . وعندما طرح بطرس أيضاً في السجن عكفت الكنيسة كلها على الصوم والصلاة .

وقد صفق اليهود لما قام به هيرودوس في قتل يعقوب ، وإن يكن بعضهم قد تذمروا واشتكوا لكون القتل قد تم في خفية ، قائلين أنه لو عمل ذلك على ملأ من الشعب لكان كفيلاً بأن يلقي الرعب في قلوب المؤمنين ومن يعطفون عليهم . فلأجل ذلك ألقى هيرودس بطرس في السجن مزمعاً أن يشبع نهم الشعب إلى رؤية أعمال القسوة بقتل بطرس جهاراً . ولكن البعض اقترحوا أن إخراج كبير الرسل هذا والرجل المحنك بينهم ليقتل أمام كل الشعب المجتمع في أورشليم لإحياء العيد لن يكون مأمون العاقبة ، وكان يخشى أن يثير منظره وهو خارج ليُقتل ، عطف الشعب .

وقد كان الكهنة والرؤساء أيضاً يخشون أن يلقي بطرس خطاباً من خطاباته القوية التي سبق أن أيقظت الشعب لدراسة حياة يسوع وصفاته– تلك الخطابات التي لم يستطيعوا هم مع قوة حججهم أن يناقضوها أو يفندوها . إن غيرة بطرس في الدفاع عن دعوى المسيح قادت كثيرين للوقوف إلى جانب الإنجيل ، فبات الرؤساء يخشون أنه إذا أتيحت له الفرصة ليدافع عن عقيدته أمام الجماهير الذين قد أتوا إلى المدينة للعبادة فإنهم سيطلبون من الملك إطلاق سراح بطرس .

وفي حين أُرجئ قتل بطرس إلى ما بعد الفصح ، لأسباب وحجج مختلفة ، فإن أعضاء الكنيسة كان لديهم متسع من الوقت لفحص قلوبهم والصلاة الحارة . كانوا يصلون لأجله بلا انقطاع لأنهم أحسوا أنهم لا يستطيعون الاستغناء عنه في

قضية الحق . وتحققوا من أنهم وصلوا إلى الحد الذي فيه ستدمر كنيسة المسيح وتتلاشى ، ما لم يقدم الرب لهم عوناً خاصاً .

وفي أثناء ذلك كان العابدون من كل أمة يقصدون الهيكل المكرس لعبادة الله . فإذ كان يتوهج بالذهب والأحجار الكريمة كان مشهدا من مشاهد الجمال والعظمة . ولكن الله لم يعد يوجد في هذا القصر الجميل . إن إسرائيل كأمة كانت قد أفلتت نفسها من يد الله . وعندما نظر المسيح لآخر مرة إلى ما داخل الهيكل ، قرب انقضاء خدمته على الأرض ، قال : «هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا» (متى ٢٣: ٣٨) . كان قبل ذلك يدعو الهيكل بيت أبيه ، ولكن إذ خرج ابن الله من ذلك البيت فقد انسحب حضور الله إلى الأبد من الهيكل المبني لمجده . أخيراً حدد اليوم الذي فيه قتل بطرس ، ومع ذلك فقد كانت صلوات المؤمنين تصعد إلى السماء بلا انقطاع . وبينما كانوا يستجمعون كل نشاطهم وعواطفهم في صلوات حارة في طلب العون ، كانت ملائكة السماء تحرس الرسول السجين .

وإذ تذكر هيرودس المرات الماضية التي فيها نجا الرسل من السجن ، أعد هذه المرة احتياطات مشددة مضاعفة . فلكي يسد على بطرس كل منافذ النجاة ، ولكي لا يبقى لهروبه أي إمكانية وضعه تحت حراسة أربعة من العسكر (١٦ جندياً) كانوا يتناوبون حراسته نهاراً وليلاً . وفي زنزانته داخل السجن وضع بطرس بين عسكريين وكان مقيداً بسلسلتين كل منهما كانت مثبتة في أحد العسكريين . ولم يكن يستطيع أن يبدي حراكاً بدون علمهما . فإذ كانت أبواب السجن موصدة بكل إحكام وأمامها الحراس الأشداء فقد انقطع كل أمل في النجاة أو الهروب بوسائل بشرية . ولكن أقصى درجات الشدة والخطورة التي يقع فيها الإنسان ، هي فرص الله السانحة .

كان بطرس سجيناً في زنزانة منقورة في الصخر وكانت أبوابها موصدة بكل إحكام وحرص وعناية ، وكان الجنود الذين يتولون الحراسة مسئولين عن بقاء السجين بين جدران زنزانته . ولكن الحرس الروماني والمتاريس والمزاليج التي قضت على كل أمل في المعونة البشرية ، كانت مزمعة أن تثبت انتصار الله في نجاة بطرس . كان هيرودس يرفع يده ضد القدير وكان سيصاب بهزيمة ماحقة . إن الله إذ أبرز قدرته كان مزمعا أن ينقذ تلك الحياة الثمينة العزيزة التي كان اليهود يتآمرون على اهلاكها .

كانت تلك هي الليلة الأخيرة قبل تنفيذ حكم الاعدام المقترح . ولكن ملاكاً قوياً يرسل من السماء لإنقاذ بطرس . فتنفتح أمامه الأبواب القوية التي كان قديس الله محبوساً خلفها ، تفتح دون مساعدة بشرية . ويمر من خلالها ملاك الله العلي ، ثم تغلق تلك الأبواب من خلفه دون أدنى ضجة . فإذ يدخل الزنزانة يجد بطرس نائماً نوم الاطمئنان الناشئ عن الثقة الكاملة .

وها هو النور المحيط بالملاك يملأ الزنزانة ولكن ذلك لا يوقظ الرسول . فهو لم يستيقظ حتى أحس بلمسة يد الملاك وسمع صوته قائلاً: «قُمْ عَاجِلاً» (عدد ٧) . فإذ يستيقظ يرى غرفته وقد غمرها نور السماء وملاكاً محاطاً بمجد عظيم واقفاً قبالته . فبحركة آلية يطيع بطرس الأمر الصادر إليه ، وإذ ينهض رافعاً يديه يحس إحساساً غامضاً بأن السلسلتين قد سقطتا من يديه .

ومرة أخرى يأمره صوت الرسول السماوي قائلاً : «تَمَنْطَقْ وَالْبَسْ نَعْلَيْكَ» . ومرة أخرى ينصاع بطرس للأمر بطريقة آلية مثبتا نظراته المتسائلة في زائره وهو يظن أنه يحلم أو يرى رؤيا . ومرة أخرى يأمره الملاك قائلاً : «الْبَسْ رِدَاءَكَ وَاتْبَعْنِي» (عدد ٨) . فيتحرك صوب الباب يتبعه بطرس الذي كان عادة ثرثاراً أما الآن فقد عقدت الدهشة لسانه . فيتجاوزان

الحرس ويصلان إلى الباب الموصد بمزاليج ثقيلة والذي ينفتح لهما من ذاته ثم يغلق ثانية في الحال بينما كان الحراس في الداخل والخارج يقفون في أماكن حراستهم بدون أدنى حركة .

وبعد ذلك يصلان إلى الباب الثاني الذي عليه أيضاً حراس من الداخل والخارج . فينفتح لهما كما انفتح الأول بدون صرير أو ضوضاء فيمران عبره بلا ضجة ، وبنفس الطريقة يجوزان من خلال الباب الثالث ومن ثم يجدان نفسيهما في الشارع الخارجي . لم تسمع كلمة ولم يحس أحد بوقع أقدامهما . فيتقدمه الملاك يحيط به نور يبهر الأنظار ، أما بطرس الذي استولت عليه الدهشة والحيرة فكان لا يزال يعتقد أنه يحلم وهو يسير تابعاً منقذه . وهكذا يخترقان شارعاً ، وحينئذ فإن الملاك وقد أنجز مهمته ، اختفى فجأة .

اختفى النور السماوي فأحس بطرس بالظلام الدامس من حوله ، ولكن عندما اعتادت عيناه على الظلام خفت حلوكته تدريجاً ووجد بطرس نفسه وحيداً في ذلك الشارع الساكن ونسيم الليل البارد يداعب وجهه . لقد تحقق لديه الآن أنه حر في حي من أحياء المدينة مألوف لديه . لقد كان يعرف ذلك المكان معرفة جيدة إذ كثيراً ما كان يزوره ، وكان ينتظر أنه سيمر فيه في الغد لآخر مرة إذ كان سيساق للإعدام .

حاول بطرس أن يسترجع إلى ذاكرته حوادث اللحظات الأخيرة . فتذكر أنه كان قد نام وهو موثق بين العسكريين بعدما خلع نعليه وثيابه الخارجية . فجعل يتحسس جسمه الآن فوجد أنه لابس كل ملابسه وأنه متمنطق . ويداه المتورمتان من أثر الحديد القاسي الذي كان فيهما ، تحررتا الآن من القيود . وقد تحقق من أن حريته لم تكن خداعاً أو تضليلاً ، لا حلماً ولا رؤيا بل حقيقة واقعة مباركة .

في صبيحة اليوم التالي كان مزمعا أن يساق إلى المـــوت ، ولكـــن ، هـــوذا الملاك ينقذه من السجن والموت : «فَقَالَ بُطْرُسُ ، وَهُوَ قَدْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ الآنَ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ الرَّبَّ أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَأَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ هِيرُودُسَ ، وَمِنْ كُلِّ انْتِظَارِ شَعْبِ الْيَهُودِ» (عدد ١١) .

ففي الحال شق الرسول طريقه منطلقاً إلى البيت الذي كان إخوتــــه فـــي الرب مجتمعين فيه حيث كانوا في تلك اللحظة عاكفين على الصلاة الحـــارة لأجله : «فَلَمَّا قَرَعَ بُطْرُسُ بَابَ الدِّهْلِيزِ جَاءَتْ جَارِيَةٌ اسْـمُهَا رَوْدَا لِتَسْـمَعَ . فَلَمَّا عَرَفَتْ صَوْتَ بُطْرُسَ لَمْ تَفْتَحِ الْبَابَ مِنَ الْفَرَحِ ، بَلْ رَكَضَتْ إِلَى دَاخِـــل وَأَخْبَرَتْ أَنَّ بُطْرُسَ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ . فَقَالُوا لَهَا أَنْت تَــهْذِينَ . وَأَمَّـا هِـــيَ فَكَانَتْ تُؤَكِّدُ أَنَّ هكَذَا هُوَ . فَقَالُوا إِنَّهُ مَلاَكُهُ . وَأَمَّا بُطْرُسُ فَلَبِثَ يَقْرَعُ . فَلَمَّـا فَتَحُوا وَرَأَوْهُ انْدَهَشُوا . فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ لِيَسْكُتُوا ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْـــفَ أَخْرَجَـهُ الرَّبُّ مِنَ السِّجْنِ» . ثم أن بطرس «خَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ» (عـــدد ١٤-١٧) . وقد امتلأت قلوب كل المؤمنين فرحاً وامتلأت أفواههم ترنماً وتسبيحاً لأن الله قد سمع لهم واستجاب صلواتهم وأنقذ بطرس من يـــدي هـــيرودس . وفي الصباح اجتمع حشد كبير من الناس ليشهدوا مقتل الرســـول . فأرســـل هيرودس ضباطاً إلى السجن لإحضار بطرس الذي كان ينبغي إحضاره فـــي عرض كبير للأسلحة والحراس ، ليس فقط ليضمن عدم إفلاته وإنما أيضـــاً لكي يلقي الرعب في قلوب كل من يعطفون عليه ليظهر قدرته وسلطانه .

وعندما اكتشف الحراس الواقفون أمام الباب أن بطرس قد هــــرب اســـتولى عليهم الرعب . كان قد تقرر بكل وضوح بأن حياتـــهم ســـتكون رهنـــاً بحيـــاة أسيرهم ، ولأجل هذا كانوا ساهرين ويقظين . فعندما جـــاء الضبـــاط يطلبـــون

بطرس كان الحراس لا يزالون على باب السجن وكانت الأقفال والعوارض مثبتة في أماكنها وكانت السلاسل في يدي الجنديين أما السجين فكان قد مضى .

وعندما بلغ خبر هروب بطرس مسامع هـــيرودس اهتـــاج وغضـــب أشـــد الغضب . وإذ اتهم حراس السجن بعدم الأمانة أمر بقتلهم . لقد عرف هــيرودس أن يداً بشرية لم تكن هي التي أنقذت بطرس ولكنه أصر على عدم الاعـــتراف بأن قوة إلهية أحبطت أغراضه ووقف في جرأة يتحدى الله .

وبعدما نجا بطرس من السجن بوقت قصير ذهب هيرودس إلـــى قيصريـــة . وإذ كان هناك أقام احتفالاً عظيماً وكان قصده من ذلك أن يثير إعجاب الشـــعب ويظفر باستحسانهم . وقد حضر إلى هذا المهرجان طلاب السرور والملذات مـن كل الأرجاء وكانت هنالك ولائم خمر كثيرة وعربدة . وقد ظهر هيرودس أمـــام الشعب في أبهة وعظمة وفخامة وجلال وجعل يلقى عليهم خطاباً بليغاً . وإذ كان متسربلاً بحلة تتألق بالذهب والفضة انعكست عليها أشعة الشمس فـــي طياتـــها اللامعة فبهرت عيون المشاهدين فبدا الملك بهياً ، رائعاً وفائق الجمال . إن جلال مظهره وقوة لغته المميزة هزا مشاعر أولئك المحتفلين بقوة عظيمة . وإذ كـــانت مشاعرهم قد تلفت بفعل النهم في الأكل والإفراط في شرب الخمر فقد بهرتـــهم الزينات التي كان هيرودس يتحلى بها . وقد ســـحر الملـــك ألبابـــهم بتصرفـــه وفصاحة خطابه . وإذ تحمسوا له إلى حد الجنون وأمطروه بوابـــل مـــن كـــلام المداهنة والتملق ، معلنين أنه لا يمكن لبشر أن يظهر بمثل ذلك المظهر أو تكون له مثل تلك الفصاحة المذهلة . ثم أعلنوا فوق ذلك أنهم وإن كانوا قبلا يكرمونـــه كحاكم فإنهم من الآن سيسجدون له كإله .

إن بعضاً من أولئك الناس الذين كانت أصواتهم تسمع حينئذٍ ممجـــدة رجـــلاً خاطئاً نجساً ، كانوا منذ سنوات قليلة يصيحون صيحات مجنونة قـــائلين : خـــذ

يسوع ، اصلبه ، اصلبه ! لقد رفض اليهود قبول المسيح الذي كانت ثيابه خشنة ومتسخة من وعثاء السفر ولكنها كانت تخفي قلباً مفعماً بمحبة الله . لم يمكن لعيونهم أن ترى ما هو خلف ذلك المظهر الخارجي الوضيع ، رب الحياة والمجد ، مع أن قدرة المسيح تجلت أمامهم في أعمال وعظائم لا يمكن أن يجريها مجرد إنسان . ولكنهم كانوا على أتم الاستعداد لتقديم عبادتهم وسجودهم للملك المتعجرف الذي كانت ثيابه الفاخرة المزينة بالذهب والفضة تخفي تحتها قلبا فاسداً قاسياً .

ولقد عرف هيرودس أنه لم يكن يستحق شيئاً من كل ذلك التمجيد والولاء ، ومع ذلك فقد قبل من الشعب تلك العبادة الوثنية كأنها من حقه . وقد خفق قلبه بفرحة الانتصار ، وتألق وجهه إذ أُشبع غروره وكبرياؤه عندما سمع الشعب يهتفون له قائلين : «هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ» (عدد ٢٢) .

ولكن فجأة طرأ عليه تغيير مخيف فقد شحب وجهه شحوب الموت وتشوه بالعذاب . وقد نضحت من جسمه قطرات كبيرة من العرق . ووقف لمدى لحظة كما لو كان قد طعن بالألم والرعب . وحينئذٍ إذ اتجه ببصره إلى أصدقائه المصعوقين من هول الرعب بوجهه المحتقن الممتقع صرخ صرخات يأس جوفاء قائلاً : إن الذي كنتم تمجدونه كإله قد طعن بحربة الموت .

وإذ كان يقاسي أشد العذابات المبرحة حُمل من ذلك المشهد ، مشهد العربدة والمظاهر الخلابة . قبل ذلك بلحظة كان يتقبل التمجيد والعبادة من ذلك الجمع الغفير في عجرفة وكبرياء ، أما الآن فقد تيقن أنه بين يدي حاكم أعظم وأقوى منه . وقد اكتنفته الندامة وتبكيت الضمير ، فقد ذكر اضطهاده لتلاميذ المسيح في غير رحمة أو هوادة ، وذكر أمره القاسي القاضي بقتل يعقوب البار ، وعزمه على القضاء على الرسول بطرس بالموت ، وذكر

كيف أنه في خيبته وسخطه الفاشل صب جامات انتقامه غير المعقول على حراس السجن . وقد أحس بأن الله يتعامل معه الآن ، معه هو المضطهد الذي لا يعرف الرحمة . ولم يكن يجد راحة لا من آلام الجسد ولا من عذاب العقل ، ولم يكن ينتظر شيئا من ذلك .

لقد كان هيرودس يعرف شريعة الله القائلة : «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» (خروج ٢٠: ٣) ، وعرف أنه بقبوله لعبادة الشعب ملأ مكيال إثمه وجلب على نفسه غضب الرب العادل .

إن نفس الملاك الذي نزل من السماء لإنقاذ بطرس كان هو رسول الغضب والدينونة لهيرودس . لقد ضرب الملاك جنب بطرس ليوقظه من النوم ، ولكن الضربة التي وجهها إلى ذلك الملك الشرس كانت تختلف عن هذه إذ وضع كبرياءه في الرماد وجلب عليه قصاص الله القدير . وقد مات هيرودس متأثرا بعذابات جسدية وعقلية هائلة تحت دينونة الله وعقابه .

هذا وقد كان لإظهار عدل الله تأثيره القوى الفعال على الشعب . فالأخبار القائلة أن رسول المسيح قد نجا بطريقة معجزية من السجن والموت في حين أن المضطهد قد صعق بلعنة الله ، وصلت إلى كافة البلدان وكانت من بين الوسائل العاملة على الإتيان بكثيرين إلى الإيمان بالمسيح .

إن اختبار فيلبس الذي وجهه وجه ملاك من السماء لأن يذهب إلى مكان يجد فيه شخصا يبحث عن الحق ، واختبار كرنيليوس الذي زاره ملاك برسالة من الله ، واختبار بطرس السجين وهو محكوم عليه بالموت والذي أخرجه ملاك إلى رحاب السلامة والحرية- كل ذلك يبرهن على العلاقة الوثيقة والقرب العظيم بين السماء والأرض .

إن هذا البيان المسجل في تلك الزيارات الملائكية ينبغي أن يلهم كل عامل في كرم الرب بالقوة والشجاعة . إن رسل السماء ، بكل يقين هم اليوم كما في أيـــام الرسل ، يجوبون الأرض طولاً وعرضاً ، مجتهدين فـــي تعزيـــة المحزونيـــن وإرشاد غير التائبين وجذب الناس إلى المسيح . ولا يمكننا أن نراهم بعيوننـــا ، ومع ذلك فهم معنا يرشدوننا ويوجهوننا ويحرسوننا .

إن السماء قد غدت قريبة من الأرض بفضل تلك السلم السرية التي ترتكز بكـل ثبات على الأرض بينما رأسها يمس عرش الله السرمدي . والملائكة على الـــدوام يصعدون وينزلون على هذه السلم المتألقة بالنور وهم يحملون صلوات المحتـــاجين والمتضايقين إلى الآب في السماء ، ويعودون محملين بالبركة والرجاء والشـــجاعة والعون لبني الإنسان . هؤلاء الملائكة المتألقون بالنور يخلقون جواً سماوياً حـــول النفس ويرفعوننا إلى غير المنظور والأبدي . لا يمكننا رؤيتهم بعيوننـــا البشـــرية الطبيعية ، إنما بالبصيرة الروحية نستطيع أن نميز ونـــرى الأمـــور الســـماوية . والأذن الروحية هي وحدها التي تستطع أن تسمع الأصوات السماوية المتناسقة .

«مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائفيهِ ، وَيُنَجِّيهِمْ» (مزمور ٣٤: ٧) . إن الله يفوض ملائكته أمر تخليص مختاريه من النوازل التي تحيق بهم ، وحراستهم من «وَبَـإٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى ، وَ... هَلاَكٍ يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ» (مزمـــور ٩١: ٦) . ومـــراراً وتكراراً تحدث الملائكة مع الناس كما يحدث الإنسان صاحبـــه وقـــادوهم إلـــى مواطن السلامة . ومراراً عديدة كانت كلمات التشجيع التي نطق بـــها الملائكـــة كفيلة بتجديد قوى نفوس الأمناء الخائرة ، فرفعت أفكارهم فوق الأمور الأرضيـــة وجعلتهم يرون بالإيمان الثياب البيضـــاء والأكـــاليل وســـعوف النخـــل رمـــز الانتصار . تلك الأشياء التي ستعطى للغالبين حينما يجتمعـــون حـــول العـــرش العظيم الأبيض .

إن عمل الملائكة هو أن يقتربوا من المجربين والمتألمين والمتضايقين . وهم يخدمون بلا كلل أولئك الذين قد مات المسيح لأجلهم . وعندما يسلم الخطاة أنفسهم للمخلص فالملائكة يحملون تلك الأخبار السارة إلى السماء فيكون فرح عظيم بين أجناد السماويين : «يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا ١٥: ٧) . وسيُرسَل خبر إلى السماء عن كل مسعى ناجح من جانبنا لطرد الظلمة ونشر معرفة المسيح . وعندما يُتلى الخبر أمام الآب ، فإن قلوب كل أجناد السماء تهتز فرحاً . إن رؤساء وسلاطين السماء يرقبون الحرب التي يخوض عبيد الله غمارها في ظروف تبدو مثبطة للهمم . وإذ يخرج المسيحيون المحتشدون حول راية فاديهم ليجاهدوا جهاد الإيمان الحسن ، فإنهم يحرزون انتصارات جديدة ويكسبون أوسمة شرف . كل ملائكة السماء هم في خدمة شعب الله المتواضعين المؤمنين . وعندما ينشد العاملون في جيش الرب هنا على الأرض أناشيد الحمد فان أجواق السماويين تشترك معهم إذ يقدمون التسبيح لله ولابنه .

علينا أن ندرك إدراكاً أفضل مما ندرك الآن رسالة الملائكة . ويحسن بنا أن نذكر أن كل ابن حقيقي لله ينال عون الخلائق السماوية . إن جيوش النور والقوة غير المنظورة ترافق الودعاء والمتواضعين الذين يؤمنون ويطالبون بحقهم في مواعيد الله . فالكاروبيم والسرافيم والملائكة المقتدرون قوة يقفون عن يمين الله : «جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ» (عبرانيين ١: ١٤) .

الفصل السادس عشر

رسالة الإنجيل في أنطاكية

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١١: ١٩-٢٦ ؛ ١٣: ١-٣) .

بعدما طُرد التلاميذ من أورشليم بسبب الاضطهاد انتشرت رسالة الإنجيل بسرعة في الأقاليم البعيدة عن تخوم فلسطين وتكونت جماعات صغيرة كثيرة من المؤمنين في مراكز هامة . وبعض التلاميذ «اجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ» يكرزون بالكلمة (أعمال ١١: ١٩) . وقد كانت جهودهم مقصورة على العبرانيين واليهود واليونانيين ، وكانت توجد في ذلك الحين مستعمرات كبيرة مأهولة بهم في أغلب بلدان العالم .

ومن بين الأماكن المذكورة حيث قبل الناس الإنجيل بفرح مدينة أنطاكية التي كانت حاضرة سوريا حينذاك . ثم أن التجارة الواسعة التي تحمل من ذلك المركز الآهل بالسكان جلب إلى تلك المدينة أناساً كثيرين من أجناس مختلفة . وفضلاً عن هذا فإن أنطاكية اشتهرت بكونها مأوى لمحبي الراحة والملذات نظراً لموقعها الحسن وبيئتها الجميلة والثروة والمدنية والثقافة التي كانت توجد فيها . وفي أيام الرسل قد صارت مدينة الترف والرذيلة .

وقد علّم بالإنجيل في أنطاكية جهاراً بعض التلاميذ القادمين من قبرص وبلاد القيروان . «مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أعمال ١١: ٢٠) «وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ» وأثمرت جهودهم الجادة الغيورة ثماراً مفرحة «فَآمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ» (عدد ٢١) .

«فَسُمِعَ الْخَبَرُ عَنْهُمْ فِي آذَانِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ ، فَأَرْسَلُوا بَرْنَابَا لِكَيْ يَجْتَازَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ» فلما وصل إلى حقل خدمته الجديد رأى العمل الذي أتمته نعمة الله «فَرِحَ ، وَوَعَظَ الْجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ» (عدد ٢٢،٢٣) .

وقد بوركت خدمات برنابا في أنطاكية بغنى فانضم عدد كبير إلى المؤمنين هناك . وإذ تقدم العمل ونما أحس برنابا بحاجته إلى معونة مناسبة كي يتقدم بالعمل الذي أتاحت عناية الله فرصاً سانحة للسير به قدماً . فخرج إلى طرسوس ليطلب بولس ، الذي بعد رحيله عن أورشليم قبل ذلك بزمن ، كان يخدم في «أَقَالِيمِ سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ» «يُبَشِّرُ ... بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ» (غلاطية ١: ٢١،٢٣) . وقد أفلح برنابا في العثور على بولس وبإقناعه بالرجوع معه ليكون زميلاً له في الخدمة .

وقد وجد بولس في مدينة أنطاكية المزدحمة بالسكان حقلاً خصباً للخدمة . فقد كان لعمله الواسع وحكمته وغيرته تأثير فعال على السكان ومن كانوا يفدون على تلك المدينة التي كانت مركزاً للثقافة والمدنية ، وقد برهن بولس أنه المعين الكفء الذي يحتاجه برنابا . وقد ظل ذانك التلميذان يخدمان سنة كاملة يداً واحدة في خدمة أمينة ، وكانا يقدمان لأناس كثيرين معرفة يسوع الناصري الخلاصية ، الذي هو فادي العالم .

ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً . وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن المسيح كان الموضوع الرئيسي في كرازتهم وتعليمهم وأحاديثهم . كانوا

باستمرار يقصون أخبار الأحداث التي جرت مدى أيام خدمة المسيح على الأرض عندما تبارك التلاميذ بوجوده شخصياً معهم . ولم يكونوا يكلون من إطالة شرح تعاليمه ومعجزات الشفاء التي أجراها . وبشفاه مرتجفة من فرط التأثر وبعيون دامعة تحدثوا عن عذابه النفسي في البستان وتسليمه ومحاكمته وصلبه ، وعن الاحتمال والوداعة اللذين بهما احتمل الهزء والعذاب اللذين أوقعهما عليه أعداؤه ، والحنان الإلهي الذي به صلى لأجله مضطهديه . وقد كانت قيامته وصعوده وعمله في السماء كوسيط عن الإنسان الساقط ، مواضيع سرهم أن يتحدثوا عنها كثيراً . فحسناً فعل الوثنيون إذ دعوهم مسيحيين حيث أنهم كرزوا بالمسيح وقدموا صلواتهم لله عن طريقه .

إن الله هو الذي أطلق عليهم اسم مسيحيين . هذا اسم ملكي يعطى لكل من يتحدون بالمسيح . لقد كتب يعقوب في رسالته عن هذا الاسم فيما بعد يقول : «أَلَيْسَ الأَغْنِيَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْكُمْ وَهُمْ يَجُرُّونَكُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ ؟ أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الاسْمِ الْحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ ؟» (يعقوب ٢:٦،٧) . وقد أعلن بطرس قائلا : «وَلكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ ، فَلاَ يَخْجَلْ ، بَلْ يُمَجِّدُ اللهَ مِنْ هذَا الْقَبِيلِ» ، «إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ ، فَطُوبَى لَكُمْ ، لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ» (١بطرس ٤:١٦،١٤) .

وقد تحقق المؤمنون في أنطاكية بأن الله يريد أن يعمل في حياتهم : «أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (فيلبي ٢:١٣) . فإذ كانوا يعيشون بين أناس بدا أنهم لا يكترثون للأمور ذات القيمة الأبدية إلا بالنزر اليسير ، فقد حاولوا أن يوجهوا انتباه ذوي القلوب الأمينة إلى ذاك الذي قد أحبوه وخدموه وأن يقدموا عنه شهادة إيجابية صريحة . وفي خدمتهم المتواضعة تعلموا الاعتماد على قوة الروح القدس كي يجعل كلمة الحياة قويه وفعالة . وهكذا ففي مسالك الحياة المختلفة قدموا كل يوم الشهادة لإيمانهم بالمسيح .

إن مثال تلاميذ المسيح في أنطاكية ينبغي أن يكون مصدر إلهام لكل مؤمن يعيش في مدن العالم العظيمة في عصرنا هذا . ففي حين يتضح في نظام الله أن العمال المختارين المكرسين ذوي المواهب ينبغي أن يوجدوا في مراكز هامة حيث يكثر السكان ، ليكونوا في الطليعة في المساعي العامة ، فإن قصده أيضاً أن أعضاء الكنائس العائشين في هذه المدن يستخدمون المواهب الممنوحة لهم من الله في خدمة النفوس . توجد بركات غنية مختزنة لأولئك الذين يخضعون خضوعاً كاملاً لدعوة الله . وإذ يحاول أمثال أولئك الخدام أن يربحوا نفوساً ليسوع فسيجدون أن كثيرين ممن لم يكن ممكناً الوصول اليهم بأية طريقة أخرى هم مستعدون للاستجابة للجهود الشخصية الذكية . إن عمل الله في الأرض اليوم بحاجة إلى ممثلين أحياء لحق الكتاب المقدس . إن الخدام المرسومين وحدهم ليسوا أكفاء لإنذار المدن العظيمة . إن الله لا يدعو الخدام وحدهم بل هو يدعو أيضاً الأطباء والممرضين وموزعي الكتب والمتجولين ، وخدام الكلمة وغيرهم من العلمانيين المكرسين ذوي المواهب المختلفة الذين لهم إلمام بكلمة الله ويعرفون قوة نعمته ليراعوا حاجات المدن التي لم يصلها الإنذار . إن الوقت يمر سريعاً وهنالك عمل كثير . فينبغي استخدام كل وسيلة للعمل حتى يمكن استخدام الفرص السانحة ، بأفضل طريقة .

إن خدمات بولس التي قام بها في أنطاكية بصحبة برنابا زادت من اقتناعه بأن الرب قد دعاه ليقوم بعمل خاص بين الأمم . في وقت اهتداء بولس أعلن الرب أنه سيكون خادما للأمم : «لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦:١٨) . إن الملاك الذي ظهر لحنانيا قال عن بولس: «لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ

وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» (أعمال ٩: ١٥) . وبولس نفسه ، في اختباره المسيحي فيما بعد ، بينما كان يصلي في الهيكل في أورشليم ، زاره ملاك من السماء وأمره قائلاً : «اذْهَبْ ، فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا» (أعمال ٢٢: ٢١) .

وهكذا فوض الرب إلى بولس أمر الدخول إلى ذلك الحقل الكرازي المتسع بين الأمم في كل العالم . فلكي يعده الله لهذا العمل الواسع الشاق ، جعله في شركة واتصال بشخصه وكشف لبصيرته الفرحة المتهللة عن مناظر ومشاهد جمال السماء ومجدها . وقد فوض بخدمة إعلان «السرِّ الَّذي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ»- «سرِّ مَشِيئَتِه» (رومية ١٦: ٢٥؛ أفسس ١: ٩) ، «الَّذي فِي أَجْيَال أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الآنَ لِرُسُلِهِ الْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِه بِالرُّوحِ . أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» وقد أعلن بولس قائلا: «الَّذي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ... لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ ، أُعْطِيَتْ هذِهِ النِّعْمَةُ ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى ، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ . لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (أفسس ٣: ٥-١١) .

كان الله قد بارك جهود بولس وبرنابا ببركات غزيرة في غضون السنة التي قضياها مع مؤمني أنطاكية . ولكن أيا منهما لم يكن قد أقيم رسمياً لخدمة الإنجيل . كانا الآن قد بلغا في اختبارهما المسيحي حداً كان الله مزمعاً فيه أن يكل إليهما القيام بمشروع كرازي شاق ، ولكي يتمماه كانا بحاجة إلى كل ميزة يمكن الحصول عليها بواسطة الكنيسة .

«وكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ: بَرْنَابَا ، وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ ، ولُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ ، ومَنَايِنُ ... وَشَاوُلُ . وبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ ، قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ» (أعمال ١٣: ١،٢) . إن هذين الرسولين قبل إرسالهما كمرسلين إلى العالم الوثني ، كُرسا لله تكريساً مقدساً بالصوم والصلاة ووضع الأيدي . وهكذا رخّصت لهما الكنيسة ليس فقط بأن يعلما الناس الحق ، بل أيضاً أن يمارسا فريضة المعمودية وأن ينظما الكنائس ، إذ كانا مزودين بسلطان الكنيسة الكامل .

كانت الكنيسة في ذلك الحين مقبلة على حقبة هامة في تاريخها . إن عمل إذاعة رسالة الإنجيل بين الأمم كان مزمعاً أن يُنجَز بكل نشاط ، ونتيجة لذلك كانت الكنيسة ستتقوى بحصاد عظيم للنفوس . والرسولان اللذان تعين عليهما أن يسيرا في الطليعة في هذا العمل لا بد أن يصيرا هدفا للشبهة والشكوك والتعصب والحسد . وتعاليمها الخاصة بنقض «حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» الذي ظل يفصل طويلاً بين اليهود والأمم ، سيعرضهما بطبيعة الحال لتهمة الهرطقة ، وكثيرون من اليهود المؤمنين الغيورين سيشكون في سلطانهما كخادمين للإنجيل . وقد سبق الله أن رأى المشقات التي سيواجهها خادماه ، فلكي يكون عملهما فوق كل اعتراض أعلن للكنيسة إعلاناً سماوياً أن تفرزهما علنا لعمل الخدمة . وقد كان فرزهما وتكريسهما اعترافاً علنياً بتعيينهما من قبل الله لحمل بشارة الإنجيل المفرحة للأمم .

كان بولس وبرنابا كلاهما قد أخذا تفويضهما من الله نفسه ، وإن خدمة وضع الأيدي لم تضف إليهما نعمة جديدة أو صلاحية فعلية . إنما كانت فقط شكلاً معترفاً به من أشكال التعيين لوظيفة معينة ، واعترافاً بسلطة ذلك الشخص في تلك الوظيفة . وبواسطته وضع ختم الكنيسة على عمل الله .

وقد كان لهذا الطقس في نظر اليهود دلالتــه العظيمــة . فعندمــا كــان الأب اليهودي يبارك أولاده كان يضع يديه على رؤوسهم بكل وقار . وعندمــا كــان يكرس الحيوان للذبيحة كان الشخص المزود بالسلطان الكهنوتي يضع يده علــى رأس الذبيحة . وعندما وضع خدام الكنيسة المؤمنون في أنطاكية أيديــهم علــى بولس وبرنابا ، فإنهم بذلك العمل سألوا الله أن يمنح بركته لرسوليه المختــارين بتكريسهما للعمل الخاص الذي عينا له .

وفي تاريخ لاحق بعد ذلك ، أسيء استخدام طقس التكريس بوضع الأيدي إلــى حد كبير . فقد نسبت إلى هذا الطقس أهمية لا مبرر لها وغير مشروعة ، كما لو إن الذين يجرى لهم هذا الطقس ينالون قوة مباشرة وقوية تؤهلهم لكــل أنــواع الخدمة الرعوية . ولكن عند إفراز هذين الرسولين ، لم يذكر شيء يدل علــى أن قوة قد منحت لهما لمجرد عملية وضع الأيدي . إنما ذكر فقط الخبر البسيط خبر تكريسهما وعلاقة هذا التكريس بعملهما في المستقبل .

إن الظروف المتصلة بفرز بولس وبرنابا بواسطة الروح القدس ليقوما بعمل خدمة معين ، ترينا بوضوح أن الرب يعمل عن طريق وسائل معينة في كنيسته المنظمة . قبل ذلك بسنين عندما أعلن المخلص نفسه ، القصد الإلهي الخــاص ببولــس لأول مرة ، أدخل بولس في الحال في صلة مع أعضاء كنيسة دمشق المنظمــة حديثــاً . وفضلاً عن ذلك فإن الكنيسة في تلك المدينة لم تظل جاهلة للاختبار الشخصي الــذي كان يجوز فيه ذلك الفريسي المهتدي . عندما حان موعد تنفيذ تلك المأمورية الإلهيــة التي كلف بها عندما ظهر له الرب قرب دمشق ، فإن الروح القدس إذ شهد مرة ثانية عن بولس كالإناء المختار ليحمل الإنجيل إلى الأمم ، أوكل إلى الكنيسة مهمة سيامته هو وزميله . فإذ كان قادة الكنيسة في أنطاكية «يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُــونَ ، قَــالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ:«أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ» (أعمال ١٣: ٢) .

لقد جعل الله كنيسته على الأرض أداة للنور ، وعن طريقها يوصـــل للنـــاس مقاصده وإرادته . إنه لا يعطي واحدا من خدامه اختبـــاراً مســـتقلاً ومناقضـــاً لاختبار الكنيسة نفسها . وكذلك هو لا يعطي فرداً معرفة إرادته لأجل الكنيســـة كلها ، بينما الكنيسة –جسد المسيح– تُترك في الظلام . إنه في عنايته يجعـــل خدامه في صلة وثيقة بكنيسته حتى يكونوا أقل ثقة في نفوسهم وأكثر ثقـــة فـــي الآخرين الذين يقودهم ويفرزهم لإنجاح عمله وتقدمه .

يوجد في الكنيسة دائماً جماعة يميلون على الدوام إلى الاستقلال الشـــخصي . ويبدو أنهم غير قادرين على الإدراك بأن استقلال الروح كفيل بأن يجعل الإنسان يثق في نفسه أكثر من اللازم ويركن إلى حكمه ولا يحترم مشـــورة إخوتـــه ولا يقدر حكمهم ، وعلى الخصوص أولئك الذين يشغلون المراكز التي قد عينـــها الله لقيادة شعبه . لقد زود الله كنيسته بسلطان وقوة خاصة لا حق لإنسان أن يستخف بهما أو يحتقرهما ، لأن من يفعل هذا إنما يحتقر صوت الله .

إن من يميلون إلى اعتبار حكمهم الشخصي أسمى حكم ، هم في خطر جسيم . إن مسعى الشيطان المدروس هو أن يفصل أمثال هؤلاء عن أولئك الذيـــن هـــم أدوات للنور ، الذين قد عمل الله من خلالهم كي يقيم عمله وينشره في الأرض . إن إهمال أو احتقار أولئك الذين قد عينهم الله لحمل تبعات القيادة فيمـــا يختـــص بتقدم الحق ، معناه رفض الوسيلة التي قد رسمها الله لمعاونة شعبه وتشـــجيعهم وتقويتهم . فكون أي خادم يعمل في ملكوت الله يتجاوز هؤلاء الأشـــخاص فـــي غير اكتراث ظاناً أن نوره ينبغي ألا يأتي من أي قنـــاة أخـــرى بـــل مـــن الله مباشرة ، فهو بذلك يضع نفسه في وضع يجعله عرضة لأن يخدعه العدو فيسقط أخيراً . لقد رتب الله في حكمته أنه بواسطة الصلة الوثيقة التي يجب أن يحرص عليها جميع المؤمنين يتحد المؤمن بأخيه المؤمن والكنيسة بـــالأخرى . وهكـــذا

تستطيع الوسائل البشرية أن تتعاون مع الوسائل الإلهية . كل عامل ينبغي أن يكون خاضعا للروح القدس ، وكل المؤمنين يرتبطون معا في مجهود منظم وموجه توجيها حسنا لتقديم بشارة نعمة الله للعالم .

وقد اعتبر بولس فرصة تكريسه الرسمي نقطة بدء تاريخ جديد هام في عمل حياته . وفيما بعد اعتبر هذا الوقت هو بدء عمله كرسول في الكنيسة المسيحية .

وفي حين كان نور الإنجيل يضيء بلمعان عظيم في أنطاكية كان يوجد عمل هام يقوم به الرسل الذين بقوا في أورشليم . ففي كل سنة في أوقات الأعياد كان كثيرون من اليهود يأتون من كل البلدان إلى أورشليم ليسجدوا في الهيكل . وكان بعض هؤلاء الحجاج رجالاً أتقياء وغيورين وكانوا يدرسون النبوات بكل غيرة واجتهاد . كانوا ينتظرون بشوق عظيم مجيء المسيا الموعود به ورجاء إسرائيل . وإذ امتلأت أورشليم بهؤلاء الغرباء كان الرسل يكرزون بالمسيح بشجاعة لا تنثني ، مع علمهم أنهم بهذا التصرف كانوا يجازفون بنفوسهم ويقدمون على مخاطرة عظيمة . وقد ختم روح الله جهودهم هذه بخاتم استحسانه ، كما اهتدى كثيرون إلى الإيمان ، وهؤلاء عند عودتهم إلى أوطانهم في أنحاء العالم المختلفة نشروا بذار الحق في كل الأمم وبين كل طبقات المجتمع .

وكان من أشهر الرسل الذين قاموا بهذا العمل بطرس ويعقوب ويوحنا الذين كانوا واثقين من أن الله قد أقامهم ليكرزوا بالمسيح بين مواطني بلدتهم . وقد خدموا بكل أمانة وحكمة شاهدين بما قد رأوه وسمعوه ، وموجهين الأنظار إلى «الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ وَهِيَ أَثْبَتُ» في محاولتهم أن يقنعوا «بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ ، رَبًّا وَمَسِيحًا» (٢بطرس ١: ٩؛ أعمال ٢:٣٦) .

الفصل السابع عشر

الكارزون بالإنجيل

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٣:٤-٥٢) .

إن بولس وبرنابا بعدما وضع الإخوة أيديهم عليهما في انطاكية : «إِذْ أُرْسِلاَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ انْحَدَرَا إِلَى سَلُوكِيَةَ ، وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ» (عدد ٤) وهكذا بدأ الرسولان سفرتهما الكرازية الأولى .

كانت قبرس إحدى الأماكن التي هرب اليها المؤمنون من أورشليم بسبب الاضطهاد الذي حدث إثر موت استفانوس . ومن قبرس سافر رجال إلى أنطاكية «مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أعمال ١١: ٢٠) . وقد كان برنابا نفسه «قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ» (أعمال ٣٦:٤) ، والآن ها برنابا وبولس ويتبعهما يوحنا مرقس الذي هو من أقرباء برنابا يذهبون لزيارة هذه الجزيرة .

كانت أم مرقس تعتنق الدين المسيحي وكان بيتها في أورشليم ملجأ للتلاميذ . وكانوا واثقين دائماً من أنهم سيجدون ترحيبا في ذلك البيت حيث يتمتعون بفترة راحة . وفي أثناء إحدى زيارات الرسولين لبيتها عرض مرقس على بولس وبرنابا أنه ينبغي له أن يصحبهما في سفرتهما الكرازية . لقد أحس برضى الله في قلبه فاشتاق إلى أن يكرس نفسه بالتمام لعمل خدمة الإنجيل .

فإذ وصلوا إلى سلاميس «نَادَيَا بِكَلِمَةِ اللهِ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ ... وَلَمَّا اجْتَازَا الْجَزِيرَةَ إِلَى بَافُوسَ ، وَجَدَا رَجُلاً سَاحِرًا نَبِيًّا كَذَّابًا يَهُودِيًّا اسْمُهُ بَارْيَشُوعُ كَانَ مَعَ الْوَالِي سَرْجِيُوسَ بُولُسَ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَهِيمٌ . فَهذَا دَعَا بَرْنَابَا وَشَاوُلَ وَالْتَمَسَ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ . فَقَاوَمَهُمَا عَلِيمٌ السَّاحِرُ ، لأَنْ هكَذَا يُتَرْجَمُ اسْمُهُ ، طَالِبًا أَنْ يُفْسِدَ الْوَالِيَ عَنِ الإِيمَانِ» (عدد ٥-٨) .

إن الشيطان لا يسمح بأن يقام ملكوت الله في الأرض إلا بعد حرب ونضال . إن قوات الشر مشتبكة أبداً في حرب لا تنقطع ضد القوات المعينة لنشر الإنجيل . وقوات الظلمة هذه تكون على أتم نشاطها على الخصوص عندما يكرز بالإنجيل أمام الرجال المشهورين المتصفين بالسيرة النقية والاستقامة التي لا غبار عليها . هكذا كانت الحال عندما كان سرجيوس بولس والي قبرس يصغي إلى رسالة الإنجيل . لقد أرسل الوالي يدعو الرسولين حتى يتعلم منهما الرسالة التي كانا يحملانها ، والآن ها هي قوات الشر تعمل عن طريق عليم الساحر وتحاول بواسطة مقترحاتها المهلكة أن تفسد الوالي عن الإيمان وبذلك تعرقل مقاصد الله .

وهكذا يعمل العدو الساقط على إبقاء الناس ذوي النفوذ بين صفوفه ، أولئك الذين لو اهتدوا إلى الله فلا بد أن يسدوا إلى عمله خدمات جليلة فعالة . ولكن لا حاجة بخادم الإنجيل الأمين أن يخاف الهزيمة أمام العدو ، لأن من امتيازاته أن يكون مزوداً بقوة من فوق للصمود أمام كل تأثير شيطاني . ومع أن الرسول بولس واجه هجوم الشيطان ومقاومته ، فقد كانت لديه شجاعة بها انتهر ذاك الذي اتخذه العدو مطية له واستخدمه لإتمام أغراضه . فالرسول إذ امتلأ من الروح القدس شخص إليه وقال : «أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ ! يَاعَدُوَّ كُلِّ بِرّ ! أَلاَ تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ ؟ فَالآنَ هُوَذَا يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ ، فَتَكُونُ أَعْمَى لاَ تُبْصِرُ الشَّمْسَ إِلَى حِينٍ . فَفِي الْحَالِ سَقَطَ عَلَيْهِ

ضَبَابٌ وَظُلْمَةٌ ، فَجَعَلَ يَدُورُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَقُودُهُ بِيَدِهِ . فَالْوَالِي حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى مَا جَرَى ، آمَنَ مُنْدَهِشًا مِنْ تَعْلِيمِ الرَّبِّ» (عدد ٩-١٢) .

كان الساحر قد أغمض عينيه حتى لا يرى براهين حق الإنجيل ، ولذلك فالرب في غضبه العادل جعل عينيه الطبيعيتين تصابان بالعمى إذ حرمه من نور النهار . إلا أن هذا العمى لم يكن مستديماً بل كان إلى حين لكي يكون تحذيراً له كي يتوب ويطلب الغفران من الله بعد أن كان قد أسخطه جداً . فالارتباك الذي حل به لاشى تأثير حيله الماكرة ضد تعاليم المسيح . وإن حقيقة كونه كان ملتزماً أن يتلمس بيديه ويتحسس طريقه في ظلام العمى أثبتت للجميع أن المعجزات التي أجراها الرسولان ، والتي ادعى هو أنها قد صنعت بطريق الخداع وخفة اليد ، صنعت بقوة الله . فإذ اقتنع الوالي بصدق التعاليم التي قدمها له الرسولان قبل الإنجيل .

لم يكن عليم هذا رجلاً متعلماً ومع ذلك فقد كان مؤهلاً بطريقة خاصة ليعمل عمل الشيطان . إن الذين يكرزون بحق الله سيواجهون العدو المحتال في أشكال مختلفة كثيرة . فأحياناً يواجهونه في شخص رجل عالم ولكن في أحيان أخرى كثيرة في شخص أناس جهلاء دربهم الشيطان كي يكونوا آلات ناجحة في خداع النفوس . فمن واجب خادم المسيح أن يقف في مكانه أميناً في خوف الله وفي شدة قوته . وهكذا يستطيع أن يوقع أعوان الشيطان في الحيرة والارتباك وينتصر باسم الرب .

وقد واصل بولس ورفيقاه السير في رحلتهم فوصلوا إلى برجة بمفيلية . وقد كان طريقهم شاقاً وقابلوا صعوبات جمة وعوزاً وحرماناً ومكتنفين بالمخاطر من كل جانب . ففي المدن الصغيرة والكبيرة التي اجتازوا فيها وفي الطرق العامة الموحشة كانوا محاطين بالمخاطر المنظورة والخفية . ولكن بولس وبرنابا كانا

قد تعلما أن يثقا في قدرة الله على إنقاذهما . كان قلباهما مفعمين حباً حاراً للنفوس الهالكة . فكرعاة أمناء يبحثون عن الخروف الضال ، لم يكونا يفكران في راحتهما أو استجمامهما . فإذ نسيا نفسيهما تماماً لم يضطربا وهما يعانيان من شدة التعب والجوع والبرد . كان أمام نظريهما هدف واحد – خلاص أولئك الذين قد ضلوا وتاهوا بعيدا عن حظيرة الله .

في هذا المكان ، إذ كان مرقس مكتنفاً بالخوف وخور العزيمة ، تردد بعض الوقت في عزمه على أن يكرس نفسه بقلب كامل لعمل الرب . فإذ لم يكن معتاداً على المشقات خار عزمه أمام مخاطر الطريق والضنك والحرمان . لقد كانت خدمته ناجحة في الظروف المؤاتية أما الآن ففي وسط المقاومات والمخاطر التي كثيراً ما تكتنف الخادم الجديد ، فقد أخفق في احتمال المشقات كجندي صالح للصليب . لقد كان عليه أن يتعلم مجابهة الخطر والاضطهاد والشدة بقلب شجاع . فإذ تقدم الرسولان وكان هو يخشى من وقوع مشقات وضيقات أعظم جبن قلبه وفارقته شجاعته فرفض مرقس التقدم في سيره وقفل راجعاً إلى أورشليم .

فهذا النكوص والهجران جعل بولس يحكم على مرقس حكماً جائراً بل قاسياً لبعض الوقت . أما برنابا فكان يميل إلى مسامحته نظرا لقلة اختباره . وكان مهتما ألا يترك مرقس الخدمة ، لأنه كان يرى فيه مؤهلات يمكن أن تجعله خادماً نافعاً للمسيح . وفي السنين التي جاءت بعد ذلك كوفئ جزعه على مرقس مكافأة غنية لأن هذا الشاب أسلم نفسه للرب في غير تحفظ ودأب على نشر رسالة الإنجيل في حقول مختلفة صعبة . فبفضل بركة الله وتدريب برنابا الحكيم صار خادماً نافعاً .

وبعد ذلك تصالح بولس مع مرقس وقبله شريكاً معه في الخدمة . كما امتدحه لدى أهل كولوسي على أنه عامل معه في «مَلَكُوتِ اللهِ» وسبب «لِي تَسْلِيَةً

(تعزية)» . وقبيل موته تكلم بولس الرسول عن مرقس مرة أخرى باعتباره نافعا له «لِلْخِدْمَةِ» (كولوس ٤: ١١؛ ٢تيموثاوس ٤:١١) .

وبعد مفارقة مرقس لهما زار بولس وبرنابا أنطاكية بيسيدية ، وفي يوم السبت دخلا مجمع اليهود وجلسا: «وَبَعْدَ قِرَاءَةِ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، إِنْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ كَلِمَةُ وَعْظٍ لِلشَّعْبِ فَقُولُوا» (عدد ١٥) . فإذ قدمت له الدعوة للكلام «فَقَامَ بُولُسُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ وَقَالَ : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ ، اسْمَعُوا» (عدد ١٦) . ثم تلا ذلك خطاب عجيب عرض فيه بولس تاريخ تعامل الرب مع شعبه منذ خروجهم من عبودية مصر وكيف قدم لهم الوعد بمجيء مخلص من نسل داود . وبعد ذلك أعلن بكل جرأة قائلا : «مِنْ نَسْلِ هذَا ، حَسَبَ الْوَعْدِ ، أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا ، يَسُوعَ . إِذْ سَبَقَ يُوحَنَّا فَكَرَزَ قَبْلَ مَجِيئِهِ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ . وَلَمَّا صَارَ يُوحَنَّا يُكَمِّلُ سَعْيَهُ جَعَلَ يَقُولُ:مَنْ تَظُنُّونَ أَنِّي أَنَا ؟ لَسْتُ أَنَا إِيَّاهُ ، لكِنْ هُوَذَا يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ أَحُلَّ حِذَاءَ قَدَمَيْهِ» (عدد ٢٣-٢٥) . وهكذا بكل قوة كرز بيسوع كمخلص الناس والمسيا الذي تكلمت عنه النبوات .

وبعدما قدم بولس هذا الإعلان قال : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ بَنِي جِنْسِ إِبْرَاهِيمَ ، وَالَّذِينَ بَيْنَكُمْ يَتَّقُونَ اللهَ ، إِلَيْكُمْ أُرْسِلَتْ كَلِمَةُ هذَا الْخَلاَصِ . لأَنَّ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَرُؤَسَاءَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا هذَا . وَأَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُقْرَأُ كُلَّ سَبْتٍ تَمَّمُوهَا ، إِذْ حَكَمُوا عَلَيْهِ» (عدد ٢٦،٢٧) .

ولم يتردد بولس في التكلم بالحق الصريح عن رفض رؤساء اليهود للمخلص . فقد أعلن الرسول قائلا : «وَمَعْ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا عِلَّةً وَاحِدَةً لِلْمَوْتِ طَلَبُوا مِنْ بِيلاَطُسَ أَنْ يُقْتَلَ . وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْهُ ، أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرٍ . وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ . وَظَهَرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لِلَّذِينَ

صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ ، الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ» (عـدد ٢٨-٣١) .

ثم استطرد الرسول يقول: «وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ . إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ، غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضًا إِلَى فَسَادٍ ، فَهكَذَا قَالَ: إِنِّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ . وَلِذلِكَ قَالَ أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ:لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا . لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ ، رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ ، وَرَأَى فَسَادًا . وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَادًا» (عدد ٣٢-٣٧) .

والآن فبعدما تحدث بولس بكل صراحة عن إتمام النبوات المألوفة الخاصة بالمسيا جعل يكرز لهم بالتوبة وغفران الخطية باستحقاق يسوع مخلصهم فقال : «فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، أَنَّهُ بِهذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا ، وَبِهذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى» (عدد ٣٨،٣٩) .

لقد كان روح الله يرافق هذه الأقوال التي قيلت فتأثرت القلوب . إن التجاء الرسول إلى نبوات العهد القديم وإعلانه بأن هذه النبوات قد تمت في خدمة يسوع الناصري ، حملت قوة إقناع عظيمة إلى قلوب كثيرين ممن كانوا يشتاقون إلى مجيء المسيا الموعود به . وأقوال المتكلم اليقينية على أن البشارة أو الأخبار السارة عن الخلاص هي لليهود والأمم على السواء جلبت الرجاء والفرح لأولئك الذين لم يكونوا محسوبين ضمن نسل إبراهيم حسب الجسد .

«وَبَعْدَمَا خَرَجَ الْيَهُودُ مِنَ الْمَجْمَعِ جَعَلَ الأُمَمُ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِمَا أَنْ يُكَلِّمَاهُمْ بِهذَا الْكَلاَمِ فِي السَّبْتِ الْقَادِمِ . وَلَمَّا انْفَضَّتِ الْجَمَاعَةُ ، تَبِعَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ

وَالدُّخَلاَءِ الْمُتَعَبِّدِينَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا ، اللَّذَيْنِ كَانَا يُكَلِّمَانِهِمْ وَيُقْنِعَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي نِعْمَةِ اللهِ» (عدد ٤٢،٤٣) .

وقد كان الاهتمام الذي ثار في نفوس الناس في أنطاكية بيسيدية على أثر الخطاب الذي ألقاه بولس عظيما جداً بحيث أنه في السبت التالي : «اجْتَمَعَتْ كُلُّ الْمَدِينَةِ تَقْرِيبًا لِتَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ . فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ امْتَلأُوا غَيْرَةً ، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ» .

«فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ . لأَنْ هكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» .

«فَلَمَّا سَمِعَ الأُمَمُ ذلِكَ كَانُوا يَفْرَحُونَ وَيُمَجِّدُونَ كَلِمَةَ الرَّبِّ . وَآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا مُعَيَّنِينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» . لقد فرحوا فرحاً عظيماً لأن المسيح اعترف بهم أنهم أولاد الله ، وبقلوب شاكرة كانوا يصغون إلى الكلمة المكروز بها . وأولئك الذين آمنوا كانوا غيورين في إبلاغ رسالة الإنجيل للآخرين ، وهكذا «وَانْتَشَرَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ فِي كُلِّ الْكُورَةِ» (٤٤-٤٩) .

قبل ذلك بقرون تتبع الكاتب الملهم انضمام الأمم هذا ولكن تلك الأقوال النبوية لم تفهم بكل وضوح . فقد قال هوشع النبي : «لكِنْ يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُعَدُّ ، وَيَكُونُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي ، يُقَالُ لَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ الْحَيِّ» ثم يقول أيضاً: «وَأَزْرَعُهَا لِنَفْسِي فِي الأَرْضِ ، وَأَرْحَمُ لُورُحَامَةَ ، وَأَقُولُ لِلُوعَمِّي أَنْتَ شَعْبِي ، وَهُوَ يَقُولُ أَنْتَ إِلهِي» (هوشع ١: ١٠؛ ٢:٢٣) .

إن المخلص نفسه في أثناء خدمته على الأرض أنبأ بانتشـــار الإنجيـل بيـن الأمم . ففي مثل الكرم أعلن لليهود غير التائبين قائلا : «إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُـنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ» وبعد قيامته فوض إلى تلاميذه أن يذهبوا «إِلَـى الْعَالَمِ أَجْمَعَ» و «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ» . كان عليهم ألا يـتركوا أحـدا بدون إنذار بل كان يجب عليهم: «وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَـةِ كُلِّـهَا» . (متـى ٢١:٤٣؛ ٢٨: ١٩؛ مرقس ١٦:١٥) .

إن بولس وبرنابا إذ توجها إلى الأمم في أنطاكية بيسيدية لم يكفا عـن خدمـة اليهود في كل مكان أينما كانت توجد فرصة مؤاتية فيها يجدون من يسـمعون . وبعد ذلك في تسالونيكي وكورنثوس وأفسس وغيرها من المراكز الهامـة كـان بولس وزملاؤه في العمل يكرزون بالإنجيل لليهود والأمم . ولكن منذ ذلك الحين كان الجانب الأكبر من جهودهم منصرفاً إلى بناء ملكوت الله في الأقاليم الوثنيـة بين الشعوب التي لم يكن لها غير معرفة قليلة أو لم يكن لها أي معرفـة علـى الإطلاق بالإله الحقيقي وبابنه .

كان قلب بولس الرسول وقلوب رفاقه العاملين معه منجذبة نحو أولئك الذيـن كانوا «أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ» . وبواسطة خدمات الرسل التي لم تكل للوثنيين ، فإن «غُرَبَاءَ وَنُزُلاً» الذين «كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِـيحِ» وأنـهم بالإيمـان بذبيحته الكفارية صاروا: «رَعِيَّـةٌ مَـعَ الْقِدِّيسِـينَ وَأَهْـلِ بَيْـتِ اللهِ» (أفسـس ٢:١٢،١٣،١٩) .

وإذ تقدم بولس بالإيمان خدم بلا انقطاع في إقامة ملكوت الله بين أولئـك الذين كان معلمو إسرائيل قد أغفلوهم . وبدون انقطاع كان يعظـم ويمجـد المسيح يسوع على أنه «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ» (١تيموثـاوس ٦: ١٥) ،

وكان يوصي المؤمنين أن يكونوا «مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ» (كولوسي ٢:٧) .

إن المسيح بالنسبة للمؤمنين هو أساس راسخ وعلى هذا الحجر الحي يمكن لليهود والأمم على حد سواء أن يبنوا . إنه عريض بما فيه الكفاية بحيث يتسع للجميع ، ومتين وقوي جداً بحيث يسند أثقال وأحمال العالم كله . هذه حقيقة يعترف بها الرسول بولس نفسه بكل صراحة . ففي ختام أيام خدمته ، عندما كتب إلى جماعة من الأمم المؤمنين الذين ظلوا ثابتين على محبتهم لحق الإنجيل قال : «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (افسس ٢: ٢٠) .

وإذ انتشرت رسالة الإنجيل في بيسيدية فإن يهود أنطاكية غير المؤمنين ، في تعصبهم الأعمى ، «حَرَّكُوا النِّسَاءَ الْمُتَعَبِّدَاتِ الشَّرِيفَاتِ وَوُجُوهَ الْمَدِينَةِ ، وَأَثَارُوا اضْطِهَادًا عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا ، وَأَخْرَجُوهُمَا مِنْ تُخُومِهِمْ» (عدد ٥٠) .

لم يفشل الرسولان بسبب تلك المعاملة ، فقد تذكرا أقوال سيدهما الذي قال : «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ ، مِنْ أَجْلِي ، كَاذِبِينَ . اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا ، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ» (متى ٥: ١١،١٢) .

كانت رسالة الإنجيل تنتشر وتتقدم وكان لدى الرسولين كل الأسباب لأن يتشجعا . لقد باركت السماء جهودهما بين أهل أنطاكية بيسيدية . أما التلاميذ والمؤمنون الذين تركهم الرسولان ليحملوا أعباء العمل وحدهم بعض الوقت «فَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مِنَ الْفَرَحِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (عدد ٥٢) .

الفصل الثامن عشر

الكرازة بين الوثنيين

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٤: ١-٢٦) .

انتقل بولس وبرنابا من أنطاكية بيسيدية إلى أيقونية . وفي هذا المكان كما في أنطاكية بدءا خدمتهما في مجمع بني شعبهما . وقد كُللت خدماتهما بنجاح ملحوظ إذ «آمَنَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ» (عدد ١) . ولكن في أيقونية كما في باقى الأماكن التي خدم فيها الرسولان نجد أن «الْيَهُودَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ غَرُّوا وَأَفْسَدُوا نُفُوسَ الأُمَمِ عَلَى الإِخْوَةِ» (عدد ٢) .

ومع ذلك فإن الرسولين لم يتحولا عن خدمتهما لأن كثيرين كانوا يقبلون إنجيل المسيح . ففي وجه المقاومة والحسد والتعصب ظلا يقومان بعملهما «يُجَاهِرَانِ بِالرَّبِّ» والرب نفسه «كَانَ يَشْهَدُ لِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ ، وَيُعْطِي أَنْ تُجْرَى آيَاتٌ وَعَجَائِبُ عَلَى أَيْدِيهِمَا» (عدد ٣) . فهذه البراهين على رضى الله واستحسانه كان لها تأثير قوي على أولئك الذين كانت عقولهم مفتوحة للاقتناع وتكاثر عدد المهتدين إلى الإنجيل .

هذا وإن الشهرة المتزايدة التي كانت للرسالة التي حملها الرسولان ملأت قلوب اليهود غير المؤمنين بالحسد والكراهية فأصروا على إيقاف خدمات بولس وبرنابا

في الحال . فبواسطة البلاغات الكاذبة والمبالغ فيها جعلوا السلطات تخشى أن تكون المدينة كلها مهددة بخطر التحريض على الثورة . وقد أعلنوا أن عدداً كبيراً من الناس التصقوا بالرسولين وأوعزوا أن ذلك سببه المقاصد السرية والنوايا الخطرة .

فكان من نتائج هذه الاتهامات أن أوقف الرسولان مراراً أمام السلطات . ولكن دفاعهما كان واضحاً ومعقولاً جداً وشرحهما لما قد علما به كان هادئاً وشاملاً بحيث انحاز كثيرون إلى جانبهما . ومع أن الولاة كانوا متحيزين ضدهما بسبب البلاغات الكاذبة التي سمعوها عنهما فإنهم لم يجرؤوا على إدانتهما . ولم يسعهم إلا الاعتراف بأن تعاليم بولس وبرنابا جعلت الناس قوماً صالحين ومواطنين حريصين على السير بموجب القوانين ، وأن أخلاق أهل المدينة والنظام المستتب فيها لا بد أن تتحسن وتصير إلى حال أفضل لو قبل الناس تعاليم الرسولين .

ولكن رسالة الحق ظفرت عن طريق المقاومة التي اصطدم بها الرسولان بشهرة عظيمة . وقد رأى اليهود أن جهودهم التي بذلوها لتعطيل عمل المعلمين الجديدين كان من نتائجها زيادة عدد معتنقي العقيدة الجديدة . «فَانْشَقَّ جُمْهُورُ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ ، وَبَعْضُهُمْ مَعَ الرَّسُولَيْنِ» (عدد ٤) .

وقد اغتاظ رؤساء اليهود غيظاً شديداً بسبب تطور الأمور بهذا الشكل بحيث قرروا الوصول إلى أغراضهم عن طريق الظلم والقسوة . فإذ أثاروا أحط أهواء الرعاع الصخابين الجهلة وغضبهم فقد أفلحوا في إحداث شغب نسبوه إلى تعليم الرسولين . وبواسطة هذه التهمة الكاذبة كانوا يرجون الحصول على معونة من الحكام في تنفيذ غرضهم . وقد عزموا على ألا يعطوا الرسولين فرصة تبرئة نفسيهما وأن يتدخل الرعاع لرجم بولس وبرنابا ، وهكذا يبطلون خدماتهما .

إن أصدقاء الرسولين ، وإن كانوا من غير المؤمنين ، حذروهما من نوايا اليهود ومؤامراتهم الخبيثة وألحوا عليهما بألا يعرضا نفسيهما للرعاع الهائجين من غير داعٍ بل أن يهربا لحياتهما . وتبعاً لذلك رحل بولس وبرنابا عن أيقونية سراً تاركين الإخوة المؤمنين ليضطلعوا بأعباء العمل وحدهم إلى حين . ولكنهما لم يرحلا عنهم إلى غير عودة ، فلقد قصدا أن يعودا إليهم بعدما تخف حدة الاهتياج ، لتكملة العمل الذي بدءا به .

في كل عصر وقطر دعي رسل الله لمواجهة المقاومة المرة من أولئك الذين اختاروا بإصرار أن يرفضوا نور السماء وعن طريق التحريف والتشويه والكذب ، كثيراً ما انتصر أعداء الإنجيل انتصاراً ظاهرياً مزعوماً إذ أغلقوا الأبواب التي بواسطتها كان يمكن لرسل الله أن يصلوا إلى الناس . ولكن هذه الأبواب لا يمكن أن تظل موصدة إلى الأبد ، ففي غالب الأحيان عندما عاد خدام الله بعد وقت لاستئناف عمله كان الله يعمل لأجلهم بقوة بحيث استطاعوا أن يقيموا نصبا تذكارية لمجد اسمه تعالى .

فإذ طرد الرسولان من أيقونية بسبب عنف الاضطهاد ذهبا إلى لسترة ودربة في ليكاؤنية . وكانت غالبية سكان هاتين المدينتين من الوثنيين المتعلقين بالخرافات ، ولكن كان يوجد بينهم قوم رغبوا في سماع رسالة الإنجيل وقبولها . وقد قصد الرسولان أن يخدما في تينك المدينتين وما جاورهما من مدن ذلك الإقليم على أمل أن يتجنبا تعصب اليهود واضطهادهم .

ولم يكن يوجد مجمع لليهود في لسترة مع أن قليلين من اليهود كانوا يعيشوا في تلك المدينة . وكان كثيرون من سكان لسترة يعبدون في هيكل مخصص للإله جوبيتر . فعندما أتى بولس وبرنابا إلى المدينة وجمعا حولهما أهل لسترة

وشرحا لهم حقائق الإنجيل البسيطة حاول كثيرون أن يربطوا هذه التعاليم باعتقادهم الخرافي في عبادة جوبيتر .

وقد حاول الرسولان أن يقدما لعابدي الأوثان هؤلاء معرفة الله الخالق وابنه مخلص الجنس البشري . ففي البدء وجها انتباه الناس إلى أعمال الله العجيبة- الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الفصول في نظام بديع إذ يجيء كلٌّ في أوانه المحدد له ، والجبال الشاهقة المكللة بالثلوج ، والأشجار الباسقة وغير ذلك من عجائب الطبيعة المختلفة التي تبرهن على مهارة وحكمة تفوق إدراك الإنسان . وعن طريق أعمال الله القدير هذه قاد الرسولان أفكار الوثنيين إلى التأمل في سيد المسكونة العظيم .

فبعدما أوضحا هذه الحقائق الأساسية عن الخالق تحدث الرسولان مع أهل لسترة عن ابن الله الذي نزل من علياء السماء إلى عالمنا لأنه أحب بني الإنسان . فتكلما عن حياته وخدمته ورفضه من قبل الذين أتى ليخلصهم ، كما تحدثا عن محاكمته وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء حيث يقوم بدور الشفيع عن الإنسان . وهكذا كرز بولس وبرنابا بالإنجيل في لسترة بروح الله وقوته .

وذات مرة إذ كان بولس يخبر الناس عن عمل المسيح كشافي المرضى والمتألمين رأى بين سامعيه رجلاً مقعداً ظل مُثبتاً عينيه في الرسول وقد قبل كلامه وآمن به . وقد امتلأ قلب بولس عطفاً على ذلك الرجل المتألم ورأى أن «لَهُ إِيمَانًا لِيُشْفَى» (عدد ٩) . فأمام ذلك الجمع من عابدي الأوثان أمر بولس ذلك المُقعَد أن يقف على رجليه منتصباً . حتى تلك اللحظة كان الرجل لا يستطيع إلاّ الجلوس فقط . ولكنه الآن أطاع على الفور أمر الرسول بولس ولأول مرة في حياته وقف منتصباً على قدميه . فمع مجهود الإيمان الذي بذله كي يقف ، سرت في جسمه القوة ووثب ذاك الذي كان مقعدا «وَصَارَ يَمْشِي» (عدد ١٠) .

«فَالْجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ قَائِلِينَ إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا» . وقد كان هذا البيان متوافقاً مع أحد تقاليدهم الذي يقول إن الآلهة أحياناً تزور الأرض . فدعوا برنابا زفس أبو الآلهة بسبب منظره الوقور وجلال هيئته والرقة والإحسان المرتسمين على محياه . أما بولس فاعتقدوا أنه هرمس «إِذْ كَانَ هُوَ الْمُتَقَدِّمَ فِي الْكَلاَمِ» (عدد ١١،١٢) وغيوراً ونشطاً وفصيحاً في كلام الإنذار والنصح .

فإذ أراد أهل لسترة أن يبرهنوا على شكرهم ألحوا على كاهن زفس بأن يقدم الإكرام للرسولين فأتى «بِثِيرَانٍ وَأَكَالِيلَ عِنْدَ الأَبْوَابِ مَعَ الْجُمُوعِ ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ» (عدد ١٣) . أما بولس وبرنابا اللذان كانا ينشدان الاعتكاف والراحة فلم يكونا عالمين بهذه الاستعدادات . ومع ذلك فسرعان ما استرعت انتباههما أصوات الموسيقى الحماسية الصادرة عن جمع غفير ممن قد أتوا إلى البيت الذي كانا يقيمان فيه .

فعندما تحقق الرسولان من سبب هذه الزيارة والاهتياج الذي صاحبها : «مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا ، وَانْدَفَعَا إِلَى الْجَمْعِ» (عدد ١٤) على أمل أن يمنعا أية إجراءات أخرى . وبصوت عال مجلجل ارتفع فوق هتاف الجمع طلب بولس من الناس أن يعيروه التفاتهم ، فإذ سكن الشعب فجأة قال: «أَيُّهَا الرِّجَالُ ، لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هذَا ؟ نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا ، الَّذِي فِي الأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ تَرَكَ جَمِيعَ الأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ . مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً ، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا» (عدد ١٥-١٧) .

وبالرغم من الإنكار القاطع الذي صرح به الرسولان بأنهما ليسا من الآلهة وبالرغم من محاولة بولس أن يوجه عقول الناس إلى الإله الحقيقي الذي له وحده

تليق العبادة والسجود فقد بدأ وكأنه يستحيل منع أولئك الوثنيين عن عزمهم في تقديم ذبائح . كان عندهم اعتقاد راسخ بأن هذين الرجلين هما آلهة ، وقد بلغ حماسهم حداً عظيماً بحيث لم يريدوا الاعتراف بخطئهم . والكتاب يقول أنهما : «وَبِقَوْلِهِمَا هذَا كَفَّا الْجُمُوعَ بِالْجَهْدِ عَنْ أَنْ يَذْبَحُوا لَهُمَا» (عدد ١٨) .

وقد احتج أهل لسترة قائلين إنهم قد شاهدوا بعيونه القوة المعجزية التي أجراها الرسولان ورأوا الرجل المقعد الذي لم يقو على السير من قبل ، يفرح ويتهلل بالصحة والقوة الكاملتين اللتين أعطيتا له . إنما فقط بعد الإقناع الكثير من جانب الرسول بولس والشرح الحريص عن رسالته هو و برنابا على أنهما فقط نائبان عن إله السماء وعن ابنه الشافي العظيم ، أمكن اقناع الجموع بالكف عن إتمام غرضهم .

إلا أن خدمات بولس وبرنابا في لسترة أُوقفت فجأة بسبب خبث اليهود الذين أتوا من «أَنْطَاكِيَةَ وَإِيقُونِيَةَ» (عدد ١٩) الذين إذ علموا بنبأ نجاح الرسولين في عملهما بين أهل ليكأونية عقدوا العزم على تعقبهما واضطهادهما . فإذ وصل هؤلاء اليهود إلى لسترة فسرعان ما نجحوا في أن يلهبوا قلوب شعب المدينة بالعداوة التي تحكمت في نفوسهم . وبكلام التشويه والتحريف والوشاية أمكن إقناع أولئك الذين منذ قليل كانوا يعتبرون بولس وبرنابا كائنات إلهية ، بأن الرسولين أردأ من المجرمين والقتلة ويستحقان الموت .

إن الخيبة التي مُنِي بها أهل لسترة في حرمانهم من امتياز تقديم الذبائح للرسولين مهدت لهم الطريق لأن ينقلبوا ضد بولس وبرنابا بحماس شبيه بالحماس الذي هتفوا به لهما على أنهما آلهة . فإذ حرضهم اليهود دبروا خطة للهجوم على الرسولين بالقوة . وقد أوصاهم اليهود بألا يسمحوا لبولس بفرصة للكلام مدعين بأنهم إن منحوه تلك الفرصة فسوف يخدع الشعب بتأثيره الساحر .

وسرعان ما نفذت المؤامرات الإجرامية التي دبرها أعداء الإنجيل . فإن أهل ليكأونية إذ خضعوا لقوة الشر سيطر عليهم غضب شيطاني ، وإذ قبضوا على بولس رجموه بلا رحمة . وقد ظن الرسول أن نهايته قد دنت ، وعاد إلى ذهنه بكل جلاء مشهد استشهاد استفانوس والدور القاسي الذي قام هو به في ذلك الحين . فإذ كان مصابا برضوض وكان مغشياً عليه من فرط الألم سقط إلى الأرض ، وحينئذ فالرجال الهائجون : «جَرُّوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، ظَانِّينَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ» (عدد ١٩) .

ففي هذه الساعة المظلمة الشاقة ظل جماعة المؤمنين في لسترة الذين بواسطة خدمة بولس وبرنابا اهتدوا إلى الإيمان بيسوع ، ظلوا مخلصين وأمناء . فالمقاومة غير المعقولة والاضطهاد القاسي الذي لجأ إليه الأعداء كان من نتائجه تثبيت إيمان هؤلاء الإخوة المكرسين . والآن ففي مواجهة الخطر والاحتقار برهنوا على ولائهم بأن اجتمعوا وهم محزونون حول جسد ذلك الذي كانوا يظنون أنه قد مات .

وكم كانت دهشتهم عظيمة ، إذ فيما كانوا يولولون عليه في حزن عظيم رفع الرسول رأسه وهب واقفاً على قدميه ، وعلى شفتيه تسابيح الشكر لله . لقد اعتبر المؤمنون إعادة الحياة إلى خادم الرب هذا معجزة أجريت بقدرة الله وبدا كأنها تصادق على إيمانهم الجديد وتختمه بختم السماء ، وقد فرحوا فرحاً لا ينطق به وسبحوا الله بإيمان متجدد .

وقد كان بين من اهتدوا في لسترة والذين كانوا شهود عيان لآلام بولس ، شاب كان مزمعاً أن يصير فيما بعد خادماً بارزاً للمسيح ، وكان مزمعاً أن يشترك مع الرسول في التجارب والأفراح التي ستكون من نصيبه في خدمته كرائد في الحقول الشاقة . كان هذا الشاب يدعى تيموثاوس . فعندما سحب بولس إلى

خارج المدينة كان هذا الشاب واحداً ممن وقفوا إلى جانب جسده الممد الذي كان يبدو وكأن نسمة الحياة قد فارقته ، ورآه يقوم مرضض الجسم وملطخاً بالدم ، ولكن كان فمه مملوءاً تسبيحاً لله لأنه سمح له أن يتألم لأجل المسيح .

وفي اليوم التالي بعدما رجم بولس رجع الرسولان إلى دربة حيث بارك الله خدماتهما وقبل كثيرون المسيح مخلصاً . ولكن «بَشَّرَا فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَتَلْمَذَا كَثِيرِينَ» (عدد ٢١) فإنه لا أبلوس ولا برنابا قنعا بأن يخدما في أي مكان آخر بدون أن يشددا أولاً إيمان المهتدين الذين قد اضطرا لتركهم إلى حين في الأماكن التي خدما فيها منذ عهد قريب . فإذ لم تكن ترهبهما المخاطر «رَجَعَا إِلَى لِسْتِرَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَنْطَاكِيَةَ ، يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَ التَّلاَمِيذِ وَيَعِظَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ» (عددا ٢١،٢٢) . كان كثيرون قد قبلوا بشارة الإنجيل معرضين أنفسهم للتعيير والمقاومة . فأراد الرسولان أن يثبتا هؤلاء في الإيمان حتى يدوم العمل الذي بدئ به .

ومن بين العوامل الهامة لنمو المهتدين الجدد روحياً حرص الرسولين على إحاطتهم بنظام الإنجيل كحارس وواقٍ . وسرعان ما نظمت كنائس في كل الأماكن في ليكأونية .

كان هذا متفقاً مع خطة الإنجيل وهى توحيد كل المؤمنين بالمسيح في جسد واحد . وبيسيدية حيث كان يوجد مؤمنون . وقد أقيم موظفون في كل كنيسة وساد النظام واستتب كل شيء لإدارة كل الشؤون الخاصة لخير المؤمنين الروحي .

وكان بولس حريصاً على اتباع هذه الخطة في كل خدمته . فكل الذين قبلوا المسيح مخلصاً بفضل جهوده في أي مكان ، نظموا في هيئة كنيسة في الوقت المناسب . وكان هذا الإجراء يتبع حتى عندما كان المؤمنون قليلى العدد . وهكذا

تعلم المسيحيون أن يعين بعضهم بعضاً متذكرين وعد الرب القائل : «لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (متى ١٨: ٢٠) .

ولم ينس بولس الكنائس التي أسست هكذا . فالاهتمام بهذه الكنائس كان يشغل تفكيره باستمرار كحمل يزداد ثقلاً مع الوقت . فمهما كانت جماعة المؤمنين صغيرة ، فقد كانت مع ذلك موضوع اهتمامه الدائم . كان بكل رقة ومحبة يسهر على الكنائس الصغرى متحققاً أنها في حاجة إلى رعاية خاصة كي يثبت أعضاؤها في الحق ويتعلموا أن يبذلوا جهوداً غيورة منكرة لذاتها لأجل من حولهم .

إن بولس وبرنابا في كل خدماتهما الكرازية حرصا على أن يتبعا مثال المسيح في التضحية الطوعية والعمل الغيور الأمين لأجل النفوس . وإذ كانا يقظين وغيورين لم يتبعا ميولهما أو راحتهما الشخصية بل بحرص وصلاة ونشاط لا يهدأ جعلا يبذران بذار الحق ... ومع إلقاء بذار الكلمة حرص الرسولان على أن يقدما لكل من اختار أن يقف إلى جانب الإنجيل ، إرشادات عملية لا تقدر بثمن . إن هذه الروح ، روح الغيرة ومخافة الله ، تركت تأثيراً باقياً على عقول التلاميذ الجدد فيما يختص بأهمية رسالة الإنجيل .

وعندما كان يهتدي الرجال المقتدرون الموهبون كما في أمر تيموثاوس ، كان بولس وبرنابا يجتهدان بكل غيرة كي يبنيا لهم ضرورة العمل في الكرم . وعندما كان الرسولان ينتقلان من هناك إلى مكان آخر فإن إيمان أولئك الرجال لم يكن يضعف بل كان يتقوى ويزداد . كانوا يتلقون التعليم بكل أمانة في طريق الرب وتعلموا كيف يقومون بخدمات منكرة لذاتها بغيرة ومواظبة لأجل خلاص بني جنسهم . فهذا التدريب الحريص للمهتدين الجدد كان عاملاً هاماً في النجاح العظيم الذي واكب بولس وبرنابا وهما يكرزان بالإنجيل في البلدان الوثنية . إن

الرحلة الكرازية الأولى كانت موشكة على الانتهاء . فـــإذ اســـتودع الرســـولان الكنائس المنظمة حديثاً بين يدي الرب ذهبا إلى بمفيلية . «وَتَكَلَّمَا بِالْكَلِمَـــةِ فِـــي بَرْجَةَ ، ثُمَّ نَزَلاَ إِلَى أَتَّالِيَةَ . وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَـــى أَنْطَاكِيَـــةَ» (عـــدد ٢٦،٢٥) .

الفصل التاسع عشر

اليهود والأمم

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١٥: ١ – ٣٥) .

إن بولس وبرنابا إذ وصلا إلى أنطاكية في سوريا حيث انطلقا منها للكرازة ، استغلا أول فرصة ليجمعا المؤمنين ويخبرا «بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمَا ، وَأَنَّهُ فَتَحَ لِلأُمَمِ بَابَ الإِيمَانِ» (أعمال ١٤: ٢٧) . كانت الكنيسة في أنطاكية كنيسة كبيرة ونامية . وكانت مركزا للنشاط الكرازي وتضم أهم جماعات المسيحيين المؤمنين . وكان أعضاؤها من طبقات مختلفة من الشعب من بينهم اليهود والأمم .

وإذ اتحد الرسولان مع الخدام والأعضاء العلمانيين في أنطاكية في بذل مسعى جاد غيور لربح نفوس كثيرة للمسيح ، نجح بعض اليهود المؤمنين «مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ» (عدد ٥) في إثارة سؤال سرعان ما أدى إلى مشادات واسعة النطاق في الكنيسة وسبب ذعراً للمهتدين من الأمم . فهؤلاء المعلمون المتهودون صرحوا بتأكيد عظيم أنه لكي يخلص الإنسان عليه أن يختتن ويحفظ كل الناموس الطقسي .

وقد واجه بولس وبرنابا هذه العقيدة الكاذبة بكل حزم وعارضا في تقديم ذلك الموضوع إلى الأمم . ومن الناحية الأخرى فإن العديد من اليهود المؤمنين في أنطاكية انحازوا إلى الموقف الذي وقفه الإخوة القادمون حديثاً من اليهودية .

وبوجه عام لم يكن المهتدون من اليهود يرغبون في التقدم بنفس السرعة التي فتحت لهم بها عناية الله الطريق . وقد كان واضحاً من نتائج خدمات الرسولين بين الأمم أن عدد المهتدين من بين هؤلاء كان أكثر جداً من المهتدين اليهود . وقد بات اليهود يخشون أنه إذا لم يجبر الأمم على حفظ القيود وطقوس الناموس كشرط لانضمامهم إلى شركة الكنيسة ، فإن الصفات القومية المميزة لليهود والتي قد حفظتهم إلى الآن منعزلين عن باقي الناس ، ستختفي نهائياً من بين أولئك الذين قد قبلوا رسالة الإنجيل .

كان اليهود يفاخرون دائماً بخدماتهم المعينة لهم من الله ، وكثيرون ممن قد اهتدوا إلى الإيمان بالمسيح كانوا لا يزالون يحسون بأنه حيث أن الله قد حدد وعين طريقة العبادة للعبرانيين فقد كان من غير المرجح بأنه سيسمح بأي تغيير أو تبديل في خصائصها وشروطها . وقد أصروا على أن الشرائع والطقوس اليهودية ينبغي أن تندمج في فرائض الديانة المسيحية . لقد كانوا متباطئين في إدراك حقيقة كون كل التقدمات الكفارية إنما كانت ترمز إلى موت ابن الله الذي فيه التقى الرمز بالمرموز إليه ، وأنه بعد موته ما عاد أحد ملتزماً بحفظ طقوس وشعائر النظام الموسوي .

إن بولس قبل اهتدائه كان يعتبر نفسه «مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ» (فيلبي ٣:٦) ولكن منذ تغير قلبه ، حصل على إدراك واضح لرسالة المخلص بوصفه الفادي للجنس البشري كله ، الأمم منهم واليهود على السواء ، وتعلم الفرق بين الإيمان الحي والطقوس الميتة . ففي نور الإنجيل أصبح للطقوس والشعائر القديمة المسلمة إلى إسرائيل معنى جديداً وعميقاً . فالذي كانت ترمز إليه هذه الطقوس قد تم ، والذين كانوا يعيشون في عهد النعمة والإنجيل تحرروا من حفظها . إلا أن بولس ، مع ذلك ، كان لا يزال يحفظ شريعة الله غير المتغيرة والمتضمنة في الوصايا العشر – كان يحفظها روحاً وحرفاً .

إن التأمل والتداول في مشكلة الختان في كنيسة أنطاكية ، نتج عنه كثير من المجادلات والنزاع . أخيراً ، إذ كان أعضاء الكنيسة يخشون أن ينتج عن مجادلاتهم المستمرة انقسام بين صفوفهم ، قرروا أن يرسلوا بولس وبرنابا مع بعض الرجال المسؤولين في الكنيسة إلى أورشليم لكي يبسطوا المسألة أمام الرسل والمشايخ . وكانوا سيقابلون هناك مندوبين عن الكنائس المختلفة وأولئك الذين قد أتوا إلى أورشليم لإحياء الأعياد التي كان موعدها قد أوشك . وفي أثناء ذلك كان ينبغي الكف عن كل المناقشات والمشادات إلى أن يبت نهائياً في الأمر في مجمع عام . ومن ثم كان ينبغي أن يقبل الجميع من مختلف الكنائس في كل البلاد هذا الحكم ويعملوا به .

وفي الطريق إلى أورشليم زار الرسولان ، المؤمنين المتواجدين في المدن التي مرا بها ، وشجعاهم بسرد اختبارهما في عمل الرب ، واهتداء الأمم إلى الحق .

وفي أورشليم التقى المبعوثون القادمون من أنطاكية بالإخوة القادمين من كنائس مختلفة الذين كانوا قد اجتمعوا في اجتماع عام ، فأخبرهم الرسولان عن النجاح الذي حالفهما في خدمتهما بين الأمم . وحينئذ قدما لهم ملخصاً واضحاً صريحاً بالارتباك الذي حدث لأن بعض المهتدين من الفريسيين قد ذهبوا إلى أنطاكية وأعلنوا أنه ينبغي للأمم أن يختتنوا ويحفظوا ناموس موسى لكي يخلصوا .

وقد تم بحث هذه المشكلة في المجمع بكل اهتمام . كما كانت توجد مشاكل أخرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة الختان تتطلب الدرس والبحث . كان بين المسائل مسألة الموقف الذي يتخذ حيال الذبائح التي تقدم للأوثان . لقد كان كثيرون من المهتدين من الأمم يعيشون بين شعب جاهل متمسك بالخرافات وكانوا كثيرا ما يقدمون ذبائحهم وقرابينهم للأوثان . كما كان كهنة الأوثان أولئك

يزاولون تجارة واسعة بالذبائح التي كانت تقدم لهم . وكان اليهود يخشون أن يجلب المهتدون من الأمم العار على المسيحية إذ يشترون مما قد ذبح للأوثان ، إذ بذلك يجيزون العادات الوثنية إلى حد ما .

ثم إن الأمم كانوا معتادين على أكل لحوم الحيوانات المخنوقة ، بينما كان الله قد علم اليهود أنه عند ذبح الحيوانات لتؤكل كان ينبغي ملاحظة الدم وهو يسيل من أجسامها وإلا فاللحم لم يكن يعتبر صحياً أو محللاً . لقد أعطى الله لليهود هذه الوصايا بقصد حفظ صحتهم . وقد اعتبر اليهود أكل الدم خطية . إذ كانوا يعتبرون إن الحياة هى في الدم وأن سفك الدم هو نتيجة الخطية .

أما الأمم فعلى نقيض ذلك كانوا يأخذون الدم السائل من الحيوانات بعد ذبحها ويستخدمونه في إعداد الطعام . ولم يستطع اليهود أن يصدقوا أنه ينبغي لهم تغيير العادات التي ساروا عليها بموجب توجيهات خاصة من الله . ولذلك ففي تلك الحالة لو حاول اليهودي والأممي أن يأكلا على مائدة واحدة فإن الأممي كان سيصيب اليهودي بصدمة شديدة ويسيء إليه .

لقد كان الأمم ، ونخص بالذكر منهم اليونانيين ، قوما شهوانيين إلى أقصى حد . وكان هنالك خطر من أن بعض الذين لم تتجدد قلوبهم يعترفون بالإيمان اعترافاً سطحياً دون أن ينبذوا أعمالهم الشريرة . ولم يكن المسيحيون من اليهود يستطيعون التساهل أمام الدعارة والفجور التي لم يكن الوثنيون يعتبرونها إجراما . ولذلك كان اليهود يعتقدون أنه من الملائم جداً أن يفرض على المهتدين من الأمم أن يختتنوا ويحفظوا الناموس الطقسي كاختبار لإخلاصهم وتكريسهم . وقد اعتقدوا بأن هذا كفيل بأن يمنع عن عضوية الكنيسة أولئك الذين إذ اعتنقوا الإيمان بدون تغيير في القلب كان يمكن أن يجلبوا العار فيما بعد على عمل الله بنجاستهم وافراطهم .

إن النقاط المختلفة المتضمنة في تسوية المشكلة الرئيسية التي كانت قيد البحث بدا وكأنها تشل المجمع بسبب المشاكل التي لا يمكن حلها . ولكن الحقيقة هي أن الروح القدس كان قد سبق فبت في هذه المشكلة التي كان يتوقف على الحكم فيها نجاح الكنيسة المسيحية إن لم يكن كيانها ووجودها نفسه .

«فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ» (عدد ٧) . لقد حاجَّهم قائلاً إن الروح القدس قد بت في القضية التي هى موضوع النزاع إذ حل على الأمم بقوة شبيهة بتلك التي قد حل بها على اليهود المختونين سواء بسواء . وقد قص عليهم خبر الرؤيا التي أراه الله فيها ملاءة بها كل دواب الأرض والوحوش وأمره أن يذبح ويأكل . فلما رفض مؤكدا إنه لم يأكل قط شيئا دنساً أو نجساً ، جاءه الجواب يقول : «مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ» (أعمال ١٠: ١٥) .

وقد قص بطرس على المجمع التفسير الواضح لهذه الأقوال ، ذلك التفسير الذي قدم إليه بعد الرؤيا مباشرة إذ جاء من استدعاه للذهاب إلى قائد المئة ليعلمه عن الإيمان بالمسيح . وقد برهنت هذه الرسالة على أن الله لا يحابي الوجوه ولكنه يقبل ويعترف بكل من يتقونه . وقد أخبرهم بطرس عن دهشته إذ فيما كان ينطق بكلام الحق هذا في مسامع أولئك الذين كانوا مجتمعين في بيت كرنيليوس شاهد الروح القدس يحل على سامعيه من الأممين واليهود سواء بسواء . فنفس النور والمجد اللذان أضاءا على اليهود المختونين أضاءا كذلك على وجوه الأمميين الغلف أي غير المختونين . وقد كان هذا إنذارا من الله لبطرس كي لا يعتبر إنسانا أقل شأنا من إنسان آخر ، لأن دم المسيح يستطيع أن يطهر من كل نجاسة .

كان بطرس قد تحاج مع إخوته قبل ذلك بشأن اهتداء كرنيليوس وأصدقائه واختلاطه بهم . فإذ كان في تلك الفرصة يقص عليهم كيف حل الروح القدس على الأمم أعلن قائلاً : «فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضًا بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، فَمَنْ أَنَا ؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ ؟» (أعمال ١١: ١٧) . والآن فها هو بنفس تلك الغيرة والحماس والقوة يقول : «وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِيًا لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا . وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ . فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ ؟» (عدد ٨-١٠) . لم يكن ذلك النير هو الوصايا العشر كما يدعى من يقاومون مطاليب الشريعة الملزمة ، ولكن بطرس يشير هنا إلى الشريعة الطقسية التي قد أُلغيت وأُبطلت بواسطة صلب المسيح .

وقد هيأ خطاب بطرس أعضاء المجمع كي يستمعوا بصبر إلى بولس وبرنابا اللذين قصا عليهم اختبارهما وهما يخدمان بين الأمم : «فَسَكَتَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ . وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبُولُسَ يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ اللهُ مِنَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ فِي الأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ» (عدد ١٢) . ثم أن يعقوب قدم شهادته بعزم وتصميم معلنا أنه كان في قصد الله أن يمنح الأمم نفس الامتيازات والبركات التي منحها لليهود .

لقد رأى الروح القدس أنه ليس حسناً أن تفرض الشريعة الطقسية على المهتدين من الأمم . وكان رأي الرسل في هذا الأمر متفقاً مع رأي روح الله القدوس . ثم أن يعقوب كان رئيساً للمجمع فكان قراره النهائي هو هذا: «لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ» (عدد ١٩) .

فكان في هذا فصل الخطاب وانتهاء الجدال . ولنا في هـــذا دليـــل علـــى دحض عقيدة الكنيسة البابوية الكاثوليكية- القائلة إن بطرس هو رأس الكنيسة وإن ادعاء البابوات بأنهم خلفاؤه ، ليس له أساس كتابي يدعمه . ولا شـــيء في حياة بطرس يمكن اعتباره مصادقة على الادعاء بأنه قد ارتفع وسما فوق إخوته بوصفه وكيل العلي . فلو أن الذين أعلنوا بأنهم خلفاء بطرس اتبعـــوا مثاله لكانوا قنعوا بأن يظلوا على قدم المساواة مع إخوتهم .

وفي هذه الفرصة يبدو أن يعقوب هو الذي اختير ليعلن الحكم الذي قد توصل إليه المجمع . وقد حكم بأنه ينبغي ألا يفرض الناموس الطقسي على الأمـم أو أن يلزموا بحفظه وعلى الخصوص فريضة الختان . وقد حاول يعقـــوب أن يطبـــع على عقول إخوته هذه الحقيقة وهي أن الأمم إذ رجعوا إلى الله فقد حـــدث فـــي حياتهم تغيير عظيم ، وأنه ينبغي مراعاة جانب الحيطة والحذر فـــلا يزعجوهـــم بمسائل مربكة مشكوك فيها وقليلة الأهمية لئلا يفشـــلوا وتخـــور قواهـــم فـــلا يستطيعون اتباع المسيح .

ومع ذلك فقد كان على الراجعين إلى الله من الأمم أن يمتنعوا عن العادات التي تتعارض مع مبادئ المسيحية . ولذلك فقد أجمع الرسل والمشايخ علـــى أن يوصوا الأمم عن طريق رسائل يرسلونها إليهم بالامتناع عن أكل ما ذبـــح للأوثان والزنا والمخنوق والدم . وكان يجـــب توصيتـــهم بحفـــظ الوصايـــا والعيشة المقدسة . كما كان ضرورياً أن يؤكدوا لهم أيضاً أن الرجال الذيـــن أعلنوا لهم بأنهم ملزمون بالختان ، لم يتلقوا تفويضاً من الرسل بذلك .

وقد امتدح الرسل لهم بولس وبرنابا على أنهما رجلان قد بذلا نفسيهما لأجـــل الرب وخاطرا بحياتهما لتقدم عمله . وقد أرسل يهوذا وسيلا مع هذين الرســولين ليخبرا الأمم شفاهاً بحكم المجمع فقالوا : «لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْـنُ ، أَنْ

لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ ، غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ ، وَعَنِ الدَّمِ ، وَالْمَخْنُوقِ ، وَالزِّنَا ، الَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمَّا تَفْعَلُونَ» (عدد ٢٨،٢٩) . وقد أُرسل خدام الله الأربعة هؤلاء إلى أنطاكية بالخطاب والرسالة التي كانت ستضع حداً ونهاية لكل المجادلات ، لأنها كانت من أعلى سلطة على الأرض .

وقد كان المجمع الذي أصدر حكمه في هذه القضية مكوناً من الرسل والمعلمين الذين كان لهم الفضل في إقامة الكنائس المسيحية من اليهود والأمم ، ومعهم مندوبون من أماكن مختلفة . فقد كان حاضراً في ذلك المجمع شيوخ من أورشليم ومندوبون من أنطاكية ، و كانت أعظم الكنائس نفوذاً ممثلة في المجمع . وكان المجمع يسير في أعماله بموجب الحكم النيِّر وعظمة الكنيسة التي أقامتها إرادة الله . وكان من نتائج مداولاتهم أنهم رأوا أن الله نفسه قد أجاب عن تلك المسألة التي كانت مطروحة للبحث بكونه أعطى الروح القدس للأمم ، فتحققوا أن عملهم هو أن يتبعوا إرشاد الروح .

لم يدع كل أعضاء الكنائس المسيحية ليبدوا رأيهم في تلك القضية . ولكن «الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ» ، الرجال ذوي النفوذ والحكم الصائب هم الذين صاغوا ذلك الحكم وبعثوا به ، ولذلك فقد أجمعت الكنائس المسيحية على قبوله . ومع ذلك فلم يكن الجميع راضين عن هذا الحكم ، فلقد كان هنالك حزب من بعض الإخوة ذوي الطموح الذين كانوا واثقين بأنفسهم ، حيث لم يوافقوا عليه . هؤلاء القوم ادعوا بأنهم إنما يقومون بالعمل على مسئوليتهم . وقد أمعنوا في التذمر والكشف عن أخطاء الآخرين ، وكانوا يقترحون خططاً جديدة ويحاولون هدم عمل الرجال الذين قد أقامهم الله ليعلموا الناس رسالة

الإنجيل . لقد كان على الكنيسة أن تواجه مثل هذه العقبات منذ البداية ، وسيظل الحال هكذا إلى انقضاء الدهر .

لقد كانت أورشليم حاضرة اليهود ، وكان يوجد فيها أعظم تزمت وأشد تعصب . فالمسيحيون من اليهود الذين كانوا ساكنين على مرأى من الهيكل ارتدت عقولهم بالطبع إلى امتيازات اليهود الخاصة كأمة . وعندما رأوا الكنيسة المسيحية تترك الطقوس والتقاليد اليهودية ، وأدركوا أن القدسية الخاصة التي أضيفت إلى العادات اليهودية مزمعة أن تغيب عن الأنظار في نور الإيمان الجديد ، غضب كثيرون منهم على بولس على اعتبار أنه الشخص الذي أحدث هذا التغيير إلى حد كبير . بل حتى التلاميذ أنفسهم لم يكونوا مستعدين كلهم لقبول قرار المجمع بكل رضى . كان كثيرون غيورين على الناموس الطقسي وكانوا ينظرون إلى بولس بازدراء لظنهم أن مبادئه الخاصة بحقوق الشريعة اليهودية والارتباط بها كانت تميل إلى التهاون والتراخي .

إن قرارات المجمع العام الجريئة والبعيدة المدى جلبت الثقة إلى نفوس صفوف المؤمنين من الأمم فنجح عمل الله وازدهر . وفي أنطاكية تمتعت الكنيسة بحضور يهوذا وسيلا ، وهما الرسولان الخاصان اللذان عادا مع الرسل من الاجتماع في أورشليم . إن يهوذا وسيلا «إِذْ كَانَا هُمَا أَيْضًا نَبِيَّيْنِ ، وَعَظَا الإِخْوَةَ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ وَشَدَّدَاهُمْ» (عدد ٣٢) . «أَمَّا بُولُسُ وَبَرْنَابَا فَأَقَامَا فِي أَنْطَاكِيَةَ يُعَلِّمَانِ وَيُبَشِّرَانِ مَعَ آخَرِينَ كَثِيرِينَ أَيْضًا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ» (عدد ٣٥) .

وعندما زار بطرس أنطاكية بعد ذلك ظفر بثقة كثيرين بتصرفه الحكيم نحو المهتدين من الأمم . فقد ظل لبعض الوقت يتصرف بموجب النور المعطى من السماء . وقد انتصر على تعصبه الفطري إلى حد أنه كان يأكل مع المهتدين من الأمم . ولكن عندما أتى من أورشليم بعض اليهود الغيورين على الناموس

الطقسي ، تصرف بطرس تصرفاً غير حكيم حيال المهتدين من الوثنية : «وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضًا ، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضًا انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ» . إن إظهار هذا الضعف من جانب الذين كانوا موقرين ومحبوبين كقادة ، ترك أثراً مؤلماً جداً في نفوس المؤمنين من الأمم . وهدد الكنيسة بالانقسام . ولكن بولس الذي رأى الأثر المخرب للظلم الذي وقع على الكنيسة بسبب رياء بطرس ، وبّخه علانية على إخفائه مشاعره الحقيقية بهذه الطريقة . وأمام الكنيسة سأل بولس بطرس قائلاً : «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيًّا لاَ يَهُودِيًّا ، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا ؟» (غلاطية ٢:١٣،١٤) .

وقد رأى بطرس الخطأ الذي وقع فيه ، وفي الحال عمد إلى إصلاح الشر الذي نتج عن ذلك ، على قدر ما استطاع . والله الذي كان يعرف النهاية من البداية سمح لبطرس بإظهار هذا الضعف في خلقه كي يرى ذلك الرسول المحنك أنه لا يوجد فيه شيء يدعوه للافتخار . فحتى أفاضل الناس سيخطئون في حكمهم لو تركوا لذواتهم . كما رأى الله أيضاً أنه في المستقبل سينخدع كثيرون بحيث يدعون أن لبطرس وخلفائه الأدعياء حقوقاً متميزة هي من حق الله وحده . وهذه الحادثة التي سجلت على الرسول ناحية من نواحي ضعفه ، كانت ستبقى برهاناً على أنه معرض للخطأ وعلى حقيقة كونه لا يمتاز بشيء عن باقي الرسل وأنه ليس معصوماً .

إن تاريخ هذا الانحراف عن مبادئ الحق يقف إنذاراً خطيراً لمن هم في مراكز ذات مسؤولية في عمل الله ، حتى لا يحيدوا عن الاستقامة ، بل يظلوا ثابتين على المبدأ . فكلما زادت التبعات الملقاة على الإنسان ، وكلما كثرت الفرص التي يمكنه فيها أن يملي إرادته ويفرض سلطانه ، كلما زاد الخطر الذي يمكنه أن يحدثه إذا هو لم يحرص على اتباع طريق الرب ويخدم متوافقاً مع القرارات التي قد وصل إليها جموع المؤمنين في مجمع مُتَّحِد .

بعد كل السقطات التي تردى فيها بطرس ، وبعد سقوطه ورجوعه ، وطريق خدمته الطويل وصلته الوثيقة بالمسيح ومعرفته لأعمال المخلص المستقيمة المبنية على المبادئ الصالحة ، وبعد كل التعاليم التي تلقاها ، والهبات والمعرفة والتأثير الذي حصل عليه عن طريق تعليم الكلمة والكرازة بها- أليس من الغريب أنه يرائي ويراوغ حول مبادئ الإنجيل بدافع الخوف من الناس أو لكي يظفر بالتقدير والإكرام ؟ أليس غريبا أنه يتردد ويتذبذب في صموده للحق ؟ ليت الله يعطي كل إنسان نعمة حتى يتحقق من عجزه وعدم قدرته بنفسه على أن يقود سفينة حياته باستقامة وسلام إلى الميناء .

إن بولس في خدمته كان يضطر في كثير من الأحيان لأن يقف وحده . لقد تعلم تعليماً خاصاً من الله ولم يجرؤ على أي تنازل يتضمن التضحية بالمبدأ . أحيانا كان كاهله ينوء تحت حمله الثقيل ، إلا أنه ظل ثابتاً إلى جانب الحق . ولقد تحقق من أن الكنيسة ينبغي ألا تخضع لسيطرة إنسان . فالتقاليد والمبادئ المقررة من الناس ينبغي ألا يستعاض بها عن الحق الإلهي المعلن . وينبغي ألا يتعطل تقدم رسالة الإنجيل بواسطة تعصب الناس أو تفضيلهم أو استحسانهم مهما يكن مركزهم في الكنيسة .

لقد كرس بولس نفسه وكل قواه لخدمة الله . فلقد قبل حقائق الإنجيل من السماء مباشرة ، ومدى سني خدمته كلها ظل محتفظاً بصلة حيوية مع رسل السماء . كان قد تعلم من الله فيما يختص بوضع أحمال لا ضرورة لها على أعناق المسيحيين من الأمم ، وهكذا عندما قدم اليهود المؤمنون للكنيسة التي في أنطاكية مشكلة الختان ، عرف بولس فكر روح الله بخصوص هذا التعليم ، واتخذ موقفاً ثابتاً لا يلين كفل للكنائس الحرية من الطقوس والشعائر اليهودية .

وبالرغم من حقيقة كون بولس متعلماً من الله تعليماً شخصياً فلم تكن عنده آراء متصلبة عن المسؤولية الفردية . ففيما كان ينظر إلى الله في انتظار إرشاد مباشر ، كان أبداً مستعداً لأن يعترف بالسلطة المعطاة لهيئة المؤمنين المتحدين معاً في شركة الكنيسة . لقد أحس بالحاجة إلى المشورة وعندما طرأت شؤون هامة سره أن يبسطها أمام الكنيسة ويتحد مع إخوته في طلب الحكمة من الله لاتخاذ القرارات الصائبة حيالها . وقد أعلن قائلاً: «وَأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ خَاضِعَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ . لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ ، كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ» (١كورنثوس ١٤: ٣٢،٣٣) . وقد اشترك مع بطرس في التعليم الداعي إلى أن جميع المرتبطين معاً في نظام الكنيسة وإمكاناتها ، ينبغي أن يكونوا «خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» (١بطرس ٥: ٥) .

الفصل العشرون

تمجيد الصليب

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١٥: ٣٦-٤١؛ ١٦: ١-٦) .

اقترح بولس على زميله في العمل بعدما قضيا وقتاً في الخدمة في أنطاكية أن يخرجا في رحلة كرازية جديدة . فقال مخاطبا برنابا: «لِنَرْجِعْ وَنَفْتَقِدْ إِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ نَادَيْنَا فِيهَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ ، كَيْفَ هُمْ» (أعمال ١٥:٣٦) .

كان كل من بولس وبرنابا يكن في قلبه أرق عواطف المحبة والتقدير لأولئك الذين قبلوا رسالة الإنجيل منذ عهد قريب نتيجة كرازتهما ، فكانا مشتاقين لرؤيتهم مرة أخرى . هذه الغيرة لم تفارق بولس قط . فحتى عندما كان في حقول كرازية نائية ، بعيداً عن مشاهد خدماته الأولى ، كان لا يزال يحمل في قلبه حمل حث هؤلاء المهتدين على أن يظلوا أمناء : «مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ» (٢كورنثوس ٧: ١) . لقد حاول بلا انقطاع أن يساعدهم على أن يكونوا مسيحيين نامين معتمدين على أنفسهم ، أقوياء في الإيمان حارين في غيرتهم وذوي قلوب موحدة في تكريسهم لله ولعمل تقدم ملكوته .

وقد كان برنابا مستعداً للذهاب مع بولس لا أنه كان يرغب في أن يأخذ معهما مرقس الذي عاد فقرر أن يكرس نفسه للخدمة . إلا أن بولس اعترض على

هذا : «فَكَانَ يَسْتَحْسِنُ أَنَّ الَّذِي فَارَقَهُمَا مِنْ بَمْفِيلِيَّةَ وَلَمْ يَذْهَبْ مَعَهُمَا لِلْعَمَلِ ، لاَ يَأْخُذَانِهِ مَعَهُمَا» (أعمال ١٥: ٣٨) ، لقد فارقهما مرقس في وقت الحاجة القصوى أثناء سفرتهما الكرازية الأولى ولهذا لم يرد بولس أن يصطحبه معهما هذه المرة . لم يكن بولس يميل لأن يغفر لمرقس ضعفه في تركه للعمل لينعم بالأمان والراحة في بيته وقد دافع عن وجهة نظره قائلاً أن شاباً ضعيف القوة إلى هذا الحد غير أهل لعمل يتطلب الصبر وإنكار الذات والشجاعة والتكريس والإيمان والرغبة في التضحية حتى بالحياة نفسها إذا دعت الضرورة . وقد كان النزاع حاداً وشديداً إلى حد أن انفصل بولس عن برنابا ، الذي سار بموجب قناعاته وأخذ مرقس معه: «وَبَرْنَابَا أَخَذَ مَرْقُسَ وَسَافَرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ . وَأَمَّا بُولُسُ فَاخْتَارَ سِيلاَ وَخَرَجَ مُسْتَوْدَعًا مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى نِعْمَةِ اللهِ» (أعمال ١٥:٣٩ و٤٠) فإذ اجتاز بولس وسيلا في سورية وكيليكية حيث كانا يشددان الكنائس ، وصلا أخيرا إلى دربة ولسترة في إقليم ليكأونية . كان بولس قد رجم في لسترة ومع ذلك فها نحن نراه يذهب إلى مشهد الخطر الذي جاز فيه من قبل . كان يتوق لأن يرى كيف كان أولئك الذين قد قبلوا الإنجيل بواسطة خدماته ، يحتملون امتحان التجربة . ولم يفشل ، لأنه وجد المؤمنين في لسترة قد بقوا ثابتين في وجه المقاومة الشديدة . وفي تلك المدينة التقى بولس بتيموثاوس للمرة الثانية ، ذاك الذي كان قد شاهد آلامه في نهاية زيارته الأولى للسترة ، والذي كان التأثير الذي انطبع على عقله وقتها قد زاد رسوخاً وعمقاً بمرور الزمن حتى اقتنع بأن واجبه يقتضيه تكريس نفسه تكريساً كاملاً لعمل الخدمة . لقد ارتبط قلبه بقلب بولس فتاق إلى مشاطرة الرسول في خدماته بقدر ما يتسع أمامه المجال .

أما سيلا رفيق بولس في الخدمة فكان خادماً محنكاً وعنده موهبة النبوة . ولكن العمل اللازم إنجازه كان عظيماً ومتسعاً بحيث كانت الحاجة تدعو لتدريب

عمال أكثر للخدمة النشطة . وقد رأى بولس في تيموثاوس شاباً يقدر قدسية عمل الخادم ، شاباً لا يفزعه منظر الآلام والاضطهاد ويرغب في التعلم . ومع ذلـــك فإن الرسول لم يجازف في أن يأخذ على نفسه مسئولية تدريـــب تيموثـــاوس ، الشاب غير المختبر على خدمة الإنجيل ، قبلما يقتنع تماماً بسلامة أخلاقه وحياته الماضية .

كان أبو تيموثاوس يونانياً أَمّا أمه فكانت يهودية . ومنذ طفولته كان يعـــرف الكتب المقدسة . إن التقوى التي رآها في حياته البيتية كانت سليمة ومعقولة . إن إيمان أمه وجدته بالكتب المقدسة كان بالنسبة إليه مذكراً دائماً بالبركة الناشئة عن عمل إرادة الله . لقد كانت كلمة الله هي القانون الـــذي بواســـطته قـــادت تـــانك المرأتان التقيتان تيموثاوس . إن القوة الروحية التي اقتبسها من تلـــك الـــدروس جعلت حديثه طاهراً وحفظته من أن يتلوث بالمؤثرات الشريرة المحيطـــة بـــه . وهكذا تعاونت معلمتاه في البيـــت مـــع الله فـــي إعـــداده لحمـــل المســـؤوليات والاضطلاع بالتبعات .

وقد رأى بولس أن تيموثاوس شاب أمين وثابت وصادق فاختاره ليكون رفيقـــاً له في الخدمة والسفر . إن تينك المرأتين اللتين علمتا تيموثاوس فـــي طفولتـــه كوفئتا بأن رأتا ذلك الابن الذي قد ربتاه ، مرتبطاً في شركة وثيقة مع الرســـول العظيم . كان تيموثاوس شاباً مجرداً عندما اختاره الله ليكـــون معلمـــاً ، ولكـــن مبادئه كانت قد رسخت بفضل تهذيبه الباكر حيث صار مؤهلاً لأن يأخذ مركـــزه كمساعد لبولس . ومع أنه كان شاباً فقد حمل تبعاته بوداعة مسيحية .

وزيادة في الاحتراس والحيطة نصح بولس تيموثـــاوس بحكمـــة أن يختتـــن كإجراء تحفظي- لا لأن الله طلب ذلك ، بل لكي يزيل من عقول اليهود ما يمكن أن يكون إعتراضاً على خدمة تيموثاوس . إن بولس وهو يباشر عمله كان عليـــه

أن يسافر من مدينة إلى أخرى في بلدان كثيرة . وفي غالب الأحيان كانت ستتاح له الفرص ليكرز بالمسيح في مجامع اليهود كما في أماكن أخرى . فلو علـم أن أحداً من شركائه في العمل غير مختتن ، فإن ذلك قد يعطل عمله إلى حد كبيـر بسبب تحامل اليهود وتعصبهم . فقد كان الرسول في كل مكان يصطدم بمقاومـة عنيدة واضطهادات قاسية . وكان يرغب في أن يقدم إلى إخوته اليهود ، كما إلى الأمم ، معرفة الإنجيل ، ولذلك فقد سعى دون مخالفة أسس الإيمان ، أن يزيـل كل عذر للمقاومة . ومع ذلك ففي حين أنه تسامح مع التعصب اليهودي إلى هـذا الحد ، فقد كان يعتقد ويعلم أن الختان والغرلة (أي البقاء بـلا ختـان) همـا لا شيء ، وأن إنجيل المسيح هو كل شيء .

لقد أحب بولس تيموثاوس «الابْنِ الصَّرِيحِ فِي الإِيمَانِ» (١تيموثـلوس ١: ٢) . وكثيرا ما كان الرسول العظيم ينفرد بتلميذه الشاب ويسأله فيما يختص بتـاريخ الكتاب ، وإذ كانا يسافران من مكان إلى آخر كان الرسول يعلمه بكـل حـرص كيف يقوم بعمل ناجح . إن بولس وسيلا كانا يحاولان في كل اجتماعاتهما مـع تيموثاوس أن يعمقا التأثير الذي كان قد انطبع على عقله عن طبيعة أعمال خـادم الإنجيل المقدسة والخطيرة .

ولكن تيموثاوس في عمله ، كان يطلب دائما مشورة بولس وتعليماته . ولـم يتصرف مدفوعاً بالعاطفة والشعور بل كان يمارس التأمل والتفكـير الـهادئ ، وفي كل خطوة كان يسأل: هل هذا هو طريق الرب ؟ وقد وجد فيه الروح القدس إنساناً «يمكن- أن يصاغ ويشكل كهيكل يسكنه الله» .

إن تعاليم الكتاب حين تمارس في الحياة اليومية ، يكون لها علـى الأخـلاق تأثير عميق ودائم . وقد تعلم تيموثاوس هذه التعاليم ومارسها .

لم يكن يملك مواهب فذة أو عبقرية ممتازة ، ولكن عمله كان لـــه قيمتـــه لأنه استخدم المواهب الممنوحة له من الله في خدمـــة السـيد . إن معرفتـه بالتقوى الاختبارية ميّزته عن غيره من المؤمنين وجعلت له تأثيراً كبـــيراً . إن أولئك الذين يعملون لأجل النفوس ينبغي لهم أن يصلوا إلى معرفة أعمـق وأكمل وأوضح لله مما يمكن أن يصل إليه الإنسان بمجهوده العادي . عليـــهم أن يلقوا بكل نشاطهم في عمل السيد . إنهم يقومون بدعوة سامية مقدســـة ، فإذا كان لهم أن يربحوا نفوساً أجراً لهم ، عليـــهم أن يتمســكوا بـــالله بكـل قوتهم ، وفي كل يوم يقبلون النعمة والقوة من نبع كل بركـــة : «لأَنَّـــهُ قَـدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ ، لِجَمِيعِ النَّاسِ ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَـــا أَنْ نُنْكِـرَ الْفُجُـورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَـــالَمِ الْحَـاضِرِ ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِـيحِ ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّـــا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تيطس ٢:١١-١٤) .

إن بولس وزميليه زاروا قبل أن يتقدموا إلى إقليم جديد ، الكنائس التي كـانت قد تأسست في بيسيدية والأقاليم المتاخمة لها: «وَإِذْ كَانُوا يَجْتَازُونَ فِـي الْمُـدُنِ كَانُوا يُسَلِّمُونَهُمُ الْقَضَايَا الَّتِي حَكَمَ بِهَا الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ الَّذِينَ فِـي أُورُشَـلِيمَ لِيَحْفَظُوهَا . فَكَانَتِ الْكَنَائِسُ تَتَشَدَّدُ فِي الإِيمَانِ وَتَزْدَادُ فِي الْعَدَدِ كُلَّ يَوْمٍ» .

كان بولس الرسول يحس بمسئوليته العظيمة نحو أولئك الذين قد اهتـــدوا نتيجة لخدماته . وكان يتوق فوق كل شيء لأن يكونوا أمناء . وقـــد قـال: «لافْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ ، بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بَاطِلاً وَلاَ تَعِبْتُ بَـــاطِلاً» (فيلبـي ٢:١٦) . لقد كان يرتعد رهبة على نتيجة خدمته . إذ أحس أنه حتى خلاصـه هو قد يتعرض للخطر إذا هو أخفق في القيام بواجبه ، وإذا أخفقت الكنيســة

في التعاون معه في خدمة خلاص النفوس . لقد عرف أن الكرازة وحدها لا تكفي لتعليم المؤمنين أن يتمسكوا بكلمة الحياة . كما عرف أنه «أَمْرٌ عَلَى أَمْرٍ ... فَرْضٌ عَلَى فَرْضٍ. هُنَا قَلِيلٌ هُنَاكَ قَلِيلٌ» ، ينبغي لهم أن يتعلموا التقدم في عمل المسيح .

إنه لمبدأ عام أنه عندما يرفض إنسان استخدام المواهب المعطاة له من الله ، فإن تلك المواهب تتلف وتهلك . فالحق الذي لا يعيشه الإنسان ، والذي لا يذاع على الآخرين ، يتجرد عن القوة المانحة للحياة كما يفقد قوته الشافية . ولهذا كان الرسول يخشى لئلا يفشل في إحضار كل إنسان كاملاً في المسيح . إن رجاء بولس في السماء ظهر قاتماً وغامضاً عندما فكر في أن أي اخفاق من جانبه كان يمكن أن ينتج عنه تقديم النموذج البشري بدلاً من الإلهي للكنيسة . إن علمه وفصاحته ومعجزاته ورؤاه التي فيها رأى المشاهد الأبدية عندما اختطف إلى السماء الثالثة– كل ذلك يمسي بلا جدوى إذا كان بسبب عدم أمانته في عمله يخيب ، أولئك الذين قد خدمهم ، من نعمة الله . وهكذا كان يتوسل بكلامه الذي نطق به وبرسائله إلى من قد قبلوا المسيح أن يحيوا حياة تعينهم على أن يكونوا : «بِلاَ لَوْمٍ ، وَبُسَطَاءَ ، أَوْلاَدًا ِللهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيل مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ . مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ» (فيلبي ٢: ١٥،١٦) .

كل خادم أمين يحس بمسؤولية ثقيلة لأجل تقدم المؤمنين الموكلين إلى رعايته ، وتحدوه الرغبة والشوق كي يكونوا عاملين مع الله . إنه يتحقق من أن نجاح الكنيسة يتوقف إلى حد كبير على أمانته في إتمام الواجب المعطى له من الله . فبكل غيرة وبلا كلل يحاول أن يلهم المؤمنين بالرغبة في ربح النفوس للمسيح متذكراً أن كل نفس تنضم إلى الكنيسة ستكون عاملاً آخر لأجل تنفيذ تدبير الفداء .

إن بولس وسيلا ومعهما تيموثاوس بعدما زاروا الكنائس في بيسيدية والإقليم المجاور «اجْتَازُوا فِي فِرِيجِيَّةَ وَكُورَةِ غَلاَطِيَّةَ» (أعمال ١٦ :٦) حيث أعلنوا بشارة الخلاص المفرحة بقوة عظيمة . كان أهل غلاطية يتعبدون للأوثان ، ولكن إذ بشرهم الرسل فرحوا بالرسالة التي تعدهم بالحرية من عبودية الخطية . وقد أعلن بولس وزميلاه تعليم التبرير بالإيمان بذبيحة المسيح الكفارية . وقد قدموا لهم المسيح على أنه الشخص الذي إذ رأى حالة العجز لجنسنا الساقط ، جاء ليفتدي الرجال والنساء بحياة الطاعة لشريعة الله وبدفع ثمن العصيان واحتمال القصاص . وفي نور الصليب بدأ كثيرون ممن لم يسبق لهم أن عرفوا الإله الحقيقى ، يدركون عظمة محبة الآب .

وهكذا تعلم الغلاطيون الحقائق الأساسية عن «اللهِ الآبِ» و«رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا ، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا» ، «بِخَبَرِ الإِيمَانِ» قبلوا روح الله وصاروا «أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ١: ٣،٤؛ ٣: ٢،٢٦) .

لقد عاش بولس بين أهل غلاطية بطريقة مكنته من أن يقول بعد ذلك : «أَتَضَرَّعُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ، كُونُوا كَمَا أَنَا» (غلاطية ٤: ١٢) . إن شفتيه كانتا قد مُستا بجمرة من على المذبح فاستطاع أن يرتفع فوق الضعفات الجسدية ، وأن يقدم يسوع للناس كرجاء الخاطئ الوحيد والذين سمعوه عرفوا أنه كان مع يسوع . فإذ كان مزودا بقوة من الأعالي استطاع أن يقرن الروحيات بالروحيات ويهدم معاقل الشيطان الحصينة . لقد انسحقت القلوب عندما سمعه الناس يقدم محبة الله كما ظهرت في ذبيحة ابنه الوحيد ، وكثيرون سألوا قائلين : ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص ؟

هذه الطريقة في تقديم الإنجيل كانت مميزة لخدمات الرسول طول مدة خدمته بين الأمم . لقد كان يرفع صليب جلجثة أمام عينيهم دائماً . وقد أعلن بعد ذلك

بسنين عن اختباره قائلاً : «فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا ، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا ، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ . لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا ، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ٥،٦) .

إن الرسل المكرسين الذين في أيام المسيحية الأولى حملوا بشارة الخلاص للعالم الهالك ، لم يسمحوا لأي فكر عن تمجيد الذات أن يفسد ويشوه تقديمهم للمسيح وإياه مصلوباً . إنهم لم يشتهوا السلطة أو التفوق . فإذ أخفوا ذواتهم في المخلص مجّدوا تدبير الخلاص وحياة المسيح رئيس هذا التدبير ومكمله . فالمسيح الذي هو أمس واليوم وإلى الأبد كان هو عبء تعليمهم .

ولو كان أولئك الذين يعلمون بكلمة الله اليوم يرفعون صليب المسيح أعلى فأعلى ، فإن خدمتهم كانت تصير أنجح بكثير مما كانت . فإذا أمكن إرشاد الخطاة لأن ينظروا إلى الصليب نظرة واحدة . جادة ، وإذا امكنهم أن ينظروا نظرة كاملة إلى المخلص المصلوب فسيتحققون من عمق رأفة الله وشر الخطية .

إن موت المسيح يبرهن على محبة الله العظيمة للإنسان . وهو ضمان خلاصنا . فإذا أبعدنا الصليب بعيداً عن المسيحى فكأننا حجبنا الشمس من جلد السماء . إن الصليب يقربنا إلى الله ويصالحنا معه . فبشفقة الآب المحب العطوف ، ينظر الرب إلى الآلام التي احتملها ابنه كي يخلص جنسنا من الموت الأبدى ويقبلنا في المسيح يسوع .

بدون الصليب ما كان يمكن للإنسان أن يتحد بالآب . فعليه يتوقف كل رجائنا . ومنه تنبعث أنوار محبة المخلص ، وعندما ينظر الخاطئ وهو عند أسفل الصليب إلى فوق ، إلى ذاك الذي قد مات ليخلصه ، يمكنه أن يفرح بملء

الفرح لأن خطاياه مغفورة . وإذ يجثو بإيمان عند الصليب يكون قد وصل إلى أرفع مكان يمكن أن يبلغه إنسان .

وبواسطة الصليب يمكننا أن نعلم أن الآب السماوي يحبنا محبة غير محدودة . فهل نستغرب إذا سمعنا بولس يهتف قائلاً : «فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غلاطية ٦: ١٤) . إنه امتياز لنا نحن أيضاً أن نفتخر بالصليب ، وأن نسلم أنفسنا بالتمام لمن قد بذل نفسه لأجلنا . وحينئذ فبكل النور الذى ينبثق من الجلجثة والذي يلتمع في وجوهنا يمكننا أن نخرج لنعلن هذا النور لمن هم في الظلمة .

الفصل الحادي و العشرون

في الأقاليم البعيدة

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٦ : ٧-٤٠) .

حان وقت إذاعة الإنجيل في الأقاليم البعيدة متخطياً حدود آسيا الصغرى . كان الطريق مُعبداً لبولس ورفيقيه ليعبروا إلى أوروبا . ففي تـرواس ، على تخوم البحر الأبيض المتوسط «ظَهَرَتْ لِبُولُسَ رُؤْيَا فِي اللَّيْلِ: رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ قَائِمٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا» (عدد ٩) .

كانت الدعوة ملزمة وقاطعة لا تسمح بأي تأخير . إن لوقا الذي كان مصاحباً لبولس وسيلا وتيموثاوس في الرحلة عبر أوروبا يعلن قائلاً: «فَلَمَّا رَأَى الرُّؤْيَا لِلْوَقْتِ طَلَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ ، مُتَحَقِّقِينَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَانَا لِنُبَشِّرَهُمْ . فَأَقْلَعْنَا مِنْ تَرُوَاسَ وَتَوَجَّهْنَا بِالاسْتِقَامَةِ إِلَى سَامُوثْرَاكِي ، وَفِي الْغَدِ إِلَى نِيَابُولِيسَ . وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى فِيلِبِّي ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ مِنْ مُقَاطَعَةِ مَكِدُونِيَّةَ ، وَهِيَ كُولُونِيَّةُ» (عدد ١٠-١٢) .

ثم يستطرد لوقا فيقول : «وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ خَرَجْنَا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ نَهْرٍ ، حَيْثُ جَرَتِ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ صَلاَةٌ ، فَجَلَسْنَا وَكُنَّا نُكَلِّمُ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي اجْتَمَعْنَ . فَكَانَتْ تَسْمَعُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا لِيدِيَّةُ ، بَيَّاعَةُ أُرْجُوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ ثِيَاتِيرَا ، مُتَعَبِّدَةٌ لِلهِ ،

فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا» (عدد ١٤،١٣) . لقد قبلت ليديا الحق بفرح . واهتدت هي وأهل بيتها واعتمدوا . ثم توسلت إلى الرسل أن يجعلوا بيتها بيتاً لهم ويمكثوا فيه .

وإذ كان رسل الصليب يقومون بعملهم في التعليم تبعتهم جارية فيها روح عرافة وصرخت قائلة : «هؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ ، الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ . وَكَانَتْ تَفْعَلُ هذَا أَيَّامًا كَثِيرَةً» (عدد ١٨،١٧) .

هذه الجارية كانت أداة طيعة في يد الشيطان ، وكانت تكسب مواليها (أو أسيادها) مكسباً كثيراً بعرافتها . وقد أعان تأثيرها على تقوية العبادة الوثنية . لقد عرف الشيطان أن مملكته غُزيت واعتُدي عليها ، فلجأ إلى هذه الوسيلة لمقاومة عمل الله على أمل أن يمزج سفسطته بالحقائق التي كان يعلم بها أولئك الذين كانوا يذيعون رسالة الإنجيل . إن كلمات المديح التي كانت الجارية تنطق بها كان فيها ضرر وتعطيل لقضية الحق إذ كانت تلهي عقول الناس وتصرف أذهانهم عن تعاليم الرسل وتجلب العار على الإنجيل ، وعن طريقها اعتقد العديد من الناس أن الرجال الذين كانوا يتكلمون بروح الله وقوته إنما كانوا مسوقين إلى ذلك بنفس الروح التي اعتملت في رسولة الشيطان تلك .

وقد ظل الرسل محتملين تلك المقاومة وصابرين عليها بعض الوقت ، وحينئذ ، وبإلهام الروح القدس ، أمر بولس ذلك الروح الشرير أن يخرج من تلك الجارية . وقد شهد صمتها المفاجئ أن الرسل هم فعلاً عبيد الله وأن الشيطان قد اعترف بأنهم كذلك وأنه أطاع أمرهم وخرج منها .

فإذ خرج ذلك الروح الشرير من الجارية ورجع إليها عقلها اختارت أن تكون تابعة للمسيح . حينئذ انزعج مواليها خوفاً على مهنتهم . لقد رأوا أن كل أملهم في الكسب عن طريق عرافتها وتنبؤاتها قد انتهى ، وأن مصدر رزقهم سينقطع تماماً فيما إذا سمح للرسل بمواصلة الكرازة بالإنجيل .

كثيرون غيرهم من سكان المدينة كانوا مهتمين بتحصيل المال عن طريق الخدع الشيطانية . وهؤلاء إذ كانوا يخشون من تأثير تلك القوة التي كانت فعالة في إيقاف عملهم ، أثاروا ضجة عظيمة ضد عبيد الله . فجروهما (بولس وسيلا) إلى الحكام واشتكوا عليهما قائلين : «هذَانِ الرَّجُلاَنِ يُبَلْبِلاَنِ مَدِينَتَنَا ، وَهُمَا يَهُودِيَّانِ ، وَيُنَادِيَانِ بِعَوَائِدَ لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْبَلَهَا وَلاَ نَعْمَلَ بِهَا ، إِذْ نَحْنُ رُومَانِيُّونَ» (عدد ٢٠،٢١) .

وإذ ثار الجموع وتملكهم اهتياج جنوني ، قاموا على التلميذين ، وقد اعتملت فيهم روح السوقة والرعاع سيما وأن السلطات صادقت على ذلك إذ «مَزَّقَ الْوُلاَةُ ثِيَابَهُمَا وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالْعِصِيِّ . فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً وَأَلْقُوهُمَا فِي السِّجْنِ ، وَأَوْصَوْا حَافِظَ السِّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا بِضَبْطٍ . وَهُوَ إِذْ أَخَذَ وَصِيَّةً مِثْلَ هذِهِ ، أَلْقَاهُمَا فِي السِّجْنِ الدَّاخِلِيِّ ، وَضَبَطَ أَرْجُلَهُمَا فِي الْمِقْطَرَةِ» (عدد ٢٣ - ٢٤) .

وقد تعذب الرسولان عذاباً هائلاً لا يطاق بسبب الوضع المؤلم الذي كانا عليه ، ولكنهما مع ذلك لم يتذمرا . بل عوضاً عن ذلك ، وفي دجى الليل ووحشة السجن ، كان أحدهما يشجع الآخر بكلام الصلاة ، وكانا يسبحان الله الذي حسبهما مستأهلين أن يحتملا العار لأجل اسمه . فابتهج قلباهما بمحبة عميقة حارة من أجل عمل فاديهما . وقد ذكر بولس الاضطهادات التي أوقعها على تلاميذ المسيح ، وفرح لأن عينيه قد فتحتا ليرى ، ولأن قلبه بدأ يخفق بقوة الحقائق المجيدة التي كان قبلا يحتقرها .

وبدهشة وذهول سمع السجناء الآخرون صوت الصلاة والتسبيح آتياً من السجن الداخلي . لقد كانوا معتادين من قبل على سماع الصرخات وأصوات الأنين واللعنات والسباب تبدد سكون الليل ، ولكنهم لم يسبق لهم قط أن سمعوا تلك

الصلوات والتسابيح صاعدة من تلك الزنزانة المظلمة الكئيبة . ولقد ذهل الحراس والمسجونون ، على حد سواء ، وسألوا بعضهم بعضا عمن يكون ذانك الرجلان اللذان ، رغم البرد الذي مزق أوصالهما ، والجوع الذي أضناهما ، والعذاب الذي مزق جسديهما ، أمكنهما ، مع ذلك ، أن يفرحا ويتهللا .

وفي تلك الأثناء كان الولاة في طريق عودتهم إلى بيوتهم ، وهم يهنئون أنفسهم على أنهم بتلك الإجراءات السريعة الحاسمة قمعوا الثورة قبل نشوبها . إلا أنهم وهم سائرون ، سمعوا تفصيلات أخرى عن صفة وعمل ذينك الرجلين اللذين قد حكم عليهما بالجلد والسجن . ثم إذ رأوا الجارية التي خرج منها الروح الشيطاني ، دهشوا بسبب التغيير الذي رأوه في وجهها وتصرفها . كانت الجارية قد أحدثت في الماضي اضطراباً عظيماً في المدينة ، أما الآن فقد أصبحت هادئة ومسالمة . وإذ تحققوا أنهم من المرجح أن يكونوا قد أوقعوا عقوبة القانون الرومانى القاسية على رجلين بريئين ، غضبوا على أنفسهم وعقدوا العزم على أنهم في الصباح التالي سيأمرون بإطلاق سراح الرسولين سراً ويخرجونهما من المدينة ، بعيداً عن خطر ظلم الرعاع وقسوتهم .

ولكن في حين كان الناس قساة ومحبين للانتقام أو مهملين إهمالاً إجرامياً للتبعات الخطيرة الملقاة على عواتقهم ، فإن الله لم ينس أن يكون رحيماً نحو عبديه . لقد كانت السماء بأسرها مهتمة بالرجلين اللذين كانا يتألمان لأجل المسيح ، فأرسل ملائكة لزيارة السجن . فما إن لمست أرجلهم الأرض حتى تزلزلت ، وأبواب السجن الموصدة بكل ضبط وأحكام انفتحت وانفكت قيود المسجونين جميعاً وغمر حجرات السجن المظلمة فيض من النور .

كان حافظ السجن قد سمع بدهشة وذهول صلوات وتسبيحات الرسولين السجينين . فإذ كان يدخلهما إلى السجن شاهد جروحهما المتورمة الدامية وقد

ضبط هو بنفسه أرجلهما في المقطرة . وكان يتوقع أن يسمع منهما أصوات الأنين المر واللعنات وألفاظ السباب ، ولكنه بدلاً من ذلك سمع أغاني الفرح والتسبيح . وإذ كانت هذه الأصوات لا تزال ترن في أذنيه عبث النعاس بجفنيه فنام السجان نوما أوقظ منه على صوت الزلزلة واهتزاز أسوار السجن .

فإذ استيقظ فزعاً ، رأى برعب شديد كل أبواب السجن مفتوحة ، فتملكه الخوف لئلا يكون المسجونون قد هربوا . وقد ذكر كيف أسلم إليه بولس وسيلا بوصية مشددة ، في الليلة السابقة ، كي يحرسهما بضبط وأيقن من أن الموت الأكيد سيكون جزاءه على عدم أمانته الظاهرة . فقد أحس في مرارة نفسه بأنه خير له أن يقتل نفسه من أن يحتمل عار موت مشين . فإذ استل سيفه ، وكان مزمعاً أن يقتل نفسه ، جلجل صوت بولس بنغمة مرحة قائلاً : «لاَ تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا ! لأَنَّ جَمِيعَنَا ههُنَا» (عدد ٢٨) . لقد ظل كل رجل في مكانه ، محصوراً بقوة الله التي تجلت في رفيق لهم في السجن .

إن القسوة التي عومل بها الرسولان من قبل السجان ، لم تثر غضبهما . فالذي كان يسكن في قلب بولس وسيلا هو روح المسيح وليس روح الانتقام . فإذ كان قلباهما مفعمين بمحبة المخلص لم يكن فيهما أي مجال للحقد على مضطهديهما .

أسقط السجان سيفه ، وإذ طلب ضوءاً ، اندفع إلى السجن الداخلي . كان يريد أن يرى أى رجلين هما هذان اللذان قابلا القسوة التي عوملا بها بمثل هذا الرفق . فإذ وصل إلى حيث كان الرسولان وخر أمامهما ، طلب منهما الصفح . ثم إذا أخرجهما إلى الدار الخارجية ، سألهما قائلاً : «يَا سَيِّدَيَّ ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ ؟» (عدد ٣٠) .

لقد ارتعب السجان إذ رأى غضب الله بادياً في الزلزلة ، وعندما ظن أن المسجونين قد هربوا ، كان مستعدا لأن يسقط على حد سيفه ويموت ، أما الآن

فكل هذه الأشياء تبدو قليلة الأهمية بالمقارنة مع الرعب الجديد الغريب الذي اهتاج في عقله ، ورغبته في امتلاك الهدوء والفرح اللذين أظهرهما الرسولان تحت الآلام والإهانات . لقد رأى نور السماء على وجهيهما ، وعلم أن الله قد تدخل بطريقة معجزية لإنقاذ حياتهما . وبقوة غريبة عادت إلى ذهنه الكلمات التي نطقت بها الجارية التي كان فيها روح العرافة حين قالت : «هؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ ، الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ» (عدد ١٧) .

فبوداعة عميقة سأل الرسولين أن يُرياه طريق الحياة . فأجاباه قائلين : «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ . وَكَلَّمَاهُ وَجَمِيعَ مَنْ فِي بَيْتِهِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ» (عدد ٣١،٣٢) . حينئذٍ غسَّل السجان جروح الرسولين وخدمهما ، وبعد ذلك اعتمد هو والذين له أجمعون . لقد تغلغلت في قلوب نزلاء ذلك السجن قوة مقدسة ، وانفتحت أذهان الجميع للإصغاء إلى الحقائق التي نطق بها الرسولان . وقد اقتنعوا أن الإله الذي يخدمه هذان الرجلان قد تدخل بطريقة معجزية لإنقاذهما من الأسر .

ارتعب سكان مدينة فيلبي بسبب الزلزلة . وعندما أخبر ضباط السجن الولاة في الصباح بما حدث في الليل ، خافوا وأرسلوا الجلادين لإطلاق سراح الرسولين من السجن . ولكن بولس أعلن قائلاً: «ضَرَبُونَا جَهْرًا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ رَجُلاَنِ رُومَانِيَّانِ ، وَأَلْقَوْنَا فِي السِّجْنِ . أَفَالآنَ يَطْرُدُونَنَا سِرًّا ؟ كَلاَّ ! بَلْ لِيَأْتُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَيُخْرِجُونَا» (عدد ٣٧) .

كان الرسولان من المواطنين الرومان ، وكان القانون يحرم جلد أي رجل روماني ، إلا إذا كان ذلك بسبب جريمة شنعاء فاضحة . كما كان يحرم أيضاً تجريد الرومانى من حريته بدون محاكمة عادلة . أما بولس وسيلا فقد سجنا علانية ، ولذلك فقد رفضا الآن أن يطلق سراحهما سراً إلا بعدما يقدم الولاة تفسيراً لائقاً لذلك .

فعندما وصل هذا الكلام إلى مسامع الحكام ، فزعوا خوفاً من أن يشكوهم الرسولان إلى الإمبراطور . وإذ ذهبوا للتو إلى السجن اعتذروا لبولس وسيلا عن الظلم والقسوة اللذين وقعا عليهما ، وأخرجوهما بأنفسهم من السجن ، متوسلين إليهما أن يخرجا من المدينة . لقد كانوا يخشون من تأثير الرسولين على الشعب ، كما كانوا يخشون من بطش القوة التي قد تدخلت لصالح هذين الرجلين البريئين .

فتمشيا مع توصيات المسيح لم يرد الرسولان أن يفرضا وجودهما حيث لم يكن من يرغب في بقائهما . «فَخَرَجَا مِنَ السِّجْنِ وَدَخَلاَ عِنْدَ لِيدِيَّةَ ، فَأَبْصَرَا الإِخْوَةَ وَعَزَّيَاهُمْ ثُمَّ خَرَجَا» (عدد ٤٠) .

إن الرسولين لم يعتبرا تعبهما في فيلبي باطلاً . نعم إنهما واجها مقاومات واضطهادات كثيرة ، ولكنّ تدخل عناية الله لصالحهما ، واهتداء السجان وأهل بيته ، كان ترضية وتعويضاً كافياً عن العار والآلام التي قد احتملاها . إن أنباء إلقائهما في السجن ظلماً ونجاتهما بمعجزة انتشرت في كل ذلك الإقليم ، وهذا جعل عدداً كبيراً من الناس يعرفون عن عمل الرسولين ، ممن لم يكن ممكنا الوصول إليهم بطريقة أخرى .

وكان من نتائج خدمات بولس في فيلبي أن تأسست فيها كنيسة كانت عضويتها تتزايد باستمرار . فغيرته وتكريسه ، وفوق الكل ، استعداده لأن يتألم لأجل المسيح كل ذلك كان له تأثير عميق ودائم على المهتدين الذين كانوا يقدرون الحقائق الثمينة التي لأجلها قدم الرسل كل تلك التضحيات ، وهكذا قدم هؤلاء الناس أنفسهم في تكريس قلبي كامل لعمل فاديهم .

ومن بعض ما جاء في رسالة بولس إليهم ، يمكننا أن نتحقق من أن هذه الكنيسة لم تنج من الاضطهاد إذ يقول : «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ

تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ . إِذْ لَكُمُ الْجِهَادُ عَيْنُهُ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فِيَّ ، وَالآنَ تَسْمَعُونَ فِيَّ» . ومع ذلك فقد كان ثباتهم في الإيمان عظيما بحيث أعلن عنهم قائلاً: «أَشْكُرُ إِلهِي عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي إِيَّاكُمْ دَائِمًا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِي ، مُقَدِّمًا الطَّلْبَةَ لأَجْلِ جَمِيعِكُمْ بِفَرَحٍ لِسَبَبِ مُشَارَكَتِكُمْ فِي الإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى الآنَ» (فيليبى ١ :٢٩-٣٠، ٣-٥) .

ما أرهب الصراع الناشب بين قوات الخير وقوات الشر في المراكز الهامة التي يدعى رسل الحق للعمل فيها . فالرسول يعلن قائلاً : «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ ولَحْمٍ ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ ، مَعَ السَّلاَطِينِ ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ» (أفسس ٦:١٢) . وسيظل النضال محتدماً بين كنيسة الله وبين أولئك الذين هم تحت سيطرة الملائكة الأشرار ، إلى انقضاء الدهر .

كثيراً ما كان يدعى المسيحيون الأولون لمواجهة قوات الظلمة وجهاً لوجه . لقد حاول العدو بواسطة المغالطة والاضطهاد أن يحولهم عن الإيمان الحقيقي . وفي عصرنا الحاضر ، عندما نرى نهاية كل شيء تدنو سريعاً ، يبذل الشيطان جهوداً يائسة ليصطاد العالم في أشراكه . إنه يبتكر خططاً كثيرة ليشغل الأذهان ويحوّل التفات الناس عن الحقائق الجوهرية للخلاص . وفي كل مدينة يدأب أعوانه على حشد الذين يقاومون شريعة الله وتنظيمهم في أحزاب . إن المخادع الأعظم يعمل على إدخال عناصر الارتباك والعصيان ، فتثور ثائرة الناس بغيرة ليست حسب المعرفة .

إن الشر قد تفاقم إلى حد لم يبلغه من قبل ، ومع ذلك فكثيرون من خدام الإنجيل يصرخون قائلين: «سلام وأمان» ولكن على رسل الله الأمناء أن يتقدموا إلى الأمام بثبات في عملهم . وإذ يلبسون سلاح السماء ، عليهم أن يتقدموا بلا خوف وبانتصار ، ولا يكفون قط عن شن الحرب حتى تقبل كل نفس يمكن أن يصلوا إليها ، رسالة الحق الخاصة بهذا الزمن .

الفصل الثاني والعشرون

تسالونيكي

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١٧: ١-١٠) .

اتجه بولس وسيلا بعد تركهما فيلبي إلى تسالونيكي . وفي هذه المدينة كان لهما امتياز مخاطبة جمع غفير من الناس في مجمع لليهود . إن منظرهما برهن على المعاملة المهينة التي عوملا بها منذ عهد قريب واستلزم إيضاحاً لما قد حدث . وهذا ما فعلاه دون أن يمجدا نفسيهما ، بل مجدا ذاك الذى هيأ لهما سبيلاً للنجاة .

إن بولس ، وهو يكرز للتسالونيكيين ، استشهد بما ورد في نبوات العهد القديم عن المسيا . إن المسيح في خدمته فتح أذهان التلاميذ إلى هذه النبوات إذ «ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» (لوقا ٢٤:٢٧) . وبطرس وهو يكرز بالمسيح ، اقتبس براهينه من كتب العهد القديم . واستفانوس سار على النهج نفسه . وكذلك التجأ بولس في خدمته إلى أجزاء العهد القديم المنبئة بميلاد المسيح وآلامه وموته وقيامته . فمن شهادة موسى والأنبياء الموحى بها ، برهن على أن يسوع الناصري هو المسيا ذاته ، وبرهن أيضاً على أنه منذ عهد آدم كان صوت المسيح هو الذي تكلم على أفواه الآباء والأنبياء .

لقد أعطيت نبوات واضحة وصريحة خاصة بظهور السيد الموعود به . فلقد أعطي لآدم تأكيد عن مجيء الفادي . فالحكم الذي صدر على الشيطان والقائل : «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَك وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ ، وَبَيْنَ نَسْلِك وَنَسْلِهَا . هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» كان وعداً لأبوينا الأولين عن الفداء الذي كان سيتم بواسطة المسيح .

وقد أعطي لابراهيم الوعد أنه من نسله سيأتي مخلص العالم ، إذ قال له الله : «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ» ، «لاَ يَقُولُ وَفِي الأَنْسَالِ كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ وَفِي نَسْلِكَ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ» .

ثم أن موسى قرب نهاية عمله كقائد ومعلم لإسرائيل تنبأ بكل وضوح عن المسيا الآتي فقال لحشود الإسرائيليين المجتمعين هذه الكلمات : «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي . لَهُ تَسْمَعُونَ» . وقد أكد موسى للإسرائيليين بأن الله نفسه قد أعلن هذا له حين كان في جبل حوريب قائلاً : «أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ» (تكوين ٣: ١٥، ٢٢: ١٨؛ غلاطية ٣: ١٦؛ تثنية ١٨: ١٥،١٨) .

كان المسيا سيأتي من نسل الملوك لأن الرب قال في النبوة التي نطق بها يعقوب: «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ» .

وإشعياء تنبأ قائلاً : «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى ، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ» كما يقول أيضاً : «أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلُمُّوا إِلَيَّ . اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ . وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا ، مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ . هُوَذَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَارِعًا لِلشُّعُوبِ ، رَئِيسًا وَمُوصِيًا لِلشُّعُوبِ . هَا أُمَّةٌ لاَ تَعْرِفُهَا تَدْعُوهَا ، وَأُمَّةٌ لَمْ تَعْرِفْكَ تَرْكُضُ إِلَيْكَ ، مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ إِلهِكَ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكَ» .

كما شهد إرميا أيضاً عن مجيء الفادي كرئيس بيت داود فقال : «هَـــا أَيَّـــامٌ تَأْتِي ، يَقُولُ الرَّبُّ ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ ، وَيُجْرِي حَقًّـــا وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ . فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا ، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا ، وَهذَا هُـــوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ : الرَّبُّ بِرُّنَا» كما قال أيضاً: «لأَنَّهُ هكَذَا قَـــالَ الـــرَّبُّ : لاَ يَنْقَطِعُ لِدَاوُدَ إِنْسَانٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ، وَلاَ يَنْقَطِعُ لِلْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّيــنَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِي يُصْعِدُ مُحْرَقَةً ، وَيُحْرِقُ تَقْدِمَةً ، وَيُهَيِّيءُ ذَبِيحَــةً كُــلَّ الأَيَّــامِ» (تكوين ٤٩: ١٠؛ إشعياء ١١: ١، ٥٥: ٣-٥ ؛ إرميا ٢٣: ٥،٦؛ ٣٣: ١٧،١٨) .

بل حتى مكان ميلاد المسيا سبق فأنبئ به إذ يقول ميخا النبي : «أَمَّا أَنْتِ يَـــا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا ، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِـــي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» .

كما أن العمل الذي كان يجب أن يقوم به المخلص على الأرض لخـــص تلخيصـــاً شاملا إذ يقول الوحي : «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ ، رُوحُ الْحِكْمَـــةِ وَالْفَـــهْمِ ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الـــرَّبِّ» . ذاك الممسوح هكذا كان سيجول يبشر المساكين ... «لأَعْصِبَ مُنْكَسِـــرِي الْقَلْـــبِ ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ . لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلـــرَّبِّ ، وَبِيَوْمِ انْتِقَامٍ لإِلهِنَا . لأُعَزِّيَ كُلَّ النَّائِحِينَ . لأَجْعَلَ لِنَـــائِحِي صِـــهْيَوْنَ ، لأُعْطِيَـــهُمْ جَمَالاً عِوَضًا عَنِ الرَّمَادِ ، وَدُهْنَ فَرَحٍ عِوَضًا عَنِ النَّوْحِ ، وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضًـــا عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ ، فَيُدْعَوْنَ أَشْجَارَ الْبِرِّ ، غَرْسَ الرَّبِّ لِلتَّمْجِيدِ» (ميخـــا ٥: ٢؛ إشعياء ١١: ٢،٣؛ ٦١: ١-٣) .

«هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي . وَضَعْتُ رُوحِـــي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ . لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّـــارِعِ صَوْتَـــهُ . قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ . إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ .

لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ» (إشعياء ٤٢: ١ - ٤) .

وهكذا ، وبقوة إقناع عظيمة كان بولس يحاج من أسفار العهد القديم «مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أعمال ١٧:٣) . ألم يتنبأ ميخا قائلاً : «يَضْرِبُونَ قَاضِيَ إِسْرَائِيلَ بِقَضِيبٍ عَلَى خَدِّهِ» (ميخا ٥: ١) . أولم يتنبأ السيد عن نفسه على لسان إشعياء قائلاً : «بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ . وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ» (إشعياء ٥٠: ٦) . وبواسطة المرنم تنبأ المسيح عن المعاملة التي كان سيعامله بها الناس فقال: «أَنَا ... عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ . كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي . يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ» «أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ . يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ» . «صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي ، وَغَرِيبًا عِنْدَ بَنِي أُمِّي . لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي ، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» «الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ . انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ» (مزمور ٢٢: ٦-٨،١٧،١٨؛ ٦٩: ٨،٩،٢٠) .

وبأي وضوح لا يخطئ وصفت نبوات إشعياء آلام المسيح وموته حين قال متسائلاً : «مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا ، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ . مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا ، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ» .

«لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا ، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا . وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً . وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا ، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا . تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» .

«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا . مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا . ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ . وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي» (إشعياء ٥٣: ١-٨) .

بل حتى كيفية موته رمز إليها . فكما رفع موسى الحية في البرية كذلك كان ينبغى أن يرفع الفادي الآتي : «لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦) .

«فَيَقُولُ لَهُ : مَا هذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : هِيَ الَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي» (زكريا ١٣: ٦) . «وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ . أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ» (إشعياء ٥٣: ٩،١٠) .

ولكن ذاك الذي كان مزمعا أن يموت بأيدي الأشرار كان سيقوم ثانية كمنتصر على الخطية والقبر . إن مرنم شعب الله الحلو شهد بإلهام من الله العلي عن أمجاد صباح القيامة فقال بفرح : «جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا . لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ . (في القبر) ، لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا» (مزمور ١٦: ٩،١٠) .

لقد أظهر بولس الاتحاد الوثيق الذي به قرن الله الخدمة الكفارية بالنبوات التي تشير إلى ذاك الذي كان «كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ» . فالمسيا كان مزمعاً أن يبذل حياته «ذَبِيحَةَ إِثْمٍ» . إن النبي إذ تطلع عبر العصور إلى مشاهد كفارة المخلص ، شهد بأن حمل الله «سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ» (إشعياء ٥٣: ٧،١٠،١٢) .

إن المخلص الذي تكلمت عنه النبوات كان سيأتي لا كملك أرضـــي ليحـــرر الأمة اليهودية من ظالميها الأرضيين ، بل كإنسان بين الناس ليحيا حياة الفقـــر والاتضاع وفي النهاية يحتقر ويرفض ويقتل . إن المخلص الذي تنبـــأت عنـــه أسفار العهد القديم كان سيقدم نفسه ذبيحة عن جنسنا الساقط ، وبذلك يوفي كـــل مطاليب الشريعة التي كسرت . ففيه كانت الرموز الكفارية ســتلتقي بـــالمرموز إليه ، وكان موته على الصليب سيضفي معنى على كل النظام اليهودي .

وقد أخبر بولس جماعة اليهود في تسالونيكي عن غيرتـــه الماضيـــة علـــى الشريعة الطقسية ، وعن اختباره العجيب الذي حدث له عند أبواب دمشق . كـان قبل اهتدائه يضع ثقته في التقوى الوراثية ، وما كان ذلـــك إلا رجـــاء كـــاذب وسراب مخادع . فلم يكن إيمانه مثبتا في المسيح . وبدلاً من ذلـــك وثـــق فـــي الفرائض والطقوس . وكانت غيرته على الناموس منفصلة عن الإيمان بالمســيح فكانت عديمة الجدوى . وفيما كان يفخر بأنه بلا لوم في ممارسة أعمال الناموس والتقيد بحرفيته ، كان قد رفض ذاك الذي جعل الناموس ذا قيمة .

ولكن عند وقت اهتدائه وتجديده تبدل كل شيء . فيسوع الناصري الذي كـــان يضطهده في شخص قديسيه ظهر أمامه كالمسيا الموعود به . لقد رآه المضطـهد كابن الله الذي قد جاء إلى الأرض إتماما للنبوات ، والذي في حياته تمـــت كـــل شروط الكتب المقدسة .

وإذ جاهر بولس بالإنجيل في المجمع في تسالونيكي بجرأة مقدســـة ، سُـلِّطَ فيض من النور على معنى الفرائض والطقوس المتصلة بخدمة خيمة الاجتمـاع . وقد وجه عقول سامعيه إلى ما بعد الخدمة الأرضية وخدمة المسيح في القـــدس السماوي ، إلى الوقت الذي فيه ، بعدما يكمل المسيح عمله كوسيط ، سيأتي ثانية بقوة ومجد عظيم ويثبت ملكوته على الأرض . كان بولس يؤمن بالمجيء الثاني

للمسيح ، وبكل وضوح وقوة قدم الحقائق الخاصة بهذا الحادث ، بحيث تـــأثرت عقول كثيرين من سامعيه تأثيراً لم يمح قط .

ولمدى ثلاثة سبوت متتابعة جعل بولس يكرز لأهل تسالونيكي وهو يحاجـــهم من الكتب المقدسة فيما يختص بحياة المسيح وموته وقيامته وعملـــه الســماوي ومجده العتيد «الخروف المذبوح منذ تأسيس العالم» . (رؤيا ١٣: ٨) . لقد مجــد المسيح ، الذي يعتبر إدراك خدمته إدراكاً جيداً ، المفتاح الذي يفتح أسفار العــهد القديم مانحاً للجميع الفرصة للاطلاع على كنوزها الغنية .

فإذ أذيعت حقائق الإنجيل هكذا في تسالونيكي ، بقوة عظيمة ، استرعى هـــذا انتباه جماعات كثيرة «فَاقْتَنَعَ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَانْحَازُوا إِلَى بُولُـــسَ وَسِـــيلاَ ، وَمِـــنَ الْيُونَانِيِّينَ الْمُتَعَبِّدِينَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ ، وَمِنَ النِّسَاءِ الْمُتَقَدِّمَاتِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيـــلٍ» (أعمال ١٧: ٤) .

وقد اصطدم الرسولان بمقاومة عنيدة كما حدث في الأماكن التي دخلاها مــن قبل : «فَغَارَ الْيَهُودُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ» . هؤلاء اليهود لم تكن لهم حظوة في عيـــون السلطات الرومانية ، لأنهم منذ عهد قريب قاموا بثورة في روما . فكان يُنظـــر إليهم نظرات الشك والشبهة وقد حد من حريتهم الي درجة مـــا . فوجـــدوا الآن الفرصة ليستفيدوا من الظروف ويعيدوا الحظوة التي كانوا قد أضاعوها ، وفـــي الوقت نفسه يلقون اللوم على الرسولين وعلى المهتدين إلى المسيحية ويهينونهم .

وهذا ما شرعوا في عمله بالاتحاد مع «رِجَالاً أَشْرَارًا مِنْ أَهْلِ السُّوقِ» وبـــهذه الوسيلة «سَجَّسُوا الْمَدِينَةَ» وإذ كانوا يؤملون أن يجدوا الرسولين «قَامُوا عَلَى بَيْـــتِ يَاسُونَ» ولكنهم لم يجدوا بولس ولا سيلا . (عـــدد ٥) . «وَلَمَّـــا لَمْ يَجِدُوهُمَـــا» فالرعاع في جنون خيبتهم : «جَرُّوا يَاسُونَ وَأُنَاسًا مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى حُكَّامِ الْمَدِينَـــةِ صَارِخِينَ إِنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى ههُنَا أَيْضًا . وَقَـــدْ قَبِلَـــهُمْ

يَاسُونُ . وَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ يَعْمَلُونَ ضِدَّ أَحْكَامِ قَيْصَرَ قَائِلِينَ : إِنَّهُ يُوجَدُ مَلِكٌ آخَـــرُ : يَسُوعُ» (عدد ٦،٧) .

فإذ لم يوجد بولس ولا سيلا أخذ الحكام المؤمنين ووضعوهم في الحبس حفظاً للسلام . أما الإخوة فإذ كانوا يخافون من هجوم جديد «فَلِلْوَقْتِ أَرْسَـــلُوا بُولُـــسَ وَسِيلاَ لَيْلاً إِلَى بِيرِيَّةَ» (عدد ١٠) .

لا حاجة بمن يكرزون بحقائق غير مقبولة في هـــذه الأيـــام ، أن تضعــف عزائمهم إذا كانوا لا يظفرون باستقبال حـــافل ، حتـــى ممـــن يدعـــون بأنـــهم مسيحيون ، أكثر مما ظفر بولس ورفقاؤه ، من الناس الذين خدموا بينهم . علـــى رسل الصليب أن يتسلحوا بالسهر والصلاة ، ويتقدمـــوا إلـــى الأمـــام بإيمـــان وشجاعة ، خادمين دائماً باسم يسوع . وعليهم أن يمجدوا المسيح بوصفه الوسيط عن الإنسان في القدس السماوي ، الذي فيه تركزت كل ذبائح نظام العهد القديم ، والذي في ذبيحته الكفارية يجد من يتعدون على شريعة الله سلاماً وغفراناً .

الفصل الثالث والعشرون

بيرية وأثينا

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٧: ١١ – ٣٤) .

وجد بولس في بيرية يهوداً كانوا مستعدين لأن يفحصوا الحقائق التي علم بها ويتحققوا بأنفسهم من صحتها . ويسجل لوقا عنهم هذه الحقيقة إذ يقول : «وَكَانَ هؤُلاَءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيكِي ، فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحِصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا . فَآمَنَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ ، وَمِنَ النِّسَاءِ الْيُونَانِيَّاتِ الشَّرِيفَاتِ ، وَمِنَ الرِّجَالِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيل» (عدد ١١،١٢) .

إن عقول أهل بيرية لم تكن ضيقة بسبب التعصب . وكانوا راغبين في فحص صدق التعاليم التي كرز بها الرسولان . لقد درسوا الكتاب المقدس ، لا حباً في الاستطلاع ، بل ليتعلموا ما قد كتب عن المسيا الموعود به . وفي كل يوم كانوا يفتشون الكتب الموحى بها . وإذ كانوا يقارنون بين آية وأخرى كان ملائكة السماء إلى جوارهم ينيرون أذهانهم ويؤثرون على قلوبهم .

أينما تذاع حقائق الإنجيل فالذين يرغبون بإخلاص أن يتبعوا الحق ، يعملون على تفتيش الكتب باجتهاد . ففي ختام مشاهد تاريخ هذه الأرض ، لو كان الذين

تُقدَّم لهم حقائق الإنجيل الأكيدة يتمثلون بأهل بيرية ، فيفتشون الكتب ويفحصونها كل يوم ويقارنون بكلمة الله ، الرسائل المقدمة لهم ، لكان يوجد اليوم عدد كبير ممن هم مخلصون لوصايا الرب ، حيث لا يوجد سوى عدد قليل نسبيا منهم الآن . ولكن عندما تقدم الحقائق غير المشهورة ، فكثيرون يرفضون فحصها والتحري من صحتها . ورغم عدم قدرتهم على دحض تعاليم الكتاب الواضحة ، فإنهم مع ذلك يبدون أعظم نفور وتروٍ في دراسة البراهين المقدمة . والبعض يدعون أنه حتى لو كانت هذه التعاليم صادقة حقاً ، فإنه لا يهم كثيراً ما إذا يقبلون النور الجديد أو لا يقبلونه ، وهكذا يتعلقون بالخرافات المسرة التي يستخدمها العدو لتضليل النفوس . وبذلك تظلم بصيرتهم وتطمس أذهانهم بالضلال ، فينفصلون عن السماء .

إن الجميع سيدانون على قدر النور المعطى لهم . فالرب يبعث رسله وسفراءه برسالة الخلاص ، والذين يسمعونها سيكونون مسئولين عن الكيفية التي بها يعاملون أقوال خدامه . إن الذين بكل أمانة وإخلاص يبحثون عن الحق سيقومون بفحص دقيق للتعاليم المقدمة لهم في نور كلمة الله .

أما يهود تسالونيكي غير المؤمنين إذ امتلأت قلوبهم حسداً وكراهية للرسولين ، وإذ لم يكتفوا بطردهما من مدينتهم فقد تعقبوهما أيضاً إلي بيرية ، وأثاروا ضدهما انفعالات الطبقة الوضيعة . فإذ كان الإخوة يخشون لئلا يعامل بولس بالقسوة لو بقي هناك ، أرسلوه إلى أثينا يصحبه بعض أهل بيرية الذين قبلوا الإيمان حديثاً .

وهكذا كان الاضطهاد يتعقب معلمي الحق من مدينة إلى أخرى . إن أعداء المسيح لم يستطيعوا أن يوقفوا تقدم الإنجيل ، ولكنهم أفلحوا في جعل عمل الرسل شاقاً وقاسياً جداً . ومع ذلك ففي وجه المقاومة والصراع ، تقدم بولس

إلى الأمام بثبات ، وقد عقد العزم على تنفيذ قصد الله الذي أعلن له في رؤيا في أورشليم ، حيث قال له الله: «سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا» (أعمال ٢٢: ٢١) .

إن رحيل بولس العاجل من بيرية ، حرمه من الفرصة التي كان يؤمل أن يزور فيها الإخوة في تسالونيكي .

فإذ وصل الرسول إلى أثينا ، أرسل الإخوة القادمين معه من بيرية برسالة إلى سيلا وتيموثاوس كي يجتمعا به في الحال . كان تيموثاوس قد أتى إلى بيرية قبل رحيل بولس عنها ، وبقي هناك مع سيلا لإتمام العمل الذي قد بدئ به بداية حسنة ، ولكي يعلما المهتدين حديثاً مبادئ الإيمان .

كانت مدينة أثينا حاضرة العالم الوثنى . وفي هذه المدينة لم يلتق بولس بقوم جهلة أو سذج كما في لسترة ، بل التقى بأناس اشتهروا بذكائهم وتهذيبهم . وأينما اتجه بولس ببصره ، كان يرى تماثيل لآلهتهم وللأبطال الذين صاروا آلهة في نظر التاريخ والشعر ، في حين أن فن العمارة وهندسة البناء والصور والزخارف صورت مجد الأمة وعبادة الآلهة الوثنية الشائعة . ولقد سُرحت حواس الناس من جمال الفن وبهائه . فأينما اتجه الإنسان كان يرى المعابد والهياكل الضخمة التي كلفت الأمة مبالغ طائلة من المال . وقد خلدت التماثيل والمعابد والصور ذكريات الانتصارات التي أحرزها أصحابها بقوة السلاح ، وأعمال الرجال المشهورين ، كل هذه الأشياء جعلت من أثينا مسرحاً كبيراً للفنون .

فإذ تطلع بولس إلى ما كان يحيط به من جمال وأبهة ، ورأى المدينة مملوءة أصناماً ، احتدت روحه فيه غيرةً لله الذي رآه مهاناً في كل مكان ، وامتلأ قلبه إشفاقاً على شعب أثينا ، الذين برغم تهذيبهم العقلي ، كانوا يجهلون الإله الحقيقي .

ولم ينخدع الرسول بما رآه في مركز العلم هذا . إن طبيعته الروحية كـــانت يقظة وسريعة التأثير بجاذبية الأمور السماوية بحيث أن فرح ومجد الغنى الــذي لا يزول جعل الأبهة والفخامة والجلال والبهاء الذي كان محاطاً به ، عديم القيمة في نظره . فإذ رأى فخامة أثينا ، تحقق من سلطانها الخادع على محبي الفنــون والعلوم فتأثر عقله تأثراً عميقاً بأهمية العمل الذي كان ينتظره .

في هذه المدينة التي لم تكن تعرف الله ولا تعبده ، تضايق بولـــس لشـعوره بالوحدة ، وكان يتوق إلى عطف زملائه ومعونتهم . وفيما يختــص بالصداقـة البشرية ، أحس بولس بوحدة تامة . وفي رسالته الأولى إلى أهل تســالونيكي ، عبر عن شعوره بهذه الكلمات : «اسْتَحْسَــنَّا أَنْ نُــتْرَكَ فِــي أَثِينَــا وَحْدَنَــا» (١تسالونيكي ٣: ١) فالعقبات التي بدا اســتحالة التغلــب عليــها ، اعــترضت طريقه ، فجعلت أمر وصوله إلى قلوب الناس محاولة ميئوساً منها .

وإذ كان بولس ينتظر سيلا وتيموثاوس ، لم يكن عاطلاً ولا وقــف مكتـوف اليدين . بل «كَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ الْيَهُودَ الْمُتَعَبِّدِينَ ، وَالَّذِينَ يُصَادِفُونَــهُ فِــي السُّوقِ كُلَّ يَوْمٍ» (أعمال ١٧:١٧) . ولكن عمله الرئيسي في أثينا كان حمــل بشرى الخلاص إلى الذين لم يكن عندهم إدراك فطن عن الله ومقاصده مــن نحو الجنس الساقط . إن الرسول كان مزمعاً أن يواجه الوثنية فــي أعظـم أشكالها اغراء ودهاء .

وبعد قليل سمع عظماء اثينا عن وجود معلم فريد في مدينتهم ، كان يقدم للنـاس تعاليم جديدة وغريبة . فبعض أولئك الرجال طلبوا بولس ، ثم دخلــوا معــه فــي حديث ونقاش . وسرعان ما تجمع حولهم جمهور من الناس ينصتون إلــى ذلـك الحديث . وكان بعض منهم متأهبين لأن يسخروا بالرسول باعتباره أدنــى منــهم مقاماً من الناحية الاجتماعية والثقافية ، وجعلوا يتهكمون عليه فيما بينهم قــائلين :

«تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ ؟» ولأن بولس «كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ» قال بعضهم الآخر : «إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ» . (عدد ١٨)

ومن بين من التقوا ببولس في السوق «قَوْمٌ مِنَ الْفَلاَسِفَةِ الأَبِيكُورِيِّينَ وَالرِّوَاقِيِّينَ» . ولكنهم وكل من احتكوا به ، سرعان ما اكتشفوا أن عنده رصيداً وافراً من العلم ، يفوق حتى ما حصلوه هم أنفسهم . إن ثقافته وذكاءه ألزما العلماء باحترامه ، بينما محاجته الجادة المنطقية وقوته كخطيب ، استرعت انتباه كل سامعيه وجذبتهم إليه . وقد اعترف سامعوه بحقيقة كونه ليس تلميذاً غراً قليل الخبرة ، بل يستطيع مواجهة كل الطبقات بالحجج المقنعة لدعم التعاليم التي كان يعلم بها . وهكذا وقف الرسول بلا خوف أو وجل ليواجه مقاوميه على أرضهم وفي ميدانهم وهو يقرع منطقا بمنطق وفلسفة بفلسفة وفصاحة بفصاحة .

وقد وجه خصومه الوثنيون انتباهه إلى مصير سقراط ، الذي لكونه قد نادى بآلهة غريبة ، حكم عليه بالموت ، ثم أشاروا على بولس بألا يخاطر بحياته بالسير في الطريق نفسه . ولكن محاضرات الرسول جعلت الشعب ينتبهون إليه بكل حواسهم ، ثم أن حكمته غير المتصنعة أرغمتهم على احترامه والإعجاب به . لم تسكته علوم الفلاسفة ولا تهكماتهم ، وإذ سرهم كونه عقد العزم على أن يتمم غرضه بينهم ، وأن يخبرهم بقصته مخاطراً بذلك بنفسه ، قرروا هم أيضاً أن يصغوا إليه فأعطوا سكوتاً أفضل .

وتبعا لذلك اقتادوه إلى تل المريخ . وكان هذا المكان من أقدس الأماكن في أثينا كلها ، وكانت الذكريات والأشياء المقترنة به عظيمة بحيث جعلت الناس يوقرون ذلك المكان توقيراً خرافياً وصل إلى حد الخوف والرعب في عقول بعض الناس . في هذا المكان كان الرجال الذين اعتبروا قضاة ولا

مرد لحكمهم ، في الشؤون المتعلقة بالأمور الأعظم أهمية ، كالمشاكل الأدبية والمدنية ، غالباً ما ينظرون أيضاً في الشؤون المتعلقة بالدين بكل اهتمام وحرص .

ففي هذا المكان البعيد عن ضجيج الطرق العمومية المزدحمة بالمارة وضوضائها ، وبعيداً على الأحاديث المنطوية على الشغب والجدال ، كان يمكن للرسول أن يتكلم دون أن يقاطعه أحد . وقد تجمع حوله الشعراء والفنانون والفلاسفة- أساتذة أثينا وحكماؤها الذين خاطبوه قائلين : «هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْرِفَ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ . لأَنَّكَ تَأْتِي إِلَى مَسَامِعِنَا بِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ ، فَنُرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ» (عدد ١٩، ٢٠) .

في تلك الساعة ، ساعة المسئولية الخطيرة ، كان الرسول ساكناً ورابط الجأش . كان قلبه مثقلاً برسالة هامة ، والأقوال التي نطقت بها شفتاه أقنعت سامعيه أنه لم يكن مهذاراً عاطلاً . فقال : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينوِيُّونَ أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ ، وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لإِلهٍ مَجْهُول . فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ ، هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ» (عدد ٢٢، ٢٣) . فبكل ما كان لديهم من ذكاء وعلم ، كانوا يجهلون الإله الذي خلق الكون . ومع ذلك فقد وجد بعض منهم ممن كانوا يتوقون إلى نور أعظم إذ كانوا يتلمسون طريقهم إلى الإله السرمدي .

وإذ بسط بولس يده نحو الهيكل الذي تكدست فيه الأوثان سكب العبء الذي كان يثقل على نفسه وكشف عن ضلالات ديانة أهل أثينا ومغالطاتها . وقد دهش الحكماء من سامعيه وهم يصغون إلى محاجته . فقد برهن على داريته بأعمالهم الفنية ومؤلفاتهم الأدبية وديانتهم . وإذ أشار إلى تماثيلهم وأوثانهم ، أعلن أن الله لا يمكن أن يشبه بتماثيل من صنع الناس . فهذه

التماثيل المنحوتة لا يمكنها بأي معنى أن تمثل مجد الرب . كما ذكّرهم بأن هذه التماثيل لا حياة فيها ، وأنها خاضعة لقوة الإنسان الذي يتحكم فيها ، فهي لا تبرح من أماكنها إلا متى حركها الناس بأيديهم . ولذلك فالذين يتعبدون لها هم أسمى وأرفع مما يعبدونه في كل شيء .

ثم قاد بولس أفكار سامعيه الوثنيين إلى أبعد من حدود ديانتهم الكاذبة لينالوا نظرة حقيقية عن الله الذي أطلقوا عليه اسم «الإله المجهول» . فهذا الكائن الذي يخبرهم الآن عنه ، مستقل عن الإنسان ، وليس في حاجة ليزيد من قدرته أو مجده .

وقد بلغ الإعجاب بالناس مبلغاً عظيماً بسبب عرض بولس لصفات الإله الحقيقي بطريقة جادة ومنطقية إذ حدثهم عن قدرته الخالقة ووجود عنايته المسيطرة . فبفصاحة وغيرة وحماسة أعلن الرسول قائلاً : «الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ ، هذَا ، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي ، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ» (عدد ٢٤،٢٥) . إن السموات لم تكن لتسع الله فكم بالحري الهياكل المصنوعة بأيد بشرية .

في ذلك العصر ، عصر القبائل والأجناس ، عندما كانت حقوق الناس لا يعترف بها في غالب الأحيان ، بسط بولس الحق العظيم ، حق الإخوة البشرية والمساواة ، معلنا أن الله : «وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ» (عدد ٢٦) . كل الناس سواسية في نظر الله وكل كائن بشري مدين بالولاء والأمانة للخالق . وبعد ذلك أبان الرسول كيف أن قصد الله ، قصد النعمة والرحمة ، يتخلل كل معاملاته مع الإنسان كخيوط من ذهب . «وَحَتَمَ

بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا» (عدد ٢٦،٢٧) .

وإذ أشار إلى نماذج الرجولة النبيلة الماثلة أمامه ، صور الله السرمدي بكلام مستعار من أحد شعرائهم على أنه أب وهم أولاده ، فأعلن قائلاً : «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ . كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ . فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ ، لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللاَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرِ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَاخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ» .

«فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا ، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ» (عدد ٢٨ – ٣٠) . في عصور الظلام التي سبقت مجيء المسيح ، تغاضى الله عن وثنية الوثنيين ، أما الآن فعن طريق ابنه ، أرسل إلى الناس نور الحق ، وكان ينتظر من الجميع التوبة للخلاص ليس فقط من الفقراء والوضعاء بل أيضاً من كل فيلسوف متكبر ومن ملوك الأرض : «لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» . (عدد ٣١) . وعندما تكلم بولس عن القيامة من الأموات «كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ ، وَالْبَعْضُ يَقُولُونَ سَنَسْمَعُ مِنْكَ عَنْ هذَا أَيْضًا» (عدد ٣٢) .

وهكذا انتهت خدمات الرسول في أثينا مركز العلوم الوثنية لأن الأثينيين إذ كانوا متعلقين بوثنيتهم بكل إصرار ، ارتدوا عن نور الدين الحقيقي . عندما يقنع الناس بما قد بلغوه وحصلوا عليه بجهودهم ، فلا ينتظر منهم إلا القليل بعد ذلك . فمع أن الأثينيين كانوا يفخرون بعلمهم وثقافتهم ، فقد كانوا ينحدرون شيئاً فشيئاً إلى أعماق الفساد ، وصاروا قانعين بطقوس الوثنية الغامضة .

وكان بين من أصغوا إلى أقوال بولس ، جماعة اقتنعوا بتلك الحقائق المقدمة لهم ، إلا أنهم لم يتواضعوا إلى حد الاعتراف بالله وقبول تدبير الخلاص . لا

يمكن أن فصاحة الكلام أو قوة الحجة تجدد الخاطئ . ولكن قوة الله هي وحدها التي تستطيع أن توصل الحق إلى القلب . فالذي يرتد عن هذه القوة في إصرار ، لا يمكن الوصول أليه . كان اليونانيون ينشدون الحكمة ، ومع ذلك فقد كانت رسالة الصليب جهالة في نظرهم لأنهم كانوا يعتبرون حكمتهم أرفع وأسمى من الحكمة النازلة من فوق .

إن السبب الذي لأجله لم تلاق رسالة الإنجيل إلا نجاحاً نسبياً ضئيلاً بين أهل أثينا هو تفاخرهم بذكائهم وحكمتهم البشرية . إن الرجال الحكماء الدنيويين الذين يأتون إلى المسيح كخطاة مساكين هالكين ، سيصيرون حكماء للخلاص ، أما الذين يأتون كرجال ممتازين ويمتدحون حكمتهم ، فسيفشلون في الحصول على النور والمعرفة اللذين يمنحهما الله وحده .

وهكذا واجه بولس وثنية عصره . ومع ذلك فإن أتعابه في أثينا لم تكن كلها عبثاً . فإن ديونسيوس الأريوباغي الذي كان واحداً من أشهر المواطنين ، وجماعة أخرى قبلوا رسالة الإنجيل وانضموا كلياً إلى المؤمنين .

لقد قدّم لنا الوحي هذه اللمحة من حياة أهل أثينا الذين مع كل علومهم وثقافتهم وفنونهم ، كانوا لا يزالون غائصين في حمأة الرذيلة ، حتى يرى كيف أن الله وبخ الوثنية بواسطة خادمه كما وبخ أيضاً خطايا الناس المتكبرين المكتفين بأنفسهم . إن أقوال الرسول ، ووصفه لتصرفه والبيئة التي كان فيها ، كما سطرها قلم الوحي ، كانت ستسلم إلى كل الأجيال المتعاقبة كشهادة على ثقته التي لا تتزعزع ، وشجاعته في أيام الوحدة والمقاومة ، ونصرته التي أحرزها للمسيحية في مركز الوثنية هذا .

إن أقوال بولس تحوي كنزاً من المعرفة للكنيسة . لقد كان في مركز يستطيع فيه بكل سهولة أن يثير ويهيج سامعيه المتكبرين ، وبذلك يوقع نفسه في

الضيقات والمأزق . فلو أن خطابه كان تهجماً مباشراً على آلهتهم وعلى عظماء المدينة ، لكان وقع في خطر ملاقاة حتفه كسقراط . ولكن بلباقته التي هي وليدة المحبة الإلهية ، اجتذب أذهانهم بحرص بعيداً عن الإلهة الوثنية إذ أعلن لهم الإله الحقيقي الذي كان مجهولاً لديهم .

واليوم ينبغي تقديم حقائق الكتاب لعظماء الأرض كي يختاروا لأنفسهم إما الطاعة لشريعة الله ، أو الولاء لسلطان الشر . إن الله يضع أمامهم الحق الأبدي– الحق الذي يحكمهم للخلاص ، ولكنه لا يرغمه على قبوله . فإن ارتدوا عنه تركهم لنفوسهم ليشبعوا من ثمار أعمالهم .

«فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ» ، «بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ . وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ . وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ» (١كورنثوس ١: ١٨،١٩،٢٧،٢٨) . كثيرون من أعظم الأساتذة ورجال السياسة الذين هم أشهر رجال العالم سيرتدون عن النور في هذه الأيام الأخيرة ، لأن العالم لا يعرف الله بالحكمة . ومع ذلك فعلى خدام الله أن يحسنوا استخدام كل فرصة ليوصلوا الحق ويبلغوه لهؤلاء الناس . فالبعض سيعترفون بجهلهم أمور الله ويتخذون مركزهم كتلاميذ متواضعين عند قدمي يسوع ، معلم المعلمين .

في كل مسعى يبذله خادم الله للوصول إلى الطبقات الراقية يحتاج إلى إيمان قوي . قد تبدو الظواهر وعرة ، ولكن في أحلك الأوقات يأتي النور من العلاء . وستتجدد قوة أولئك الذين يحبون الله ويخدمونه يوماً فيوماً . وحكمة الإله السرمدي . غير المحدود ستوضع في خدمتهم ، حتى لا يخطئوا في إتمام

مقاصده . ليتمسك هؤلاء الخدام ببداءة ثقتهم ثابتة إلى النهاية ، ذاكرين أن نـــور حق الله سينير في وسط الظلمة التي تكتنف عالمنا . لا يجب أن يكـــون هنـــالك يأس فيما يختص بخدمة الله . إن إيمان الخادم المكرس سيصمد لكـــل امتحـــان يتعرض له . فالله يستطيع بل ويتوق لأن يمنح خدامه كل القوة التي يحتاجونها ، ويمنحهم الحكمة التي تتطلبها حاجاتهم المختلفة . وهو سيملأ ويشبع ويتمم أسمى انتظارات أولئك الذين يتكلون عليه .

الفصل الرابع والعشرون

كورنثوس

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١٨: ١ – ١٨) .

في القرن المسيحي الأول كانت كورنثوس إحدى كبريات المدن ليس في بلاد اليونان وحسب ، بل في العالم أجمع . كان اليونانيون واليهود والرومان مع المسافرين من كل بلد يحتشدون في شوارعها للعمل والتجارة وطلب المسرات . وحيث أنها كانت مركزاً تجارياً عظيماً في موقع يسهل الوصول إليه من كافة أنحاء الامبراطورية الرومانية ، فقد كانت مكاناً هاماً مؤهلاً كي تقام فيه نصب تذكارية لله ولحقه .

وكان بين من أقاموا في كورنثوس من اليهود أكيلا وبريسكلا اللذان اشتهرا فيما بعد كخادمين غيورين للمسيح . فإذ تعرف بولس بهذين الشخصين وعرف صفاتهما «أَقَامَ عِنْدَهُمَا» (عدد ٣) .

واجه بولس عند بدء خدماته في هذه المدينة ، التي كانت طريقا للمسافرين ، عراقيل خطيرة منتشرة في كل مكان ، تقف حائلاً يمنع تقدم عمله . كانت الوثنية تعم المدينة بكاملها وكانت الزُّهرة هي الإلهة المفضلة التي اقترنت بعبادتها

طقوس كثيرة وممارسات شريرة . وقد اشتهر أهل كورنثوس حتى بين الوثنيين ، بفجورهم ودعارتهم الفاضحة . وقد بدا كأنهم لا يفكرون ولا يكترثون لغير مسراتهم ومرحهم الحاضر .

سلك الرسول ، وهو يكرز بالإنجيل في كورنثوس ، مسلكاً يخالف ذاك الذي امتازت به كرازته في أثينا . فإذ كان في أثينا حاول أن يوفق بين أسلوبه وصفات سامعيه ، فقابل المنطق بالمنطق وقارع الحجة بالحجة والعلم بالعلم والفلسفة بالفلسفة . فإذ كان يفكر في الوقت الذي انقضى هكذا ، وتحقق من أن تعليمه في أثينا لم يثمر إلا في حصاد قليل ، فقد قرر أن ينتهج طريقاً آخر للعمل في كورنثوس في محاولته لاسترعاء انتباه الناس المهملين والعديمي المبالاة . وقد عوّل على أن يتحاشى إيراد الحجج المحكمة والمجادلات «وألا يعرف شيئاً» بين أهل كورنثوس «إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» . لقد عزم أن يكرز لهم «لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» (١كورنثوس ٢: ٢،٤) .

كان يسوع الذي أزمع بولس على تقديمه لليونانيين في كورنثوس كالمسيا ، يهودياً وضيع الأصل نشأ في مدينة يضرب بها المثل لشرها . لقد رفضته أمته وفي النهاية صلب كفاعل شر . كان اليونانيون يعتقدون أن الحاجة تدعو إلى ترقية الجنس البشري ، ولكنهم كانوا يعتبرون أن دراسة الفلسفة والعلم هي الوسائل الوحيدة لبلوغ أعلى درجات الرقى والكرامة الحقيقيين . فهل كان بولس يستطيع أن يقودهم إلى الاقتناع بأن الإيمان بقوة هذا اليهودي المغمور كفيل بأن يرفع ويشرف كل قوى الكيان البشري ؟

إن صليب الجلجثة يبدو لأذهان جماهير ممن يعيشون في عصرنا الحاضر محاطاً بذكريات مقدسة . وتوجد علاقات مقدسة مرتبطة بمشاهد الصلب . ولكن

في أيام بولس كان الناس ينظرون إلى الصليب بمشاعر النفور والرعب . فكونه يرفع أمام الأنظار شخصا مات على الصليب على أنه مخلص البشرية ، إنما كان مدعاة تلقائية للسخرية والمقاومة .

ولقد عرف بولس جيداً كيف سيقابل اليهود واليونانيون رسالته . لقد اعترف قائلاً : «وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً» (١كورنثوس ١: ٢٣) . لقد كان بين سامعيه من اليهود كثيرون ممن كانوا لا بد سيغضبون من رسالته التي كان مزمعاً أن يعلنها . وفي تقدير اليونانيين أيضاً كانت أقواله جهلاً وسخافة . وكان سينظر إليه باعتباره مختل العقل لمحاولته أن يبرهن كيف أن الصليب يمكن أن يكون له ارتباط برفع شأن الجنس البشري أو خلاصه .

أما بالنسبة إلى بولس فكان الصليب هو الهدف الأوحد الذي له أهمية عظمى . فمنذ أن جذبه المسيح إليه وأوقفه عند حده عن المضي في اضطهاد تلاميذ الناصري المصلوب ، لم يكف عن الفخر بالصليب . ففي ذلك الحين أعطى له إعلان عن محبة الله غير المحدودة كما هي معلنة في موت المسيح ، فحدث تغيير عجيب في حياته ، جعل كل خططه ومقاصده على وفاق مع السماء . ومن تلك الساعة صار إنساناً جديداً في المسيح . وقد عرف بالاختبار الشخصي أنه عندما يرى أي خاطئ محبة الآب كما هي متجلية في ذبيحة ابنه ، ويخضع للتأثير الإلهي ، فإن قلبه يتغير ومن ذلك الوقت يصير المسيح هو الكل في الكل بالنسبة له .

إن بولس عند اهتدائه وتجديده ألهم برغبة واشتياق حارين لأن يعين بني جنسه كي يروا يسوع الناصرى باعتباره ابن الله الحي القادر على أن يغيِّر ويخلص . ومنذ ذلك الوقت كرس حياته بالتمام لمسعى هام وهو أن يصور للآخرين محبة المصلوب وقدرته . وقد استوعب قلبه الكبير العطوف كل

الطبقات . فقد أعلن قائلاً: «إِنِّي مَدْيُــونٌ لِلْيُونَــانِيِّينَ وَالْــبَرَابِرَةِ ، لِلْحُكَمَــاءِ وَالْجُهَلاَءِ» (رومية ١: ١٤) . إن محبته لرب المجد الذي كان قد اضطهده بكــل قسوة في شخص قديسيه ، كانت هي المبدأ المحرك بالنسبة لــه فــي تصرفاتــه والقوة الباعثة له على العمل . فلو ضعفت غيرته في طريق الواجب مرة ، فــإن نظرة واحدة إلى الصليب والمحبة المدهشة المعلنة فيه ، كانت كفيلة بأن تجعلــه يمنطق أحقاء ذهنه ويسرع إلى الأمام في طريق إنكار الذات .

انظروا الرسول وهو يكرز في مجمع كورنثوس ، محاجاً من أسفار موســى والأنبياء ، وقائداً أفكار سامعيه حتى مجيء المسيا الموعود به . أصغــوا إليــه وهو يوضح عمل الفادي بوصفه رئيس الكهنة الأعظم لبني لإنســان ذاك الــذي بذبيحة نفسه كان مزمعاً أن يصنع كفارة واحدة عن الخطية ومن ثم يباشر خدمته في القدس السماوي . وقد جعل بولس سامعيه يدركون أن المسيا الـــذي كــانوا يتوقون إلى مجيئه قد أتى ، وأن موته كان هو الشيء الذي رمــزت إليــه كــل الذبائح الكفارية ، وأن خدمته في القدس السماوي كانت هي الهدف العظيم الــذي ألقى ظله إلى الخلف وأوضح خدمة الكهنوت اليهودي .

إن بولس كان «يَشْهَدُ لِلْيَهُودِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ» (عدد ٥) . فمن كتب العهد القديم برهن على أنه طبقاً للنبوات وانتظار اليهود العام ، سيكون المســيا مــن نسـل إبراهيم وداود ، ثم تتبع النسل الذي جاء منه يسوع من إبراهيــم إلــى الملــك المرنم . وقد تلا شهادة الأنبياء الخاصة بصفات المسيا الموعود بـــه وعملــه ، واستقبال الناس له ونوع المعاملة التى سيعامل بها على الأرض ، ثم أراهــم أن كل هذه النبوات قد تمت في حياة يسوع الناصري وخدمته وموته .

وقد برهن بولس على أن المسيح قد أتى ليقدم الخلاص أولاً للأمة التـــي كانت تنتظر مجيء المسيا كذروة مجد وجودهم القومي . ولكن تلــك الأمــة

رفضت ذاك الذي كان يريد أن يمنحهم الحياة ، واختارت قائداً آخر كان ملكه سينتهي بموته . وقد حاول بولس أن يقنع سامعيه بحقيقة كون التوبة وحدها يمكنها أن تنقذ الأمة اليهودية من الهلاك والخراب المحدقين بها . وقد كشف عن جهلهم لمعنى تلك الأقوال الكتابية التي وجب أن يكون فهمها الكامل موضع فخرهم ومجدهم . وقد وبخهم على حبهم للعالم وللمراكز والألقاب والمظاهر ، وعلى أنانيتهم غير العادية .

قص بولس بقوة الروح قصة اهتدائه المعجزي وثقته في الأقوال الواردة في كتب العهد القديم التي تمت بحذافيرها في شخص يسوع الناصري . وقد نطق بتلك الأقوال بغيرة مقدسة ، حتى لم يسع سامعيه إلا أن يلاحظوا بأنه كان يحب المخلص المصلوب والمقام بكل قلبه . كما رأوا أن عقله كان مركزاً في المسيح وأن كل حياته كانت مرتبطة بسيده . كان كلامه مؤثراً جداً بحيث لم يتجاوز تأثيرها إلا أولئك الذين كانوا ممتلئين بالعداوة المرة ضد الدين المسيحي .

إلا أن يهود كورنثوس أغمضوا عيونهم كي لا يروا البرهان الذي قدمه الرسول بكل وضوح ، فرفضوا الإصغاء إلى مرافعاته . إن الروح نفسها التي جعلتهم يرفضون المسيح ملأتهم غضباً واهتياجاً ضد خادمه ، ولو لم يحرسه الله حراسة خاصة كي يستأنف حمل رسالة الإنجيل إلى الأمم ، لكانوا قضوا على حياته .

«وَإِذْ كَانُوا يُقَاوِمُونَ وَيُجَدِّفُونَ نَفَضَ ثِيَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ دَمُكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ ! أَنَا بَرِيءٌ . مِنَ الآنَ أَذْهَبُ إِلَى الأُمَمِ . فَانْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَجُل اسْمُهُ يُوسْتُسُ ، كَانَ مُتَعَبِّدًا لِلهِ ، وَكَانَ بَيْتُهُ مُلاَصِقًا لِلْمَجْمَعِ» (عدد ٦،٧) .

كان سيلا وتيموثاوس قد انحدرا «مِنْ مَكِدُونِيَّةَ» (عدد ٥) لمساعدة بولس ، وقد خدموا معاً بين الأمم . فكرز بولس هو ورفيقاه للأمم كما لليهود ، بالمسيح كمخلص الجنس البشرى الساقط . وإذ تجنب رسل الصليب المحاجات المعقدة

الخادعة تكلموا عن صفات خالق العالم- حاكم الكون الأعلى . وإذ كانت قلوبهم ملتهبة بمحبة الله وابنه ، توسلوا إلى الوثنيين كي ينظروا إلى الذبيحة غير المحدودة المقدمة لأجل الإنسان . وقد عرفوا أنه لو أمكن لأولئك الذين ظلوا طويلاً يتلمسون طريقهم في ظلام الوثنية أن ينظروا النور المنبعث من صليب الجلجثة ، لكانوا انجذبوا إلى الفادي . لقد أعلن المخلص قائلاً : «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا ١٢: ٣٢) .

إن خدام الإنجيل في كورنثوس تحققوا من المخاطر الرهيبة التي تتهدد نفوس الذين كانوا يخدمون ويتعبون لأجلهم ، وإذ كانوا يشعرون بالمسؤولية الملقاة عليهم ، قدموا الحق كما تجلى في يسوع . كانت رسالتهم واضحة وصريحة وقاطعة رائحة حياة لحياة- أو رائحة موت لموت . فالإنجيل أعلن ليس فقط بكلامهم ، بل أيضاً في حياتهم اليومية . وكان الملائكة يتعاونون معهم ، فظهرت نعمة الله وقدرته في اهتداء الكثيرين . «وَكِرِيسْبُسُ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ آمَنَ بِالرَّبِّ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ ، وَكَثِيرُونَ مِنَ الْكُورِنْثِيِّينَ إِذْ سَمِعُوا آمَنُوا وَاعْتَمَدُوا» (عدد ٨) .

إن العداء الذي كان اليهود يضمرونه للرسل دائماً ، زاد عندئذ اشتداداً . ذلك أن اهتداء كريسبس ومعموديته ، عوض أن يقنع هؤلاء المقاومين العنيدين ، زاد من غيظهم . إنهم لم يستطيعوا الإدلاء بحجج لتكذيب كرازة بولس أو تفنيد أقواله . ولعدم وجود براهين لديهم ، لجأوا إلى المخادعة والتهجم الخبيث . فجدفوا على الإنجيل وعلى اسم يسوع . وفي غضبهم الأعمى نطقوا بألذع الألفاظ والنعوت المرة ولم يدخروا مكيدة من المكائد المنحطة إلا واستخدموها . إنهم لم يستطيعوا إنكار حقيقة كون المسيح قد صنع معجزات ، ولكنهم أعلنوا أنه صنعها بقوة الشيطان ، وبكل جرأة أصروا الآن على أن المعجزات العظيمة التي أجراها بولس إنما صنعها بالقوة ذاتها .

ومع أن بولس كان قد أحرز قدراً من النجاح في كورنثوس ، إلا أن الشر الذي رآه وسمعه في تلك المدينة ، الفاسدة كاد يثبط عزمه . فالفساد الذي شاهده بين الأمم ، والاحتقار والإهانات التي جاءته من اليهود سببت لروحه عذاباً شديداً . لقد شك في حكمة محاولة إقامة كنيسة من العناصر التي وجدها هناك .

وإذ كان يعد خططه لمغادرة المدينة والذهاب إلى حقل آخر يرجى منه الخير ، وإذ كان يطلب بغيرة أن يفهم واجبه ، ظهر له الرب في رؤيا وقال له : «لاَ تَخَفْ ، بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ لأَنِّي أَنَا مَعَكَ ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ ، لأَنَّ لِي شَعْبًا كَثِيرًا فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ» (عدد ٩، ١٠) . وقد فهم بولس أن هذا أمر له كي يبقى في كورنثوس ، وأنه تلقى ضماناً بأن الرب سيأتي بحصاد وفير من البذار الذي زرع . فإذ تقوى وتشجع ظل بولس يعمل هناك بغيرة ومثابرة .

لم تكن جهود الرسول مقتصرة على الخطابة أمام الجماهير ، إذ كان يوجد كثيرون ممن لم يكن ممكناً الوصول إليهم بهذه الطريقة . ولهذا صرف وقتاً طويلاً وهو يخدم من بيت إلى بيت ، وهكذا استفاد من المقابلات الاعتيادية المألوفة في محيط الجيرة . لقد زار المرضى والحزانى وعزى المتضايقين ورفع المظلومين . وقد عظم اسم يسوع في كل ما قال وفعل . وهكذا خدم : «فِي ضَعْفٍ ، وَخَوْفٍ ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ» (١كورنثوس ٢: ٣) . كان يرتعد خشية أن يكشف تعليمه عن الطابع البشري لا الروحي . (أي أنه أراد ان يختفي هو ويظهر المسيح في تعليمه) .

وقد أعلن بولس بعد ذلك قائلاً : «لكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ ، وَلكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ ، وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ ، الَّذِينَ يُبْطَلُونَ . بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا ، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا

رَبَّ الْمَجْدِ . بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ . فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ . لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ . لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ» .

«وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ ، الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا ، لاَ بِأَقْوَال تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ» (١كورنثوس ٢: ٦ - ١٣) .

لقد تحقق بولس من أن كفايته ليست في نفسه ، بل في حضور الروح القدس الذي كان يملأ قلبه بقوته السماوية ، مخضعاً كل فكر للمسيح . وقد تكلم عن نفسه قائلاً : «حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا» (٢كورنثوس ٤: ١٠) . وفي تعاليم الرسول ، كان المسيح هو الصورة المركزية . فقد أعلن قائلاً : «فَأَحْيَا لاَ أَنَا ، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية ٢: ٢٠) . لقد أُخفيت النفس أما المسيح فقد ظهر وتمجد .

كان بولس خطيباً فصيحاً . فقبل اهتدائه كثيراً ما حاول أن يؤثر على سامعيه بخطبه البليغة الخيالية . أما الآن فقد ألقى كل هذا جانباً . فبدلاً من الانهماك في الأوصاف الشعرية والتشبيهات تلك التي يمكن أن تسر الحواس وتغذي الخيال دون أن تمس الاختبار اليومي ، فقد حاول بولس ، باستعمال اللغة البسيطة ، أن يدخل إلى أعماق القلب الحقائق ذات الأهمية الحيوية . إن تقديم الحق في صور وتشبيهات أخَّاذة قد ينتج عنه سرور وهيام في المشاعر ، ولكن في أغلب الأحيان نجد أن الحقائق المقدمة بهذه الطريقة لا تقدم المؤونة الكافية لتقوية المؤمن وتحصينه لخوض معارك الحياة . فالحاجات الملحة والتجارب الحاضرة

التي تمر فيها النفوس المجاهدة– هذه ينبغي أن تقابل بتعليم سليم وعملي في مبادئ المسيحية الأساسية .

ولم تكن جهود بولس في كورنثوس بلا ثمر ، فقد رجع كثيرون من عبادة الأوثان ليخدموا الله الحي ، وانضوت كنيسة كبيرة تحت لواء المسيح . وبعض ممن أنقذتهم رسالة المسيحية كانوا قبلاً يعيشون في وسط أعظم الأمم شهوانية ، ثم صاروا نصباً لرحمة الله وكفاية دم المسيح للتطهير من الخطية .

هذا وقد أثار النجاح المتزايد الذي أحرزه بولس في تقديم المسيح ، ثائرة اليهود غير المؤمنين ليمعنوا في مقاومتهم العنيدة له . فجمعوا جموعهم «قَامَ الْيَهُودُ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى بُولُسَ ، وَأَتَوْا بِهِ إِلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ» أمام الوالي غاليون الذي كان حاكماً على أخائية حينئذ (عدد ١٢) . وكانوا ينتظرون أن تنحاز السلطات إلى جانبهم كما في المرات السالفة ، وبأصوات عالية غاضبة نطقوا بشكواهم ضد الرسول قائلين : «هذَا يَسْتَمِيلُ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ بِخِلاَفِ النَّامُوسِ» (عدد ١٣) .

كان الدين اليهودي تحت حماية السلطة الرومانية ، فظن المشتكون على بولس أنهم إذا أمكنهم أن يثبتوا عليه تهمة انتهاك نواميس ديانتهم ، فمن المرجح أنه قد يسلم إليهم ليحاكموه ويقضوا عليه . فكانوا يرجون بذلك أن يسوقوه إلى الموت . ولكن غاليون كان رجلاً نزيهاً فرفض أن يتشبه باليهود في حسدهم ومكيدتهم ، كما رفض أن ينصاع لهم ولدسائسهم . وإذ كان مشمئزاً من تعصبهم وبرهم الذاتي ، لم يرد أن يلقي بالاً إلى تلك التهمة . وحين كان بولس مزمعاً أن يتكلم دفاعاً عن نفسه ، أخبره غاليون بأن لا لزوم لذلك . ثم إذ التفت إلى المشتكين الغاضبين قال لهم : «لَوْ كَانَ ظُلْمًا أَوْ خُبْثًا رَدِيًّا أَيُّهَا الْيَهُودُ ، لَكُنْتُ بِالْحَقِّ قَدِ احْتَمَلْتُكُمْ . وَلكِنْ إِذَا كَانَ مَسْأَلَةً عَنْ كَلِمَةٍ ، وَأَسْمَاءٍ ، وَنَامُوسِكُمْ ،

فَتُبْصِرُونَ أَنْتُمْ . لأَنِّي لَسْتُ أَشَاءُ أَنْ أَكُونَ قَاضِيًا لِهذِهِ الأُمُورِ . فَطَرَدَهُمْ مِنَ الْكُرْسِيِّ» . (عدد ١٤ – ١٦) .

لقد كان اليهود واليونانيون ينتظرون حكم غاليون بشوق ولهفة فكان رفضه المباشر والسريع لهذه القضية على أن لا علاقة لها بمصالح الجمهور ، هو العلامة لليهود ليتراجعوا خائبين غاضبين . وقد فتح تصرف الوالي القاطع عيون الجمهور الصاخب الذين كانوا يحرضون اليهود . ولأول مرة ، في أثناء سني خدمة بولس في أوروبا ، انحاز الرعاع إلى جانبه ، فأمام عيني الوالي وبدون تدخله ، أحدقوا بأولئك الرجال العظام المشتكين على الرسول . «فَأَخَذَ جَمِيعُ الْيُونَانِيِّينَ سُوسْتَانِيسَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ ، وَضَرَبُوهُ قُدَّامَ الْكُرْسِيِّ ، وَلَمْ يَهُمَّ غَالِيُونَ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ» (عدد ١٧) . وهكذا أحرزت المسيحية انتصاراً فريداً .

«وَأَمَّا بُولُسُ فَلَبِثَ أَيْضًا أَيَّامًا كَثِيرَةً» (عدد ١٨) . لو كان الرسول قد أُكره في ذلك الوقت على مغادرة كورنثوس لكان المهتدون إلى إيمان يسوع قد وضعوا في موقف خطر ، إذ كان اليهود يحاولون الانتفاع بالميزة التي غنموها كي يستأصلوا المسيحية من ذلك الإقليم .

الفصل الخامس والعشرون

رسالتا تسالونيكي

(يعتمد هذا الفصل على رسالتي تسالونيكي) .

إن وصول سيلا وتيموثاوس من مكدونية ، أثناء إقامة بولس في كورنثوس ، أبهج قلب الرسول إلى حد كبير . لقد أتيا «بأخبار مفرحة عن إيمان ومحبة» أولئك الذين قبلوا الحق أثناء زيارة رسل الإنجيل الأولى إلى تسالونيكي كان قلب بولس يختلج بالرقة والعطف على هؤلاء المؤمنين ، الذين في وسط تجاربهم وضيقاتهم ، ظلوا أمناء لله . كان يتوق لزيارتهم بنفسه ، ولكن إذ كان ذلك متعذراً حينئذ ، فقد بعث إليهم برسالة .

يعبر الرسول في الرسالة إلى تسالونيكي عن شكره لله لأجل الأخبار المفرحة عن ترسخ إيمانهم فقال : «فَمِنْ أَجْلِ هذَا تَعَزَّيْنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَتِكُمْ فِي ضِيقَتِنَا وَضَرُورَتِنَا ، بِإِيمَانِكُمْ لأَنَّنَا الآنَ نَعِيشُ إِنْ ثَبَتُّمْ أَنْتُمْ فِي الرَّبِّ . لأَنَّهُ أَيَّ شُكْرٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَوِّضَ إِلَى اللهِ مِنْ جِهَتِكُمْ عَنْ كُلِّ الْفَرَحِ الَّذِي نَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَجْلِكُمْ قُدَّامَ إِلهِنَا ؟ طَالِبِينَ لَيْلاً وَنَهَارًا أَوْفَرَ طَلَبٍ ، أَنْ نرَى وُجُوهَكُمْ ، وَنُكَمِّلَ نَقَائِصَ إِيمَانِكُمْ» (١تسالونيكي ٣: ٧ – ١٠) .

«نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا ، مُتَذَكِّرِيــنَ بِلاَ انْقِطَاعٍ عَمَلَ إِيمَانِكُمْ ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا» (١تسالونيكي ١: ٣،٢) .

إن كثيرين من المؤمنين في تسالونيكي كانوا قد «رجعوا إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ ، ليعبدوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ» إنهم قد «قبلوا الْكَلِمَةَ فِي ضِيق كَثِــيرٍ» وقــد امتــلأت قلوبهم «بِفَرَحِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» . وقد أعلن الرسول أنهم في أمانتهم في اتباع الرب «صاروا قُدْوَةً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَفِي أَخَائِيَــةَ» هــذا وإن أقــوال المديح هذه لم تكن عن غير استحقاق ، فقد كتب بولس إليهم يقول : «لأَنَّهُ مِــــنْ قِبَلِكُمْ قَدْ أُذِيعَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ ، لَيْسَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ فَقَطْ ، بَلْ فِي كُلِّ مَكَــــانٍ أَيْضًا قَدْ ذَاعَ إِيمَانُكُمْ بِاللهِ» (١تسالونيكي ١: ٩،٦،٧،٨) .

كان المؤمنون في تسالونيكي كارزين أمناء ، فاضطرمت قلوبهم غيرة لأجــل مخلصهم الذي أنقذهم من خــــوف «الْغَضَــبِ الآتِــي» (١تســالونيكي ١: ١٠) . وبواسطة نعمة المسيح حدث تغيير عجيب في حياتهم ، وكلمة الله التــي أذاعوهــا كانت مصحوبة بقوة . فربحت القلوب بواسطة الحقائق المقدمة ، وانضمت نفــوس جديدة إلى أعداد المؤمنين .

في هذه الرسالة الأولى أشار بولس إلى طريقتـــه فــي العمــل بيــن أهــل تسالونيكي . فأعلن أنه لم يعمد إلى ربح مهتدين عن طريق الضلال أو الخـــداع والمكر . «بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ اللهِ أَنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ ، هكَذَا نَتَكَلَّمُ ، لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا . فَإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطُّ فِي كَلاَمِ تَمَلُّــقٍ كَمَــا تَعْلَمُونَ ، وَلاَ فِي عِلَّةِ طَمَعٍ . اَللهُ شَاهِدٌ . وَلاَ طَلَبْنَا مَجْدًا مِنَ النَّاسِ ، لاَ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ مَعَ أَنَّنَا قَادِرُونَ أَنْ نَكُونَ فِي وَقَارٍ كَرُسُلِ الْمَسِيحِ . بَلْ كُنَّا مُــــتَرَفِّقِينَ

فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا ، هكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ ، كُنَّا نَرْضَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ ، لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضًا ، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا» .

وقد استطرد الرسول يقول : «أَنْتُمْ شُهُودٌ ، وَاللهُ ، كَيْفَ بِطَهَارَةٍ وَبِبِرٍّ وَبِلاَ لَوْمٍ كُنَّا بَيْنَكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ . كَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ كُنَّا نَعِظُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالأَبِ لأَوْلاَدِهِ ، وَنُشَجِّعُكُمْ ، وَنُشْهِدُكُمْ لِكَيْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ للهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ» .

«مِنْ أَجْلِ ذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا نَشْكُرُ اللهَ بِلاَ انْقِطَاعٍ ، لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ اللهِ ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ» . «لأَنْ مَنْ هُوَ رَجَاؤُنَا وَفَرَحُنَا وَإِكْلِيلُ افْتِخَارِنَا ؟ أَمْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَمَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ ؟ لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ مَجْدُنَا وَفَرَحُنَا» (١تسالونيكي ٢:٤-٨،١٠-١٣،١٩،٢٠) .

لقد حاول بولس في رسالته الأولى إلى المؤمنين في تسالونيكي أن يعلمهم شيئاً عن حالة الأموات الحقيقية . لقد تحدث عن الذين قد ماتوا على أن هم قد رقدوا- في حالة من عدم الشعور فقال : «ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ . لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ ... لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً . ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» (١تسالونيكي ٤: ١٣ - ١٧) .

لقد تمسك أهل تسالونيكي بفكرة كون المسيح سيأتي ليغير الأمناء الأحياء ويأخذهم إليه . فبكل اهتمام حرصوا على حياة احبائهم لئلا يموتوا ويخسروا

البركة التي كانوا يتوقعون الحصول عليها عند مجيء سيدهم . ولكن الموت اختطف أحباءهم من بينهم واحدا في أثر الآخر . فبحزن وانسحاق كان التسالونيكيون يلقون النظرة الأخيرة على وجوه موتاهم ، ولم يكونوا يجوؤن أن يرجوا مقابلتهم في حياة أخرى- حياة الخلود .

فإذ فتحت رسالة بولس وقرئت ، شملت الكنيسة التعزية والفرح اللذين حملتهما إليهم أقوال الرسول التي كشفت عن الحالة الحقيقية للأموات . وقد أبان لهم بولس إن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لن يسبقوا الذين رقدوا في يسوع لملاقاته عند عودته . فإن صوت رئيس الملائكة وبوق الله سيصل إلى الراقدين والأموات في المسيح سيقومون أولاً قبلما يلمس الأحياء بلمسة الخلود . «ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ . لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهذَا الْكَلاَمِ» (١تسالونيكي ٤: ١٧،١٨) .

ونحن لا يمكننا تقدير الرجاء والفرح اللذين جلبهما هذا اليقين لكنيسة تسالونيكي الفتية . لقد آمنوا بتلك الرسالة التي قد أرسلها إليهم أبوهم في الإنجيل وأحبوها ، كما امتلأت قلوبهم حباً له أيضاً . كان قد سبق وأخبرهم بهذه الأمور من قبل ، ولكن في ذلك الحين كانوا يحاولون أن يفهموا بعقولهم تعاليم بدت جديدة وغريبة ، فلا غرابة إذا كانت قوة بعض تلك النقاط لم تنطبع بوضوح على أذهانهم . إلا أنهم كانوا جائعين إلى الحق وقد أعطتهم رسالة بولس رجاء وقوة جديدين ، وإيماناً أكثر ثباتاً ومحبة أعمق لذاك الذي بموته قد أنار الحياة والخلود .

وقد ابتهجوا الآن إذ علموا أن أحباءهم المؤمنين سيقومون من قبورهم ليحيوا إلى الأبد في ملكوت الله . فالظلمة التي كانت تكتنف مقابر الموتى انقشعت . وهاهو إكليل بهاء ومجد جديد يتوج هامة الإيمان المسيحي ، فرأوا مجداً جديداً في حياة المسيح وموته وقيامته .

وقد كتب بولس يقول : «فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ» (١تسالونيكي ٤: ١٤) . كثيرون يفسرون هذا الفصل على أنه يعني أن الراقدين سيحضرهم الله مع المسيح من السماء . ولكن بولس يعني أنه كما أُقيم المسيح من الأموات ، فكذلك الله سيدعو القديسين الراقدين ليخرجوا من قبورهم ويأخذهم معه إلى السماء . فما أثمن هذا العزاء وما أمجد هذا الرجاء ، ليس فقط للكنيسة في تسالونيكي بل لكل المسيحيين أينما كانوا .

إن بولس إذ كان يخدم في تسالونيكي كان قد تناول موضوع علامات الأزمنة وأسهب في شرحه ، مبيناً أي الحوادث ستحدث قبل استعلان ابن الإنسان في سحاب السماء ، بحيث ظن أنه من غير اللازم أن يكتب بعد ذلك عن هذا الموضوع بتوسع . ومع ذلك فقد أشار بوضوح وصراحة إلى تعاليمه السابقة فقال: «وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا ، لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ . لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ : «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ» ، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً» (١تسالونيكي ٥: ١-٣) .

يوجد كثيرون في العالم اليوم ممن يغمضون عيونهم حتى لا يروا الأدلة التي قد قدمها المسيح لإنذار الناس بمجيئه . إنهم يحاولون تهدئة كل المخاوف بينما في نفس الوقت علامة المنتهى سائرة بسرعة في طريقها إلى الإتمام ، والعالم يسرع إلى الوقت الذي فيه سيظهر ابن الإنسان في سحاب السماء . إن بولس يعلمنا أنها خطيئة عظيمة كوننا لا نكترث للعلامات التي تسبق مجيء المسيح ثانية . والذين يهملون في هذا الأمر يعتبرهم الرسول مذنبين ويدعوهم أبناء الليل والظلمة . كما أنه يشجع المستيقظين والساهرين بهذه الأقوال : «وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ . جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ . لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ . فَلاَ نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ» (١تسالونيكي ٥: ٤-٦) .

إن تعاليم الرسول حول هذا الموضوع لها أهمية خاصة للكنيسة في أيامنا هذه . فالذين يعيشون قريبين جدا من النهاية العظيمة ينبغي أن تأتيهم أقوال بولس مصحوبة بقوة فعالة حين يقول : «وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ . لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا ، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١تسالونيكي ٥: ٨ - ١٠) .

إن المسيحي الساهر هو مسيحي عامل ، يحاول بكل غيرة أن يبذل قصاراه لأجل تقدم الإنجيل . وكما تزيد محبته لفاديه ، كذلك تزيد محبته لبني جنسه . إن له تجاربه القاسية كما كان لسيده ، إلا أنه لا يسمح للتجربة أن تمرر طبعه أو تجعله شكساً أو تعكّر سلام نفسه . إنه يعلم أنه لو احتمل التجربة بصبر فهي ستنقيه وتطهره وتجعله في شركة أقرب مع المسيح . إن الذين يشاركون المسيح في آلامه سيشاركونه أيضاً في تعزياته وأخيراً يشاركونه في مجده .

ثم يستأنف الرسول كلامه في رسالته إلى أهل تسالونيكي فيقول : «ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ . سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تسالونيكي ٥: ١٢،١٣) .

كان مؤمنو تسالونيكي منزعجين بسبب مضايقات كانت تأتيهم من قوم يندسون بينهم ويبذرون بذار التعصب في الآراء والعقائد . فكان يوجد قوم «يَسْلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ ، لاَ يَشْتَغِلُونَ شَيْئًا بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ» (٢تسالونيكي ٣: ١١) . كانت الكنيسة قد نظمت تنظيماً جيداً محكماً ، وقد عُيِّن بها بعض الموظفين ليقوموا بعمل الخدام والشمامسة . ولكن وجد بعض الناس العنيدين المتهورين الذين رفضوا الخضوع لمن كان لهم مركز السيادة في الكنيسة . إنهم

لم يدعوا فقط بأن لهم الحق في الحكم الخاص ، بل قالوا إن لهم الحق أيضا في المجاهرة بإلزام الكنيسة بالأخذ بوجهة نظرهم . فبالنظر إلى هذا ، استرعى بولس انتباه أهل تسالونيكي إلى وجوب تقديم الاحترام والإكرام للذين اختيروا ليشغلوا مراكز السيادة في الكنيسة .

وإذ كان الرسول مهتماً بأن يسلك المؤمنون في تسالونيكي في خوف الله ، فقد ناشدهم أن يظهروا القداسة العملية في حياتهم اليومية . فكتب يقول : «فَمِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَسْأَلُكُمْ وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ ، أَنَّكُمْ كَمَا تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَسْلُكُوا وَتُرْضُوا اللهَ ، تَزْدَادُونَ أَكْثَرَ . لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَيَّةَ وَصَايَا أَعْطَيْنَاكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ . لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ : قَدَاسَتُكُمْ . أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا» «لأَنَّ اللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي الْقَدَاسَةِ» (١تسالونيكي ٤: ١-٣،٧) .

ولقد أحس الرسول بأنه مسؤول إلى حد كبير عن الذين اهتدوا بتأثير خدماته وعن خيرهم الروحي . كان يتوق إلى أن يزدادوا رسوخاً في معرفة الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذى أرسله . وكثيراً ما كان يلتقي في إبان خدمته بجماعات صغيرة من الرجل والنساء الذين أحبوا يسوع ، فكان يجثو معهم في الصلاة طالباً من الله أن يعلمهم كيف يحتفظون بصلة حيوية وارتباط وثيق به . وكثيراً ما كان يتشاور معهم عن أفضل الوسائل لتقديم نور حق الإنجيل للآخرين . وعندما كان يترك الذين قام بينهم بمثل هذه الخدمات ، كثيراً ما كان يتوسل إلى الله كي يحفظهم من الشر ويعينهم كي يكونوا كارزين غيورين نشيطين .

من أقوى الأدلة على الاهتداء أو التجديد الحقيقي المحبة لله وللإنسان . فالذين يقبلون يسوع فادياً لهم يكنّون محبة عميقة مخلصة للذين لهم إيمان ثمين كإيمانهم . كذلك كانت الحال مع مؤمني تسالونيكي . فقد كتب الرسول إليهم

يقول : «وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا ، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا . فَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذلِكَ أَيْضًا لِجَمِيعِ الإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي مَكِدُونِيَّةَ كُلِّهَا . وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَزْدَادُوا أَكْثَرَ ، وَأَنْ تَحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ ، وَتُمَارِسُوا أُمُورَكُمُ الْخَاصَّةَ ، وَتَشْتَغِلُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ ، لِكَيْ تَسْلُكُوا بِلِيَاقَةٍ عِنْدَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ ، وَلاَ تَكُونَ لَكُمْ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ» (١تسالونيكي ٤: ٩ – ١٢) .

«وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ ، كَمَا نَحْنُ أَيْضًا لَكُمْ ، لِكَيْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ بِلاَ لَوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا فِي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ» (١تسالونيكي ٣: ١٢،١٣) .

«وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ : أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ . شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ . أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ . تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ . انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ . افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ . صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ . اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ» (١تسالونيكي ٥: ١٤ – ١٨) .

وقد حذر التسالونيكيين بألا يحتقروا موهبة النبوة في كلامه الذي قاله : «لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ . لاَ تَحْتَقِرُوا النُّبُوَّاتِ . امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ . تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (١تسالونيكي ٥: ١٩ – ٢١) . كما أوصاهم بالحصافة والدقة في التمييز بين الحقيقى والزائف . ثم أوصاهم قائلاً: «امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ» (١تسالونيكي ٥: ٢٢) ، ثم ختم رسالته بالصلاة إلى الله كي «يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ» ، وأن «لِتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» . ثم

أضاف قائلاً : «أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا» (١تسالونيكي ٥: ٢٣،٢٤) .

إن التعليم الخاص بالمجيء الثاني للمسيح الذي بعث به الرسول إلى أهل تسالونيكي في رسالته الأولى ، كان على وفاق تام مع تعليمه السابق . ومع ذلك فإن بعض الإخوة في تسالونيكي لم يفهموا كلامه . وقد فهموا أنه يعبر عن أمله في أن يعيش هو نفسه ليرى مجيء المخلص . وهذا الإعتقاد زاد من حماسهم واهتياجهم . ثم أن الذين أهملوا تبعاتهم وواجباتهم قبلاً ، صاروا الآن أشد إصراراً في الدفاع عن آرائهم الخاطئة .

وفي رسالته الثانية حاول بولس أن يصلح سوء فهمهم لتعليمه ، وأن يبسط لهم مركزه الحقيقي . ومرة أخرى عبر عن ثقته في نزاهتهم ، وشكره لأن إيمانهم قوي ولأن محبتهم بعضهم لبعض ولعمل سيدهم تزداد . وقد أخبرهم أنه قد قدمهم للكنائس الأخرى على أنهم مثال يحتذى في الصبر والإيمان المثابر الذي يصمد بكل شجاعة أمام الاضطهاد والضيق . ثم وجه أفكارهم إلى الأمام إلى وقت مجيء المسيح ثانية عندما يستريح شعب الله من كل همومهم ومنغصاتهم .

فكتب يقول: «نَحْنُ أَنْفُسَنَا نَفْتَخِرُ بِكُمْ فِي كَنَائِسِ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ صَبْرِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ فِي جَمِيعِ اضْطِهَادَاتِكُمْ وَالضِّيقَاتِ الَّتِي تَحْتَمِلُونَهَا ... وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا ، عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ ، فِي نَارِ لَهِيبٍ ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ ... الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ نُصَلِّي أَيْضًا كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ: أَنْ يُؤَهِّلَكُمْ إِلهُنَا لِلدَّعْوَةِ ، وَيُكَمِّلَ كُلَّ مَسَرَّةِ الصَّلاَحِ وَعَمَلَ الإِيمَانِ بِقُوَّةٍ ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيكُمْ ، وَأَنْتُمْ فِيهِ ، بِنِعْمَةِ إِلهِنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢تسالونيكي ١: ٤ – ١٢) .

ولكن قبل مجيء المسيح ستحدث تطورات هامة في العالم الديني كما أنبأت النبوة . فقد أعلن الرسول قائلاً: «لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعًا عَنْ ذِهْنِكُمْ ، وَلاَ تَرْتَاعُوا ، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ . لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا ، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً ، وَيُسْتَعْلَنْ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ ، ابْنُ الْهَلاَكِ ، الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا ، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ ، مُظْهِرًا نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلهٌ» (٢تسالونيكي ٢: ٢-٤) .

وما كان يجب أن تحرف أقوال بولس . وما كان يجب أن يفهم أحد أنه ، بموجب إعلان خاص ، قد أنذر أهل تسالونيكي بمجيء المسيح السريع . فمثل هذا الموقف قد يربك الإيمان ، لأن الخيبة كثيراً ما تؤدي بالإنسان إلى عدم الإيمان ولذلك حذر الرسول الإخوة حتى لا يقبلوا هذه الأخبار كأنها آتية منه ، ثم واصل شرحه ليؤكد بأن السلطان البابوي الذي يصفه النبى دانيال بكل وضوح ، سيقوم أولاً ويثير حرباً على شعب الله . وسيكون من العبث على الكنيسة أن تنتظر مجيء سيدها قبل أن يتمم هذا السلطان عمله التجديفي المميت . ثم سألهم بولس قائلاً : «أَمَا تَذْكُرُونَ أَنِّي وَأَنَا بَعْدُ عِنْدَكُمْ ، كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ هذَا ؟» (٢تسالونيكي ٢: ٥) .

وما كان أرهب التجارب التي كانت مزمعة أن تحل بالكنيسة الحقيقية . فحتى في الوقت الذي كان الرسول يكتب فيه كان «سِرَّ الإِثْمِ» قد بدأ يعمل . والتطورات التي ستحدث في المستقبل كانت مزمعة أن تكون «بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ ، بِكُلِّ قُوَّةٍ ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ ، فِي الْهَالِكِينَ» (٢تسالونيكي ٢: ٩،١٠) .

والبيان الذي يورده الرسول عن الذين يرفضون أن يقبلوا «مَحَبَّةَ الْحَقِّ» هو بيان خطير جداً . إذ يقول هذه الكلمات عن الذين يصرون على رفض رسالة الحق : «سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ

الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ ، بَلْ سُرُّوا بِــــالإِثْمِ» (٢تســـالونيكي ٢: ١٠- ١٢) . إن الناس لا يمكن أن يفلتوا من العقاب حين يرفضون الإنذارات التـــي يرســـلها الله إليهم في رحمته . فالله سيسحب روحه من الذين يصرون علـــى رفـــض هـــذه الإنذارات ، تاركاً إياهم للأكاذيب التي يحبونها .

وهكذا لخص بولس العمل الوبيل لتلك القوة الشريرة الذي كان سيستمر مـــدى أجيال طويلة من الظلام والاضطهاد ، قبل أن يأتوا المسيح ثانيـــة . لقـــد كـــان مؤمنو تسالونيكي يرجون النجاة السريعة ، ولكن هاهو الرسول يحثـــهم الآن أن يتشجعوا ويتمموا العمل الذي أمامهم بخوف الله . وقد أوصاهم الرســـول بـــألا يهملوا واجباتهم أو أن يعتكفوا للانتظار العـــاطل . فبعـــد انتظاراتـــهم المتألقـــة للخلاص السريع ، فإن العودة إلى الحياة اليومية ومقاومة الأشرار التـــي كـــان عليهم أن يواجهوها كانت ستبدو في نظرهم كريهة ومنفرة بدرجـــة مضاعفـــة . ولذلك أوصاهم بالثبات في الإيمان:

«فَاثْبُتُوا إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا ، سَوَاءٌ كَانَ بِـــالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا . وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَـــزَاءً أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنِّعْمَةِ ، يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلاَمٍ وَعَمَلٍ صَـــالِحٍ» (٢تسالونيكي ٢: ١٥-١٧) . «أَمِينٌ هُوَ الرَّبُّ الَّـــذِي سَـــيُثَبِّتُكُمْ وَيَحْفَظُكُـــمْ مِـــنَ الشِّرِّيرِ . وَنَثِقُ بِالرَّبِّ مِنْ جِهَتِكُمْ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ مَا نُوصِيكُمْ بِهِ وَسَتَفْعَلُونَ أَيْضًـــا . وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ ، وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ» (٢تســـالونيكي ٣: ٣- ٥) .

لقد تسلم المؤمنون عملهم من الله . فبأمانتهم وثباتهم إلى جانب الحـــق كـــان عليهم أن يعطوا الآخرين النور الذي قد حصلوا عليه . وقد حثـــهم الرســـول ألا يفشلوا في عمل الخير ، ووجه انتباههم إلى مثاله هو في الاجتهاد فـــي الأمـــور

الزمنية بينما كان في الوقت نفسه يعمل عمل المسيح بغيرة لا تعرف الكلل . وقد وبخ الذين ركنوا إلى الخمول والكسل والإثارة التي بلا هدف ، وأوصاهم أن «يَشْتَغِلُوا بِهُدُوءٍ ، وَيَأْكُلُوا خُبْزَ أَنْفُسِهِمْ» (٢تسالونيكي ٣: ١٢) . وكذلك أوصى الكنيسة بأن يعزلوا من شركتهم كل من يصر على رفض التعاليم التي قدمها خدام الله . ثم أضاف قائلاً : «وَلكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ» (٢تسالونيكي ٣: ١٥) .

وقد ختم بولس هذه الرسالة أيضاً بصلاة طالباً من الله أنه في وسط كفاح الحياة وتجاربها يكون سلام الله ونعمة الرب يسوع المسيح عزاء وسنداً لهم .

الفصل السادس والعشرون

أبولس في كورنثوس

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في أعمال ١٨: ١٨ – ٢٨) .

بعدما غادر بولس كورنثوس كان حقل عمله الجديد في مدينة أفسس . كان في طريقه إلى أورشليم للاحتفاء بعيد قادم ، ولذلك كانت فترة بقائه في أفسس قصيرة بالضرورة . وإذ كان يحاج اليهود في المجمع ، كان وقع كلامه في نفوسهم محبباً حتى أنهم توسلوا إليه كي يواصل خدماته بينهم . إلا أن خطته لزيارة أورشليم منعته من البقاء هناك حينئذ ، ولكنه وعد بالعودة اليهم «إِنْ شَاءَ اللهُ» (عدد ٢١) . كان أكيلا وبريسكلا قد رافقاه إلى أفسس ، فتركهما هناك ليواصلا العمل الذي كان قد بدأه .

في هذا الوقت حدث أن «أَقْبَلَ إِلَى أَفَسُسَ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُلُّوسُ ، إِسْكَنْدَرِيُّ الْجِنْسِ ، رَجُلٌ فَصِيحٌ مُقْتَدِرٌ فِي الْكُتُبِ» (عدد ٢٤) . كان قد سمع وعظ يوحنا المعمدان وقبل معمودية التوبة . وكان شاهداً حياً على أن عمل النبي لم يكن عبثاً . والكتاب يقول عن أبلوس إنه كان «خَبِيرًا فِي طَرِيقِ الرَّبِّ . وَكَانَ وَهُوَ حَارٌّ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ وَيُعَلِّمُ بِتَدْقِيق مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ . عَارِفًا مَعْمُودِيَّةَ يُوحَنَّا فَقَطْ» (عدد ٢٥) .

وإذ كان أبلوس في أفسس «وَابْتَدَأَ هذَا يُجَاهِرُ فِي الْمَجْمَعِ» وكان بين سامعيه أكيلا وبريسكلا ، اللذان إذ لاحظا أنه لم يكن قد حصل على نور الإنجيل كاملاً ، «أَخَذَاهُ إِلَيْهِمَا ، وَشَرَحَا لَهُ طَرِيقَ الرَّبِّ بِأَكْثَرِ تَدْقِيق» (عدد ٢٦) . وبواسطة تعليمهما فهم الكتب المقدسة فهما أوضح ، وصار من أقدر المحامين عن الإيمان المسيحي .

وإذ كان أبولس يرغب في الذهاب إلى أخائية ، فقد «كَتَبَ الإِخْوَةُ» الذين في أفسس «إِلَى التَّلاَمِيذِ يَحُضُّونَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوهُ» كمعلم على وفاق تام مع كنيسة المسيح . فذهب إلى كورنثوس ، حيث في خدماته العامة ومن بيت إلى بيت «كَانَ بِاشْتِدَادٍ يُفْحِمُ الْيَهُودَ ... مُبَيِّنًا بِالْكُتُبِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ» . (عدد ٢٨،٢٧) . لقد غرس بولس بذار الحق وها هو أبلوس الآن يسقي . إن النجاح الذي لازم أبلوس في الكرازة بالإنجيل حفز بعض المؤمنين إلى أن يمجدوا خدماته أكثر من خدمات بولس . وهذه المقارنة بين إنسان وآخر أقحمت على الكنيسة روح التحزب التي هددت بعرقلة تقدم الإنجيل إلى حد كبير .

في خلال السنة والنصف التي قضاها بولس في كورنثوس ، قصد أن يقدم الإنجيل في بساطته . فهو لم يأت إلى أهل كورنثوس «بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ» ، بل في خوف ورعدة ، ونادى لهم «بِشَهَادَةِ اللهِ» «بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» ، لكي «لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ» (١كورنثوس ٢: ١،٤،٥) .

إن بولس وفّق بالضرورة بين طريقته في التعليم وبين حالة الكنيسة ، وقد أوضح لهم بعد ذلك قائلاً : «وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ» «بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَال فِي الْمَسِيحِ ، سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لاَ طَعَامًا ، لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ ، بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ» (١كورنثوس ٣: ١،٢) . كان كثيرون من مؤمني كورنثوس متباطئين في تفهم الدروس التي كان يحاول أن يعلمهم إياها . ولم يكن تقدمهم في المعرفة الروحية متناسباً مع امتيازاتهم والفرص

المقدمة لهم . ففي حين كان يجب أن يكونوا متقدمين في الاختبار المسيحي إلى مدى بعيد ، وقادرين على إدراك حقائق كلمة الله العميقة وممارستها عملياً ، كانوا في موقف يشبه موقف التلاميذ حين قال لهم المسيح : «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ» . (يوحنا ١٦: ١٢) . فالحسد والظنون الردية والاتهامات أغلقت قلوب كثيرين من مؤمني كورنثوس ضد العمل الكامل للروح القدس ، الذي «يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ» (١كورنثوس ٢: ١٠) . فمهما كان مبلغ حكمتهم في علوم العالم ، فإنهم لم يكونوا أكثر من أطفال في معرفة المسيح .

لقد كان على بولس أن يعلم المهتدين في كورنثوس مبادئ أبجدية الإيمان المسيحي . كان ملتزماً أن يعلمهم باعتبارهم يجهلون عمل القوة الإلهية في القلب . كانوا عاجزين حينئذٍ عن فهم أسرار الخلاص لأن «الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا» (١كورنثوس ٢: ١٤) . لقد حاول بولس أن يزرع البذار ، الذي كان يجب أن يسقيه آخرون . وأولئك الذين جاؤوا من بعده كان عليهم أن يتقدموا بالعمل من حيث تركه هو ، معطين نوراً ومعرفة روحيين في الوقت الملائم ، على قدر ما تحتمل الكنيسة .

عندما شرع الرسول في عمله في كورنثوس ، أيقن أنه يجب عليه أن يقدم ، بكل حرص ، الحقائق العظيمة التي كان يرغب أن يعلمهم إياها . وعرف أنه سيكون بين سامعيه مؤمنون متكبرون يتشبثون بالنظريات البشرية ويؤيدون نظم عبادة كاذبة ويتلمسون بعيونهم العمياء عساهم أن يجدوا في سفر الطبيعة نظريات تناقض حقيقة وجود الحياة الروحية والخالدة كما هي معلنة في الكتب المقدسة .

كما عرف أيضاً أن جماعة النقاد سيسعون للمجادلة حول التفسير المسيحي لكلمة الله المعلنة ، وأن الملحدين سيقابلون إنجيل المسيح بالسخرية والتهكم .

وإذ حاول بولس أن يقود النفوس إلى حيث الصليب ، لم يجرؤ على توجيه الانتهار المباشر للفاسقين ، أو أن يصور لهم مقدار شناعة خطيتهم في نظر الله القدوس . ولكنه بالحري وضع أمامهم غرض الحياة الحقيقي ، وحاول أن يطبع على أذهانهم تعاليم المعلم الإلهي التي لو قبلوها لانتشلتهم من حضيض محبة العالم والخطية إلى ذُرى الطهارة والبر . وقد أطال الشرح بوجه خاص عن التقوى العملية والقداسة التي ينبغي أن يبلغها أولئك الذين سيحسبون أهلاً لنيل مكان في ملكوت الله . لقد تاق الرسول لأن يرى نور إنجيل المسيح مخترقاً ظلمات عقولهم كي يروا إلى أي حد كانت اعمالهم النجسة كريهة في نظر الله . ولذلك فقد كان عبء تعليمه بينهم هو المسيح وإياه مصلوباً . كما حاول أن يريهم أن دراستهم الجادة الغيورة وأعظم فرحهم ينبغي أن يكون هو الحق العجيب حق الخلاص بالتوبة إلى الله والإيمان بالرب يسوع المسيح .

إن الفيلسوف يتحول مبتعداً عن نور الخلاص لأن هذا النور يجلب العار على نظرياته المتكبرة ، أما المنهمك في العالم فيرفضه لأنه يفصل بينه وبين أصنامه الأرضية . وقد رأى بولس أن صفات المسيح ينبغي أن تفهم على حقيقتها قبلما يستطيع الناس أن يحبوه أو يروا الصليب بعين الإيمان . هنا ينبغي أن تبدأ تلك الدراسة التي ستكون هي العلم والأغنية التي سيرددها المفديون مدى أجيال الأبد . ففي نور الصليب وحده يمكن تقدير قيمة النفس البشرية التقدير الصائب الحقيقي .

إن قوة نعمة الله الممحصة تبدل ميل الإنسان الطبيعى . فالسماء لا يمكن أن تكون مكاناً مرغوباً فيه في نظر الناس المنصرفي القلوب إلى الأمور الدنيوية والشهوانية . فقلوبهم البشرية غير المقدسة لا تشعر بجاذبية إلى ذلك المكان

الطاهر المقدس ، وحتى لو كان في إمكانهم الدخول ، فإنهم لا يجدون هناك ما يتفق مع طبيعتهم . ينبغي أن تقهر نعمة المسيح الميول والأهواء المسيطرة على القلب غير المتجدد ، قبلما يصير الإنسان الساقط أهلاً لدخول السماء والتمتع بعشرة الملائكة الأطهار القديسين . فحين يموت الإنسان عن الخطية وتدب فيه الحياة الجديدة في المسيح ، فإن محبة الله تملأ قلبه ، وإدراكه يتقدس وهو يشرب ويرتوي من نبع الفرح والمعرفة الذي لا ينضب فيشرق على طريقه نور نهار أبدي ، لأن نور الحياة يكون معه إلى الأبد .

لقد حاول بولس أن يطبع على عقول إخوته في كورنثوس حقيقة كونه هو وإخوته العاملين معه أن هم إلا رجال مفوضون من قبل الله لتعليم الحق ، وأنهم جميعا مشغولون في ذلك العمل نفسه ، وأنهم يعتمدون بالقدر ذاته على الله لأجل نجاحهم في أعمالهم . إن المباحثة التي حدثت في الكنيسة عن نسبة جدارة الخدام المختلفين لم تكن ضمن نظام الله ، بل نتيجة تغذية وإحياء وتعزيز صفات القلب البشري . يقول الرسول : «لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ أَنَا لِبُولُسَ وَآخَرُ أَنَا لأَبُلُّوسَ أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ ؟ فَمَنْ هُوَ بُولُسُ ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا ، وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى ، لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي . إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي ، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي» (اكور نثوس ٣: ٤ – ٧) .

إن بولس هو الذي كرز بالإنجيل أولاً في كورنثوس ، وهو الذي نظّم الكنيسة هناك . وقد كان هذا هو العمل الذي عينه له الله . وبعد ذلك وبناء على تعليمات الله جيء بخدام آخرين ليقفوا في نصيبهم ويأخذوا مكانهم . فالبذار الذي زرع كان ينبغي أن يسقى ، وهذا ما كان على أبلوس أن يفعله . لقد جاء بعد بولس في عمله ليقدم مزيداً من التعليم وليساعد على نمو البذار الذي زرع . لقد كسب قلوب الشعب ، ولكن الله هو الذي أعطى المحصول . إن القوة التي تغير الخلق

ليست بشرية بل إلهية . فالغارسون والساقون لا يجعلون البذار ينمو ، إنما هم يعملون تحت إشراف الله كوسائله المعينة ، متعاونين معه في عمله فالكرامة والمجد المصاحبان للنجاح يخصان الله وحده الذي هو العامل الأعظم .

إن خدام الله ليست لهم جميعاً نفس المواهب ، إنما هم جميعهم خدامه . وعلى كل واحد أن يتعلم من المعلم العظيم أولاً ثم بعد ذلك يشارك الآخرين ما قد تعلمه . لقد أعطى الله كلا من رسله عملاً فردياً . توجد أنواع مواهب ولكن على كل الخدام أن يندمجوا معاً في حالة توافق تسيطر عليهم قوة الروح القدس المقدسة . وإذ يخبرون الناس بإنجيل الخلاص فكثيرون سيتبكتون ويتجددون بقوة الله . إن الوسيلة البشرية تستتر مع المسيح في الله ، والمسيح وحده يظهر كالمعلم بين ربوة والذي كله مشتهيات .

«وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ ، وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ . فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ ، وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ ، بِنَاءُ اللهِ» (١كورنثوس ٣: ٩،٨) . في هذه الآيات يشبّه الرسول الكنيسة بحقل مزروع حيث يعمل فيه المزارعون ويعتنون بالكروم التي غرسها الرب . والكنيسة مشبهة أيضاً ببناء يعلو ويكبر حتى يصير هيكلاً مقدساً للرب . فالله هو العامل الأعظم وقد عين لكل إنسان عمله . والجميع عليهم أن يعملوا تحت إشرافه ويعطوه المجال لأن يعمل لأجل خدامه وبواسطتهم . إنه هو الذي يمنحهم اللباقة والمهارة ، وإذا انتبهوا إلى تعليماته فهو سيكلل جهودهم بالنجاح .

وعلى خدام الله أن يعملوا متكاتفين ومندمجين معاً في نظام رقيق لطيف : «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رومية ١٢: ١٠) . ينبغي ألا يكون هنالك انتقاد جارح ، وألا يهدم أحد عمل أخيه ، ولا أن تكون هناك أحزاب منفصلة . فكل من أوكل إليه الرب رسالة ، له عمله الخاص . لكل واحد شخصيته المستقلة

التي لا ينبغي أن تُبتلع في شخصية إنسان آخر ، ومع ذلك فعلى كل واحد أن يعمل في وفاق مع إخوته . على خدام الله أن يكونوا متحدين وهم يقومون بخدمتهم ، فهذا أمر جوهري . وينبغي ألا يقيم أي واحد منهم نفسه مثالاً لغيره فيتكلم عن إخوته وزملائه في العمل بغير احترام ، أو يعاملهم باعتبارهم أدنى منه . فتحت رئاسة الله ، على كل واحد أن يقوم بالعمل المعين له ، وعلى الخدام الآخرين أن يحترموه ويحبوه ويشجعوه . فعليهم أن يتكاتفوا معا وينهضوا بالعمل ويتقدموا به إلى الكمال .

إن هذه المبادئ مذكورة باسهاب في رسالة بولس الأولى إلى كنيسة كورنثوس . فالرسول يشير إلى «خُدَّامِ الْمَسِيحِ» على أنهم «وُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ» وهو يعلن عن عملهم قائلاً : «ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِينًا . وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ ، أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ . بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا . فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي . لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا . وَلكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ . إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ . وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ» (١كورنثوس ٤: ١ – ٥) .

لا حق لأي كائن بشري أن يقضي بين خدام الله المختلفين . فالرب وحده هو الذي يحكم على عمل الإنسان ، وهو الذي سيعطي لكل واحد جزاءه ، العادل .

إن الرسول إذ استطرد في كلامه أشار إشارة مباشرة إلى المقارنات التي عملت بين خدماته وخدمات أبلوس . فقال : «فَهذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ ، لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِينَا أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ ، كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ أَحَدٌ لأَجْلِ الْوَاحِدِ عَلَى الآخَرِ . لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ ؟ وَأَيُّ

شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ ؟» (١كورنثوس ٤: ٦،٧) .

وقد بسط بولس أمام الكنيسة بكل وضوح المخاطر والمشقات التي تحملها هو وزملاؤه بصبر في خدمة المسيح . فأعلن قائلاً : «إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ ، وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا . نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ . نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ . يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ . صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ . لَيْسَ لِكَيْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهذَا ، بَلْ كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ . لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ ، لكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ . لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ» (١كورنثوس ٤: ١١- ١٥) .

إن ذاك الذي يرسل خدام الإنجيل كسفرائه يلحق به الهوان والعار عندما يبدي بعض السامعين تعلقهم بخادم محبوب لدرجة أن تتولد فيهم عدم الرغبة لقبول خدمات معلم آخر . إن الرب يرسل المعونة إلى شعبه ، ليس دائماً حسبما يختارون بل بحسب ما يحتاجون . لأن الناس قصيرو البصر ، لا يمكنهم أن يميزوا ما هو لصالحهم الأعظم . ويندر أن يكون لخادم واحد كل المؤهلات اللازمة لتكملة كنيسة في كل المطالب المسيحية . ولذلك فكثيراً ما يرسل الله إليهم خداماً آخرين ، ولكل منهم مؤهلات لا توجد في الآخرين .

ينبغي للكنيسة أن تقبل بشكر خدام المسيح هؤلاء ، كما لو كانوا يقبلون السيد نفسه . وعليهم أن يستخرجوا كل الفائدة الممكنة من التعاليم التي يمكن لكل خادم أن يقدمها لهم من كلمة الله . وينبغي قبول الحقائق التي يقدمها خدام الله ، كما يجب تقديرها في وداعة ورقة . ولكن ينبغي ألا يتعلق أحد بأي خادم إلى درجة التطرف أو إلى حد جعله صنم حياته .

وبنعمة المسيح يصير خدام الله رسل النور والبركة . فإذ يحصلون بواسطة المواظبة على الصلاة على عطية الروح القدس ويخرجون مثقلين بحمل خلاص النفوس وقلوبهم مفعمة غيرة على نشر نصرات الصليب وتوسع مداها ، فهم سيرون ثمراً مفرحاً لخدماتهم . وإذ يرفضون بكل إباء أن يظهروا الحكمة البشرية أو أن يمجدوا الذات ، فإنهم سينجزون عملاً يصمد أمام هجمات الشيطان . وستترك نفوس كثيرة الظلمة وتقبل إلى النور ، وستقام كناش كثيرة . وسيهتدي الناس ، لا إلى الوسائل البشرية ، بل إلى المسيح . والذات ستحتجب وسيظهر رجل الجلجثة ، يسوع وحده .

يمكن لمن يخدمون المسيح اليوم أن يعلنوا نفس الكمالات الممتازة التي قد أظهرها أولئك الذين كرزوا بالإنجيل في عصر الرسل . فالله مستعد لأن يمنح القوة لخدامه اليوم كما كان مستعداً لأن يمنحها بالأمس لبولس وأبلوس وسيلا وتيموثاوس وبطرس ويعقوب ويوحنا . كان يوجد في أيام الرسل أناس مضلون ادعوا بأنهم يؤمنون بالمسيح ، ومع ذلك رفضوا تقديم الإكرام اللائق لسفرائه . لقد أعلنوا أنهم لا يتبعون أي معلم بشري ، ولكنهم كانوا ، كما زعموا ، يتلقون التعليم من المسيح مباشرة ، بدون معونة خدام الإنجيل . كانوا مستقلين في روحهم ، ورفضوا الخضوع لصوت الكنيسة . مثل هؤلاء كانوا في خطر عظيم من الوقوع في شرك الخداع .

لقد أقام الله في الكنيسة رجالاً مختلفي المواهب وعينهم كمساعدين له ، حتى عن طريق الحكمة الموحّدة للكثيرين يمكن معرفة فكر الروح والعمل بتوجيهاته . إن الذين يعملون ويتحركون وفقاً لميزات أخلاقهم القوية ، ويرفضون حمل النير مع غيرهم ممن لهم خبرة طويلة في عمل الله ، ستعميهم ثقتهم في ذواتهم ، وسيعجزون عن التمييز بين ما هو زائف وما هو حقيقي . إنه من غير المأمون

اختيار أمثال هؤلاء كقادة في الكنيسة ، لأنهم سيتبعون حكمهم وينفذون خططهم بصرف النظر عن حكم إخوتهم . وإنه ليسهل على العدو أن يعمل عن طريق الذين مع كونهم بحاجة إلى النصح والمشورة في كل خطوة ، يجعلون أنفسهم أوصياء على النفوس بقوتهم دون أن يكونوا قد تعلموا وداعة المسيح .

إن الانطباعات وحدها ليست مرشداً أميناً إلى الواجب . فكثيراً ما يقنع العدو الناس ليعتقدوا أن الله هو الذي يقودهم ، بينما هم في الحقيقة يتبعون الوازع البشري وحده . أما إذا كنا نسهر ونتحذر ونستشير إخوتنا ، فسيعطى لنا تمييز لمعرفة إرادة الرب ، الذي وعد أن «يُدَرِّبُ الْوُدَعَاءَ فِي الْحَقِّ ، وَيُعَلِّمُ الْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ» (مزمور ٢٥: ٩) .

كان يوجد في الكنيسة المسيحية الأولى بعض الناس الذين رفضوا الاعتراف ببولس أو أبلوس ، واعتبروا بأن بطرس هو قائدهم . هؤلاء أكدوا بأن بطرس كانت بينه وبين المسيح أوثق صلات المحبة والألفة حين كان المسيح على الأرض ، بينما بولس كان مضطهداً للمؤمنين . لقد كان التعصب هو الذي يجمع بين آرائهم ومشاعرهم تلك . ولم يظهروا السخاء والكرم والرقة التي تعلن أن المسيح يسكن في القلب .

وكان يُخشى من أن روح التحزب هذه ينتج عنها شر عظيم على الكنيسة المسيحية . ولهذا أوصى الرب بولس أن ينطق الإنذارات الحارة والاحتجاجات المهيبة . فسأل الرسول الذين كانوا يقولون «أَنَا لِبُولُسَ ، وَأَنَا لأَبُلُّوسَ ، وَأَنَا لِصَفَا ، وَأَنَا لِلْمَسِيحِ» قائلاً : «هَلِ انْقَسَمَ الْمَسِيحُ ؟ أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ ، أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ ؟» ثم توسل إليهم قائلاً : «إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ ! فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ ، وَالْمَسِيحُ لِلهِ» (اكورنثوس ١: ١٢،١٣؛ ٣: ٢١-٢٣) .

كان بولس وأبلوس كلاهما على وفاق تام . وقد خاب أمل أبلـــوس وحـــزن بسبب الانقسام الذي حدث في كنيسة كورنثوس . وهو لم يرد أن يســـتفيد مـــن التفضيل الذي أُعطي له ، ولا شجع أحداً عليه ، بل بادر إلى ترك ذلـــك الحقـــل الذي كثرت فيه المنازعات والخصومات . وعندما ألح عليه بولس بعد ذلك كـــي يعود لزيارة كورنثوس تمنع واعتذر ، ولم يرجع ليخدم هناك مرة أخرى إلا بعـد وقت طويل عندما نضجت الكنيسة ووصلت إلى حالة روحية أفضل .

الفصل السابع والعشرون

أفسس

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٩: ١-٢٠) .

عندما كان أبلوس يكرز في كورنثوس ، تمم بولس وعده بالعودة إلى أفسس . كان قد قام بزيارة قصيرة لأورشليم ، وقضى بعض الوقت في أنطاكية ، مسرح خدماته الأولى . ومن هناك اجتاز في آسيا الصغرى : «فِي كُورَةِ غَلاَطِيَّةَ وَفِرِيجِيَّةَ» (أعمال ١٨: ٢٣) ليزور الكنائس التي أسسها هو بنفسه ، وليشدد إيمان المؤمنين .

في عصر الرسل كان القسم الغربي من آسيا الصغرى معروفا باسم «المقاطعة الرومانية الآسيوية» . وكانت أفسس العاصمة ، مركزاً تجارياً عظيماً . وكان ميناؤها مزدحماً بالسفن ، وكان الناس يتقاطرون إليها من كل الأقطار ويحتشدون في شوارعها . وقد كانت حقلاً يرجى منه الخير للخدمات الكرازية كما كانت كورنثوس .

إن اليهود الذين كانوا مشتتين حينئذ في كل البلدان المتمدنة ، كانوا عادة ينتظرون مجيء المسيا . وعندما كان يوحنا المعمدان يكرز ، كان كثيرون ، عندما يذهبون لزيارة أورشليم في الأعياد السنوية ، يخرجون إلى ضفاف الأردن

ليسمعوه . وهناك كانوا يسمعون عن يسوع يُكرز به ويعلن عنه بوصفه السيد الموعود به ، وكانوا يحملون تلك الأخبار إلى جميع أنحاء العالم . وهكذا أعدت العناية الإلهية الطريق لخدمات الرسل .

وعندما وصل بولس إلى أفسس وجد اثني عشر أخاً ، وهؤلاء كانوا تلاميذ ليوحنا المعمدان كما كان أبلوس ، ومثله حصلوا على بعض المعلومات عن مرسلية المسيح . لم يكونوا في مثل اقتدار أبلوس ، ولكنهم بإخلاص كإخلاص أبلوس ، وبإيمان كإيمانه كانوا يسعون لينشروا خارجاً المعرفة التي حصلوا عليها .

ولم يكن هؤلاء الإخوة يعرفون شيئاً عن عمل الروح القدس . فعندما سألهم بولس عما إذا كانوا قد قبلوا الروح القدس أجابوه قائلين : «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ» (عدد ٢) . فسألهم بولس قائلاً : «فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ ؟ فَقَالُوا بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا» (عدد ٣) .

حينئذ بسط الرسول أمامهم الحقائق العظيمة التي هي أساس الرجاء المسيحي . فأخبرهم عن حياة المسيح على هذه الأرض وعن ميتة القسوة والعار التي واجهها . ثم سرد لهم كيف أن رب الحياة قد نقض سياجات القبر وقام منتصراً على الموت . وردد لهم تفويض المخلص لتلاميذه حين قال لهم : «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (متى ٢٨: ١٨، ١٩) . وأخبرهم أيضاً عن وعد المسيح بإرسال المعزي الذي بقوته ستصنع الآيات والعجائب ، ثم وصف لهم كيف تم هذا الوعد بطريقة مجيدة في يوم الخمسين .

وقد أصغى أولئك الإخوة إلى ما كان يقوله بولس باهتمام عميق وفرح وذهول وشكر . وبالإيمان فهموا الحق العجيب عن ذبيحة المسيح الكفارية ، وقبلوه فاديا لهم . حينئذ اعتمدوا باسم يسوع . «وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ» قبلوا هم أيضاً

معمودية الروح القدس التي بواسطتها أمكنهم التكلم بالسنة الأمم الأخرى والتنبؤ . وهكذا صاروا مؤهلين لأن يخدموا ككارزين في أفسس وما جاورها ، وأن يخرجوا أيضاً ليذيعوا الإنجيل في آسيا الصغرى .

فإذ كانت فيهم روح متواضعة قابلة للتعليم ، حصل هؤلاء الرجال على الاختبار الذي أعانهم على الخروج كخدام في حقل الحصاد . إن مثالهم يقدم للمسيحيين درساً ثميناً جداً . يوجد كثيرون يتقدمون تقدماً بطيئاً في الحياة الإلهية لأنهم مكتفون جدا بنفوسهم بحيث لا يريدون أن يشغلوا مركز المتعلمين . إنهم قانعون بمعرفة سطحية لكلمة الله . ولا يرغبون في تغيير عقيدتهم أو عملهم ولذلك لا يبذلون مجهوداً للحصول على نور أعظم .

فلو أن أتباع المسيح يبحثون بجد عن الحكمة لكانوا يقادون إلى حقول الحق الغنية التي لا تزال مجهولة لديهم . إن الذي يسلم نفسه لله بالتمام ، سترشده يد الله . قد يكون متواضعاً وحسب الظاهر غير موهوب ، ومع ذلك فأنه إذا كان يطيع كل إنذارات إرادة الله بقلب محب واثق ، فإن قواه تطهر وتصير نبيلة وكريمة ونشطة وكفاءاته تزداد . وإذ يختزن تعاليم الحكمة الإلهية فستسند إليه رسالة مقدسة ، وسيكون قادراً على أن يجعل حياته سبب مجد لله وبركة للعالم : «فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ ، يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ» (مزمور ١١٩: ١٣٠) .

يوجد كثيرون اليوم ممن يجهلون عمل الروح القدس في القلب تماماً كما كان أولئك المؤمنون في أفسس ، ومع ذلك فلا يوجد حق آخر مبين بكل وضوح في كلمة الله كهذا الحق . لقد تحدث الأنبياء والرسل طويلاً حول هذا الموضوع . والمسيح نفسه يوجه انتباهنا إلى النمو الذي يشاهد في دنيا النبات كمثال لعمل روحه في دعم الحياة الروحية وإسنادها وتعضيدها . إن عصارة الكرمة التي ترتفع من جذرها تنساب في الأغصان لكي تزيدها نموا

فتورق وتزهر وتثمر . كذلك قوة الروح القدس المانحة الحياة والمنبثقة من المخلص تتخلل مكامن النفس وتجدد البواعث والعواطف وتجعل حتى الأفكار نفسها مطيعة لإرادة الله ، وتجعل من يقبله قادراً على حمل الثمر الثمين ، ثمر الأعمال المقدسة .

إن منشأ هذه الحياة الروحية غير منظور ، والوسيلة المضبوطة التي بواسطتها تعطي تلك الحياة وتسند ، يقصر باع فلاسفة الأرض عن إيضاحها . ومع ذلك فإن أعمال الروح وتأثيره هي دائماً في وفاق مع الكلمة المكتوبة . وما ينطبق على العالم المادي ينطبق على العالم الروحي . إن الحياة المادية تحفظ لحظة بعد أخرى بقوة الله ، ومع ذلك فهي لا تتغذى وتسند بمعجزة مباشرة ، بل باستعمال البركات التي جعلها الله في متناول أيدينا . فكذلك الحياة الروحية تتغذى باستخدام الوسائل التي أعدتها العناية الإلهية . فإذا كان لتابع المسيح أن ينمو «إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ . إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ» (أفسس ٤: ١٣) ، فعليه أن يأكل من خبز الحياة ويشرب من كأس الخلاص .. عليه أن يسهر مصلياً وعاملاً ، وفي كل شيء ينتبه إلى ما يعمله الله في كلمته . وهنالك درس آخر لنا نتعلمه من اختبار المهتدين اليهود . فعندما قبلوا المعمودية على يدي يوحنا ، لم يكونوا يدركون إدراكاً كاملاً رسالة يسوع كحامل للخطايا . كانوا متمسكين بأخطاء خطيرة . ولكن إذا أشرق عليهم نور أوضح ، فبكل سرور قبلوا المسيح فادياً لهم ، ومع هذه الخطوة التقدمية حدث تغيير في التزاماتهم . فإذ قبلوا إيماناً أنقى حدث في حياتهم تغيير مماثل ، ودليلاً على هذا التغيير واعترافاً بإيمانهم بالمسيح اعتمدوا ثانية باسم يسوع .

وكما كانت عادة بولس دائماً ، فقد بدأ عمله في أفسس بالكرازة في مجمع اليهود . وظل يخدم هناك ثلاثة أشهر «مُحَاجًّا وَمُقْنِعًا فِي مَا يَخْتَصُّ بِمَلَكُوتِ اللهِ»

(عدد ٨) . في بادئ الأمر قبله الناس قبولاً حسناً ، ولكن سرعان ما قابل مقاومة عنيفة ، كما حدث في حقول أخرى : «كَانَ قَوْمٌ يَتَقَسَّوْنَ وَلاَ يَقْنَعُونَ ، شَاتِمِينَ الطَّرِيقَ» (عدد ٩) . فإذ أصروا على رفض الإنجيل كف الرسول عن الكرازة في المجمع .

لقد عمل روح الله مع بولس وعن طريقه وهو يخدم بنى جنسه ومواطنيه . وقد قدم البرهان الكافي لإقناع كل من رغبوا في معرفة الحق بإخلاص وأمانة . ولكن كثيرين سمحوا للتعصب وعدم الإيمان أن يسيطر عليهم ورفضوا التسليم لأعظم برهان قاطع . فإذ كان بولس يخشى أن يتعرض إيمان المؤمنين للخطر بسبب احتكاكاتهم الدائمة بمقاومي الحق والاختلاط بهم ، اعتزل عنهم وأفرز التلاميذ مكونا منهم جماعة خاصة ، وواصل تعاليمه التي كان يجاهر بها في مدرسة تيرانس الذي كان معلماً يتمتع ببعض الشهرة .

وقد رأى بولس «لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ لِي بَابٌ عَظِيمٌ فَعَّالٌ» مع أنه كان «وَيُوجَدُ مُعَانِدُونَ كَثِيرُونَ» (١كورنثوس ١٦: ٩) . إن أفسس لم تكن أفخم مدن آسيا وحسب ، ولكنها كانت أكثرها فساداً . لقد سادت الخرافات وطغت الملذات الشهوانية على سكانها الكثيرين . وكان المجرمون من كل الأنواع يحتمون تحت أجنحة هياكلها وقد تفشت أحط الرذائل هناك .

كانت مدينة أفسس مركزاً شهيراً لعبادة أرطاميس . وقد ذاعت شهرة هيكل «أرطاميس الأفسسيين» وفخامته في كل أنحاء آسيا والعالم . وإن بهاءه وجلاله الفائق جعله ليس مفخرة المدينة وحدها ، بل والأمة كلها . وقد قال التقليد إن التمثال الذي كان في داخل الهيكل قد هبط من السماء . وكان منقوشاً عليه كتابة رمزية كان الناس يعتقدون أن لها قوة عظيمة . وقد كتب أهل أفسس كتباً لإيضاح معاني تلك الرموز وكيفية استعمالها .

وكان بين من درسوا تلك الكتب الثمينة بكل إمعان ، كثيرون من السحرة الذين لهم تأثير قوي على عقول الناس الذين تمسكوا بالخرافات وتعبدوا للتمثال الذي في داخل الهيكل .

إن بولس وهو يخدم في أفسس أعطيت له براهين خاصة عن رضى الله عنه . لقد رافقت قوة الله جهوده ، وكثيرون شفوا من أمراض جسدية . «وَكَانَ اللهُ يَصْنَعُ عَلَى يَدَيْ بُولُسَ قُوَّاتٍ غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ ، حَتَّى كَانَ يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى الْمَرْضَى ، فَتَزُولُ عَنْهُمُ الأَمْرَاضُ ، وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْ» (عدد ١١، ١٢) . هذه المظاهر للقوة الفائقة الطبيعة كانت أقوى من كل ما شُوهد في أفسس ، وكانت من نوع خاص بحيث لم يمكن للمشعوذين المحتالين بمهارتهم ، ولا للسحرة بسحرهم أن يقلدوها . وإذا أجريت هذه المعجزات باسم يسوع الناصري ، كانت للناس فرصة فيها يرون أن إله السماء أقوى من كل السحرة الذين كانوا يعبدون الإلهة أرطاميس . وهكذا رفع الرب شأن خادمه حتى أمام عابدي الأوثان أنفسهم ، أكثر بما لا يقاس من أقوى السحرة .

ولكن ذاك الذي كانت كل الأرواح خاضعة له ، والذي أعطى لخدامه السلطان عليها ، كان مزمعاً أن يجلب عاراً واندحاراً أعظم على من احتقروا اسمه القدوس ونجسوه . كانت الشريعة الموسوية تحرم استعمال السحر تحت طائلة الموت ، ومع ذلك فبين حين وآخر كان بعض اليهود المرتدين يستخدمونه سراً . وفي الوقت الذي زار فيه بولس أفسس كان يوجد في المدينة «قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ الطَّوَّافِينَ الْمُعَزِّمِينَ» الذين لما رأوا الآيات التي أجراها شرعوا في أن «يُسَمُّوا عَلَى الَّذِينَ بِهِمِ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ» . والذين أقدموا على هذه المحاولة كانوا «سَبْعَةُ بَنِينَ لِسكَاوَا ، رَجُل يَهُودِيٍّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ» . وإذ وجدوا

رجلا به روح شريرة خاطبوه بالقول : «نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِيَسُوعَ الَّذِي يَكْرِزُ بِهِ بُولُسُ» ولكن «فَأَجَابَ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ وَقَالَ أَمَّا يَسُوعُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ ، وَبُولُسُ أَنَا أَعْلَمُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ فَوَثَبَ عَلَيْهِمُ الإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ ، وَغَلَبَهُمْ وَقَوِيَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى هَرَبُوا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ عُرَاةً وَمُجَرَّحِينَ» (عدد ١٣- ١٦) .

وهكذا قدم برهان لا يخطئ على قدسية اسم المسيح ، والخطر الذي يتجشمه أولئك الذين يستشهدون به بدون إيمان برسالة المخلص الإلهية : «فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ ، وَكَانَ اسْمُ الرَّبِّ يَسُوعَ يَتَعَظَّمُ» (عدد ١٧) .

الحقائق التي كانت مستورة من قبل انكشفت الآن للنور . إن بعضاً من المؤمنين إذ قبلوا المسيحية ، لم ينبذوا خرافاتهم تماماً . وإلى حد ما ظلوا يستعملون السحر . أما الآن وقد اقتنعوا بخطئهم فـ«كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ» (عدد ١٨) . وقد امتد العمل الصالح حتى إلى بعض السحرة أنفسهم . «وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ . وَحَسَبُوا أَثْمَانَهَا فَوَجَدُوهَا خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْفِضَّةِ (حوالي ٥ الآف دولار) هكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ» (عدد ١٩،٢٠)

إن أولئك المهتدين في أفسس إذ أحرقوا كتبهم السحرية برهنوا أنهم صاروا يكرهون ويمقتون ما كانوا يسرون به قبلاً . إنهم بواسطة السحر قد أسخطوا الله جداً وعرضوا أرواحهم للخطر ، أما الآن فقد ثار غضبهم على السحر . وهكذا قدموا البرهان على الاهتداء الحقيقي .

إن هذه المؤلفات عن العرافة اشتملت على قوانين للاتصال بالأرواح الشريرة . لقد كانت قوانين ولوائح لعبادة الشيطان ، وتعليمات للتوسل إليه في طلب المعونة والحصول على معلومات منه . فلو أبقى أولئك التلاميذ هذه الكتب في حوزتهم لكانوا يعرضون أنفسهم للتجربة ، ولو باعوها لكانوا يعرضون حياة

المشترين للتجربة . لقد نبذوا ملكوت الظلمة وهجروه ولذلك لم يترددوا في هدم وملاشاة قوته مهما ضحوا في سبيل ذلك . وهكذا انتصر الحق على تعصب الناس وعلى حبهم للمال .

وإذ ظهرت قوة المسيح هكذا ، أحرزت المسيحية نصرة عظيمة في معقل الخرافات نفسه . إن تأثير ما حدث انتشر وامتد إلى مدى بعيد أكثر مما كان يتصوره بولس نفسه . وقد انتشرت الأخبار من أفسس إلى أماكن بعيدة جداً ، وهكذا اكتسب ملكوت المسيح قوة دافعة عظيمة . وبعدما أكمل الرسول سعيه بوقت طويل ، عاشت هذه المشاهد في أذهان الناس وكانت من ضمن الوسائل لربح مهتدين إلى الإنجيل . وإنه ليحلو للناس أن يفترضوا أن الخرافات الوثنية قد اختفت قبل حلول مدنية القرن العشرين . إلا أن كلمة الله وشهادة الحقائق الواضحة تعلن بأن السحر يستعمل في هذا العصر تماماً كما كان في عهد السحرة الأقدمين . إن نظام السحر القديم هو في الحقيقة نفس ما يعرف الآن بعلم تحضير الأرواح الحديث . إن الشيطان لا يزال يجد لنفسه طريقاً إلى آلاف من العقول بتقديم نفسه في زي الأصدقاء الراحلين . والكتاب المقدس يعلن قائلاً : «الْمَوْتَى ... لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا» (جامعة ٩: ٥) . وأفكارهم ومحبتهم وبغضتهم هلكت . والموتى لا يتحدثون مع الأحياء أو يتصلون بهم . ولكن الشيطان الذي لا يتنكر لدهائه يستخدم مكايده للسيطرة على العقول .

وعن طريق مناجاة الأرواح يتصل كثيرون من المرضى والثكالى والفضوليون بالأرواح الشريرة . وكل من يتجرأون على عمل هذا هم في أرض خطرة . وكلمة الحق تعلن كيف يعتبر الله هؤلاء الناس . وفي العصور القديمة نطق الله بدينونة رهيبة على ملك أرسل يستشير عرافاً وثنياً إذ قال : «أليس لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلهٌ ، تَذْهَبُونَ لِتَسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلهَ عَقْرُونَ ؟ فَلِذلِكَ هكَذَا

قَالَ الرَّبُّ : إِنَّ السَّرِيرَ الَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لاَ تَنْزِلُ عَنْهُ بَلْ مَوْتًا تَمُوتُ» (٢ملوك ١: ٣،٤) .

إن السحرة في العصور الوثنية لهم من يشبهونهم في شخص وسطاء الأرواح ، والمستبصرين (الادعاء برؤية غير المنظور) ، والعرافين في هذه الأيام . إن الأصوات الغامضة التي تكلمت في عين دور وفي أفسس لا تزال تضلل بني الإنسان بواسطة أكاذيبها . ولو رفع الحجاب من أمام عيوننا لرأينا الملائكة الأشرار يستخدمون كل مكرهم للتضليل والاهلاك . فأينما يبذل جهد لجعل الناس ينسون الله ، فهناك الشيطان يستخدم قوته الساحرة . وعندما يخضع الناس لتأثيره ، فقبلما يدركون ترتبك عقولهم وتتنجس نفوسهم . إن الإنذار الذي قدمه الرسول لكنيسة أفسس ينبغي أن يلتفت إليه شعب الله في هذه الأيام حيث يقول: «وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا» (أفسس ٥: ١١) .

الفصل الثامن والعشرون

أيام عناء وتجارب

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ١٩: ٢١-٤١؛ ٢٠:١) .

كانت مدينة أفسس مركز خدمة بولس مدى ثلاث سنين . وقد أقيمت فيها كنيسة مزدهرة ناجحة ، ومن هذه المدينة انتشر الإنجيل إلى كل إقليم آسيا بين اليهود والأمم على السواء .

كان الرسول الآن يفكر لبعض الوقت في القيام برحلة كرازية جديدة . «وَضَعَ بُولُسُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ بَعْدَمَا يَجْتَازُ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ يَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ ، قَائِلاً إِنِّي بَعْدَ مَا أَصِيرُ هُنَاكَ يَنْبَغِي أَنْ أَرَى رُومِيَةَ أَيْضًا» (أعمال ١٩: ٢١) . ووفقاً لهذه الخطة ، «أَرْسَلَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ اثْنَيْنِ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْدِمُونَهُ تِيمُوثَاوُسَ وَأَرَسْطُوسَ» (عدد ٢٢) . إلا أنه إذ أحس بأن العمل في أفسس يتطلب وجوده قرر البقاء هناك إلى ما بعد يوم الخمسين . ومع ذلك فقد حدث حالاً بعد ذلك حادث جعله يسرع في الرحيل .

فكانت تقام في أفسس حفلات خاصة تكريماً للإلهة أرطاميس . هذه الحفلات كانت تجتذب جماهير غفيرة من الناس من كل أنحاء الإقليم . ومدى هذه الفترة كانت تقام الولائم والأعياد بأعظم مظاهر الأبهة والبهاء .

وكان موسم هذا العيد وقتاً شاقاً وقاسياً على الذين اعتنقوا الإيمان منذ عهد قريب . كانت جماعة المؤمنين الذين كانوا يجتمعون في مدرسة تيرانس ، نغمة شاذة في لحن العيد المرح . وقد انصبت عليهم شتى ألفاظ السخرية والتعيير والإهانات . ولقد أوقعت خدمات بولس ضربات قوية على العبادة الوثنية وكان من نتائج ذلك نقص ملموس في عدد المحتفلين بذلك العيد القومى وفي حماس العابدين . وقد امتد تأثير تعاليم بولس إلى أبعد من في دائرة المهتدين إلى الإيمان . وكثيرون ممن لم يجاهروا بقبول التعاليم الجديدة ، استنارت عقولهم بحيث ضاعت كل ثقتهم في آلهتهم الوثنية .

كان يوجد سبب آخر للتذمر . ذلك أن تجارة واسعة مربحة ازدهرت في أفسس من صنع تماثيل صغيرة مصنوعة على مثال هيكل الإلهة أرطاميس وتمثالها وبيعها للناس . وقد وجد أولئك الذين كان يعنيهم أمر نجاح هذه الصناعة أن أرباحهم بدأت تتناقص ، وقد أجمعت كلمتهم على أن ينسبوا ذلك التبدل الكريه إلى خدمات بولس .

إن ديمتريوس الذي كان صانع هياكل فضة إذ دعا الصناع الذين من حرفته قال لهم : «أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ سِعَتَنَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ هذِهِ الصِّنَاعَةِ . وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَتَسْمَعُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَفَسُسَ فَقَطْ ، بَلْ مِنْ جَمِيعِ أَسِيَّا تَقْرِيبًا ، اسْتَمَالَ وَأَزَاغَ بُولُسُ هذَا جَمْعًا كَثِيرًا قَائِلاً : إِنَّ الَّتِي تُصْنَعُ بِالأَيَادِي لَيْسَتْ آلِهَةً . فَلَيْسَ نَصِيبُنَا هذَا وَحْدَهُ فِي خَطَرٍ مِنْ أَنْ يَحْصُلَ فِي إِهَانَةٍ ، بَلْ أَيْضًا هَيْكَلُ أَرْطَامِيسَ ، الإِلهَةِ الْعَظِيمَةِ ، أَنْ يُحْسَبَ لاَ شَيْءَ ، وَأَنْ سَوْفَ تُهْدَمُ عَظَمَتُهَا ، هِيَ الَّتِي يَعْبُدُهَا جَمِيعُ أَسِيَّا وَالْمَسْكُونَةِ» . هذه الأقوال أثارت غضب الشعب ، فكانت بمثابة عود الثقاب الذي أضرم النار . «فَلَمَّا سَمِعُوا امْتَلأُوا غَضَبًا ، وَطَفِقُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ:«عَظِيمَةٌ هِيَ أَرْطَامِيسُ الأَفَسُسِيِّينَ» . وقد انتشر خبر

هذا الخطاب بسرعة . «فَامْتَلأَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا اضْطِرَابًا» (عدد ٢٥- ٢٩) . وقد بحثوا عن بولس ولكنهم لم يجدوه . فإذ علم إخوته بالخطر ، أسرعوا باخراجه من المكان . وقد أرسل ملائكة الله لحراسة الرسول ، لأن الساعة التي فيها سيموت شهيداً لم تكن قد حانت بعد .

فإذا أخفقوا في العثور على هدف غضبهم خطف الرعاع «غَايُوسَ وَأَرِسْتَرْخُسَ الْمَكِدُونِيَّيْنِ ، رَفِيقَيْ بُولُسَ فِي السَّفَرِ» وإذ أخذوا هذين «وَانْدَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى الْمَشْهَدِ» (عدد ٢٩) .

ولم يكن المكان الذي اختبأ فيه بولس بعيداً . وسرعان ما علم بالخطر الذي يتهدد إخويه المحبوبين . فإذ نسى سلامته كان يريد أن يذهب في الحال إلى المشهد ليخاطب أولئك المشاغبين . ولكن: «لَمْ يَدَعْهُ التَّلاَمِيذُ» . إن غايوس وارسترخس لم يكونا الفريسة التي كان الشعب يطلبونها . ولذلك فلم يكن ثمة خطر جسيم يتهددهما . ولكن لو أنهم رأوا وجه الرسول ، الشاحب المجهد لكان ذلك كفيلاً بأن يثير أعنف أحاسيس الغضب في صدور الرعاع ، وما كان يمكن لبشر أن ينقذ حياته .

ومع ذلك فقد كان بولس لا يزال مشتاقاً للدفاع عن الحق أمام الجمع . ولكن من قلب المشهد نفسه جاءته رسالة إنذار ذلك أن : «أُنَاسٌ مِنْ وُجُوهِ أَسِيَّا ، كَانُوا أَصْدِقَاءَهُ ، أَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلَى الْمَشْهَدِ» (عدد ٣١) .

وقد كان الشغب في المشهد يتفاقم ويزداد : «وَكَانَ الْبَعْضُ يَصْرُخُونَ بِشَيْءٍ وَالْبَعْضُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، لأَنَّ الْمَحْفِلَ كَانَ مُضْطَرِبًا ، وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَدْرُونَ لأَيِّ شَيْءٍ كَانُوا قَدِ اجْتَمَعُوا» (عدد ٣٢) . هذا وإن حقيقة كون بولس ورفاقه من أصل عبراني ، جعل اليهود مشتاقين لأن يبرهنوا بكل وضوح على أنهم لم يكونوا يتعاطفون معه أو يوافقون على عمله . ولذلك أبرزوا واحدا من بينهم ليبسط

المسألة أمام الشعب . كان ذلك الخطيب المختار يدعى إسكندر وكان واحداً من الصناع إذ كان نحاساً ، وقد أشار إليه بولس بعد ذلك على أنه أظهر له شروراً كثيرة (٢تيموثاوس ٤: ١٤) . وكان إسكندر هذا رجلاً ذا مقدرة عظيمة وقد استخدم كل قواه ليوجه غضب الشعب ضد بولس ورفاقه بوجه خاص . ولكن الجمهور إذ رأوا أن أسكندر هذا يهودي أزاحوه جانباً «صَارَ صَوْتٌ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمِيعِ صَارِخِينَ نَحْوَ مُدَّةِ سَاعَتَيْنِ عَظِيمَةٌ هِيَ أَرْطَامِيسُ الأَفَسُسِيِّينَ» (عدد ٣٤) .

أخيرا كفوا بعدما أعياهم الصياح وحدث سكوت مؤقت . فقد استرعى كاتب المدينة انتباه الجمع ونظراً لمركزه أصغى الناس لأقواله . وقد وقف مع الشعب على أرضهم وأبان لهم أنه لم يكن هنالك ما يدعو لذلك الشغب . ثم استنجد بعقلهم ومنطقهم فقال : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَفَسُسِيُّونَ ، مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ أَنَّ مَدِينَةَ الأَفَسُسِيِّينَ مُتَعَبِّدَةٌ لأَرْطَامِيسَ الإِلهَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتِّمْثَالِ الَّذِي هَبَطَ مِنْ زَفْسَ ؟ فَإِذْ كَانَتْ هذِهِ الأَشْيَاءُ لاَ تُقَاوَمُ ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ وَلاَ تَفْعَلُوا شَيْئًا اقْتِحَامًا . لأَنَّكُمْ أَتَيْتُمْ بِهذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَهُمَا لَيْسَا سَارِقَيْ هَيَاكِلَ ، وَلاَ مُجَدِّفَيْنِ عَلَى إِلهَتِكُمْ . فَإِنْ كَانَ دِيمِتْرِيُوسُ وَالصُّنَّاعُ الَّذِينَ مَعَهُ لَهُمْ دَعْوَى عَلَى أَحَدٍ ، فَإِنَّهُ تُقَامُ أَيَّامٌ لِلْقَضَاءِ ، وَيُوجَدُ وُلاَةٌ ، فَلْيُرَافِعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ شَيْئًا مِنْ جِهَةِ أُمُورٍ أُخَرَ ، فَإِنَّهُ يُقْضَى فِي مَحْفِل شَرْعِيٍّ . لأَنَّنَا فِي خَطَرٍ أَنْ نُحَاكَمَ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةِ هذَا الْيَوْمِ . وَلَيْسَ عِلَّةٌ يُمْكِنُنَا مِنْ أَجْلِهَا أَنْ نُقَدِّمَ حِسَابًا عَنْ هذَا التَّجَمُّعِ . وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَفَ الْمَحْفِلَ» (عدد ٣٥-٤١) .

كان ديمتريوس قد قال في خطابه : «نَصِيبُنَا هذَا ... فِي خَطَرٍ» (أي حرفتنا في خطر) (عدد ٢٧) . هذه الكلمات تكشف عن السبب الحقيقي لذلك الشغب الذي حدث في أفسس ، وعن السبب في كثير من الاضطهاد الذي تعرض له الرسل في عملهم . إن ديمتريوس وزملاءه في الصناعة رأوا أنه بسبب التعليم

بالإنجيل ونشر رسالته فإن عمل صنع التماثيل كان في خطر . ودخل كهنة الأوثان والصناع كان معرضاً للخطر كذلك ، ولهذا السبب أثاروا ضد بولس أعنف مقاومة .

هذا وإن حكم الكاتب وغيره ممن كانوا يشغلون مراكز محترمة في المدينة أوقف بولس أمام الشعب كرجل بريء من كل عمل غير مشروع . وكان هذا انتصاراً جديداً للمسيحية على الضلالات والخرافات . لقد أقام الله والياً عظيماً ليبرئ ساحة رسوله ويوقف الرعاع الصاخبين عند حدهم . وقد امتلأ قلب بولس بالشكر لله لأن حياته قد حفظت ولأن المسيحية لم يلحقها عار من الشغب الذي حدث في أفسس .

«وَبَعْدَمَا انْتَهَى الشَّغَبُ ، دَعَا بُولُسُ التَّلاَمِيذَ وَوَدَّعَهُمْ ، وَخَرَجَ لِيَذْهَبَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ» (أعمال ٢٠: ١) . وقد رافقه في رحلته هذه اثنان من الإخوة الأمناء في أفسس وهما تيخيكس وتروفيمس .

لقد انتهت خدمات بولس في أفسس . كانت خدمته هناك فرصة عمل متواصل وتجارب كثيرة وغم شديد . لقد علم الشعب جهاراً وفي كل بيت وهو يعلمهم وينذرهم بدموع غزيرة . وقد كان دائماً يصطدم بمقاومة اليهود الذين كانوا ينتهزون كل فرصة لإثارة الرأي العام ضده .

وإذ كان بولس هذا يصارع المقاومة ويسير متقدما بعلم الإنجيل بغيرة لا تعرف الكلل ، ويحرس مصالح كنيسة لا تزال حديثة في الإيمان ، فقد كان يحمل على قلبه عبئاً ثقيلاً نحو كل الكنائس .

ثم أن أخبار الارتداد الذي حدث في بعض الكنائس التي كان قد غرسها ، سببت له حزناً عميقاً . وقد بات يخشى أن تظهر كل جهوده التي بذلها لأجلها

أنها باطلة . وطالما قضى الليالي ساهراً وهو يصلي ويفكر تفكيراً جدياً إذ علم بالوسائل المستخدمة لتعطل عمله وإبطال مفعوله . وكلما كانت لديه فرصة وكلما كانت حالة الكنائس تستدعي ، كان يكتب إليها موبخاً وناصحاً ومنذراً ومشجعاً . وفي هذه الرسائل لا يسهب الرسول في الكلام عن تجاربه ، وإنما فيها بعض التلميحات إلى خدماته وآلامه في عمل المسيح . فالجلد والسجن والبرد والجوع والعطش ، والأخطار على اليابسة رفي عرض البحر وفي البرية ، ومن مواطنيه ومن الوثنيين ومن إخوة كذبة– كل هذا احتمله لأجل الإنجيل . لقد افترى عليه و«شتم» وصار «وَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ» ، و«تحير» و«اضطهد» و«تضايق من كل جانب» وكان «يخاطر في كل ساعة» وكان «دائماً يسلم للموت من أجل يسوع» .

وفي وسط عواصف المقاومة التي لم تنقطع وصخب الأعداء ، وهجر الأصدقاء ، كاد يضعف قلب ذلك الرسول الشجاع . ولكنه نظر إلى الوراء إلى الجلجثة ، وبغيرة جديدة تقدم لينشر معرفة المخلص المصلوب . لقد كان يسير في الطريق المخضب بالدم الذي سار فيه المسيح من قبل . ولم يطلب أن يعفي من هذه الحرب إلى أن يلقي بسلاحه عند قدمي فاديه .

الفصل التاسع والعشرون

رسالة إنذار واستعطاف

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس) .

كتب بولس الرسول رسالته الأولى إلى كورنثوس في أثناء مدة إقامته الأخيرة في أفسس . إنه لم يكن يحس نحو أي أناس آخرين باهتمام أعمق مما كان يحس به نحو المؤمنين في كورنثوس ، ولا بذل جهوداً نحو آخرين أكثر مما بذل لأجلهم . لقد خدم بينهم مدة عام ونصف موجهاً أنظارهم نحو المخلص المصلوب والمقام كوسيلة الخلاص الوحيدة ، وكان يحثهم على الاعتماد التام على قوة نعمته المجددة . فقبل قبول المعترفين بالمسيحية ضمن شركة الكنيسة وعضويتها كان حريصاً أن يقدم لهم تعاليم خاصة فيما يختص بامتيازات المؤمن المسيحي وواجباته ، وقد حاول بكل غيرة واهتمام أن يساعدهم كي يكونوا أمناء نحو عهودهم التي قد أخذوها على أنفسهم عندما تعمدوا .

كان عند بولس الرسول إحساس حاد بالحرب التي كان على كل نفس أن تثيرها ضد قوات الشر التي هي دائبة أبداً على خداع النفوس واصطيادها ، وكان يشتغل بقوة لا تكل لتقوية وتثبيت حديثي الإيمان . فتوسل إليهم كي يسلموا نفوسهم لله تسليماً كاملاً ، لأنه كان يعلم أنه متى أخفق الإنسان في التسليم

فالخطية تظل موجودة والشهوات والأهواء تكافح في سبيل السيادة على النفس ، والتجارب تربك الضمير . ينبغي أن يكون التسليم كاملاً . فكل نفس ضعيفة متشككة مجاهدة تسلم للرب بالتمام تصير على اتصال بالقوى التي تساعدها على الانتصار . والسماء تكون قريبة من ذلك الإنسان ويحصل على تعضيد ملائكة الرحمة ومعونتهم في وقت التجربة والحاجة .

لقد كان أعضاء الكنيسة في كورنثوس محاطين بالوثنية والشهوات في أشد حالات فتنتها واغرائها . وعندما كان الرسول معهم لم يكن لتلك المغريات تأثير كبير عليهم . وذلك لأن إيمان بولس الثابت وصلواته الحارة وتعاليمه الجادة ، وفوق الكل ، حياته المقدسة ، أعانتهم على إنكار الذات لأجل المسيح بدلاً من التمتع بمسرات الخطية .

ومع ذلك فبعدما رحل بولس عنهم ظهرت أحوال غير مؤاتية . فالزوان الذي كان العدو قد زرعه ظهر في وسط الحنطة وبعد ذلك بقليل بدأ هذا الزرع يعطي ثماره الشريرة . فكان ذلك الوقت وقت محنة قاسية على الكنيسة في كورنثوس . فالرسول ما عاد معهم لينعش غيرتهم ويعينهم في جهودهم ليعيشوا في حالة وفاق مع الله ، وشيئا فشيئاً صار كثيرون مهملين وعديمي الاكتراث وسمحوا لبعض الأذواق والميول الطبيعية أن تتحكم فيهم . فذاك الذي طالما حفزهم على التمسك بالمثل العليا للطهارة والاستقامة ما عاد موجوداً بينهم ، وكانت هنالك جماعة غير قليلة ممن كانوا في وقت اهتدائهم وتجديدهم قد طرحوا عنهم عاداتهم الشريرة ، هؤلاء عادوا إلى خطايا الوثنية المفسدة .

كان بولس قد كتب رسالة مختصرة إلى الكنيسة كي «لا تخالط» الأعضاء الذين يصرون على السير في طريق الفجور والخلاعة ، ولكن كثيرين من

المؤمنين حرفوا المعنى الذي قصده الرسول وغالطوا وماحكوا في أقواله وحاولوا إيجاد الأعذار لإغفال تعاليمه .

وقد أرسلت الكنيسة رسالة إلى بولس تسأل مشورته في أمور مختلفة ، إلا أنها لم تخبره بشيء عن الخطايا الشنيعة التي كانت متفشية بينهم . ومع ذلك أقنع الروح القدس الرسول بقوة بأن حالة الكنيسة الحقيقية قد أخفيت عنه ، وأن هذه الرسالة كانت محاولة للوصول منه على حقائق يمكن أن يؤولها كاتبوها بحيث تخدم أغراضهم .

وفي ذلك الوقت تقريباً جاء إلى أفسس أعضاء من بيت «خلوى» وهي أسرة مسيحية كانت تتمتع بسمعة حسنة ولها مكانة رفيعة في كورنثوس . وقد سألهم بولس عن الحالة فأخبروه أن الكنيسة قد مزقتها الانقسامات . كما أن الخصومات التي تفشت في وقت زيارة بولس زادت وتفاقمت جداً . وقد جعل المعلمون الكذبة أعضاء الكنيسة يحتقرون تعاليم بولس . وقد فسدت تعاليم الإنجيل وفرائضه وحرفت . كما أن الكبرياء وعبادة الأوثان والشهوانية زادت واستشرت بين الذين كانوا قبلاً غيورين في الحياة المسيحية .

فإذ عرضت هذه الصورة أمام بولس رأى أن أشد مخاوفه قد تحققت . ولكنه لم يفسح المجال للفكر بأن عمله قد آل إلى الفشل بسبب ذلك . ولكنه «بحزن قلبي» و«بدموع غزيرة» طلب المشورة من الله . لقد كان بكل سرور مستعداً لزيارة كورنثوس في الحال ، لو كان ذلك أفضل مسلك يسلكه . ولكنه علم أن المؤمنين هناك ما كانوا لينتفعوا من خدماته بينهم في حالتهم الراهنة ، ولذلك أرسل إليهم تيطس ليعد الطريق لزيارته لهم فيما بعد . وحينئذٍ وبعدما ألقى عنه جانباً كل الانفعالات الشخصية بسبب مسلك أولئك الذين كشف تصرفهم عن مثل ذلك الانحراف الغريب ، وإذ ثبت قلبه في الله كتب الرسول رسالة إلى كنيسة

كورنثوس ، وهي من أغنى وأقوى الرسائل المليئة بالتعاليم بين كل رسائله الأخرى .

وبوضوح عظيم تقدم بولس ليجيب على الأسئلة المختلفة التي بعثت بها الكنيسة إليه ، ويضع المبادئ العامة التي لو انتبهوا إليها فستسمو بمستواهم الروحي . لقد كانوا في خطر ، ولم يستطع أن يحتمل فكرة الإخفاق في الوصول إلى قلوبهم في ذلك الظرف الحرج . فبكل أمانة حذرهم من المخاطر المحدقة بهم ووبخهم على خطاياهم . ثم وجه أنظارهم إلى المسيح مرة أخرى وحاول أن يضرم في قلوبهم من جديد نار الغيرة التي كانت لهم عند بدء تكريسهم لله .

وقد ظهرت محبة الرسول العظيمة لمؤمني كورنثوس في تحيته الرقيقة للكنيسة . لقد أشار إلى اختبارهم في الرجوع من عبادة الأوثان ليعبدوا الإله الحقيقي ويخدموه . ثم ذكرهم بمواهب الروح القدس التي قد حصلوا عليها ، ثم أراهم كيف أنه كان امتيازاً عظيماً لهم أن يتقدموا تقدماً دائماً في الحياة المسيحية إلى أن يبلغوا إلى طهارة المسيح وقداسته . فكتب يقول لهم : «أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ ، كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ ، حَتَّى إِنَّكُمْ لَسْتُمْ نَاقِصِينَ فِي مَوْهِبَةٍ مَا ، وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ اسْتِعْلاَنَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ أَيْضًا إِلَى النِّهَايَةِ بِلاَ لَوْمٍ فِي يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١كورنثوس ١: ٥ – ٨) .

وقد تكلم بولس بكل صراحة عن الانقسامات التي نشبت في كنيسة كورنثوس وأوصى الأعضاء أن يكفوا عن الخصومات . فكتب يقول : «أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِدًا ، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (عدد ١٠) .

وقد أحس الرسول بأن له الحرية كي يذكر لهم كيف أخبر عن الانقسام الحادث في الكنيسة ومن هم الأشخاص الذين أخبروه فقال: «لأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ» (عدد ١١) .

كان بولس رسولاً ملهماً . فالحقائق التي علمها للآخرين قبلها «بِإِعْلاَنٍ» ومع ذلك فالرب لم يعلن له مباشرة في كل الأوقات عن حالة شعبه . ففي هذا الظرف نجد أن الذين كانوا مهتمين بنجاح الكنيسة في كورنثوس والذين رأوا الشرور تزحف وتتسلل إلى داخلها يبسطون حقيقة الحالة أمام الرسول ، وعن طريق الإعلانات الإلهية التي كان قد تلقاها من قبل كان مستعداً لأن يحكم على طبيعة هذه التطورات . بالرغم من ان الرب لم يعطه إعلاناً جديداً في ذلك الوقت الخاص ، فإن الذين كانوا يطلبون النور بإخلاص قبلوا رسالته على أنها تعبير عن فكر المسيح . كان الرب قد أراه الصعوبات والمخاطر المزمعة أن تظهر في الكنائس ، وإذ نمت تلك الشرور وتطورت تحقق الرسول من خطورتها . لقد أقيم للدفاع عن الكنيسة . وكان عليه أن يسهر على النفوس باعتباره مزمعاً أن يعطي حسابا لله ، أولم يكن من المناسب له أن يلاحظ التقارير الخاصة بالفوضى والانقسامات التي بينهم ؟ نعم بكل تأكيد ، والتوبيخ الذي بعث به إليهم كتب بكل تأكيد بإلهام روح الله كما كانت كل رسائله الأخرى .

ولم يذكر الرسول شيئاً عن المعلمين الكذبة الذين كانوا دائبين على إتلاف ثمار خدماته . فبسبب الظلمة والانقسامات التي كانت في الكنيسة أبى الرسول عن حكمة أن يهيجهم أو يضايقهم بهذه التلميحات خشية أن يرتد بعض منهم عن الحق نهائياً . وقد وجه انتباههم إلى عمله بينهم «كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ» ، وضع أساسا وبنى عليه آخرون . ولكنه لم يمجد نفسه بذلك فقد أعلن قائلاً : «نَحْنُ عَامِلاَنِ

مَعَ اللهِ» (١كورنثوس ٣: ٩) . إنه لم يدَّعِ لنفسه حكمة بل اعترف بأن قوة الله وحدها هي التي أعانته على تقديم الحق بطريقة ترضي الله . إن بولس إذ كان مرتبطاً بالمسيح أعظم المعلمين ، استطاع أن يقدم للناس تعاليم الحكمة الإلهية التي لبَّت احتياجات الناس من كافة الطبقات ، والتي كانت توافق كل العصور في كل مكان وتحت كل الظروف .

وكان من بين الشرور الأشد خطراً التي تفشَّت بين المؤمنين في كورنثوس العودة إلى العديد من عادات الوثنية الفاسدة . فإن واحداً من المهتدين ارتد بحيث أن سلوكه الخليع كان انتهاكاً حتى لمقياس الأخلاق المتدني الذي كان يتمسك به العالم الأممي . وقد توسل الرسول إلى الكنيسة قائلاً : «فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ» (١كورنثوس ٥: ١٣) . ثم أنذرهم قائلاً : «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ ؟ إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ» (١كورنثوس ٥: ٦،٧) .

ثم كان هنالك شر خطير ظهر في الكنيسة وهو مقاضاة الإخوة بعضهم لبعض أمام محاكم العالم . لقد أُعدت الترتيبات وعملت احتياطات كثيرة لفض المشاكل التي بين المؤمنين . وقد أعطى المسيح نفسه تعليمات صريحة عن كيفية معالجة مثل هذه الأمور . فقد نصح المخلص تابعيه قائلاً : «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا . إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ . اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ» (متى ١٨: ١٥- ١٨) .

وقد انتهر بولس المؤمنين في كورنثوس الذين غابت عن أذهانهم هذه النصيحة الصريحة ، وكتب إليهم محذراً إذ تساءل قائلاً : «أَيَتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكَمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ ؟ فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً ؟ فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هذِهِ الْحَيَاةِ . فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَحَاكِمُ فِي أُمُورِ هذِهِ الْحَيَاةِ ، فَأَجْلِسُوا الْمُحْتَقَرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاةً . لِتَخْجِيلِكُمْ أَقُولُ . أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ ، وَلاَ وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ ؟ لكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ ، وَذلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقًا ، لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ . لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ ؟ ... لكِنْ أَنْتُمْ تَظْلِمُونَ وَتَسْلُبُونَ ، وَذلِكَ لِلإِخْوَةِ . أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ ؟» (١كورنثوس ٦: ١- ٩) .

إن الشيطان يحاول دائماً أن يبذر بذار عدم الثقة والنفور والخبث والمكر في قلوب شعب الله . وكثيراً ما نجرب أن نحس بأن حقوقنا قد اعتدي عليها ، حتى عندما لا يكون هنالك سبب حقيقي لتلك الظنون . إن أولئك الذين يجعلون محبتهم للذات تتعالى على محبتهم لله ولعمله يجعلون مصالحهم أولا ويلجأون إلى كل ذريعة لحراستها وحفظها . وحتى كثيرون ممن يبدو عليهم أنهم مسيحيون مخلصون سليمو النية تمنعهم الكبرياء والاعتداد بالنفس من الذهاب وحدهم إلى من يظنون أنهم مخطئون في حقهم ليتحدثوا معهم بروح المسيح ويصلوا معاً الواحد لأجل أخيه . وعندما يظنون أن إخوتهم قد أساءوا إليهم فالبعض يذهبون ليشتكوهم أمام المحاكم بدلاً من اتباع قانون المسيح .

لا يجوز للمسيحيين أن يلجأوا إلى المحاكم المدنية لفض الخصومات التي قد تنشأ بين أعضاء الكنيسة . بل يجب عليهم أن يبتّوا في هذه الخلافات فيما

بينهم ، أو عن طريق الكنيسة تمشياً مع وصية المسيح . إن تابع يسوع الوديع المتواضع حتى ولو حاق به ظلم ، يفضل أن «يُسلَب» على أن يكشف للعالم عن خطايا إخوته في الكنيسة .

إن القضايا التي بين الإخوة هي وصمة عار في جبين قضية الحق . فالمسيحيون الذين يذهبون إلى المحاكم في قضايا بينهم إنما يعرضون الكنيسة لسخرية أعدائها ويجعلون قوات الظلمة تنتصر . إنهم يطعنون المسيح من جديد ويستهزئون به ساخرين . إنهم إذ يتجاهلون سلطة الكنيسة يحتقرون الله الذي أعطى للكنيسة سلطانها .

في هذه الرسالة إلى أهل كورنثوس حاول بولس أن يبرهن لهم على قدرة المسيح على حفظهم من الشر . لقد علم أنهم لو امتثلوا للشروط المرسومة فسيتقوون بقدرة الإله القدير . وقد ألح عليهم بولس بوجوب العمل بمطاليب ذاك الذي قد كرسوا حياتهم له في وقت اهتدائهم ، كوسيلة تساعدهم على التخلص من عبودية الخطية ، وأن يكملوا القداسة في خوف الرب . فقد أعلن لهم قائلاً : «وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ . فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ» (١كورنثوس ٦: ١٩، ٢٠) .

وقد حدد الرسول بوضوح نتيجة الارتداد عن حياة الطهارة والقداسة إلى أعمال الوثنية الفاسدة . فكتب يقول : «لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ ... وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١كورنثوس ٦: ٩، ١٠) . وقد ألح عليهم أن يتحكموا في الأهواء والشهوات الدنيا . فسألهم قائلاً : «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ» (عدد ١٩) .

إن بولس إذ كان مزوداً بمواهب عقلية سامية فقد كشفت حياته عن قوة حكمة نادرة جعلته حاد البصيرة وعطوف القلب وجعلته على صلة وثيقة بالآخرين وأعانته على ايقاظ طبيعتهم الفضلى وجعلته يلهمهم أن يجاهدوا للوصول إلى حياة أسمى وأنبل . كان قلبه ممتلئا بالمحبة الحارة للمؤمنين في كورنثوس . لقد تاق لأن يراهم متحلين بالتقوى القلبية التي تحصنهم ضد التجربة ، وقد عرف أنهم في كل خطوة يخطونها في الطريق المسيحي سيقاومهم مجمع الشيطان ، وأنهم سيشتبكون كل يوم في محاربات . فعليهم بالتيقظ والاحتراس من تسلل العدو في الخفاء ، وأن يطرحوا عنهم العادات القديمة والميول الطبيعية ويسهروا دائماً مصلين . وقد عرف بولس أن الآمال المسيحية السامية يمكن تحقيقها بواسطة الإكثار من الصلاة والمداومة على السهر الروحي وهذا ما حاول أن يبثه في أذهانهم . ولكنه علم أيضاً أنه في المسيح المصلوب قد أعطيت لهم قوة كافية لتجديد النفس ، وإذ تطبق تطبيقاً إلهياً فإنها ستعينهم على مقاومة كل التجارب لعمل الشر . وإذ يأخذون الإيمان بالله ترساً لهم وكلمته سلاح حربهم فسيزودون بقوة داخلية تعينهم على صد هجمات العدو .

لقد كان المؤمنون في كورنثوس بحاجة إلى اختبار أعمق في أمور الله . إنهم لم يعرفوا تماماً معنى كونهم يرون مجده والتغير من سجية إلى أخرى . إنهم لم يشاهدوا إلا بكور أشعة فجر ذلك المجد . وقد كان بولس يتمنى أن يمتلئوا إلى كل ملء الله متقدّمين في معرفة ذاك الذي خروجه يقين كالفجر ومواظبين على التعلّم منه إلى أن يصلوا إلى نور الظهيرة الوضّاح لإيمان الإنجيل الكامل .

الفصل الثلاثون

مدعوون لبلوغ مقياس أسمى

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس) .

إن بولس لكي يطبع على أذهان مؤمني كورنثوس بكل وضوح أهمية ضبط النفس والاعتدال أو التعفف التام والغيرة التي لا تضعف في خدمة المسيح ، أورد مقارنة مدهشة في رسالته إليهم بين الحرب المسيحية والمباريات المشهورة التي كانت تُقام في فترات مقرّرة بالقرب من كورنثوس . فمن بين كل المباريات التي كان يحتفل بها اليونانيون والرومان كانت مسابقات الجري التي هي أقدم المباريات وأعظمها اعتباراً . وكان يحضرها الملوك والنبلاء والساسة . وكان الشباب من ذوي المقامات الرفيعة والثروات الضخمة يشتركون فيها ولا يتراجعون أمام أي مسعى أو تدريب في سبيل الظفر بالجعالة (الجائزة) .

كانت المباريات تخضع لقوانين مشددة لا مفر منها . والذين كانوا يرغبون أن تُدرج أسماؤهم في قائمة المتسابقين للحصول على الجعالة ، كان عليهم أولاً أن يتحملوا تدريباً تمهيدياً صارماً . فالإفراط في النهم المضر بالصحة أو أي نوع آخر من أنواع الملذات من شأنه أن يقلل من النشاط العقلي أو البدني كان ممنوعاً منعاً باتاً . فإذا رغب أي إنسان في النجاح في اختبارات القوة والسرعة هذه

ينبغي أن تكون عضلاته قوية وليّنة وأن تكون أعصابه تحت سـيطرته . فكـل حركة يجب أن تكون ثابتة وكل خطوة سريعة في غير تردّد ، والقوى الجسمانية يجب أن تكون في أفضل حالاتها .

وعندما كان المتسابقون يقفون في عرض أمام الجمهور المنتظر كان المنـادي ينادي بأسمائهم وكانت قوانين السباق تشرح ليعرفها الجميـع . وحينئـذ كـانوا جميعهم ينطلقون معاً ، وكانت نظرات المتفرجين المثبتة فهيم تلهمهم بالعزم على الفوز . وكان القضاة يجلسون بالقرب من نهاية السباق أو الهدف كـي يراقبـوا السباق من بدئه إلى نهايته ويقدموا الجعالة للفائز الحقيقي . وإذا وصل أحدهـم إلى الهدف قبل غيره عن طريق الانتفاع بميزة غير مشروعة ، لم يكن يحكم لـه بالجعالة .

كان البعض في هذه المباريات يقدمون على مخاطرات عظيمة . وبعض منهم لم يشفوا قط من الإجهاد الجسماني . ولم يكن من غير المألوف أن يسـقط أحـد العدّائين على أرض الملعب والدم يسيل من فمه وأنفـه ، وأحيانـاً كـان أحـد المتسابقين يسقط ميتاً وهو على وشك الظفر بالجعالـة . إلا أن إمكانيـة مـوت المتنافس أو إصابته بعطل أو بعاهة تلازمه مدى الحياة ، لم تكن تعتبر مخـاطرة أعظم من أن يقدم الإنسان عليها سعياً وراء الكرامة التي تمنح للمتسابق الفـائز . وعندما كان الفائز يصل إلى الهدف كان تصفيق جماهير المتفرجين يشق عنـان السماء فتردد صداه التلال والجبال المجاورة . وأمام جماهير المتفرجيـن يقـدم الحَكَم شارات الفوز والانتصار للفائز– وهي إكليل من الغار وغصن من سـعف النخل ليحمله في يمناه . وكان الناس يتغنّون بمدحه في أنحاء البلاد ، وكان أبواه يظفران بنصيبهما من الاحترام والكرامة ، وحتى المدينة التي يعيش فيها كـانت تكرم لأنها قد أخرجت للعالم مثل ذلك الرياضي العظيم .

إن بولس وهو يشير إلى هذه المباريات على أنها رمز للحرب المسيحية ، أكّد وجوب الاستعداد اللازم لنجاح المتسابقين في الميدان ، كالتدريبات التمهيدية والاعتدال في الأكل وضرورة ضبط النفس . فقد أعلن قائلاً : «وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١كورنثوس ٩: ٢٥) . كان الراكضون يطرحون عنهم كل ما من شأنه أن يضعف قواهم البدنية ، وكانوا بالتدريبات الصارمة الطويلة يمرنون عضلاتهم على القوة والاحتمال حتى إذا ما جاء يوم المباراة أمكنهم أن يجهدوا قواهم إلى أقصى حد . فكم وكم يجدر بالمسيحي الذي تتعرض مصالحه الأبدية للخطر أن يُخضِع النهم والشهوات للعقل وإرادة الله . لا يجوز له مطلقاً أن يحوّل انتباهه ليلتهي بالتسليات أو الترف أو الراحة . ينبغي أن تخضع كل عاداته وشهواته للتدريب الصارم . فالعقل المستنير بتعاليم كلمة الله والمسترشد بروحه ، ينبغي له أن يمسك بعنان النفس .

وبعدما يتمّ هذا فعلى المسيحي أن يبذل قصاراه لكي يحرز النصرة . في المباريات التي كانت تقام في كورنثوس كان يبذل مجهود مُضنٍ في آخر جزء من الشوط الأخير إلى حد العذاب ، فكان المتبارون يستجمعون أطراف قوتهم المجهدة كي لا يخففوا من سرعتهم فيخسروا المباراة . وكذلك المسيحي وهو يقترب من الهدف ، يسرع بكل قوته إلى الأمام بغيرة وعزم أكثر مما كان له في بدء السباق .

إن بولس يورد هنا الفرق بين اكليل الغار (الفخر) الذي يذبل ويفنى الذي يحصل عليه المنتصر في مباراة السباق ، وبين إكليل المجد الذي لا يفنى والذي يعطى لمن ينتصر في السباق المسيحى . فهو يعلن قائلاً : «أَمَّا أُولئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى» (١كورنثوس ٩: ٢٥) . فلكي يحصل العداؤون اليونانيون على إكليل يفنى ، لم يعفوا أنفسهم من أي تعب أو تدريب مهما

كان قاسياً . أما نحن فنجاهد للحصول على إكليل أثمن من ذلك بكثير ، أي إكليل الحياة الأبدية . فكم وكم يجب علينا أن نجاهد بكل اهتمام وحرص ، وكم وكم يجب علينا أن نقدم على التضحية وإنكار الذات بكل رضى وقبول .

في الرسالة إلى العبرانيين توجد إشارة إلى غرض القلب الموحّد الذي ينبغي أن يمتاز به سباق المسيحي إلى الحياة الأبدية . فيقول الرسول : «لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا ، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ» (عبرانيين ١٢: ١،٢) . إن الحسد والخبث والأفكار الشريرة والكلام البطال والطمع- هذه كلها أثقال يجب على المسيحي أن يطرحها عنه إذا أراد الفوز قي سباقه نحو الخلود . فكل عادة أو عمل يوقعنا في الخطية ويجلب العار على اسم المسيح ينبغي لنا أن نطرحه عنا مهما بلغت التضحية . إن بركة السماء لا يمكن أن تحل على إنسان ينتهك مبادئ الحق الأبدية . إن خطية واحدة نحتضنها كافية لأن تسبب انحطاطاً في الخلق وتضل الآخرين .

قال المخلّص : «وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ . وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ» (مرقس ٩: ٤٣،٤٥) . فإذا كان لا بد من بتر الرجل أو اليد لكي ينجو الجسم من الموت ، أو حتى تقلع العين ، فكم وكم يجب أن يكون المسيحي غيورا في طرح الخطية بعيداً عنه لأنها تهلك النفس !

إن المتبارين في حفلات الألعاب قديماً لم يكونوا واثقين من الانتصار حتى بعدما يتحملون آلام إنكار الذات والتدريب القاسي . فلقد سأل بولس قائلاً : «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ ، وَلكِنَّ

وَاحِدًا يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ ؟» (١كورنثوس ٩: ٢٤) . فمهما كـــان مقــدار شــوق المتبارين وغيرتهم في سبيل الانتصار عظيماً فالجعالة لا تعطي إلا لواحـــد فقط . يد واحدة فقط هي التي تنال إكليل الفخر الذي يشتهيه الجميع . قد يبذل البعض أقصى جهودهم للحصول على الجعالة ، ولكـــن إذ يمــدون أيديـــهم ليأخذوها ، يأتي آخر قبلهم بلحظة واحدة ويأخذ الجعالة المبتغاة .

ولكن هذا لا ينطبق على الحرب المسيحية . فإنه ولا واحد ممن يمتثلـــون للشروط يمكن أن يخيب في نهاية السباق . ولا يمكن لمن هو غيور ومثـــابر أن يخيب أو ينهزم . فالسعي ليس للخفيف ولا الحرب للأقويـــاء . فـــأضعف قديس كأقوى قديس يمكنه أن يلبس إكليل المجد . فكل أولئك الذين بواســـطة قوة النعمة الإلهية يجعلون حياتهم على وفاق مع إرادة المســـيح يمكنـــهم أن يفوزوا . ففي كل تفاصيل الحياة نجد أن العمل بالمبادئ المدونة فـــي كلمـــة الله ، غالباً ما ينظر إليه على أنه عديم الأهمية- ومسألة أتفه من أن تسترعي الالتفات . ولكن بالنظر إلى المسألة المستهدفة للخطـــر ، لا يعتـــبر شـــيء صغيراً سواء أكان للمساعدة أو للتعطيل . فكل عمل يضع ثقلاً فـــي الكفـــة يقرر نصرة الحياة أو هزيمتها . والجعالة التي تعطى للفائزين ستكون بنسـبة النشاط والغيرة اللذين جاهدوا بهما .

وقد شبّه الرسول نفسه بإنسان يركض في سباق وهو يجهد كل قواه في سـبيل الظفر بالجعالة فقال : «إِذًا ، أَنَا أَرْكُضُ هكَذَا كَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ يَقِيـــنٍ . هكَـــذَا أُضَارِبُ كَأَنِّي لاَ أَضْرِبُ الْهَوَاءَ . بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ ، حَتَّـــى بَعْـدَ مَـــا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا» (١كورنثوس ٩: ٢٦،٢٧) . فحتى لا يركض عن غير يقين أو بالصدفة في السباق المسيحي استعبد بولـــس نفســـه

لتدريب صارم . إن القول : «أَقْمَعُ جَسَدِي» يعني حرفياً (يضرب بالتدريب القاسي الرغائب والنوازع والشهوات) .

كان بولس يخشى أن يصير هو نفسه مرفوضاً بعدما كرز للآخرين . لقد تحقق من أنه إذا لم ينفذ في حياته المبادئ التي اعتنقها وكرز بها فإن خدماته لأجل الآخرين لن تفيده بشيء . فسيرته وتأثيره ورفضه أن يخضع لإرضاء الذات ، لابد أن تبرهن على أن ديانته ليست مجرد اعتراف إسمي ولكنها اتصال حي بالله في كل يوم . لقد وضع نصب عينيه دائماً هدفاً واحداً وجاهد بكل غيرة في الوصول . إليه ، – «الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ» (فيلبي ٣: ٩) .

وقد عرف بولس أن حربه ضد الشر لن تنتهي طالما بقيت الحياة . كان متحققاً دائماً من حاجته إلى السهر الدقيق على نفسه حتى لا تطغي رغائبه الدنيوية على غيرته الروحية . فظل بكل قوته مجاهداً ضد ميوله الطبيعية . وقد وضع أمامه دائماً المثل الأعلى الذي أراد الوصول إليه ، وحاول بلوغ هذا المثال بالطاعة الاختيارية لشريعة الله . فأقواله وأعماله وعواطفه ،– أخضعت كلها لروح الله .

إن غرض القلب الأوحد هذا لربح الجنس البشرى للحياة الأبدية ، هو الذي كان يصبو بولس أن يراه ظاهرا في حياة مؤمني كورنثوس . لقد عرف أنه لكي يصلوا إلى مقياس المسيح ، كانت أمامهم حياة صراع لا هوادة فيها . فتوسل إليهم أن يجاهدوا جهاداً صحيحاً وأن يطلبوا في كل يوم التقوى والتفوق الأخلاقي . وتوسل إليهم أيضاً أن يطرحوا كل ثقل ويتقدموا إلى الأمام إلى هدف الكمال في المسيح .

ثم وجّه بولس انتباه أهل كورنثوس إلى اختبارات إسرائيل قديماً ، وإلى البركات التي كوفئت بها طاعتهم ، والأحكام الرادعة التي تبعث عصيانهم . ثم ذكّرهم بالطريقة العجيبة التي بها خرج العبرانيون من أرض مصر تحت حماية عمود

السحاب في النهار وعمود النار في الليل . وهكذا عبروا في البحر الأحمر بسلام ، بينما لما شرع المصريون في العبور مثلهم غرقوا جميعاً . وبهذه الأعمال اعترف الله أن بنى إسرائيل هم كنيسته : «وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا ، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ» (١كورنثوس ١٠: ٣،٤) في كل رحلات العبرانيين كان المسيح قائداً ومرشداً لهم . كانت الصخرة المضروبة ترمز إلى المسيح الذي كان مزمعاً أن يجرح لأجل معاصي الناس حتى يفيض ينبوع الخلاص للجميع .

ولكن برغم الإحسانات التي أجزلها الله على العبرانيين فإنهم بسبب اشتهائهم للترف الذي تركوه في مصر وبسبب خطيتهم وتمردهم انصبت عليهم أحكام الله . وقد أوصى الرسول مؤمني كورنثوس أن يلتفتوا إلى الدرس المتضمن في اختبار إسرائيل ، إذ أعلن قائلاً : «وَهذِهِ الأُمُورُ حَدَثَتْ مِثَالاً لَنَا ، حَتَّى لاَ نَكُونَ نَحْنُ مُشْتَهِينَ شُرُورًا كَمَا اشْتَهَى أُولئِكَ» (١كورنثوس ١٠: ٦) . وقد أبان لهم كيف أن محبة الراحة والملذات أفسحت المجال للخطايا التي استمطرت انتقام الله الرهيب عليهم . فعندما جلس بنو إسرائيل للأكل والشرب ثم قاموا للعب ، طرحوا عنهم مخافة الله التي كانوا يحسون بها وهم يصغون إلى الشريعة حين بُلِّغت لهم ، وإذ صنعوا عجلاً من ذهب كي يمثلوا به الله ، خروا له وعبدوه . وبعد أن انغمسوا في ترف العيد المرتبط بعبادة بعل فغور ، سقط كثيرون من بني إسرائيل بسبب الخلاعة . وقد ثار غضب الله فبأمره مات بالوبأ من الشعب «ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» في يوم واحد (١كورنثوس ١٠: ٨) .

وقد ناشد الرسول أهل كورنثوس بقوله : «مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ» (عدد ١٢) . فلو أنهم صاروا متفاخرين وواثقين في أنفسهم وأهملوا السهر والصلاة فسيسقطون في خطايا شنيعة ويستمطرون على أنفسهم غضب

الله . ومع ذلك فإن بولس لم يكن يريدهم أن يستسلموا لليأس أو الخوف . فلقد قدم لهم هذا التأكيد : «وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كورنثوس ١٠: ١٣) .

وقد ألحّ بولس على إخوته أن يسألوا أنفسهم عن تأثير أقوالهم وأفعالهم على الآخرين وألا يفعلوا شيئاً ، مهما كان بريئاً في حد ذاته ، يبدو أنه يجيز عبادة الأوثان ، أو يعثر شكوك أولئك الذين يمكن أن يكونوا ضعفاء في الإيمان . فيقول : «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا ، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ . كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللهِ» (١كورنثوس ١٠: ٣١،٣٢) .

إن إنذارات الرسول الموجّهة إلى أهل كورنثوس تنطبق على كل عصر ، وتنطق على عصرنا الحاضر بوجه خاص . وهو لم يقصد بالوثنية مجرد السجود للأوثان بل أيضاً خدمة الذات وحب الراحة وإشباع النهم والشهوات . إن مجرد الاعتراف بالمسيح ، والتفاخر بمعرفة الحق لا يجعل الإنسان مسيحياً . إن الدين الذي يحاول فقط أن يشبع ويبهج العين والأذن والذوق أو يجيز الانغماس في الملذات ليس هو دين المسيح .

وبمقارنة الكنيسة بجسد بشري صور الرسول بمهارة ، الصلة الوثيقة التي ينبغي أن توجد بين كل أعضاء كنيسة المسيح . فكتب يقول : «لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا ، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا . فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضًا لَيْسَ عُضْوًا وَاحِدًا بَلْ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ . إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ لأَنِّي لَسْتُ يَدًا ، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ . أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ ؟ وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ : «لأَنِّي لَسْتُ عَيْنًا ، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ» . أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ ؟ لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْنًا ، فَأَيْنَ السَّمْعُ ؟ لَوْ كَانَ الْكُلُّ سَمْعًا ،

فَأَيْنَ الشَّمُّ ؟ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ الأَعْضَاءَ ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ ، كَمَا أَرَادَ . وَلكِنْ لَوْ كَانَ جَمِيعُهَا عُضْوًا وَاحِدًا ، أَيْنَ الْجَسَدُ ؟ فَالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ ، وَلكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ . لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَن تَقُولَ لِلْيَدِ لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ . أَوِ الرَّأْسُ أَيْضًا لِلرِّجْلَيْنِ :«لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا ... لكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ ، مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ . فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ . وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا» (اكورنثوس ١٢: ١٣-٢١،٢٤-٢٧) .

ثم بكلمات كانت ولا تزال منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا نبعاً . للإلهام والتشجيع للرجال والنساء ، أظهر بولس أهمية تلك المحبة التي ينبغي أن يحتضنها أتباع المسيح ، فقال : «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ . وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ ، فَلَسْتُ شَيْئًا . وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي ، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا» (اكورنثوس ١٣: ١-٣)

مهما كان مقدار سمو الاعتراف فمن لم يكن قلبه مفعماً بالمحبة لله ولبني جنسه ليس تلميذاً حقيقياً للمسيح . فحتى لو كان عنده إيمان عظيم وقوة حتى على صنع المعجزات فبدون المحبة يمسي إيمانه عديم القيمة . وقد يظهر سخاء عظيماً ، ولكن لو أنه قدّم كل أمواله ليطعم الفقراء وهو مدفوع إلى ذلك بدافع آخر غير دافع المحبة الخالصة ، فإن عمله هذا لا يجعل له حظوة في نظر الله . وفي غيرته قد يموت شهيداً ومع هذا فإذا لم يكن مدفوعاً إلى ذلك بدافع المحبة فقد يعتبره الله متعصباً مخدوعاً أو مرائياً طموحاً .

«الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ . الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ . الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ ، وَلاَ تَنْتَفِخُ» . إن أعظم فرح ينبع من أعمق اتضاع وتواضع وتذلل . وأقوى الصفات وأنبل الأخلاق تُبنى على أساس الصبر والمحبة والخضوع لإرادة الله .

«الْمَحَبَّةُ ... لاَ تُقَبِّحُ ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا ، وَلاَ تَحْتَدُّ ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ» (عدد ٥) إن المحبة الشبيهة بمحبة المسيح تُأَوِّل بواعث الناس وأفعالهم أجمل تأويل . إنها لا تفضح أخطاءهم بغير داع ، ولا تصغي بلهفة إلى الأخبار غير المستحبة بل تطلب بالأحرى أن تفكر في صفات الآخرين الصالحة .

والمحبة : «لاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» . هذه المحبة «لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا» (عدد ٦ – ٨) ، ولا يمكن أن تفقد قيمتها فهي صفة سماوية . وككنز ثمين سيحملها مالكها إلى داخل أبواب مدينة الله .

«أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ : الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ» (عدد ١٣) ومع انخفاض المقياس الأخلاقي بين مؤمني كورنثوس ، وُجِد جماعة نفضوا أيديهم من بعض الصفات الأساسية لإيمانهم . فالبعض وصل بهم الأمر إلى إنكار عقيدة القيامة . وقد واجه بولس هذه الضلالة بشهادة صريحة خاصة بالبراهين التي لا تخطئ عن قيامة المسيح . فقد أعلن أن المسيح بعد موته «قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» ، وبعد ذلك «ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ . وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ ، أَكْثَرُهُمْ بَاق إِلَى الآنَ . وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا . وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ . وَآخِرَ الْكُلِّ ... ظَهَرَ لِي أَنَا» (١كورنثوس ١٥: ٤ – ٨) .

إن الرسول قد أثبت حقيقة القيامة العظيمة بقوة إقناع كبيرة . فتحاجّ معهم قائلاً : «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ لِلهِ ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ ، إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ . أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ إِذًا الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضًا هَلَكُوا . إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ . وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ» (عدد ١٣ – ٢٠) .

وقد حمل الرسول عقول الإخوة في كورنثوس إلى الأمام إلى نصرات صباح القيامة عندما يقوم كل القديسين الأموات ليكونوا إلى الأبد مع الرب . وقد أعلن الرسول قائلاً : «هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا ، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ . فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ . لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ . وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ . أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ ؟... وَلكِنْ شُكْرًا لِلهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (عدد ٥١– ٥٧) .

مجيدة هي النصرة التي تنتظر الأمناء . إن الرسول وهو متحقق من الإمكانيات التي أمام مؤمني كورنثوس ، حاول أن يضع أمامهم الأشياء التي تسمو بهم عن الأنانية والشهوانية وتمجد الحياة برجاء الخلود . وبكل غيرة وعظهم كي يكونوا أمناء لدعوتهم العليا في المسيح . فناشدهم قائلاً : «إِذًا يَا

إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ ، كُونُوا رَاسِخِينَ ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ ، مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ» (عدد ٥٨) .

وهكذا حاول الرسول جاهدا بطريقة صريحة مؤثرة جداً ، إصلاح الآراء والممارسات الخطرة المغلوطة التي كانت متفشية في كنيسة كورنثوس . لقد خاطبهم بكل صراحة وفي نفس الوقت بمحبة لنفوسهم . ففي إنذاراته وتوبيخاته كان نور يضيء عليهم من عرش الله ليكشف عن الخطايا المستترة التي كانت تنجس حياتهم . فكيف يا ترى سيتقبلون تلك النصائح والإنذارات ؟

بعدما أرسل إليهم بولس هذه الرسالة خشي أن تسبّب نصائحه وتوبيخاته تلك جرحاً عميقاً للذين قصد أن يفيدهم . وكان يخاف خوفاً عظيماً أن تسبب رسالته لهم نفوراً وأحياناً كان يتوق إلى سحب كلامه . إن الذين يشبهون الرسول في الشعور بالمسؤولية تجاه الكنائس أو المؤسسات المحبوبة ، يمكنهم أن يقدروا أفضل تقدير حزن روحه وتأنيبه لنفسه . إن خدام الله يحملون عبء عمله الآن يعرفون شيئاً من اختبار التعب والحرب والهمّ المضني نفسه الذي كان من نصيب الرسول العظيم . فإذ كان مثقلا بعبء الانقسامات في الكنيسة ومواجهة نكران الجميل ، وخيانة بعض من كان ينتظر منهم العطف والعون ، وإذ كان متحققاً من المخاطر المحدقة بالكنائس التي كانت تتستر على الإثم ، وملتزماً بأن يقدم شهادة أمينة وفاحصة في توبيخ الخطية ، كان في نفس الوقت منحني النفس بسبب خوفه من أن يكون قد أفرط في قسوته وفي معاملته لهم . فبجزع وارتعاد كان ينتظر أن تصله أخبار عن كيفية تقبّلهم لرسالته .

الفصل الحادي والثلاثون

قبول الرسالة

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس) .

ومن أفسس شرع بولس في القيام بجولة كرازية أخرى وكان يرجو أن يزور في خلالها أماكن خدماته السابقة في أوروبا . فإذ بقي بعض الوقت في تـــرواس ليكرز بـــ«إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» ، وجد بعضاً ممن كانوا مستعدين للاستماع لرســالته . وقد أعلن بعد ذلك عن خدماته في هذا المكان قائلاً : «انْفَتَحَ لِي بَابٌ فِي الـــرَّبِّ» ولكن مع أن خدماته في ترواس كانت ناجحة فأنه لم يستطع البقاء طويلاً هناك . لقد ثقل عليه حمل «الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ» وبالأخص كنيسة كورنثوس . وكان يرجو أن يقابل تيطس في ترواس ويعرف منه كيف قبل الإخوة في كورنثـــوس كلمات النصح والتوبيخ التي أرسلها إليهم ولكن أمله خاب في هذا . وقــد كتــب عن هذا الاختبار يقول : «لَمْ تَكُنْ لِي رَاحَةٌ فِي رُوحِي ، لأَنِّي لَمْ أَجِـــدْ تِيطُــسَ أَخِي» (٢كورنثوس ٢: ١٢، ١٣) . ولذلك ترك ترواس وعبر البحر إلى مكدونيــة حيث التقى بتيموثاوس في فيلبي .

وفي غضون ذلك الوقت وقت الجزع على الكنيسة في كورنثوس كان بولــس يرجو خيراً ، ومع ذلك ، ففي بعض الأوقات كان يستولى على نفسه حزن عميق

خوفاً من أن يُساء فهم نصائحه وإنذاراته . وقد كتب بعد ذلك يقول : «لَمْ يَكُنْ لِجَسَدِنَا شَيْءٌ مِنَ الرَّاحَةِ بَلْ كُنَّا مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: مِنْ خَارِجٍ خُصُومَاتٌ ، مِنْ دَاخِلٍ مَخَاوِفُ . لكِنَّ اللهَ الَّذِي يُعَزِّي الْمُتَّضِعِينَ عَزَّانَا بِمَجِيءِ تِيطُسَ» (٢كورنثوس ٧: ٥،٦) .

هذا الرسول الأمين أتى بأخبار مفرحة تقول أن تغييراً عجيباً حدث بين مؤمني كورنثوس . فقد قبل كثيرون التعاليم التي وردت في رسالة بولس وتابوا عن خطاياهم . وما عادت حياتهم عاراً على المسيحية كما كانت ولكنهم بذلوا جهداً قوياً في صالح التقوى العملية .

فإذا امتلأ قلب الرسول فرحاً أرسل رسالة ثانية إلى مؤمني كورنثوس عبر لهم فيها عن فرح قلبه بسبب العمل الصالح الذي عُمل في قلوبهم : «لأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْزَنْتُكُمْ بِالرِّسَالَةِ لَسْتُ أَنْدَمُ ، مَعَ أَنِّي نَدِمْتُ» كان الرسول ينتابه الحزن لئلا ترفض نصائحه أو تحتقر فكان يندم أحيانا أنه كتب إليهم بهذه الصراحة والشدة . ثم استطرد الرسول يقول «اَلآنَ أَنَا أَفْرَحُ ، لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ . لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ لِكَيْ لاَ تَتَخَسَّرُوا مِنَّا فِي شَيْءٍ . لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ» (٢كورنثوس ٧: ٨ ١٠) . فتلك التوبة التي ينشئها تأثير النعمة الإلهية في القلب تقود إلى الاعتراف بالخطية وتركها . هذه هي الثمار التي أعلن الرسول أنها شوهدت في حياة مؤمني كورنثوس . ثم قال : «كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ: مِنَ الاجْتِهَادِ ، بَلْ مِنَ الاحْتِجَاجِ ، بَلْ مِنَ الْغَيْظِ ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ ، بَلْ مِنَ الْغَيْرَةِ» (٢كورنثوس ٧: ١١) .

ظل بولس مثقلاً بأحمال الكنائس- وكان الحمل ثقيلاً بحيث كان ينوء به . فقد حاول المعلمون الكذبة أن يلاشوا تأثيره بين المؤمنين وأن يفرضوا على الناس تعاليمهم الخاصة بدل حق الإنجيل . وقد أفصح الرسول بولس عن الارتباكات

والمفشلات التي كان مكتنفاً بها ، بهذا القول : «أَنَّنَا تَثَقَّلْنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ ، حَتَّى أَيِسْنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا» (٢كورنثوس ١: ٨) .

أما الآن فقد زال سبب من أسباب القلق والجزع . فإذ وصلته أخبار قبول الكورنثيين لرسالته قبولاً حسناً ، تتابعت كلمات الفرح على لسانه فأخذ يقول : «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا ، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ . لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلاَمُ الْمَسِيحِ فِينَا ، كَذلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيْضًا . فَإِنْ كُنَّا نَتَضَايَقُ فَلأَجْلِ تَعْزِيَتِكُمْ وَخَلاَصِكُمُ ، الْعَامِلِ فِي احْتِمَالِ نَفْسِ الآلاَمِ الَّتِي نَتَأَلَّمُ بِهَا نَحْنُ أَيْضًا . أَوْ نَتَعَزَّى فَلأَجْلِ تَعْزِيَتِكُمْ وَخَلاَصِكُمْ . فَرَجَاؤُنَا مِنْ أَجْلِكُمْ ثَابِتٌ . عَالِمِينَ أَنَّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ شُرَكَاءُ فِي الآلاَمِ ، كَذلِكَ فِي التَّعْزِيَةِ أَيْضًا» (٢كورنثوس ١: ٣ – ٧) .

وفي التعبير عن فرحه بسبب رجوعهم إلى الله من جديد ونموّهم في النعمة نسب بولس كل المجد لله لأجل هذا التغيير الذي حدث في قلوبهم وحياتهم ، فقال : «شُكْرًا ِللهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ ِللهِ ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ» (٢كورنثوس ٢: ١٤، ١٥) . وكانت العادة في ذلك العصر أن يحضر القائد المنتصر في الحرب معه أثناء عودته حاشية من الأسرى . وفي مثل تلك المناسبات كان يعين بعض الأشخاص لحمل المباخر ، وإذ يسير الجيش منتصراً نحو الوطن كانت رائحة البخور العطرة بالنسبة للأسرى المحكوم عليهم بالموت ، رائحة موت . وكانت تدل على أن وقت إعدامهم قريب . أما أولئك الأسرى الذين كانوا يجدون نعمة في عيون آسريهم ، والذين كانوا سيبقون أحياء ، كان البخور بالنسبة لهم رائحة حياة لكونه يدل على قرب الإفراج عنهم .

كان بولس الآن ممتلئا إيماناً ورجاء وقد أحس أن الشيطان لن ينتصر على عمل الله في كورنثوس ، وبألفاظ التسبيح ، سكب شكر قلبه أمام الله . فأراد هو وزملاؤه أن يحتفلوا بانتصارهم على أعداء المسيح والحق بخروجهم بغيرة جديدة لينشروا معرفة المخلص . وكالبخور كان عطر الإنجيل سينتشر عبيره في كل العالم . فالذين يقبلون المسيح ستكون الرسالة لهم رائحة حياة لحياة ، أما من يصرون على عدم الإيمان فستكون رائحة موت لموت .

فإذ تحقق بولس من العظمة الشاملة للعمل صاح قائلاً : «مَنْ هُوَ كُفْوءٌ لِهذِهِ الأُمُورِ ؟» (٢كورنثوس ٢: ١٦) . من يستطيع أن يكرز بالمسيح بطريقة تجعل أعداءه لا يجدون سبباً لاحتقار الرسول أو الرسالة التي يحملها ؟ إن بولس تاق لأن يطبع على عقول المؤمنين تلك المسؤولية المقدسة مسؤولية خدمة الإنجيل . إن الأمانة في الكرازة بالكلمة متى ارتبطت بالحياة الطاهرة الثابتة ، يمكنها وحدها أن تجعل جهود الخدام مقبولة لدى الله ونافعة للنفوس . إن الخدام في أيامنا هذه وهم مثقلون بالشعور بعظمة العمل يحسن بهم أن يهتفوا مع الرسول قائلين : «مَنْ هُوَ كُفْوءٌ لِهذِهِ الأُمُورِ ؟» .

كان يوجد جماعة اتهموا بولس بإدانته لنفسه في كتابة رسالته السابقة . وها هو الرسول يشير إلى هذا بسؤاله أعضاء الكنيسة ما إذا كانوا يحكمون على بواعثه هكذا . فسألهم الرسول قائلاً : «أَفَنَبْتَدِئُ نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا ؟ أَمْ لَعَلَّنَا نَحْتَاجُ كَقَوْمٍ رَسَائِلَ تَوْصِيَةٍ إِلَيْكُمْ ، أَوْ رَسَائِلَ تَوْصِيَةٍ مِنْكُمْ ؟» (٢كورنثوس ٣: ١) . إن المؤمنين إذ كانوا ينتقلون إلى مكان جديد غالباً ما كانوا يحملون معهم رسائل توصية من الكنيسة التي كانوا ينتمون إليها قبلاً ، أما الخدام المشهورون مؤسسو هذه الكنائس فلم تكن بهم حاجة إلى مثل تلك التوصيات . فالمؤمنون المسيحيون الذين رجعوا من عبادة الأوثان إلى

الإيمان بالإنجيل كانوا هم كل التوصية التي احتاجها بولس . إن قبولهم للحق والإصلاح الذي في حياتهم كان شهادة لا تقاوم على أمانة الرسول في خدمته وأن له السلطان لأن ينصح ويوبخ ويعظ كخادم للمسيح .

لقد اعتبر بولس الإخوة في كورنثوس كتاب شهادته . فقال : «أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا ، مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا ، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ . ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ ، مَخْدُومَةً مِنَّا ، مَكْتُوبَةً لاَ بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ اللهِ الْحَيِّ ، لاَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ» (٢كورنثوس ٣: ٢،٣) .

إن اهتداء الخطاة وتقديسهم بالحق هو أقوى برهان يمكن أن يحصل عليه أي خادم على أن الله قد دعاه للخدمة . إن شهادة مرسليته مكتوبة على قلوب أولئك المهتدين ومشهود لهم بحياتهم المتجددة . إن المسيح فيهم رجاء المجد . إن الخادم يتقوى جداً بواسطة هذه الختوم الشاهدة على خدمته .

وعلى خدام المسيح في هذه الأيام أن يحصلوا على مثل هذه الشهادة الشبيهة بتلك التي شهدت بها كنيسة كورنثوس لخدمات بولس . ولكن مع وجود كارزين كثيرين في هذا العصر فإن الخدام المقتدرين القديسين يندر وجودهم- الرجال الممتلئون محبة كالتي امتلأ بها قلب المسيح . إن الكبرياء والثقة في الذات ومحبة العالم والانتقاد والمرارة والحسد هي الثمار التي توجد في حياة كثيرين من المعترفين بديانة المسيح . فحياتهم التي هي على نقيض حياة المخلص ، كثيراً ما ، تشهد شهادة محزنة على نوع الخدمة الكهنوتية التي قد اهتدوا بتأثيرها .

لا يمكن لإنسان أن يحصل على كرامة أعظم من أن يكون مقبولاً لدى الله كخادم مقتدر للإنجيل . ولكن أولئك الذين يباركهم الله بالقوة والنجاح لا يفتخرون . إنهم يعترفون باعتمادهم الكامل عليه متحققين أنهم بدونه لا قوة

فيهم . بل هم يقولون مع بولس : «لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ ، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ» (٢كورنثوس ٣: ٥،٦) .

إن الخادم الأمين هو الذي يعمل عمل السيد . وهو يحسّ بأهمية عمله ، متحقّقاً من أنه يحتفظ للكنيسة وللعالم بصلة شبيهة بتلك التي كان يحتفظ بها المسيح . إنه يخدم بلا كلل ليقود الخطاة إلى حياة أنبل وأسمى لكي ينالوا جزاء المنتصرين الغالبين . إن شفتيه قد مستهما جمرة حية من على المذبح ، وهو يرفع يسوع كرجاء الخاطئ الوحيد . والذين يسمعونه يعلمون أنه كان قريباً جداً من الله في صلاة حارة فعالة مقتدرة . لقد حل عليه الروح القدس وقد اعتمدت نفسه بالنار السماوية المحيية وهو قادر على أن يقارن الروحيات بالروحيات . وتعطى له القوة على هدم معاقل الشيطان . وعندما يقدم محبة الله تنسحق القلوب وكثيرون يسألون قائلين: «مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟» .

ثم يقول الرسول : «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ ، إِذْ لَنَا هذِهِ الْخِدْمَةُ -كَمَا رُحِمْنَا- لاَ نَفْشَلُ ، بَلْ قَدْ رَفَضْنَا خَفَايَا الْخِزْيِ ، غَيْرَ سَالِكِينَ فِي مَكْرٍ ، وَلاَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ ، بَلْ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ ، مَادِحِينَ أَنْفُسَنَا لَدَى ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ قُدَّامَ اللهِ . وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا ، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ ، الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ . فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا ، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا ، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ . لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا ، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ١ – ٦) .

وهكذا عظّم الرسول نعمة الله ورحمته اللتين ظهرتا في الوديعة المقدسة المسلمة له كخادم للمسيح . إنه بفضل رحمة الله الغنية عليه وعلى إخوته أسندوا

في مشقّاتهم وتجاربهم ومخاطرهم . إنهم لم يشكّلوا إيمانهم وتعليمهم ليكون مناسباً لرغبات سامعيهم ، ولا أخفوا الحق الذي هو جوهري للخلاص ليكون وعظهم أكثر جاذبية . ولكنهم قدّموا الحق في بساطة ووضوح مصلّين حتى يتبكت الخطاة ويتجددوا . وقد اجتهدوا كي يجعلوا تصرفهم متوافقاً مع تعليمهم حتى يكون الحق المقدم للناس مقبولا لدى ضمير كل إنسان .

ثم يتابع الرسول كلامه قائلاً : «وَلَكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ ِللهِ لاَ مِنَّا» (٢كورنثوس ٤: ٧) . كان يمكن لله أن يذيع حقه على أفواه الملائكة الأطهار ، ولكن هذه ليست خطته . إنه يختار الخلائق البشرية ، الناس المحاطين بالضعف كوسائل لتنفيذ مقاصده . فالكنز الذي لا يُقدّر يوضع في أوانٍ خزفية . إن بركاته تصل إلى العالم عن طريق أناس من البشر . وعن طريقهم يضيء المجد مبدداً ظلمات الخطية . ففي خدمات المحبة يقابلون الخطاة والمحتاجين ويقودونهم إلى الصليب . وفي كل عملهم يجب عليهم أن ينسبوا المجد والكرامة والشكر لذاك الذي هو فوق الكل وعلى الكل .

إن بولس وهو يشير إلى اختباره أرانا أنه إذ اختار خدمة المسيح لم يكن مدفوعاً إلى ذلك بدوافع أنانية لأن طريقه كان مكتنفاً بالمحن والتجارب . فكتب يقول : «مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ . مُتَحَيِّرِينَ ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ . مُضْطَهَدِينَ ، لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ . مَطْرُوحِينَ ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ . حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا» (٢كورنثوس ٤: ٨ – ١٠)

وقد ذكّر بولس إخوته أنه وزملاؤه رسل المسيح ، كانوا في خطر دائم . فالمشقات التي احتملوها أنهكت قواهم . فكتب يقول : «لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا

الْمَائِتِ . إِذًا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا ، وَلَكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ» (٢كورنثوس ٤: ١١،١٢) . إن خدّام المسيح هؤلاء إذ كانوا يقاسون آلاماً جسدية من جرّاء الفاقة والتعب كانوا متشبهين بموته . ولكن ما كان يعم فيهم للموت كان يأتى بالحياة والصحة الروحية لأهل كورنثوس الذين بإيمانهم بالحق صاروا شركاء في الحياة الأبدية . وبالنظر إلى هذا كان على أتباع يسوع أن يحترسوا لئلا يتسبب إهمالهم وفتور محبتهم في زيادة أثقال الخدام وتجاربهم .

ثم يستطرد بولس فيقول : «فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ ، حَسَبَ الْمَكْتُوب آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ ، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا» (٢كورنثوس ٤: ١٣) . إن بولس إذ كان مقتنعا اقتناعاً كاملاً بصحة الحق المسلم له لم يمكن لشيء أن يغويه عن تقديم حق الله أو استعماله بغش أو إخفاء اقتناعات نفسه . إنه لم يرد شراء الغنى أو الكرامة أو المسرّات بالامتثال لآراء العالم أو التشبّه به . ومع أنه كان في خطر دائم من الاستشهاد في سبيل الإيمان الذي كرز به لأهل كورنثوس ، فإنه لم يجبن لأنه كان عالماً أن ذاك الذي مات وقام سيقيمه من القبر ويقدّمه إلى الآب .

ثم قال : «لأَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ ، لِكَيْ تَكُونَ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالأَكْثَرِينَ ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللهِ» (٢كورنثوس ٤: ١٥) . إن الرسل لم يكوزوا بالإنجيل لأجل تعظيم ذواتهم . إن رجاءهم في خلاص النفوس هو الذي دعاهم لتكريس حياتهم لهذا العمل . وكان هذا الرجاء الذي حفظهم من الامتناع عن بذل جهودهم خوفاً من خطر يتهددهم أو آلام فعلية يقاسونها .

ثم أعلن الرسول قائلاً : «لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى ، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا» (عدد ١٦) . كان بولس يحسّ بقوة العدو ، ولكن مع أن قوته الجسدية كانت تضعف فإنه بكل أمانة وبلا خوف أو

نكوص أعلن إنجيل المسيح . فإذ كان لابساً سلاح الله الكامل ، تقــدم بطــل الصليب هذا إلى الأمام في القتال . إن صوت هتافه أعلن أنه منتصــر فــي الحرب . وإذ ثبّت نظره في الجعالة المعدة للأمناء هتف هتاف الظفر قــائلاً : «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا . وَنَحْــنُ غَــيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى ، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُــرَى . لأَنَّ الَّتِــي تُــرَى وَقْتِيَّةٌ ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ» (عدد ١٧،١٨) .

إن الالتماس الذي قدمه الرسول إلى إخوته في كورنثوس ليتأملوا من جديد في محبة فاديهم التي لا تبارى ، هو التماس حار وغيور ومؤثر جداً . فقــد كتــب يقول : «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كورنثوس ٨: ٩) . أنتم تعرفون العلو العظيم الــذي نزل منه وعمق الاتضاع الذي انحدر إليه . وإذ بدأ يسير في طريق إنكار الـذات والتضحية فإنه لم يمل عنه حتى أسلم الروح ومات . لم تكن لــه راحــة بيــن العرش والصليب .

وقد كان بولس يتمهل وهو ينتقل من فكرة إلى أخرى حتى يمكن لمَن يقـرأون رسالته أن يدركوا إدراكاً كاملا تنازل المخلص العجيب في سبيلهم . فــإذ قــدم الرسول المسيح كما كان وهو مساو لله ومعه يتقبل ولاء الملائكة وســجودهم ، تتبع طريق تنازله إلى أن وصل إلى عمق أعماق الاتضاع . وكان بولس مقتنعـاً أنه إذا أمكنهم إدراك التضحية المدهشة التي أقدم عليها جلال السماء ، فلابــد أن تتلاشى كل أنانية من حياتهم . وقد أراهم كيف أن ابن الله ألقــى مجــده جانبــاً وبمحض اختياره أخضع نفسه لحالات الطبيعة البشرية ثم وضــع نفســه كعبــد وأطاع حتى الموت «مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٨) ، لكي يرفع الإنسان الســاقط من حضيض الانحطاط إلى الرجاء الفرح والسماء .

إننا حين نتأمّل في الصفات الإلهية في نور الصليب ، فإننا نرى الرحمة والحنان والغفران ممتزجة بالإنصاف والعدل . إننا نرى في وسط العريق شخصاً حاملاً في يديه ورجليه وجنبه آثار الآلام التي تحملها كي يصالح الإنسان مع الله . نرى الآب السرمدي الساكن في نور لا يدنى منه ، ومع ذلك يقبلنا لنفسه باستحقاقات ابنه . إن سحابة النقمة التي كانت تتوعّدنا بالشقاء واليأس نجد أنها في نور الصليب المنعكس عليها ، تكشف عن الكتابة التي كتبها الله والقائلة : عش أيها الخاطئ ، عيشوا أيها التائبون المؤمنون عيشوا ، لقد دُفعَت الفدية .

وفي تأمّلنا في المسيح فإننا نتوانى على شاطئ المحبة التي لا يسبر غورها . وإذ نحاول التحدث عن هذه المحبة نجد أن الكلمات تفشل في التعبير عنها . نتأمل في حياته على الأرض وذبيحته التي قدمها لأجلنا وعمله في السماء كشفيع لأجلنا والمنازل التي يعدها لمن يحبونه ، فلا يسعنا إلا أن نهتف قائلين : ما أعظم علو وعمق محبة المسيح ! «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا ، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» ، «اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ» (١يوحنا ٤: ١٠؛ ٣: ١) .

إن هذه المحبة كالنار المقدسة تشتعل على مذبح قلب كل تلميذ أمين . لقد ظهرت محبة الله في المسيح على هذه الأرض ، وعلى أولاده أن يعكسوا أنوار هذه المحبة في حياتهم التي بلا لوم وهم على الأرض . وهكذا ينقاد الخطاة إلى الصليب ليروا حمل الله .

الفصل الثاني والثلاثين

كنيسة سخيّة

في الرسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، قدم بولس للمؤمنين التعليمات الخاصة بالمبادئ العامة اللازمة لتعضيد عمل الله في الأرض . فإذ كتب عن خدماته الرسولية لأجلهم سأل قائلاً : «مَنْ تَجَنَّدَ قَطُّ بِنَفَقَةِ نَفْسِهِ ؟ وَمَنْ يَغْرِسُ كَرْمًا وَمِنْ ثَمَرِهِ لاَ يَأْكُلُ ؟ أَوْ مَنْ يَرْعَى رَعِيَّةً وَمِنْ لَبَنِ الرَّعِيَّةِ لاَ يَأْكُلُ ؟ أَلَعَلِّي أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَإِنْسَانٍ ؟ أَمْ لَيْسَ النَّامُوسُ أَيْضًا يَقُولُ هذَا ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ مُوسَى : «لاَ تَكُمَّ ثَوْرًا دَارِسًا» . أَلَعَلَّ اللهَ تُهِمُّهُ الثِّيرَانُ ؟ أَمْ يَقُولُ مُطْلَقًا مِنْ أَجْلِنَا ؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ . لأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْحَرَّاثِ أَنْ يَحْرُثَ عَلَى رَجَاءٍ ، وَلِلدَّارِسِ عَلَى الرَّجَاءِ أَنْ يَكُونَ شَرِيكًا فِي رَجَائِهِ .

«إِنْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ زَرَعْنَا لَكُمُ الرُّوحِيَّاتِ ، أَفَعَظِيمٌ إِنْ حَصَدْنَا مِنْكُمُ الْجَسَدِيَّاتِ ؟» وواصل الرسول تساؤله قائلاً : «إِنْ كَانَ آخَرُونَ شُرَكَاءَ فِي السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ ، أَفَلَسْنَا نَحْنُ بِالأَوْلَى ؟ لكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هذَا السُّلْطَانَ ، بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقًا لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ ، مِنَ الْهَيْكَلِ يَأْكُلُونَ ؟ الَّذِينَ يُلاَزِمُونَ الْمَذْبَحَ يُشَارِكُونَ الْمَذْبَحَ ؟ هكَذَا أَيْضًا أَمَرَ الرَّبُّ: أَنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ ، مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ» (١كورنثوس ٩: ٧ - ١٤) .

لقد أشار الرسول هنا إلى تدبير الرب لأجل إعالة الكهنة الذين كانوا يخدمون في الهيكل . فالذين أُفرزوا لهذه الوظيفة المقدسة كانوا يخدمون إخوتهم بالبركات الروحية وكان إخوتهم بالتالي يعولونهم : «وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ بَنِي لاَوِي ، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الْكَهَنُوتَ ، فَلَهُمْ وَصِيَّةٌ أَنْ يُعَشِّرُوا الشَّعْبَ بِمُقْتَضَى النَّامُوسِ» (عبرانيين ٧: ٥) . لقد اختار الرب سبط لاوي للوظائف المقدسة المتعلقة بالهيكل والكهنوت . وقد قيل عن الكاهن : «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدِ اخْتَارَهُ ... لِكَيْ يَقِفَ وَيَخْدِمَ بِاسْمِ الرَّبِّ» (تثنية ١٨: ٥) . وقد طالب الرب أن يكون عُشر كل المحصول نصيباً له ، والذي كان يمتنع عن دفع العشور كان الرب يعتبره سارقاً .

كان بولس يشير إلى هذا التدبير لإعالة الخدام عندما قال : «هكَذَا أَيْضًا أَمَرَ الرَّبُّ أَنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ ، مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ» وبعد ذلك عندما كتب الرسول إلى تيموثاوس قال : «الْفَاعِلُ مُسْتَحِق أُجْرَتَهُ» (١تيموثاوس ٥: ١٨) .

كان دفع العشور هو تدبير الله لإعالة خدمته . لقد خصّص الله كثيراً من العطايا والتقدمات . وفي النظام اليهودي تعلم الشعب أن يكون عندهم روح السخاء في إعالة عمل الله وتدبير احتياجات الفقراء . وفي مناسبات خاصة كانت تُقدم تقدمات إختيارية . وفي أيام الحصاد وفي موسم قطاف الكروم كانت تكرس باكورات الحنطة والخمر والزيت- كتقدمة لله . وكانت فضلات الحصاد وزوايا الحقل تترك للفقراء . وباكورات الصوف عند جز الغنم وباكورات الحنطة بعد دراسها كانت تخصص لله . وكذلك كانت أبكار كل البهائم ، كما دفعت فدية عن أبكار البنين . أو كانت الباكورات تقدم أمام الرب في القدس ومن ثم تكرس ليستعملها الكهنة .

وبهذا النظام الخيري أراد الرب أن يعلم إسرائيل أنه ينبغي أن يكون هو الأول في كل شيء . وهكذا كانوا يذكرون دائما ان الله هو المالك الأول لحقولهم

وقطعانهم ومواشيهم ، وأنه هو الذي أرسل إليهم الشمس والمطر لتنمية محصولاتهم وإنضاجها . فكل ما كانوا يملكونه كان ملكاً له وما كانوا هم سوى مجرد وكلاء له على تلك الأملاك .

والله لا يقصد أن المسيحيين الذين امتيازاتهم أعظم بكثير من امتيازات الأمة اليهودية قديماً يعطون بسخاء أقل مما أعطى أولئك . وقد أعلن المخلص قائلاً : «وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ» (لوقا ١٢: ٤٨) . إن السخاء الذي كان مطلوباً من العبرانيين كان في الغالب لنفع أمتهم ، أما الآن فإن عمل الله يمتد إلى كل الأرض . وقد أودع المسيح بين أيدي تابعيه كنوز الإنجيل وقد حملهم مسؤولية تقديم بشرى الخلاص المفرحة للعالم . وبالتأكيد إن التزاماتنا هي أعظم بكثير من التزامات إسرائيل قديماً .

وإذ يتقدم عمل الله وينتشر فإن الاستغاثات في طلب المعونة ستأتي متكاثرة ومتوافرة . وحتى تجاب هذه الطلبات على المسيحيين أن يلتفتوا إلى أمر الرب القائل : «هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ» (ملاخي ٣: ١٠) . فإذا كان المعترفون بالمسيحية يقدمون لله عشورهم وتقدماتهم بكل أمانة فإن خزانته تمتلئ . وحينئذ لن يكون هنالك مجال للأسواق الخيرية أو اليانصيب أو حفلات الطرب والسرور للحصول على نفقات لإعالة خدام الإنجيل .

إن الناس يجربون لأن يستخدموا أموالهم في الانغماس في الملذات وإشباع النهم والتزين أو في زخرفة بيوتهم . ففي سبيل هذه الاغراض لا يتردد كثيرون من أعضاء الكنائس في الإنفاق بسخاء وإسراف . ولكن عندما يطلب إليهم أن يقدموا عطاياهم لخزانة الرب ، وللتقدم بعمله في الأرض ، يترددون . وربما إذ يشعرون أنهم لا يمكنهم أن يفعلوا غير ذلك ، يقدمون

وهم مكرهون مبلغاً أقل بكثير مما ينفقونه غالباً في ألوان الترف التي لا لزوم لها . إنهم لا يظهرون محبة حقيقية لخدمة المسيح ولا اهتماماً جاداً نحو خلاص النفوس . أي عجب إذن إذا كانت الحياة المسيحية لأمثال هؤلاء الناس تبدو كحياة الأقزام السقيمة العليلة !

أما الشخص المضطرم القلب بمحبة المسيح فإنه يعتبره ليس فقط واجباً بل بالحري امتيازاً وسروراً أن يساهم في تقدم ونجاح أسمى عمل وأقدس عمل سُلِّم للإنسان- عمل تقديم غنى الجود والرحمة والحق إلى العالم .

إن روح الجشع هي التي تسوق الناس إلى الاحتفاظ بما هو من حق الله لإرضاء ذواتهم ، هذه الروح مكروهة لديه الآن كما كانت قديماً عندما وبخ الله شعبه على لسان النبي قائلاً : «أَيَسْلُبُ الإِنْسَانُ اللهَ ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي . فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ ؟ فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ . قَدْ لُعِنْتُمْ لَعْنًا وَإِيَّايَ أَنْتُمْ سَالِبُونَ ، هذِهِ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (ملاخي ٣: ٨،٩) .

إن روح السخاء هي روح السماء . وهذه الروح تجد أسمى إعلان لنفسها في ذبيحة المسيح على الصليب . فلأجلنا بذل الآب ابنه الوحيد ، والمسيح إذ تخلى عن كل ما يملك ، فقد بذل نفسه ليخلص الإنسان . ينبغي أن يستنجد صليب الجلجثة بأريحية كل تابع للمخلص . إن المبدأ الممثل هناك هو مبدأ البذل : «مَنْ قَال إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا» (١يوحنا ٢: ٦) .

ومن الناحية الأخرى فإن روح الأثرة هي روح الشيطان . فالمبدأ الممثل في حياة أهل العالم هو مبدأ التملك والحيازة . وهكذا هم يرجّون إحراز السعادة والراحة ، ولكن ثمار ما قد زرعوه هي الشقاء والموت .

فما لم يكف الله عن أن يبارك أولاده فهم ملزمون بأن يردوا له القسم الذي يطلبه . وينبغى ألا يكتفوا بأن يقدموا للرب ما يخصه بل عليهم أن يقدموا لخزانته تقدمة سخية كذبيحة شكر . فبقلوب شاكرة عليهم أن يكرسوا للخالق بباكورات خيراتهم– وأثمن ما يملكون ، وأفضل وأقدس خدماتهم . وهكذا يحصلون على بركات غنية . والله نفسه يجعل حياتهم كجنة ريا لا تنقطع مياهها . وعندما يجمع الحصاد الأخير فالحزم التي يستطيعون أن يأتوا بها إلى السيد ستكون تعويضاً عن استخدامهم لوزناتهم المسلمة لهم استخداماً صائباً في غير أنانية .

إن رسل الله المختارين الذين يشتغلون في الأعمال الكرازية الجبارة لا ينبغي إرغامهم على الخروج في حرب على نفقة أنفسهم دون أن يحصلوا على تعضيد عطوف مخلص من إخوتهم . فعلى أعضاء الكنيسة أن يكونوا أسخياء نحو الذين يتركون أعمالهم الدنيوية ليتفرغوا للخدمة . فعندما يحصل خدام الله على تشجيع فإن عمله يتقدم كثيراً . ولكن عندما يحبس الناس عنهم المعونة التي هي من حقهم ، بسبب أنانيتهم فإن أيدي الخدام تضعف وترتخي وكثيراً ما يعجز نفعهم عجزاً كبيراً وتتحني نفوسهم .

إن غضب الله يشتعل ضد الذين يدعون بأنهم أتباعه وفي نفس الوقت يتركون الخدام المكرسين المشتغلين في خدمه نشطة يقاسون آلام الحرمان والاحتياج إلى ضروريات الحياة . هؤلاء القوم الأنانيون لا بد أن يعطوا حساباً لا عن سوء استعمالهم لأموال سيدهم وحسب ، بل عن انقباض النفس والحزن الذي جلبوه على خدام الرب الأمناء بسوء تصرفهم . فالذين يدعون لعمل الخدمة ، وعند نداء الواجب يتركون كل شيء ليعملوا في خدمة الله ، ينبغي أن يحصلوا على أجر كاف يكفل إعالتهم وإعالة عائلاتهم لقاء جهودهم وتضحياتهم .

في مصالح العمل الدنيوية المختلفة يحصل العمال الأمناء على أجور مجزية مقابل جهودهم العقلية والبدنية . أفليس عمل نشر الحق وإرشاد النفوس إلى المسيح عملاً أهم وأجدى من أي عمل عادي ؟ أو ليس أولئك الذين يقومون بهذا العمل بأمانة مستحقين بموجب العدالة لمكافأة سخية ؟ إننا بتقديرنا لقيمة العمل النسبية للخير الأدبي والجسماني إنما نبرهن على تقديرنا للأمور السماوية بالمقارنة مع الأمور الأرضية .

ينبغي لشعب الله أن يقدموا عطاياهم بسرور وسخاء كي يكون في الخزانة رصيد كاف للانفاق على الخدمة ولتلبية الدعوات التي تستصرخنا في طلب المساعدة للمشاريع الكرازية . وعلى الخدام تقع مسؤولية مقدسة وهي أن يضعوا أمام أنظار الكنائس احتياجات عمل الله ويدربوا الأعضاء كي يكونوا أسخياء . فمتى أُهمل هذا الواجب وكفّت الكنائس عن تقديم العطاء لتلبية حاجات الآخرين ، فإنه علاوة على الضرر الذي يلحق بعمل الرب فإن البركات التي يجب أن تحل على المؤمنين تمتنع .

فحتى الفقراء جداً عليهم أن يقدموا عطاياهم لله . عليهم أن يكونوا شركاء في نعمة المسيح بإنكارهم لذواتهم لمساعدة الذين هم أحوج إلى المساعدة منهم . إن عطية الرجل الفقير التي هي ثمرة إنكار الذات تصعد أمام الله كرائحة طيبة وبخور عطر . وكل عمل من أعمال التضحية يقوي روح حب الخير والإحسان في قلب المعطي ويقربه من ذاك الذي كان غنياً ولكنه من أجلنا افتقر لكي نستغني نحن بفقره .

إن عمل الأرملة التي ألقت فلسين- وهو كل ما ملكت- في الخزانة ، مسجل في الكتاب لأجل تشجيع الذين وهم يصارعون الفقر ، يشتاقون إلى مساعدة عمل الله بعطاياهم . وقد استرعى المسيح انتباه التلاميذ إلى هذه المرأة التي أعطت

«كُلَّ مَعِيشَتِهَا» وقد قدر أن عطيتها أغلى قيمة من المبالغ الضخمة التي كان يقدمها الذين لم تتطلب عطاياهم إنكارا للذات . لقد قدموا مبلغاً قليلاً من فضالتهم . إن تلك الأرملة ، لكي تقدم عطيتها ، حرمت نفسها حتى من ضروريات الحياة ، متكلة على الله ليلبي أعوازها في الغد . وقد أعلن المخلص عنها قائلاً : «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقَوْا فِي الْخِزَانَةِ» (مرقس ١٢: ٤٣،٤٤) . وهكذا علمنا المسيح أن قيمة العطية تقدر ليس بكميتها بل بنسبة ما نعطي والباعث الذي يحفز المعطي على العطاء .

إن الرسول بولس وهو يخدم في الكنائس كان لا يكل في جهوده لكي يلهم قلوب المهتدين حديثاً بالرغبة في القيام بأشياء كثيرة لعمل الله . وكثيرا ما كان يحثهم ليتدربوا على السخاء . فإذ كان يخاطب شيوخ كنيسة أفسس عن خدماته السابقة بينهم قال : «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» وقد كتب إلى أهل كورنثوس يقول : «مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ . كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ . لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ» (أعمال ٢٠: ٣٥؛ ٢كورنثوس ٩: ٦،٧) .

كانت الغالبية العظمى بين مؤمني مكدونية فقراء في حطام هذه الدنيا ولكن قلوبهم كانت تفيض بالحب لله ولحقه ، ولذلك أعطوا بسرور لتعضيد عمل الإنجيل . وعندما جمعت عطايا عامة من كنائس الأمم لإسعاف مؤمني اليهود ، كان سخاء المهتدين في مكدونية مثلاً أعلى للكنائس الأخرى . وإذ كتب الرسول إلى مؤمني كورنثوس وجّه التفاتهم إلى «نِعْمَةَ اللهِ الْمُعْطَاةَ فِي كَنَائِسِ مَكِدُونِيَّةَ ، أَنَّهُ فِي اخْتِبَارِ ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ فَاضَ وُفُورُ فَرَحِهِمْ وَفَقْرِهِمِ

الْعَمِيقِ لِغِنَى سَخَائِهِمْ ، (لأنهم أعطوا حسب الطاقة وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم) مُلْتَمِسِينَ مِنَّا ، بِطِلْبَةٍ كَثِيرَةٍ ، أَنْ نَقْبَلَ النِّعْمَةَ وَشَرِكَةَ الْخِدْمَةِ الَّتِي لِلْقِدِّيسِينَ» (٢كورنثوس ٨: ١ – ٤) .

إن الرغبة في التضحية من جانب مؤمني مكدونية جاءت نتيجة لتكريسهم القلبي . فإذ حركهم روح الله : «أَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلاً لِلرَّبِّ» (٢كورنثوس ٨: ٥) . وحينئذ كانوا راغبين أن يعطوا بسخاء مما عندهم لمساعدة عمل الإنجيل . لم يكن ما يدعو إلى حثهم على العطاء ، لأنهم فرحوا بامتياز إنكار أنفسهم حتى من الضروريات لتلبية عوز الآخرين . وعندما أراد الرسول أن يمنعهم من ذلك توسلوا إليه كي يقبل عطيتهم . ففي بساطتهم واستقامتهم ومحبتهم للإخوة أنكروا أنفسهم بكل سرور وهكذا أثمروا ثمار الإحسان وحب الخير الوفيرة .

وعندما أرسل بولس تيطس إلى كورنثوس ليشدد عزائم المؤمنين هناك ، أوصاه أن يبني تلك الكنيسة في نعمة العطاء . وفي رسالة شخصية أرسلها إلى المؤمنين أضاف هذا الالتماس فقال لهم : «كَمَا تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الإِيمَانِ وَالْكَلاَمِ وَالْعِلْمِ وَكُلِّ اجْتِهَادٍ وَمَحَبَّتِكُمْ لَنَا ، لَيْتَكُمْ تَزْدَادُونَ فِي هذِهِ النِّعْمَةِ أَيْضًا» ، «وَلكِنِ الآنَ تَمِّمُوا الْعَمَلَ أَيْضًا ، حَتَّى إِنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّشَاطَ لِلإِرَادَةِ ، كَذلِكَ يَكُونُ التَّتْمِيمُ أَيْضًا حَسَبَ مَا لَكُمْ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُودًا فَهُوَ مَقْبُولٌ عَلَى حَسَبِ مَا لِلإِنْسَانِ ، لاَ عَلَى حَسَبِ مَا لَيْسَ لَهُ» ، «وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ ... مُسْتَغْنِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ سَخَاءٍ يُنْشِئُ بِنَا شُكْرًا ِللهِ» (٢كورنثوس ٨: ٧،١١،١٢؛ ٩: ٨،١١) .

إن السخاء غير الأناني ملأ قلوب أفراد الكنيسة الأولى فرحاً عظيماً طاغياً لأن المؤمنين علموا أن جهودهم أعانت على إيصال رسالة الإنجيل إلى من كانوا

في الظلمة . لقد شهد إحسانهم على أنهم لم يقبلوا نعمة الله باطلاً . أي شيء يمكن أن يثمر مثل ذلك السخاء غير تقديس الروح ؟ لقد كان هذا السخاء معجزة من معجزات النعمة في نظر المؤمنين وغير المؤمنين .

إن النجاح الروحي مرتبط ارتباطاً وثيقا بالسخاء المسيحي . فعلى أتباع المسيح أن يفرحوا بامتياز إعلان إحسان فاديهم في حياتهم . فإذ يعطون للرب فلهم اليقين بأن كنزهم يسبقهم إلى المواطن السماوية . هل يريد الناس أن يجعلوا أموالهم في أمان ؟ ليضعوها في اليدين اللتين تحملان سمات الصليب . هل يريدون التمتع بأموالهم ؟ ليستخدموها في جلب البركة للفقراء والمتألمين . ألعلهم يريدون أن يزيدوا تلك الأموال ويضاعفوها ؟ إذن فليلتفتوا إلى وصية الرب القائلة : «أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ ، فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبْعًا ، وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَارًا» (أمثال ٣: ٩،١٠) . فإذا أبقوا أموالهم لأجل أغراضهم الأنانية ، فإن خسارتهم ستكون أبدية . أما إذا أعطوا كنوزهم لله ، فمن تلك اللحظة تختم بخاتمه ، خاتم الخلود وعدم الزوال .

إن الله يعلن قائلاً : «طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الزَّارِعُونَ عَلَى كُلِّ الْمِيَاهِ» (أشعياء ٣٢: ٢٠) . إننا إذ نوزع هبات الله بلا انقطاع كلما كان عمل الله أو حاجات البشرية تتطلب مساعدتنا ، فلا يمكن أن ينتهي بنا ذلك إلى الفقر . «يُوجَدُ مَنْ يُفَرِّقُ فَيَزْدَادُ أَيْضًا ، وَمَنْ يُمْسِكُ أَكْثَرَ مِنَ اللاَّئِقِ وَإِنَّمَا إِلَى الْفَقْرِ» (أمثال ١١: ٢٤) . إن الزارع يكثر غلته ويضاعفها عندما يلقي بها في الأرض ، وكذلك الحال مع من هم أمناء في توزيع هبات الله . فبتوزيعها تتكاثر بركاتها . وقد وعد الله قائلاً : «أَعْطُوا تُعْطَوْا ، كَيْلاً جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ» (لوقا ٦: ٣٨) .

الفصل الثالث والثلاثون

العمل وسط الصعوبات

كان بولس حريصاً على أن يقدم للمهتدين على يديه تعاليم الكتاب الصريحة الخاصة بتقديم المعونة اللائقة لعمل الله ، ومع أنه ادعى لنفسه كخادم للإنجيل أن يكون له «سُلْطَانٌ أَنْ لاَ نَشْتَغِلَ» (١كورنثوس ٩: ٦) شغلاً دنيوياً كوسيلة لإعالة نفسه ، إلا أنه في أوقات مختلفة أثناء خدمته في مراكز المدينة العظيمة كان يزاول حرفة يدوية ليعول نفسه .

لم يكن الكفاح والعمل الجسماني في نظر اليهود أمراً مستغرباً أو أنه يحط من قدر صاحبه . لقد علم موسى العبرانيين أن يعلموا أولادهم عادات الكد والعمل . وإن ترك الشباب يكبرون وهم لا يعرفون شيئاً عن العمل الجسماني كان يعتبر خطية . وبالرغم من أن الولد كان يتربى ويتهذب ليشغل وظيفة مقدسة ، فإن معرفته بالحياة العملية كانت معتبرة أمراً جوهرياً . فكان على كل شاب أن يتعلم حرفة ما سواء أكان أبواه غنيين أو فقيرين . وإن الآباء الذين كانوا يهملون توفير مثل ذلك التدريب لأولادهم كان ينظر إليهم على أنهم منحرفون عن تعاليم الرب . فاتباعاً لهذه العادة تعلم بولس في صباه حرفة صنع الخيام .

إن بولس قبلما صار تلميذا للمسيح كان يشغل مركزاً عالياً ولم يكن يعتمد على العمل اليدوي ليعول نفسه . ولكن بعد ذلك عندما استخدم كل موارده في نجاح عمل المسيح وتقدمه كان يزاول حرفته أحياناً لكي يكفل لنفسه عيشاً كريماً . وكان هذا هو الواقع خصوصاً في الأماكن التي كان الناس فيها يسيئون فهم بواعثه .

إن أول ما نقرأه عن بولس هو أنه كان يشتغل بيديه لإعالة نفسه وهو يكرز بالكلمة في تسالونيكي . فإذ كتب إلى مؤمني الكنيسة هناك ذكرهم بأنه كان يمكن أن «يثقّل عليهم» ثم أضاف قائلاً : «فَإِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ تَعَبَنَا وَكَدَّنَا ، إِذْ كُنَّا نَكْرِزُ لَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ ، وَنَحْنُ عَامِلُونَ لَيْلاً وَنَهَارًا كَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ» (١تسالونيكي ٢: ٩) . ثم في رسالته الثانية إليهم أعلن عن نفسه وعن زملائه قائلاً : «وَلاَ أَكَلْنَا خُبْزًا مَجَّانًا مِنْ أَحَدٍ» ثم كتب يقول أنه هو وزملاؤه اشتغلوا: «لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ . لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا ، بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا» (٢تسالونيكي ٣: ٨،٩) . وفي تسالونيكي التقى بولس بأولئك الذين رفضوا أن يشتغلوا بأيديهم . وقد كتب عن هذه الفئة بعد ذلك يقول : «أَنَّ قَوْمًا يَسْلُكُونَ بَيْنَكُمْ بِلاَ تَرْتِيبٍ ، لاَ يَشْتَغِلُونَ شَيْئًا بَلْ هُمْ فُضُولِيُّونَ . فَمِثْلُ هؤُلاَءِ نُوصِيهِمْ وَنَعِظُهُمْ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِهُدُوءٍ ، وَيَأْكُلُوا خُبْزَ أَنْفُسِهِمْ» فبينما كان الرسول في تسالونيكي حرص على أن يجعل نفسه قدوة صالحة لأمثال أولئك الناس . فكتب يقول : «فَإِنَّنَا أَيْضًا حِينَ كُنَّا عِنْدَكُمْ ، أَوْصَيْنَاكُمْ بِهذَا أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا» (٢تسالونيكي ٣: ١٠) .

لقد حاول الشيطان في كل عصر أن يضعف جهود خدام الله بإدخال روح التعصب إلى الكنيسة . كذلك كانت الحال في عهد بولس ، وكذلك كانت في العصور التي جاءت بعد ذلك في عهد الإصلاح . فويكلف ولوثر وآخرون

كثيرون ممن باركوا العالم بتأثيرهم وإيمانهم واجهوا المكـــايد التـــي بواســـطتها يحاول العدو أن يوقع العقول الشديدة التحمس وغير المتزنة وغير المقدسة ، فـــي التعصب . إن النفوس الضالة قد علّمت أن بلوغ القداسة الحقيقية تسمو بـــــالعقل فوق كل الأفكار الأرضية وتقود الناس إلى أن يكفوا عن العمل كلية . وآخـــرون إذ كانوا يتمسكون بآراء متطرفة عن بعض الآيات الكتابيـــة علَّمـــوا النـــاس أن الشغل خطية- وأن على المسيحيين ألا يفكروا في خيرهم وخير عائلاتهم الزمني وسعادتهم الأرضية ، بل عليهم أن يكرسوا حياتهم كلها للروحيات . ولكن تعليـــم بولس الرسول ومثاله هما توبيخ لمثل تلك الآراء المتطرفة .

إلا أن بولس لم يكن يعتمد اعتماداً كاملاً على عمل يديه لإعالة نفسه وهو في تسالونيكي . فلقد كتب إلى مؤمني فيلبي بعد ذلك مشيراً إلى اختباراته في مدينـــة تسالونيكي اعترافاً منه بالعطايا التي قبلها منهم وهو هناك قائلاً : «فَـــإِنَّكُمْ فِـــي تَسَالُونِيكِي أَيْضًا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لِحَاجَتِي» (فيلبي ٤: ١٦) . وبـــالرغم من حقيقة كونه قد أخذ تلك العطية وقبل تلك المعونة فقد كان حريصاً علـــى أن يضع أمام التسالونيكيين مثالاً في الاجتهاد حتى لا يمكن لأحد أن يتهمه بـــالطمع وهو صادق وحتى يقدم توبيخاً عملياً لأولئك الذين يعتنقون آراء تعصبيـــة عـــن العمل اليدوي .

إن بولس عندما زار مدينة كورنثوس لأول مرة وجد نفسه بين قوم يتوجسون خِيفة من نوايا الغرباء . كان اليونانيون القاضون عند شـــاطئ البحـــر تجـــاراً أذكياء . وقد ظلوا طويلاً يتدربون على أعمال التجارة حتى تكوَّن عندهم الاعتقاد بأن الكسب هو التقوى ، وأن جمع المال سواء بالطرق الحلال أو الحرام هو أمر يستحق المديح . وكان بولس عليماً بصفاتهم هذه فلم يرد أن يعطيهم مجـــالاً لأن يقولوا أنه كان يكرز بالإنجيل ليصير غنياً . كان له الحق أن يطلب العون مـــن

سامعيه في كورنثوس ولكنه كان راغباً في التنازل عن هذا الحق لئلا يتعطل نفعه أو نجاحه كخادم بواسطة الشكوك الظالمة القائلة بأنه إنما كان يكرز طمعاً في الربح . فكان يريد أن يزيل ويبعد كل مجال للتمويه حتى لا تذهب قوة رسالته هباء .

حالما وصل بولس إلى كورنثوس وجد «يَهُودِيًّا اسْمُهُ أَكِيلاَ ، بُنْطِيَّ الْجِنْسِ ، كَانَ قَدْ جَاءَ حَدِيثًا مِنْ إِيطَالِيَة ، وَبِرِيسْكِلاَّ امْرَأَتَهُ» هذان كانا «مِنْ صِنَاعَتِه» فإذ كان أكيلا وبريسكلا قد نُفيا بموجب أمر من كلوديوس يقضي بأن يمضي اليهود في رومية ، أتيا إلى كورنثوس حيث أسسا عملاً كصانعي خيام . وقد استخبر بولس عنهما فإذ علم أنهما يخافان الله ويحاولان تجنب عدوى المؤثرات الوبيلة المحيطة بهما «أَقَامَ عِنْدَهُمَا وَكَانَ يَعْمَلُ ... وَكَانَ يُحَاجُّ فِي الْمَجْمَعِ كُلَّ سَبْتٍ وَيُقْنِعُ يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ» (أعمال ١٨: ٢-٤) .

وبعد ذلك انضم سيلا وتيموثاوس إلى بولس في كورنثوس . وهذان الأخوان أحضرا معهما بعض المال من كنائس مكدونية لأجل تعضيد العمل .

وفي رسالة بولس الثانية إلى مؤمني كورنثوس التي كتبها بعدما أقام كنيسة قوية هناك استعرض طريقة معيشته بينهم فسألهم قائلاً : «أَمْ أَخْطَأْتُ خَطِيَّةً إِذْ أَذْلَلْتُ نَفْسِي كَيْ تَرْتَفِعُوا أَنْتُمْ ، لأَنِّي بَشَّرْتُكُمْ مَجَّانًا بِإِنْجِيلِ الله ؟ سَلَبْتُ كَنَائِسَ أُخْرَى آخِذًا أُجْرَةً لأَجْلِ خِدْمَتِكُمْ ، وَإِذْ كُنْتُ حَاضِرًا عِنْدَكُمْ وَاحْتَجْتُ ، لَمْ أُثَقِّلْ عَلَى أَحَد . لأَنَّ احْتِيَاجِي سَدَّهُ الإِخْوَةُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ مَكِدُونِيَّةَ . وَفِي كُلِّ شَيْءٍ حَفِظْتُ نَفْسِي غَيْرَ ثَقِيل عَلَيْكُمْ ، وَسَأَحْفَظُهَا . حَقُّ الْمَسِيحِ فِيَّ . إِنَّ هذَا الافْتِخَارَ لاَ يُسَدُّ عَنِّي فِي أَقَالِيمِ أَخَائِيَةَ» (٢كورنثوس ١١: ٧- ١٠) .

وقد أخبرنا بولس عن السبب الذي لأجله تصرف هكذا في كورنثوس . والسبب هو أن لا يعطي سبباً للتعيير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ فُرْصَةً» (٢كورنثوس ١١: ١٢) . وإذ

كان يشتغل في صنع الخيام كان يخدم بأمانة في نشر الإنجيل . وهو نفسه يقـــول مشيراً إلى خدماته : «إِنَّ عَلاَمَاتِ الرَّسُولِ صُنِعَتْ بَيْنَكُمْ فِي كُلِّ صَـــبْرٍ ، بِآيَـاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّات» ثم يضيف قائلاً: «لأَنَّهُ مَا هُوَ الَّذِي نَقَصْتُمْ عَنْ سَائِرِ الْكَنَــائِسِ ، إِلاَّ أَنِّي أَنَا لَمْ أُثَقِّلْ عَلَيْكُمْ ؟ سَامِحُونِي بِهذَا الظُّلْمِ . هُوَذَا الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ أَنَا مُسْــتَعِدٌّ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَلاَ أُثَقِّلَ عَلَيْكُمْ . لأَنِّي لَسْتُ أَطْلُبُ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ إِيَّاكُمْ... وَأَمَّا أَنَا فَبِكُــلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ» (٢كورنثوس ١٢: ١٢– ١٥) .

وفي غضون خدمته في أفسس حيث قام بجهود كرازية جبارة لمـــدى ثـــلاث سنين في كل ذلك الإقليم ، ظل بولس يزاول مهنته . وفـــي أفســس كمـــا فـــي كورنثوس ابتهج قلب الرسول بوجود أكيلا وبريسكلا اللذين كانا قد رافقـــاه فـــي طريق عودته إلى آسيا في ختام سفرته الكرازية الثانية .

وكان يوجد بعض من كانوا يعترضون على اشتغال بولس وتعبـــه وهـــو يعمل بيديه قائلين إن ذلك يناقض عمل خادم الإنجيل . لماذا يربط بولـــس ، وهو خادم عظيم وممتاز ، العمل اليدوي بالكرازة بالكلمة ؟ أفلم يكن الفاعل مستحقاً أجرته ؟ فلماذا ينفق في صنع الخيام وقتاً كان من الأفضل أن يُقضـــى في أعمال أفضل ؟

ولكن بولس لم يكن يعتبر الوقت الذي يقضى في ذلك العمل وقتاً ضائعاً . فإذ كان يشتغل مع أكيلا كان على اتصال بالمعلم العظيم ، فلم يضيع فرصة للشـــهادة للمخلص ومساعدة المحتاجين إلى المساعدة . كان عقله يصبـــو إلـــى المعرفـــة الروحية . وقد علم شركاءه في العمل تعاليم في الأمور الروحية كما وضع مثالاً في إتقان العمل والاجتهاد فيه . كان عاملاً سريعاً ماهراً ومجتـــهداً فـــي عملـــه «حاراً فِي الرُّوحِ ، عابداً الرَّبَّ» (رومية ١٢: ١١) . وإذ كان الرسول يـــزاول

حرفته كان على اتصال بطبقة من الشعب لم يكن يمكنه الوصول إليها بغير هذه الوسيلة . وقد أبان لشركائه أن المهارة في الحرف العادية هي عطية من الله الذي يمنح العطية والحكمة لاستخدامها الاستخدام الصائب . وقد علم أيضاً أنه حتى في العمل اليومي يجب أن يُكرَم الله . إن يديه اللتين تصلبتا من العمل لم تنتقصا شيئاً من قوة توسلاته المؤثرة كخادم للمسيح .

وكان بولس أحيانا يشتغل ليلاً ونهاراً لا لإعالة نفسه بل أيضاً لمساعدة زملائه في العمل . كان يقتسم أرباحه مع لوقا وكان يساعد تيموثاوس . بل كان يقاسي آلام الجوع أحياناً ليلبي احتياجات الآخرين . كانت حياته حياة إنكار الذات . وقرب نهاية خدمته عندما كان يخاطب شيوخ أفسس خطابه الوداعي في ميليتس استطاع أن يرفع أمامهم يديه اللتين تشوهتا من كثرة العمل ويقول : «فِضَّةَ أَوْ ذَهَبَ أَوْ لِبَاسَ أَحَدٍ لَمْ أَشْتَهِ . أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ . فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أعمال ٢٠: ٣٣-٣٥) .

إذا كان الخدام يحسون أنهم يقاسون المتاعب والمشقات والفقر في خدمة المسيح فليذهبوا بالخيال لزيارة المشغل الذي كان بولس يعمل فيه . وليذكروا أنه إذ كان هذا الرجل المختار من الله يصنع الخيام فإنه كان يكسب رزقه الذي كان يستحقه لقاء خدمته كرسول . إن العمل بركة لا لعنة . إن روح الكسل يقضي على التقوى ويلاشيها ويحزن روح الله . فالبركة الراكدة كريهة ، ولكن نبع الماء الجاري ينشر الصحة والخصب في الأرض . لقد عرف بولس أن من يهملون العمل البدني سرعان ما يضعفون . وقد رغب أن يعلّم الخدام الشبان أنهم إذ يعملون بأيديهم ، وإذ يشغّلون عضلاتهم

وأعضاء جسمهم فسيصيرون أقوياء على احتمال أعباء الكد والعناء والفقر التي تنتظرهم في حقل الكرازة بالإنجيل . وكان موقناً أن تعاليمه ستنقصها الحيوية والقوة إن لم يبق كل أجزاء جسمه عاملة ونشطة .

إن الكسالى يضيعون على أنفسهم الاختبار الثمين الذي يكسبه الإنسان من مزاولة واجبات الحياة العادية بأمانة . آلاف من بني الإنسان يعيشون فقط لكي يستهلكوا ويستنفدوا البركات التي يمنحهم الله إياها في رحمته . وينسون أن يقدّموا للرب عطايا شكرهم على الغنى الذي استودعهم إياه . وينسون أنهم إذ يتجرون بحكمة في الوزنات المعطاة لهم ، يجب أن يكونوا منتجين كما هم مستهلكون . وإذا أدركوا العمل الذي يريدهم الرب أن يعملوه كمساعدين له فإنهم لا ينفرون من المسؤولية ولا يتهربون .

إن نفع الشباب الذين يحسون بأنهم مدعوون من الله للكرازة يتوقف إلى حد كبير على الكيفية التي بها يشرعون في خدماتهم . وإن الذين قد اختارهم الله لعمل الخدمة سيقدمون البرهان على دعوتهم العليا وبكل وسيلة ممكنة سيحاولون أن يصيروا عمالاً مقتدرين ، وسيجتهدون للحصول على اختبار يؤهلهم لأن يرسموا الخطط وينظموها وينفذوها . وإذ يقدرون قدسية دعوتهم فبتدريبهم لأنفسهم يصيرون أقرب شبهاً لسيدهم فيُظهرون جوده ومحبته وحقه . وإذ يظهرون الغيرة في استخدام الوزنات المسلمة لهم استخداماً حسناً وصائباً فعلى الكنيسة أن تساعدهم بفطنة .

ولكن ليس كل من يحسون بأنهم مدعوون للكرازة يجب تشجيعهم على أن يقحموا أنفسهم وعائلاتهم في الحال على الكنيسة لإعالتهم بالمال إعالة دائمة . وهنالك خطر من أن بعض ذوي الاختبار المحدود يفسدهم التزلف والمداهنة وعن طريق التشجيع غير الحكيم ينتظرون الإعالة الكاملة بغض النظر عن أي

مجهود جدي من جانبهم . إن الأموال المكرسة لنشر عمل الله ينبغي ألا ينفقها الراغبون في الكرازة لمجرد حصولهم على الإعالة ، وبذلك يشبعون طموحهم الأناني لتوفير حياة هنية ناعمة لأنفسهم .

فالشبان الذين يرغبون في تدريب مواهبهم على عمل الخدمة سيجدون درساً نافعاً في مثال بولس حين كان في تسالونيكي وكورنثوس وأفسس وأماكن أخرى . فمع أنه كان خطيباً فصيحاً ومختاراً من الله للقيام بعمل خاص ، فهو لم يترفّع قط عن الشغل ولم يكل عن التضحية في سبيل عمل الكرازة الذي أحبه . وقد كتب إلى أهل كورنثوس يقول : «إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ ، وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا . نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ . نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ» (١كورنثوس ٤: ١١،١٢) .

مع أن بولس كان من أقدر المعلمين فقد زاول أحقر الواجبات بكل سرور كما زاول أشرفها وأكرمها . فعندما كان في خدمة السيد واضطرته الظروف عكف بكل سرور على مزاولة مهنته . ومع ذلك فقد كان مستعداً أبداً لأن يلقي بعمله الدنيوى جانباً لكي يواجه مقاومة أعداء الإنجيل ، أو ليستفيد من فرصة خاصة ليربح نفوساً ليسوع . إن غيرته وتعبه هما توبيخ للكسل وحب الراحة .

وقد دحض بولس بمثاله الرأي الذي شاع ووجد قبولاً من الكنيسة حينذاك ، ومؤدّاه أن الإنجيل لا يمكن إذاعته بنجاح إلا بواسطة أولئك الذين يتحررون تماماً من لزوم القيام بعمل جسماني . وقد قدم نفسه مثالاً عملياً لما كان يمكن للرجال العلمانيين المكرسين أن يعملوه في أماكن كثيرة حيث لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن حقائق الإنجيل . وقد ألهم مثاله كثيرين من العمال الوضعاء برغبة صادقة كي يعملوا ما يستطيعون عمله لتقدم عمل الله ، بينما هم في نفس الوقت يعولون أنفسهم في عملهم اليومى . إن أكيلا

وبريسكلا لم يدعيا لإعطاء كل وقتهما لخدمة الإنجيل ومع ذلك فإن هذين العاملين المتواضعين استخدمهما الله في إرشاد بولس إلى طريق الحق بكيفية أكمل . إن الرب يستخدم وسائل متنوعة لإتمام مقاصده ، وفي حين أن البعض من ذوي المواهب الخاصة يُختارون لتكريس كل قوى نشاطهم لعمل التعليم والكرازة بالإنجيل ، فإن كثيرين ممن لم توضع عليهم أيد بشرية لرسامتهم ، يُدعون لتمثيل دور كبير في ربح النفوس .

يوجد حقل واسع مفتوح أمام خدام الإنجيل الذين يعولون أنفسهم . ويمكن لكثيرين أن يحصلوا على اختبارات ثمينة في الخدمة عندما يقضون شطراً من وقتهم وهم يكدون في عمل يدوي ، وبهذه الوسيلة يمكن تنشئة عمال أقوياء لخدمة هامة في بعض الحقول المحتاجة .

إن خادم الله المضحي بنفسه الذي يتعب ويخدم بلا كلل في الكلمة والتعليم ، يحمل على قلبه عبئاً ثقيلاً . إنه لا يقيس عمله بالساعات . وأجره لا يؤثر عليه وهو يقوم بعمله ، كلا ولا يتخلى عن واجبه بسبب الظروف غير المواتية . لقد حصل على تفويض بالخدمة من السماء . وإلى السماء هو ينظر في انتظار الجزاء متى أنجز العمل الموكل إليه .

هذا وإن غرض الله أن مثل هؤلاء الخدام يتحررون من كل جزع لا لزوم له لكي تكون لديهم الفرصة الكافية لإطاعة وصية بولس لتيموثاوس القائلة : «لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ» (١تيموثاوس ٤: ١٦) . ففي حين يجب عليهم أن يحرصوا على التدريب الكافي لحفظ عقولهم وأجسامهم في حالة النشاط ، ولكن كونهم يلتزمون بأن يقضوا جانباً كبيراً من وقتهم في مزاولة عمل دنيوي ، فهذه ليست خطة الله .

هؤلاء الخدام الأمناء مع أنهم مستعدون لأن ينفقوا ويُنفَقوا لأجل الإنجيل فإنهم لا يعفون من التجربة . فإذ تظهر في طريقهم العراقيل ويضغط عليهم الجزع بسبب عجز الكنيسة عن إعالتهم الإعالة المالية الكافية ، فإن البعض يهاجمهم المجرب هجوماً عنيفاً . فعندما لا يجدون من الناس تقديراً لخدماتهم يكتئبون . نعم إنهم يتطلعون إلى الأمام ، إلى وقت الدينونة كي ينالوا جزاءهم العادل ، وهذا يبهجهم ويسند قلوبهم . ولكن في الوقت الراهن تحتاج عائلاتهم إلى الطعام والكساء . ولو أحسوا بأنهم قد أُعتقوا من خدمتهم الإلهية لكانوا بكل سرور يعملون بأيديهم لإعالة أنفسهم وذويهم . ولكنهم متحققون من أن وقتهم هو لله بالرغم من قصر نظر أولئك الذين ينبغي أن يقدموا لهم النفقات الكافية . إنهم يرتفعون فوق التجربة التي تغويهم على مزاولة صناعة أو مهنة تنجيهم من العوز والاحتياج ، ويواصلون العمل لتقدم ملكوت الله الذي هو أغلى في نظرهم من الحياة نفسها . فلكي يفعلوا هذا قد يضطرون مع ذلك لاتباع مثال بولس فيشتغلون في عمل يدوي بعض الوقت وهم في نفس الوقت يسيرون بخدمة الكرازة إلى الأمام . وهم يفعلون هذا لا لإنجاح مصالحهم بل مصالح ملكوت الله على الأرض .

قد تأتي على خادم الله ظروف يبدو فيها من المستحيل عليه القيام بالعمل المسند إليه بسبب نقص الموارد لإنجاز عمل قوي ثابت . والبعض يخشون من أن الموارد والتسهيلات التي بين أيديهم لن تمكنهم من عمل كل ما يحسون أنه واجب عليهم .

ولكنهم إذا تقدموا بإيمان فإن خلاص الله يُعلن وستكلل جهودهم بالنجاح والرخاء . فذاك الذي أمر تابعيه بأن يذهبوا إلى أقصى الأرض ، لا بد سيعول كل خادم يحاول أن يكرز بالإنجيل امتثالاً لهذا الأمر .

إن الرب وهو يبني عمله ، لا يجعل كل شيء واضحاً دائماً أمام خدامه . فهو أحيانا يمتحن ثقة شعبه بكونه يدخلهم في ظروف ترغمهم على التقدم إلى الأمام بإيمان . وأحياناً كثيرة يأتي بهم إلى مواضع شاقة وعسيرة ويأمرهم بالتقدم ، في حين يبدو كأن أرجلهم ستلامس مياه الأردن . وفي مثل تلك الظروف ، عندما تصعد صلوات خدام الله إليه في إيمان حار ، يشق الطريق أمامهم ويخرجهم إلى الرحب .

وعندما يتحقق رسل لله من مسئوليتهم نحو الأماكن المحتاجة من كرم الرب ، وبروح الخادم الأعظم يخدمون بلا كلل لأجل هداية النفوس ، فان ملائكة السماء يمهدون الطريق أمامهم وتتوفر الوسائل اللازمة للتقدم بالعمل . والذين قد استنيروا سيقدمون من أموالهم بسخاء لتعضيد العمل الذي يُعمل لأجلهم . وسيستجيبون بسخاء لكل نداء في طلب العون ، وسيرف روح الله على قلوبهم ليعضدوا عمل الرب ليس فقط في الوطن بل في الأقاليم البعيدة . وهكذا تتشدد القوات العاملة في الأماكن الأخرى ، ويتقدم عمل الله بطريقته المرسومة .

الفصل الرابع والثلاثون

خدمة مُكرَّسة

إن المسيح بحياته وتعاليمه قدم مثالاً كاملاً رائعاً للخدمة المنكرة لذاتها التي تستمد كيانها من الله . إن الله لا يعيش لذاته . فبخلقه للعالم وعنايته بكل ما فيه يخدم سواه بلا انقطاع : «يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» (متى ٥: ٤٥) . فهذا المثل الأعلى للخدمة سلمه الآب لابنه . لقد أُعطي يسوع أن يقف رأساً للبشرية ، معلماً الناس بمثاله معنى الخدمة . فقد خدم الجميع وساعد الكل .

حاول المسيح مراراً وتكراراً أن يقرّر ويثبّت هذا المبدأ في أذهان تلاميذه . فعندما تقدم يعقوب ويوحنا إليه بطلبهما أن تكون لهما الأفضلية على الباقين قال : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا ، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠: ٢٦ – ٢٨) .

ومنذ صعد المسيح وهو يواصل عمله على الأرض بواسطة سفراء مختارين يخاطب عن طريقهم بني الإنسان ويخدم حاجاتهم . إن رأس الكنيسة الأعظم يدير عمله ويوجّهه بواسطة رجال أقامهم الله ليكونوا نواباً عنه .

إن مركز أولئك الذي قد دعاهم الله ليخدموا في الكلمة والتعليم لأجل بناء كنيسته هو مركز ذو مسؤولية خطيرة . إنهم يطلبون إلى الناس عن المسيح ، الرجال منهم والنساء ، كي يتصالحوا مع الله . وهم يستطيعون إتمام عملهم ورسالتهم فقط على قدر ما تُعطى لهم حكمة وقوة من العلاء .

إن خدام المسيح هم الحراس الأوصياء الروحيون على الشعب المسلّمين إلى رعايتهم . وعملهم مشبه بعمل الرقباء . ففي العصور القديمة كان الحراس كثيراً ما يقفون على أسوار المدن حيث كانوا من أماكنهم العالية يشرفون على الأماكن الهامة المحتاجة إلى حراسة ويقدّمون الإنذار عند قدوم العدو . فكانت سلامة كل سكان المدينة متوقفة على أمانة أولئك الحراس . وكان مطلوباً إليهم في فترات مقررة أن ينادي أحدهم الآخر للتحقق من أنهم جميعاً مستيقظون وأن أحداً منهم لم يلحقه ضرر . وقد كانت صيحة التحية الفرحة أو الإنذار تنتقل من حارس إلى آخر وكل منهم يكرر النداء إلى أن يرن صداه في كل أنحاء المدينة .

والرب يعلن لكل خادم قائلاً : «يَا ابْنَ آدَمَ ، فَقَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيبًا لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ ، فَتَسْمَعُ الْكَلاَمَ مِنْ فَمِي ، وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ قِبَلِي . إِذَا قُلْتُ لِلشِّرِّيرِ: يَا شِرِّيرُ مَوْتًا تَمُوتُ . فَإِنْ لَمْ تَتَكَلَّمْ لِتُحَذِّرَ الشِّرِّيرَ مِنْ طَرِيقِهِ ، فَذلِكَ الشِّرِّيرُ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ ، أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ . وَإِنْ حَذَّرْتَ الشِّرِّيرَ مِنْ طَرِيقِهِ لِيَرْجِعَ عَنْهُ ... فَقَدْ خَلَّصْتَ نَفْسَكَ» (حزقيال ٣٣: ٧-٩) .

إن كلام النبي يعلن عن المسؤولية الخطرة التي في أعناق أولئك المعينين حراساً لكنيسة الله ووكلاء سرائره . عليهم أن يقفوا حراساً على أسوار صهيون وأن يطلقوا صيحة الإنذار عند اقتراب العدو . إن النفوس هي في خطر الوقوع في التجربة وهي ستهلك ما لم يكن خدام الله أمناء لودائعهم . فإذا كانت حواسهم

الروحية تتخدر لأى سبب بحيث تمسي عاجزة عن تمييز الخطر وبسبب هذا الإخفاق في تقديم الإنذار تهلك النفوس فالله سيطلب من أيديهم دم أولئك الهالكين .

إنه من امتيازات الحراس على أسوار صهيون كونهم يعيشون بالقرب من الله وكونهم يصيرون حساسين لتأثيرات روحه إلى حد أنه يمكنه أن يعمل بواسطتهم ليخبروا الرجال والنساء بخطرهم ويرشدوهم إلى مكان النجاة . عليهم بكل أمانة أن ينذروهم بنتائج عصيانهم الأكيدة ، وعليهم بكل أمانة أن يسهروا على مصالح الكنيسة . وينبغي ألا يتراخوا عن السهر في أية ساعة . إن عملهم يتطلب تدريب كل قوى كيانهم . عليهم أن يرفعوا أصواتهم بالإنذار كصوت البوق الواضح النغمات ، وينبغي ألا ينفخوا في البوق نغمة التردد وعدم الوضوح . عليهم أن يعملوا لا لأجل الأجر بل لأنه لا يمكنهم أن يفعلوا غير هذا ولأنهم متحققون من أن الويل يستقر عليهم إذا لم يكرزوا بالإنجيل . وحيث أنهم مختارون من الله وقد ختموا بدم التكريس فعليهم أن ينقذوا الرجال والنساء من الهلاك الذي يتهددهم .

إن الخادم العامل مع المسيح لا بد أن يكون عنده إحساس عميق بقدسية عمله ، والتعب والتضحية المطلوبين منه لإنجازه بنجاح . إنه لا يهتم براحته أو استقراره . إنه ينسى نفسه . وفي بحثه عن الخروف الضال لا يتحقق من أنه قد تعب أو يحس بالبرد أو الجوع . إن أمامه هدفاً واحداً– ألا وهو إنقاذ الهالكين .

إن من يخدم تحت راية عمانوئيل المغموسة بالدم سيلتزم بأن يعمل ما يتطلب جهوداً بطولية وصبراً واحتمالاً . ولكن جندي الصليب يقف غير خائف ولا وجل في جبهة القتال . وإذ يشدد العدو عليه الهجوم فهو يتجه إلى الحصن في طلب العون وإذ يقدم للرب مواعيد الكلمة يتقوى لأداء واجبات الساعة . إنه متحقق من حاجاته إلى قوة من الأعالي . والانتصارات التي يحرزها لا تسوقه إلى تمجيد

الذات بل تجعله يستند بكل قوته على القدير . فإذ يصمد على تلك القوة فذلك يعينه على تقديم رسالة الخلاص بكل قوة بحيث تهتز أمامها كل العقول .

إن من يعلّم بالكلمة عليه أن يعيش هو نفسه في شركة يقظة مع الله في كل ساعة بالصلاة ودرس كلمته لأن في ذلك نبع قوته . إن الشركة مع الله تضفي على جهود الخادم قوة أعظم من تأثير كرازته وعليه ألا يسمح لنفسه بالحرمان من هذه القوة . فبغيرة تأبى الرفض عليه أن يتوسل إلى الله ليقويه ويحصنه لأداء الواجب واحتمال التجربة ويلمس شفتيه بجمرة حية . إن تمسك سفراء المسيح بالحقائق الأبدية ضعيف جداً في الغالب . فإذا سار الناس مع الله فهو سيخفيهم في شق من الصخرة . وإذ يستترون هكذا يمكنهم أن يروا الله كما قد رآه موسى . وبالقوة والنور اللذين يمنحهما يمكنهم أن يدركوا وينجزوا أكثر مما كانت حكمتهم المحدودة تظنه ممكناً .

إن دهاء الشيطان يستخدم بنجاح أكبر ضد المتضايقين المحزونين . فعندما يحدق الفشل وتثبيط الهمة بالخادم فليبسط أمام الرب احتياجاته . إن بولس عندما ابتدأ في عمله كانت السماء من فوقه نحاساً ومع ذلك فقد اتكل على الله اتكالاً كاملاً . لقد عرف أكثر من جميع الناس معنى المحن والتجارب . ولكن أصغوا إلى صيحة الانتصار التي نطق بها وهو مكتنف بالتجارب والمقاومة ورجلاه تسيران في طريق السماء : «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا . وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى ، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى» (٢كورنثوس ٤: ١٧،١٨) . كانت عينا بولس مثبتتين دائماً في الأشياء غير المنظورة والأبدية . وإذ كان عالماً أنه إنما يحارب قوات فوق طاقة البشر ، استند على الله ، وفي هذا كانت قوته . فإذ تنظر النفس إلى الرب غير المنظور تنال قوة ونشاطاً وتنسحق قوة الأرض ولا يعود لها سلطان على العقل أو الخلق .

وعلى الخادم أن يندمج بحرية بين أفراد الشعب الذين يخدمهم ، حتى إذ يتعرف بهم يمكنه تطبيق تعاليمه على حاجاتهم . فبعدما يقدم الخادم عظة ، يكون قد استهل عمله فقط . فهنالك عمل فردي يجب أن يقوم به . عليه أن يزور الناس في بيوتهم ويتحدث ويصلي معهم بغيرة ووداعة . توجد عائلات لا يمكن الوصول إليها عن طريق حقائق كلمة الله ما لم يدخل بيوتهم وكلاء نعمته ويرشدوهم إلى طريق أسمى . ولكن قلوب أولئك القائمين بهذا العمل ينبغي أن تكون متحدة بقلب المسيح وتخفق بحبه .

يوجد كثير من المعاني السامية مشتملا في الأمر القائل : «اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي» (لوقا ١٤: ٢٣) . ليعلم الخدام الحق في العائلات إذ يقتربون ممن يخدمونهم ، وإذ يتعاونون هكذا مع الله فسيلبسهم قوة روحية . والمسيح سيرشدهم في عملهم معطياً إياهم كلاما ينطقون به فيتغلغل في أعماق قلوب السامعين . إنه من أعظم امتيازات كل خادم أن يكون قادراً أن يقول مع بولس : «لَمْ أُؤَخِّرْ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِكُلِّ مَشُورَةِ الله» ، «لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوَائِدِ إِلاَّ وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ ... بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أعمال ٢٠: ٢٧،٢٠،٢١) .

كان المخلص يذهب من بيت إلى بيت شافياً المرضى معزياً النائحين مخففاً آلام المتألمين المتضايقين ، متكلما بالسلام للمحزونين . لقد احتضن الأولاد وباركهم ، وكلم الأمهات المتعبات بكلام الرجاء والعزاء . وبرقة ولطف لا يكلان واجه كل أشكال الشقاء وآلام البشرية . إنه لم يخدم نفسه بل خدم الآخرين . كان خادما للجميع . وطعامه وارتواؤه كانا في جلب الرجاء والقوة لكل من اتصل بهم . وإذ كان الرجال والنساء يصغون إلى الحقائق التي كانت تنطبق بها شفتاه والتي كانت تختلف اختلافاً بيناً عن التقاليد والعقائد التي كان

يعلم بها معلمو اليهود ، انبثق الرجاء في قلوبهم . كانت أقواله مصحوبة بغيرة كبيرة جعلت كلامه يصل إلى القلوب بقوة إقناع وتبكيت عظيمة .

وعلى خدام الله أن يتعلموا من المسيح طريقة الخدمة لكي يمكنهم أن يستخرجوا من كنوز كلمته ما يلبي الحاجة الروحية لمن يخدمونهم . وبهذه الكيفية وحدها يمكنهم أن يتمموا عهودهم . فنفس الروح الذي كان ساكناً في المسيح وهو يقدم للناس التعاليم التي كان يتلقاها على الدوام ، ينبغي أن يكون نبع معرفتهم وسرقوتهم في الاضطلاع بعمل المخلص في العالم .

إن بعض من تعبوا في الخدمة أخفقوا في الظفر بالنجاح لأنهم له يهتموا بعمل الرب اهتماماً كاملاً . على الخدام ألا يسمحوا لأي اهتمامات أن تحتل تفكيرهم أو تشغل قواهم غير عملهم العظيم ، وهو إرشاد النفوس إلى المخلص . إن الصيادين الذين دعاهم المسيح ، للوقت تركوا شباكهم وتبعوه . إن الخدام لا يمكنهم أن يقوموا بعمل مقبول لدى الله وفي نفس الوقت يحملون عبء مشاريع تجارية عظيمة خاصة بهم . مثل هذا الانقسام في الاهتمام يعمي بصيرتهم الروحية . فالعقل والقلب ينشغلان بالأرضيات ، أما خدمة المسيح فيبقى مركزها ثانوياً . إنهم يحاولون أن يكيفوا خدمتهم لله حسب مقتضيات ظروفهم ، بدلاً من أن يكيفوا الظروف لإتمام مطاليب الله .

إن كل قوى الخادم مطلوبة للقيام بدعوته العليا . فأفضل قواه هي لله ، عليه ألا يشتغل في المنافسات التجارية أو في أي عمل آخر يجعله يحيد عن عمله العظيم . وقد أعلن بولس قائلاً : «لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ» (٢تيموثاوس ٢: ٤) . وهكذا أكد الرسول حاجة الخادم إلى تكريس غير مجزأ وفي غير تحفظ في خدمة السيد . فالخادم المكرس لله بالتمام يرفض الاشتغال في عمل يعطله عن تكريس نفسه بالتمام لدعوته المقدسة . إنه لا يسعى

في طلب الكرامة أو الغنى الدنيوي ولكن غرضه الأوحد هو أن يخبر الآخرين عن المخلص الذي بذل نفسه ليقدم لبني الإنسان غنى الحياة الأبدية . وإن أسمى غاياته ليست أن يكنز لنفسه كنوزاً في هذا العالم بل أن يوجه انتباه العديمي الاكتراث والعديمي الإخلاص إلى الحقائق الأبدية . قد يطلب منه أن يشتغل ويشترك في مشاريع تضمن أرباحاً عظيمة ، ولكنه يجيب على هذه المغريات بقوله: «مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ ؟» (مرقس ٨: ٣٦) .

لقد عرض الشيطان هذا الاغراء أمام المسيح عالِماً أنه لو قبله فلن يُفتدى العالم . وهو يقدم هذه التجربة نفسها لخدام الله تحت أشكال مختلفة في هذه الأيام عالماً أن من ينخدعون بها لن يكونوا أمناء على الأمانة التي بين أيديهم .

إن الله لا يريد أن يطلب من خدامه الغنى . وقد كتب بولس إلى تيموثاوس بهذا الصدد يقول : «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللهِ فَاهْرُبْ مِنْ هذَا ، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ» . وعلى سفير المسيح بمثاله وتعاليمه أن «يوصي الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا ، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى ، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ . وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحًا ، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَال صَالِحَةٍ ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ ، كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاسًا حَسَنًا لِلْمُسْتَقْبَلِ ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (١تيموثاوس ٦: ١٠،١١،١٧ – ١٩) .

إن اختبار بولس الرسول وتعليمه بخصوص قدسية عمل الخادم هما نبع عون وإلهام للعاملين في خدمة الإنجيل . كان قلب بولس يضطرم بالمحبة للخطاة ولذلك بذل كل قواه وجهده في عمل ربح النفوس . فلم يوجد خادم أكثر إنكاراً

للذات ومواظبة على عمله من بولس . والبركات التي حصل عليها قدرها على أنها امتيازات يمكن استخدامها في إسعاد الآخرين . ولم يضيع فرصة للتحدث عن مخلصه أو مساعدة المتضايقين . كان يذهب من مكان إلى مكان كارزاً بإنجيل المسيح ومؤسساً للكنائس . وأينما وجد مستمعين اجتهد في صد الشر وإيقافه عند حده وتوجيه أقدام الرجال والنساء في طريق البر .

ولم ينس بولس الكنائس التي أقامها . فبعد القيام بجولة كرازية عاد هو وبرنابا يزوران الكنائس التي قد أسساها ، ويختاران من بين أعضائها رجالاً يستطيعان تدريبهم للاشتراك معهما في الكرازة بالإنجيل .

هذه الصفة المميزة لعمل بولس تشتمل على درس هام يحتاج خدام اليوم أن يتعلموه . فلقد جعل الرسول تهذيب الشباب للخدمة جزءاً من خدمته . كان يصطحبهم معه في سفراته الكرازية وهكذا حصلوا على اختبار أعانهم فيما بعد كي يشغلوا مراكز ذات مسؤولية . وبعدما كان يفترق عنهم كان يظل على اتصال بعملهم ، وكانت رسائله إلى تيموثاوس وتيطس برهاناً على مقدار شوقه لنجاحهما .

إن الخدام المحنكين اليوم يقومون بعمل نبيل عندما يدربون خداماً من الشباب ويضعون المسؤولية على كواهلهم بدلاً من أن يحملوا كل الأعباء على أنفسهم .

ولم ينس بولس قط المسؤولية الموضوعة عليه كخادم للمسيح ، كما لم ينس أنه لو هلكت النفوس بسبب عدم أمانته فالله سيعتبره مسئولاً . فقد أعلن عن الكنيسة يقول : «الَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهَا ، حَسَبَ تَدْبِيرِ اللهِ الْمُعْطَى لِي لأَجْلِكُمْ ، لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ اللهِ . السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ ، لكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ ، الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي

الأُمَمِ ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ . الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ . الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا ، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ» (كولوسى ١: ٢٥ – ٢٩) .

هذه الأقوال تضع أمام من يخدم المسيح هدفاً عالياً ، ومع ذلك فكل من يضعون أنفسهم تحت سيادة المعلم العظيم ويتعلمون في مدرسة المسيح سيصلون إلى هذا الهدف . إن القوة التي تحت تصرف الله غير محدودة ، والخادم الذي في حاجته العظمى يختلي بالرب يمكنه أن يتحقق من أنه سيحصل منه على ما سيكون رائحة حياة لحياة بالنسبة للسامعين .

ثم أن رسائل بولس ترينا أن خادم الإنجيل ينبغي أن يقدم نفسه مثالاً للتعاليم والحقائق التي يعلم بها . فها هو يقول : «وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةُ» . أما عن عمله فقد قدم لنا صورة في رسالته إلى مؤمني كورنثوس يقول : «فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ ،فِي شَدَائِدَ ،فِي ضَرُورَاتٍ ،فِي ضِيقَاتٍ ، فِي ضَرَبَاتٍ ، فِي سُجُونٍ ، فِي اضْطِرَابَاتٍ ، فِي أَتْعَابٍ ، فِي أَسْهَارٍ ، فِي أَصْوَامٍ ، فِي طَهَارَةٍ ، فِي عِلْمٍ ، فِي أَنَاةٍ ، فِي لُطْفٍ ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ ، فِي مَحَبَّةٍ بِلاَ رِيَاءٍ ، فِي كَلاَمِ الْحَقِّ ، فِي قُوَّةِ اللهِ بِسِلاَحِ الْبِرِّ لِلْيَمِينِ وَلِلْيَسَارِ . بِمَجْدٍ وَهَوَانٍ ، بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ . كَمُضِلِّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ ، كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ ، كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا ، كَمُؤَدَّبِينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ ، كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ» (٢كورنثوس ٦: ٣،٤ – ١٠) .

وقد كتب إلى تيطس يقول : «كَذلِكَ عِظِ الأَحْدَاثَ أَنْ يَكُونُوا مُتَعَقِّلِينَ ، مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ ، وَمُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً ، وَوَقَارًا ،

وَإِخْلاَصًا ، وَكَلاَمًا صَحِيحًا غَيْرَ مَلُومٍ ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنْكُمْ» (تيطس ٢: ٦ – ٨) .

ليس أثمن في نظر الله من خدامه الذين يخرجون إلى قفار الأرض ليبذروا بذار الحق منتظرين وقت الحصاد . وليس غير المسيح أن يقدر مقدار جزع خدامه وهم يطلبون الهالكين . إنه يمنحهم روحه وبفضل جهودهم ترجع النفوس من الخطية إلى البر .

إن الله يطلب رجالا يكونون مستعدين لترك مزارعهم وتجارتهم وحتى عائلاتهم إذا اقتضت الضرورة ، ليصيروا رسلاً له . وستجاب الدعوة . في الماضى وجد رجال ، إذ حركتهم محبة المسيح وحاجات الهالكين ، تركوا تنعمات الوطن وعشرة الأصدقاء وحتى الزوجة والأولاد ليذهبوا إلى بلدان بعيدة بين عابدي الأوثان والمتوحشين ليعلنوا رسالة الرحمة . وكثيرون منهم وهم يقومون بهذه المحاولة فقدوا حياتهم ، ولكن أقيم آخرون ليتمموا العمل . وهكذا تقدم عمل المسيح خطوة فخطوة . والبذار الذي زرع في حزن أنتج حصاداً وفيراً . فقد انتشرت معرفة الله ورفعت راية الصليب في البلدان الوثنية .

إن الخادم عليه أن يبذل أقصى جهده ويستخدم كل موارده في سبيل هداية خاطئ واحد . فالنفس التي خلقها الله وافتداها المسيح غالية القيمة بسبب الامكانيات التي أمامها ، والميزات الروحية الممنوحة لها ، والقدرة التي يمكنها امتلاكها لو أحيتها كلمة الله ، والخلود الذي يمكنها امتلاكه بالرجاء المقدم في الإنجيل . فإذا كان المسيح قد ترك التسعة والتسعين لكي يطلب ويخلص خروفاً واحداً ضالاً ، فهل نتبرر لو عملنا أقل من ذلك ؟ أو ليس إهمالنا للخدمة كما كان المسيح يخدم ، والإقدام على التضحية كما كان هو يضحي ، خيانة للودائع المقدسة وإهانة لله ؟

إن قلب كل خادم أمين ممتلئ بشوق عظيم لتخليص النفوس . فهو ينفق وقتـــه وقوته ولا يستعفي من بذل الجهود المضنية كي يسمع الآخرون الحقـــائق التـــي جلبت لنفسه مثل تلك الغبطة وذلك السلام والفرح . فروح المسيح مستقر عليــه . أنه يسهر على النفوس كأنه مزمع أن يقدم عنها حساباً . فإذ يثبت عينيـــه علـــى صليب الجلجثة ، ويرى المخلص المرفوع ، ويعتمد على نعمته واثقاً مـــن أنـــه سيكون معه إلى النهاية باعتباره ترسه وقوته وكفايته ، فإنه عندئـــذ يخـــدم الله . فبدعواته وتوسلاته الممتزجة بتأكيدات محبة الله ، يحاول أن يربح نفوساً ليســوع وفي السماء يُحصى بين أولئك الذين هم «مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَـــارُونَ وَمُؤْمِنُـــونَ» (رؤيا ١٧: ١٤) .

الفصل الخامس والثلاثون

الخلاص لليهود

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الرسالة إلى أهل رومية) .

بعد تأخير لم يكن ممكناً تجنبه وصل بولس أخيراً إلى كورنثوس ، تلك المدينة التي كانت مسرحاً لعمل كثير نشط في الماضي كما كانت موضوع جزع عميق لبعض الوقت . وقد وجد أن كثيرين من المؤمنين الأولين يكنون له عواطف المحبة باعتباره أول من حمل إليهم نور الإنجيل ، فإذا سلم على هؤلاء التلاميذ ورأى براهين ولائهم وغيرتهم فرح لأن عمله في كورنثوس لم يكن عبثاً .

إن مؤمني كورنثوس ، الذين كانوا قبلاً معرضين لأن يتناسوا دعوتهم العليا في المسيح ، نموا في قوة الخلق المسيحي . وقد أظهرت أقوالهم وأعمالهم قوة نعمة الله المغيرة فصاروا الآن قوة عظيمة للخير في وسط معقل الوثنية والخرافات ذاك . لقد وجدت روح هذا الرسول المتعبة والمنزعجة راحة في صحبة رفاقه المحبوبين وهؤلاء المهتدين الأمناء .

وجد بولس في أثناء إقامته في كورنثوس متسعاً من الوقت ليتطلع إلى الأمام إلى حقول خدمة جديدة أكثر اتساعاً . ثم أن سفرته التي كان مزمعاً أن يقوم بها إلى روما شغلت أفكاره بطريقة خاصة . فقد كان من أعز أمانيه وأحب خططه

أن يرى الإيمان المسيحى ثابتاً وموطد الأركان في ذلك المركز العظيم مركز العالم المعروف . وكانت قد أقيمت في روما كنيسة وكان الرسول يتوق إلى الظفر بمعاونة المؤمنين هناك في العمل الذي أراد إنجازه في ايطاليا وفي بلاد أخرى . ولكي يعد الطريق لخدماته بين أولئك القوم الذين كان كثيرون منهم غير معروفين له ، أرسل إليهم رسالة معلنة عن عزمه على زيارة روما وأمله في أن يرفع الصليب في أسبانيا .

وفي رسالته إلى أهل رومية بسط بولس حقائق الإنجيل العظيمة . وقد حدد موقفه بالنسبة إلى المشاكل التي كانت مثيرة لكنائس اليهود وكنائس الأمم ، وأراهم أن الآمال والمواعيد التي كانت قبلاً وقفاً على اليهود وحدهم قدمت الآن إلى الأمم أيضاً .

وبوضوح وقوة عظيمين قدم الرسول تعليم التبرير بالإيمان بالمسيح . وكان يرجو أن تستفيد الكنائس الأخرى من التعاليم التي أرسلها إلى مسيحي روما . ولكن ما كان أقصر باعه عن أن يرى مقدماً تأثير أقواله البعيدة المدى ، فعلى مدى العصور وقف ذلك الحق العظيم حق التبرير بالإيمان كمنارة عظيمة لإرشاد الخطاة التائبين في طريق الحياة . هذا هو النور الذي بدد الظلمة التي اكتنفت عقل لوثر وكشفت له عن قوة دم المسيح للتطهير من الخطية . ونفس هذا النور أرشد آلافاً من النفوس المثقلة بأحمال الخطايا إلى النبع الحقيقي للغفران والسلام . إن كل مسيحي يجد سبباً يشكر لأجله الله على الرسالة المرسلة إلى كنيسة رومية .

وفي هذه الرسالة عبر بولس تعبيراً صريحاً عن شعوره بالمسؤولية نحو اليهود . فمنذ يوم اهتدائه كان يتوق لمساعدة إخوته اليهود للحصول على إدراك صحيح واضح لرسالة الإنجيل . فقد أعلن قائلاً : «إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ» (رومية ١٠: ١) .

ولم تكن تلك رغبة طارئة ولا كان ذلك الشوق الذي أحس به شوقاً عادياً . فكان على الدوام يتوسل إلى الله كي يعمل لأجل الإسرائيليين الذين قد أخفقوا في معرفة شخصية يسوع الناصري باعتباره المسيا الموعود به . فقد أكد لمؤمني رومية قائلاً : «أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ ، لاَ أَكْذِبُ ، وَضَمِيرِي شَاهِدٌ لِي بِالرُّوحِ الْقُدُسِ إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجَعًا فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ . فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ ، الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ ، وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ ، وَلَهُمُ الآبَاءُ ، وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ . آمِينَ» (رومية ٩: ١ – ٥) .

كان اليهود شعب الله المختار الذين كان يقصد أن يبارك بهم الجنس البشري كله . وأقام الله من بينهم أنبياء كثيرين أنبأوا عن مجيء الفادي الذي كان مزمعاً أن يرفض ويقتل بأيدي أولئك الذين وجب أن يكونوا أول من يتعرفون به بوصفه السيد الموعود به .

وإذ تطلع النبي إشعياء عبر العصور وشاهد بنى أمته يرفضون نبياً بعد نبي وأخيرا يرفضون ابن الله ، أُلهم بأن يكتب عن قبول الفادي من قبل أولئك الذين لم يسبق لهم قط أن حسبوا ضمن بنى إسرائيل . وإذ يشير بولس إلى هذه النبوة يعلن قائلاً : «ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي ، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ : طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ» (رومية ١٠: ٢٠،٢١) .

وحتى مع أن إسرائيل قد رفضوا الابن فالله لم يرفضهم . اصغوا إلى ما يقوله بولس وهو يستطرد في تقديم حجته فيقول : «فَأَقُولُ أَلَعَلَّ اللهَ رَفَضَ شَعْبَهُ ؟ حَاشَا لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ . لَمْ يَرْفُضِ اللهُ شَعْبَهُ

الَّذي سَبَقَ فَعرَفَهُ . أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ فِي إِيلِيَّا ؟ كَيْفَ يَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً : يَارَبُّ ، قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ ، وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي ، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي . لكِنْ مَاذَا يَقُولُ لَهُ الْوَحْيُ ؟ أَبْقَيْتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ لَمْ يُحْنُوا رُكْبَةً لِبَعْلٍ . فَكَذلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضًا قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ» (رومية ١١: ١ – ٥) .

لقد عثر إسرائيل وسقطوا ولكن ذلك ليس معناه استحالة قيامهم ونهوضهم من جديد . فجواباً على السؤال القائل : «أَلَعَلَّهُمْ عَثَرُوا لِكَيْ يَسْقُطُوا ؟ يجيب الرسول قائلاً : «حَاشَا ! بَلْ بِزَلَّتِهِمْ صَارَ الْخَلاَصُ لِلأُمَمِ لإِغَارَتِهِمْ . فَإِنْ كَانَتْ زَلَّتُهُمْ غِنىً لِلْعَالَمِ ، وَنُقْصَانُهُمْ غِنىً لِلأُمَمِ ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ مِلْؤُهُمْ ؟ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ: بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَمِ أُمَجِّدُ خِدْمَتِي ، لَعَلِّي أُغِيرُ أَنْسِبَائِي وَأُخَلِّصُ أُنَاسًا مِنْهُمْ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ رَفْضُهُمْ هُوَ مُصَالَحَةَ الْعَالَمِ ، فَمَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ إِلاَّ حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ ؟» (رومية ١١: ١١ – ١٥) .

كان قصد الله أن تعلن نعمته بين الأمم كما بين الإسرائيليين . وقد أجمل هذا بوضوح في نبوات العهد القديم . والرسول يستعمل بعضاً من هذه النبوات في حجته . فهو يسأل قائلاً : «أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ ؟ فَمَاذَا ؟ إِنْ كَانَ اللهُ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ . وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ ، الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا ، لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيْضًا . كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا:«سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي ، وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً . وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ لَسْتُمْ شَعْبِي ، أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ» (رومية ٩: ٢١– ٢٦) انظر أيضاً (هوشع ١: ١٠) .

وبالرغم من إخفاق إسرائيل كأمة فقد بقيت بينهم بقية صالحة ممن كان لا بد أن يخلصوا . وفي وقت مجيء المخلص كان يوجد بعض الرجال والنساء الأمناء الذين قبلوا بفرح رسالة يوحنا المعمدان وهكذا بدأوا يدرسون من جديد النبوات الخاصة بالمسيا . وعندما تأسست الكنيسة المسيحية الأولى ، كانت مكونة من هؤلاء اليهود الأمناء الذين عرفوا يسوع الناصري باعتباره الشخص الذي كانوا ينتظرون مجيئه بشوق . فالرسول بولس يشير إلى هذه البقية حين كتب يقول : «وَإِنْ كَانَتِ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذلِكَ الْعَجِينُ ! وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذلِكَ الأَغْصَانُ» (رومية ١١: ١٦) .

إن بولس يشبّه البقية الباقية في إسرائيل بزيتونة جميلة قطعت منها بعض الأغصان . وهو يشبّه الأمم بأغصان من زيتونه برية طعمت في جذع الزيتونة الأم . فكتب إلى المؤمنين من الأمم يقول : «فَإِنْ كَانَ قَدْ قُطِعَ بَعْضُ الأَغْصَانِ ، وَأَنْتَ زَيْتُونَةٌ بَرِّيَّةٌ طُعِّمْتَ فِيهَا ، فَصِرْتَ شَرِيكًا فِي أَصْلِ الزَّيْتُونَةِ وَدَسَمِهَا ، فَلاَ تَفْتَخِرْ عَلَى الأَغْصَانِ . وَإِنِ افْتَخَرْتَ ، فَأَنْتَ لَسْتَ تَحْمِلُ الأَصْلَ ، بَلِ الأَصْلُ إِيَّاكَ يَحْمِلُ . فَسَتَقُولُ قُطِعَتِ الأَغْصَانُ لأُطَعَّمَ أَنَا . حَسَنًا . مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الإِيمَانِ قُطِعَتْ ، وَأَنْتَ بِالإِيمَانِ ثَبَتَّ . لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا . فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا ، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ ، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ» (رومية ١١: ١٧- ٢٢) .

إن إسرائيل بسبب عدم إيمانهم ورفضهم لمقاصد السماء نحوهم قد أضاعوا صلتهم بالله كأمة . ولكن الأغصان التي كانت قد فصلت من الجذع الأصلي كان الله قادراً أن يطعمها مرة أخرى في جذع إسرائيل الحقيقي- البقية التي ظلت أمينة لله إله آبائهم . وقد أعلن الرسول عن هذه الأغصان المقطوعة قائلاً :

«وَهُمْ إِنْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَدَمِ الإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ . لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُطَعِّمَهُمْ أَيْضًا» . ثم يكتب إلى الأمم قائلاً : «لأَنَّهُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ قُطِعْتَ مِنَ الزَّيْتُونَةِ الْبَرِّيَّةِ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ ، وَطُعِّمْتَ بِخِلاَفِ الطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَةٍ جَيِّدَةٍ ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُطَعَّمُ هؤُلاَءِ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ ،فِي زَيْتُونَتِهِمِ الْخَاصَّةِ ؟ فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هذَا السِّرَّ ، لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ . أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ . كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ . وَهذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ . مِنْ جِهَةِ الإِنْجِيلِ هُمْ أَعْدَاءٌ مِنْ أَجْلِكُمْ ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الاخْتِيَارِ فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ ، لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ . فَإِنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ مَرَّةً لاَ تُطِيعُونَ اللهَ ، وَلكِنِ الآنَ رُحِمْتُمْ بِعِصْيَانِ هؤُلاَءِ هكَذَا هؤُلاَءِ أَيْضًا الآنَ ، لَمْ يُطِيعُوا لِكَيْ يُرْحَمُوا هُمْ أَيْضًا بِرَحْمَتِكُمْ . لأَنَّ اللهَ أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعًا فِي الْعِصْيَانِ ، لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ .

«يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ ، لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا ؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ ؟ لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الأَشْيَاءِ . لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ . آمِينَ» (رومية ١١: ٢٣- ٣٦) .

وهكذا يرينا بولس أن الله كلي القدرة لتغيير قلوب اليهود والأمم على السواء ، ولمنح كل مؤمن بالمسيح البركات الموعود بها لإسرائيل . وهو يردد إعلان إشعياء عن شعب الله فيقول : «وَإِنْ كَانَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ ، فَالْبَقِيَّةُ سَتَخْلُصُ . لأَنَّهُ مُتَمِّمُ أَمْرٍ وَقَاضٍ بِالْبِرِّ . لأَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ أَمْرًا مَقْضِيًّا بِهِ عَلَى الأَرْضِ . وَكَمَا سَبَقَ إِشَعْيَاءُ فَقَال لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا نَسْلاً ، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ» (رو مية ٩: ٢٧ - ٢٩) .

وفي الوقت الذي فيه دمرت أورشليم وهدم الهيكل وصار خرباً ، بيع عدة آلاف من اليهود ليكونوا أرقاء في بلاد وثنية . وكحطام سفن على شاطئ صخري ، تشتتوا بين الأمم . ولمدى ثمانية عشر قرناً ظل اليهود يهيمون على وجوههم من بلد إلى بلد في كل أنحاء العالم . ولم يعط لهم في أي بلد امتياز استعادة هيبتهم كأمة . فإذ كانوا مطرودين ومهانين ومبغضين ومضطهدين من قرن إلى قرن كان ميراثهم هو الآلام .

وبرغم الدينونة الهائلة التي قضى بها على اليهود كأمة عند رفضهم ليسوع الناصري ، فقد كان يعيش من جيل إلى جيل كثيرون من الرجال والنساء اليهود النبلاء خائفو الله الذين كانوا يتألمون في صمت . لقد عزى الله قلوبهم في كربهم وحزنهم ، ونظر بعطف إلى موقفهم المخيف فسمع الصلوات الحارة الصادرة من قلوب أولئك الذين في الأمهم المبرحة ابتهلوا إليه بكل القلب سعياً في طلب الإدراك الصحيح لكلمته . وقد رأى بعض منهم في الناصري المتواضع الذي قد رفضه أجدادهم وصلبوه ، مسيح إسرائيل الحقيقي . وإذ أدركت أذهانهم فحوى النبوات المألوفة التي ظلت طويلاً محجوبة بالتقاليد والتحريف وسوء التفسير ، امتلأت قلوبهم شكراً لله على العطية التي لا يعبر عنها التي يقدمها لكل مخلوق بشري يختار قبول المسيح كمخلصه الشخصي .

وكان إشعياء يشير إلى هذه الجماعة عندما تنبأ قائلاً : «الْبَقِيَّةُ سَتَخْلُصُ» . ومنذ عهد بولس إلى عصرنا هذا ، كان الله ولا يزال يدعو اليهود والأمم بروحه القدوس . وقد أعلن بولس قائلاً : «لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ» (رومية ٢: ١١) وقد اعتبر الرسول نفسه أنه «مَدْيُونٌ لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابِرَةِ» كما لليهود (رومية ١: ١٤) ، إلا أنه لم تغب عن نظره قط الامتيازات الثابتة الصريحة التي كان يتمتع بها اليهود دون غيرهم ، «أَمَّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُمُ اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ» . وقد أعلن

الرسول عن الإنجيل «أَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ . لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ ، لإِيمَانٍ ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا» (رومية ٣: ٢؛ ١: ١٦،١٧) . إن بولس في رسالته هذه إلى أهل رومية أعلن أنه لا يستحي بإنجيل المسيح هذا الذي هو قوي وفعال في قلوب اليهود والأمم سواء بسواء .

وعندما يقدم هذا الإنجيل في ملئه إلى اليهود ، فكثيرون منهم سيقبلون المسيح كالمسيا . لا يوجد غير القليل من الخدام المسيحيين الذين يشعرون أنهم مدعوون لخدمة الشعب اليهودي . ولكن أولئك الذين طالما أغفلوا وآخرين غيرهم ستأتيهم رسالة الرحمة والرجاء في المسيح .

وعند ختام فرصة الكرازة بالإنجيل ، عندما يعمل عمل خاص لبعض هيئات الناس الذين قد أهمل شأنهم من قبل . فالله ينتظر من خدامه أن يهتموا اهتماماً خاصاً بالشعب اليهودي الذي يجدونه في كل أنحاء الأرض . وحيث أن أسفار العهد القديم مندمجة في العهد الجديد في شرح قصد الله الأزلي ، فسيكون هذا في نظر كثيرين من اليهود بمثابة فجر لخلق جديد وقيامة للنفس . وإذ يرون مسيح عهد الإنجيل كما هو مصور وموصوف في صفحات أسفار العهد القديم ، ويدركون مقدار الوضوح الذي به يشرح العهد الجديد أسفار العهد القديم ، فإن قواهم العقلية الهاجعة ستستيقظ ومن ثم يعترفون بالمسيح كمخلص العالم . وكثيرون سيقبلون المسيح بالإيمان فادياً لهم . وسيتحقق لهم هذا القول : «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا ١: ١٢) .

يوجد بين اليهود جماعة يشبهون شاول الطرسوسي إذ هم مقتدرون في الكتب وهؤلاء سيعلنون بقوة عجيبة ثبات شريعة الله . إن الله سيجعل هذا يحدث في

أيامنا هذه . فيده لم تقصر عن أن تخلص . فإذ يعمل خدامه بإيمان في خدمة من قد أهملوا واحتقروا طويلاً ، فسيعلن الله خلاصه .

« هكَذَا يَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ الرَّبُّ الَّذِي فَدَى إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ الآنَ يَخْجَلُ يَعْقُـــوبُ ، وَلَيْسَ الآنَ يَصْفَارُّ وَجْهُهُ . بَلْ عِنْدَ رُؤْيَةِ أَوْلاَدِهِ عَمَلِ يَدَيَّ فِي وَسَطِهِ يُقَدِّسُـــــونَ اسْمِي ، وَيُقَدِّسُونَ قُدُّوسَ يَعْقُوبَ ، وَيَرْهَبُونَ إِلهَ إِسْـــرَائِيلَ . وَيَعْــرِفُ الضَّـــالُّو الأَرْوَاحِ فَهْمًا ، وَيَتَعَلَّمُ الْمُتَمَرِّدُونَ تَعْلِيمًا » (إشعياء ٢٩: ٢٢ – ٢٤) .

الفصل السادس والثلاثون

ارتداد في غلاطية

(يعتمد هذا الفصل على ما جاء في الرسالة إلى أهل غلاطية) .

في أثناء وجود بولس في كورنثوس كان هنالك ما يدعو إلى الخوف الشديد من نحو بعض الكنائس التي قد أنشئت . فعن طريق تأثير المعلمين الكذبة الذين ظهروا بين مؤمني أورشليم ، بدأت الانقسامات والهرطقات والشهوانية ترسخ أقدامها بسرعة بين مؤمني غلاطية . هؤلاء المعلمون الكذبة مزجوا التقاليد اليهودية بحقائق الإنجيل . فإذ تجاهلوا حكم المجمع العام الذي انعقد في أورشليم ، ألحوا على المهتدين من الأمم بأن يحفظوا الناموس الطقسي وقد صار الموقف حرجاً ومتأزماً . والشرور التي أدخلت إلى الكنائس في غلاطية هددت بالقضاء عليها قضاء سريعاً .

وقد نفذ إلى قلب بولس جرح عميق فثارت نفسه بسبب هذا الارتداد العلني الذي حدث من الذين كان قد علّمهم بكل أمانة مبادئ الإنجيل . فللوقت كتب إلى أولئك المؤمنين المخدوعين رسالة شهَّر فيها بالنظريات الكاذبة التي قبلوها ، وبصرامة عظيمة وبخ الذين ارتدوا عن الإيمان . فبعدما حيا الغلاطيين قائلاً : «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» جعل يخاطبهم بكلمات التوبيخ الصارمة قائلا لهم :

«إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ . لَيْسَ هُوَ آخَرَ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ . وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا» (غلاطية ١: ٣،٦-٨) . لقد كانت تعاليم بولس متوافقة مع الكتب المقدسة ، وقد شهد الروح القدس لخدماته . ولذلك فقد حذر إخوته أولئك من الإصغاء إلى أي شيء يناقض الحقائق التي علمهم إياها .

وقد أمر الرسول مؤمني غلاطية أن يفكروا ويتأملوا بكل اهتمام في اختبارهم الأول في الحياة المسيحية فهتف يقول لهم : «أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا ؟ أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هذَا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ ؟ أَهكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ ؟ أَهذَا الْمِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثًا ؟ إِنْ كَانَ عَبَثًافَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ ، أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ ؟» (غلاطية ٣: ١ - ٥) .

وهكذا أوقف بولس مؤمني غلاطية كمتهمين أمام محكمة ضمائرهم ، وقام يستجوبهم وحاول أن يوقفهم عن السير في طريقهم . فإذ كان الرسول معتمداً على قدرة الله على أن يخلص ، وإذ رفض الاعتراف بتعاليم المعلمين المرتدين ، فقد حاول أن يرى أولئك المهتدين أنه قد غُرّر بهم وخُدعوا خداعاً مشيناً ، وأنهم برجوعهم إلى إيمانهم الأول بالإنجيل يمكنهم أن يحبطوا مقاصد الشيطان . وقد ثبت في موقفه إلى جانب الحق والبر . كما أعان إيمانه العظيم وثقته في الرسالة التي كان يحملها كثيرون ممن خذلهم إيمانهم في الرجوع إلى ولائهم للمخلص .

ما كان أبعد الفرق بين ما كتبه بولس إلى كنيسة كورنثوس ، وبين هذا المسلك الذي سلكه حيال أهل غلاطية ! لقد كان توبيخه لأهل كورنثوس ممتزجاً

بالحيطة والرقة ، أما توبيخه لأهل غلاطية فكان قاسياً لا يعرف الرحمة . إن الكورنثيين كانوا قد انهزموا أمام التجربة . فإذ انخدعوا بالمغالطة البارعة التي أبداها المعلمون في تقديم الضلالات في زي الحق ، فقد تحيروا وارتبكوا وذهلوا . فلكي يعلمهم التمييز بين الزائف والحقيقي فقد كان محتاجاً إلى الحذر والصبر . فلو أبدى بولس فظاظة أو تسرعاً غير حكيم لكان قد أضاع تأثيره على كثيرين ممن تاق لمساعدتهم .

أما في كنائس غلاطية فقد احتل الضلال العلني السافر مكان رسالة الإنجيل . فالمسيح الذي هو الأساس الحقيقي للإيمان نُبذ في الواقع واستبدل بالطقوس اليهودية العقيمة الميتة . وقد رأى الرسول أنه لكي ينجو المؤمنون في غلاطية من المؤثرات الخطرة المحدقة بهم كان لا بد له من أن يتخذ أقوى الإجراءات الحاسمة ويقدم إليهم أقسى الإنذارات .

ثمة درس هام ينبغي لكل خادم للمسيح أن يتعلمه ألا وهو أن يوفق بين خدماته وبين حالة الذين يقصد أن يفيدهم . فالرقة والصبر والتصميم والثبات كلها لازمة ولكن هذه يجب التدرب عليها بالتمييز والحصافة اللائقة . فالتصرف الحكيم مع الناس ذوي العقليات المختلفة وفي ظروف وأحوال مختلفة هو عمل يتطلب حكمة وتمييزاً مستنيرين ومقدسين بروح الله .

وفي رسالته إلى مؤمني غلاطية استعرض الرسول باختصار الحوادث الهامة المتصلة باهتدائه واختباره المسيحي الأول . وبهذه الوسيلة حاول أن يبرهن أنه أمكنه أن يرى ويفهم حقائق الإنجيل العظيمة عن طريق إعلان خاص لقدرة الله . وعن طريق التعليم الذي تلقاه من الله رأساً جعل بولس ينذر ويوصي أهل غلاطية بمثل تلك الكيفية الخطيرة الايجابية الجازمة . وقد كتب لا بتردد أو

شك ، بل بيقين واقتناع ثابت ومعرفة تامة . فبكل وضوح لخص الفرق بين أن يكون الإنسان متعلماً من الناس وبين أن يكون قد تلقى تعليمه من المسيح مباشرة .

وقد ألحّ الرسول على الغلاطيين أن يتركوا المرشدين الكذبة الذين أضلوهم ويعودوا إلى الإيمان الذي كان مصحوباً ببراهين لا تخطئ على مصادقة الله عليه . فالذين حاولوا أن يبعدوهم عن اعتقادهم في الإنجيل كانوا مرائين وقلوبهم نجسة وحياتهم فاسدة . وكانت ديانتهم تنحصر في طقوس لا تنتهي حلقاتها وكانوا ينتظرون بواسطة ممارستها أن يظفروا برضى الله . لم يكونوا يحبون الإنجيل الذي كان يتطلب الطاعة للكلمة الإلهي القائلة : «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يوحنا ٣:٣) . وقد أحسوا أن ديانة مبنية على مثل هذه العقيدة تتطلب تضحية عظيمة جداً . فكانوا وهم متشبثون بضلالاتهم يخدعون أنفسهم والآخرين .

إن استبدال قداسة القلب والحياة بطقوس الديانة الخارجية لا يزال الآن مبهجاً للطبيعة غير المتجددة كما كان في أيام معلمي اليهود . وفي هذه الأيام ، كما في العصور القديمة ، يوجد مرشدون روحيون كذبة يستمع لتعاليمهم كثيرون من الناس بكل شوق وشغف . إنه مسعى الشيطان المدروس أن يحوّل عقول الناس عن رجاء الخلاص بالإيمان بالمسيح والطاعة لشريعة الله . وفي كل عصر يُوفِّق العدو الأعظم تجاربه لتكون منطبقة على شكوك أو تعصب أو ميول الذين يحاول تضليلهم ففي العصر الرسولي جعل اليهود يمجدون الشريعة الطقسية ويرفضون المسيح . وفي الوقت الراهن يخدع كثيرين من المعترفين بالمسيحية بحجة إكرام المسيح ليحتقروا الناموس الأدبي ويعلموا الناس أنه يمكن التعدي على وصاياه دون

أن يلحق الإنسان أي قصاص . إنه من واجب كل خادم لله أن يصمد بكل ثبات وإصرار أمام مفسدي الإيمان أولئك ، وبكلمة الحق يشهر بضلالاتهم بلا خوف .

إن بولس في محاولته أن يستعيد ثقة إخوته في غلاطية زكَّى ، بكل براعة ، مركزه كرسول للمسيح . وقد أعلن عن نفسه بأنه رسول : «لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (غلاطية ١: ١) . فقد أخذ تفويضه لا من الناس بل من قبل أسمى سلطة في السماء . وقد اعترف المجمع العام في أورشليم بمركزه ، بما في ذلك القرارات التي أطاعها بولس في كل خدماته بين الأمم .

لقد قدم بولس البرهان على أنه «لَمْ ينقص شَيْئًا عَنْ فَائِقِي الرُّسُلِ» (٢كورنثوس ١١: ٥) رداً على أولئك الذين كانوا ينكرون عليه مرسليته ، وقد فعل ذلك لا ليمجد ذاته بل ليمجد نعمة الله . فالذين حاولوا تحقير دعوته وعمله إنما كانوا يشنون الحرب ضد المسيح الذي ظهرت نعمته وقدرته من خلال بولس . وقد اضطر الرسول ، بسبب مقاومة أعدائه ، أن يقف موقفاً حاسماً لتثبيت مركزه وسلطانه .

وقد توسل بولس إلى الذين عرفوا في حياتهم قبلاً قوة الله ، أن يعودوا إلى محبتهم الأولى لحق الإنجيل . فبحجج لا تقبل جدلاً وضع أمامهم امتياز كونهم قد صاروا رجالاً ونساء أحراراً في المسيح الذي عن طريق نعمته المكفرة يتسربل كل من يخضعون له خضوعاً تاما بثوب بره . لقد اتخذ المركز الذي مؤداه أن كل نفس تريد الخلاص ينبغي أن يكون لها اختبار حقيقي شخصي في أمور الله .

ولم تكن أقوال الرسول وتوسلاته الحارة بلا ثمر . فلقد عمل الروح بقوة عظيمة ، وكثيرون ممن ضلت أقدامهم في طرق وشعاب غريبة ، عادوا إلى

إيمانهم الأول بالإنجيل . ومنذ ذلك الحين ظلوا ثابتين في الحرية التي قد حررهم المسيح بها . وقد ظهرت في حياتهم ثمار الروح – «مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ» (غلاطية ٥: ٢٢،٢٣) . وقد تمجد اسم الله وكثيرون انضموا إلى جماعات المؤمنين في كل ذلك الإقليم .

الفصل السابع والثلاثون

سفر بولس إلى أورشليم لآخر مرة

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢٠: ٤ – ٢١: ١٦) .

كان بولس مشتاقاً جداً للوصول إلى أورشليم قبل عيد الفصح ، إذ كان يمكنه حينئذ أن يجد فرصة فيها يلتقي بمن كانوا يفدون من جميع أنحاء العالم لحضور العيد . وكان يرجو دائماً أن يتمكن بطريقة ما أن يستخدمه الله في إزالة تعصب مواطنيه غير المؤمنين علَّ الأمر ينتهي بهم إلى قبول نور الإنجيل الثمين . كما كان يرغب أيضاً أن يجتمع بأعضاء الكنيسة في أورشليم ويحمل إليهم العطايا المرسلة من قبل كنائس الأمم إلى الإخوة الفقراء في اليهودية . وكان يرجو أن يوجِد بهذه الزيارة وحدة وثيقة بين المهتدين إلى الإيمان من اليهود والأمم .

فبعدما أكمل عمله في كورنثوس قرر أن يبحر مباشرة إلى إحدى الموانئ الواقعة على ساحل فلسطين . فعملت كل الترتيبات ، وكان هو مزمعاً أن يدخل السفينة وإذا به يسمع نبأ مؤامرة دبرها اليهود لاغتياله . لقد أخفق مقاومو الإيمان هؤلاء فيما مضى في كل محاولاتهم لأن يضعوا نهاية لعمل الرسول .

إن النجاح الذي رافق الكرازة بالإنجيل أثار غضب اليهود من جديد . ومن كل الأقطار وصلتهم تقارير عن انتشار التعليم الجديد الذي بموجبه تحرر اليهود

من حفظ فرائض الناموس الطقسي وسُمح للأمم بـــالتمتع بامتيـــازات مســاوية لامتيازات اليهود باعتبارهم أولاد ابراهيم . إن بولس إذ كان يكرز في كورنثوس قدم الحجج نفسها التي شدد عليها بكل قوة في رسائله . وإن بيانه القاطع القائل : «لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ» (كولوسي ٣: ١١) ، كان معتبراً في نظـر أعدائه تجديفاً جريئاً ، فصمموا على إسكات صوته .

فإذا بلغ بولس نبأ الإنذار بالمؤامرة ، عزم أن يســلك طريقــاً يــدور حــول مكدونية . وكان عليه أن يتخلى عن خطته في الوصول إلى أورشليم في وقـــت إقامة خدمات الفصح ، إلا أنه كان يرجو أن يكون هناك في يوم الخمسين .

كان رفقاء بولس ولوقا ، «سُــوبَاتَرُسُ الْبِــيرِيُّ ، وَمِــنْ أَهْــلِ تَسَــالُونِيكِي: أَرِسْتَرْخُسُ وَسَكُونْدُسُ وَغَايُوسُ الدَّرْبِيُّ وَتِيمُوثَاوُسُ . وَمِنْ أَهْلِ أَسِيَّا: تِيخِيكُــسُ وَتُرُوفِيمُسُ» (أعمال ٢٠: ٤) . وكان بولس يحمل معه مبلغاً طائلاً من المال مـن كنائس الأمم وقصد أن يسلمه للإخوة المسؤولين عن العمل في اليهودية ، ولـــهذا السبب رتب أن يرافقه إلى أورشليم هؤلاء الإخوة كنواب أو ممثلين .

وقد تأخر بولس في فيلبي لإحياء الفصح . ولم يبق معه غــير لوقــا ، أمــا مرافقوه الباقون فقد عبروا إلى ترواس لينتظروه هناك . كان الفيلبيــون أعظــم المهتدين على يدي الرسول من حيث أمانتهم وخلوص قلبهم . وفي مدة ثمانيــة أيام العيد استمتع معهم بفرصة شركة سلمية سعيدة .

وبعدما أقلع بولس ولوقا من فيلبي وصلا إلى رفقائهما في ترواس بعد ذلـــك بخمسة أيام . وقد لبثوا مع المؤمنين في تلك المدينة سبعة أيام .

وفي آخر ليلة قضاها الرسول هناك «كَانَ التَّلاَمِيــذُ مُجْتَمِعِيــنَ لِيَكْسِــرُوا خُبْزًا» . وإن حقيقة كون معلمهم الحبيب كان مزمعاً أن يرحل عنهم ، جذبـت

إلى ذلك المكان جمعاً كبيراً من الإخوة أكثر من المعتاد . وكانوا مجتمعين في «الْعِلِّيَّةِ» في الطبقة الثالثة . وهناك كرز الرسول إلى نصف الليل بمحبته الغيورة وجزعه عليهم .

وقد جلس في إحدى طاقات تلك العلية شاب يدعى أفتيخوس . وإذ كان في ذلك الوضع الخطر غلبه النوم فسقط إلى أسفل . فساد الذعر والارتباك على الجميع في الحال . وقد حُمل ذلك الشاب ميتاً واجتمع حوله كثيرون صارخين ونائحين . ولكن بولس إذ شق لنفسه طريقاً بين تلك الجماعة المرتعبة اعتنقه وقدم صلاة حارة حتى يعيد الله الحياة لذلك الميت . وقد أجيبت طلبته . وفوق أصوات النوح والعويل سُمع صوت بولس الرسول يقول : «لاَ تَضْطَرِبُوا لأَنَّ نَفْسَهُ فِيهِ» (أعمال ٢٠: ٧،٨،١٠) . فعاد المؤمنون بفرح للاجتماع في العلية . وقد اشتركوا في المائدة . ثم «تَكَلَّمَ (بولس) كَثِيرًا إِلَى الْفَجْرِ» (عدد ١١) .

أما السفينة التي كان بولس ورفاقه مزمعين أن يواصلوا السفر فيها فكانت مزمعة أن تقلع ، فأسرع الإخوة بالنزول فيها . ومع ذلك فإن الرسول نفسه اختار السير في الطريق البري الأقرب ما بين ترواس وأسوس ، على أن يجتمع برفاقه في مدينة أسوس . وهذا أتاح له وقتا قصيراً للتأمل والصلاة . كانت المشقات والمخاطر المتصلة بزيارته القادمة لأورشليم ، وموقف الكنيسة هناك حياله وحيال عمله وكذلك حالة الكنائس ومصالح عمل الإنجيل في الحقول الأخرى هي الموضوعات التي كان يفكر فيها تفكيراً جاداً وجزعاً . وقد استفاد من هذه الفرصة الخاصة ليطلب من الله القوة والإرشاد .

وإذ أبحر المسافرون جنوباً من أسوس تجاوزوا مدينة أفسس التي ظلت مسرحاً لخدمات الرسول أمداً طويلاً . وكان الرسول يتوق جداً لزيارة الكنيسة هناك لأنه كانت لديه تعاليم وتوجيهات ونصائح يقدمها لهم . ولكن بعد التأمل

والتفكير عوّل على مواصلة سفره «لأَنَّهُ كَانَ يُسْرِعُ حَتَّى إِذَا أَمْكَنَهُ يَكُونُ فِي أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ» (عدد ١٦) . ومع ذلك فعند وصوله إلى ميليتس التي تبعد عن أفسس بحوالي ثلاثين ميلاً ، علم أنه قد يمكنه الاتصال بالكنيسة قبل إقلاع السفينة . ففي الحال بعث برسالة إلى الشيوخ يشدد عليهم في الإسراع إلى ميليتس لعله يراهم قبل استئناف سفرته .

وقد أتوا استجابة لدعوته فخاطبهم بكلام الإنذار والوداع القوي المؤثر فقال : «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ أَسِيَّا ، كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ ، أَخْدِمُ الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ ، وَبِتَجَارِبَ أَصَابَتْنِي بِمَكَايِدِ الْيَهُودِ . كَيْفَ لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوَائِدِ إِلاَّ وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ ، شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أعمال ٢٠: ١٨ – ٢١) .

كان بولس دائما يعظم شريعة الله ويمجدها . وقد برهن أنه لا توجد في الناموس قوة لتخليص الناس من قصاص العصيان . فعلى فاعلي الشر أن يتوبوا عن خطاياهم ويتذللوا أمام الله إذ جلبوا على أنفسهم غضبه العادل بكسرهم شريعته ، وعليهم أيضاً أن يمارسوا الإيمان بدم المسيح باعتباره وسيلتهم الوحيدة للغفران . لقد مات ابن الله ذبيحة لأجلهم وصعد إلى السماء ليمثل أمام الآب كشفيع لهم . فبالتوبة والإيمان يمكنهم أن يتحرروا من دينونة الخطية ، ومن ثم فبنعمة المسيح يستطيعون أن يقدموا طاعتهم لشريعة الله .

ثم استطرد بولس يقول : «وَالآنَ هَا أَنَا أَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدًا بِالرُّوحِ ، لاَ أَعْلَمُ مَاذَا يُصَادِفُنِي هُنَاكَ . غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلاً: إِنَّ وُثُقًا وَشَدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي . وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ

عِنْدِي ، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ . وَالآنَ هَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي أَيْضًا ، أَنْتُمْ جَمِيعًا الَّذِينَ مَرَرْتُ بَيْنَكُمْ كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ» (أعمال ٢٠: ٢٢ - ٢٥) .

لم يكن بولس يقصد أن يقدم هذه الشهادة ولكن فيما كان يتكلم حل عليه روح الإلهام مثبتاً مخاوفه من أن هذا سيكون آخر لقاء له مع الإخوة في أفسس .

ثم قال : «لِذلِكَ أُشْهِدُكُمُ الْيَوْمَ هذَا أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ الْجَمِيعِ ، لأَنِّي لَمْ أُؤَخِّرْ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِكُلِّ مَشُورَةِ اللهِ» (أعمال ٢٠: ٢٦،٢٧) . لم يكن ممكناً أن يمنع الخوف بولس من استيائهم ، أو الرغبة في التحبب إليهم أو الظفر باستحسانهم ، ولم يمتنع عن النطق بالكلام الذي أعطاه إياه الله لتعليمهم وإنذارهم أو تقويمهم . والله يطلب من خدامه في هذه الأيام أن يكرزوا بالإنجيل بكل شجاعة وبلا خوف ويعملوا بوصاياه وفرائضه . ينبغي لخادم المسيح ألا يقدم للناس حقائق المستساغة لهم والمسرة فقط ثم يحجز عنهم الحقائق الأخرى التي قد تؤلم مشاعرهم . عليه أن يراقب تطور الخلق بجزع عميق . فإذا رأى بعضاً من قطيعه يحتضنون الخطية فعليه كراع أمين أن يقدم لهم من كلمة الله التعليم الذي يناسب حالتهم . فإذا سمح لهم أن يسيروا بدون إنذار وهم واثقون في أنفسهم فسيكون مسؤولاً عن نفوسهم . فالراعي الذي يتمم مأموريته السامية ينبغي له أن يقدم لشعبه تعليماً أميناً بالنسبة لكل مواد الإيمان المسيحي مبيناً لهم ما يجب أن يكونوا ويفعلوا لكي يقفوا كاملين وبلا لوم في يوم الله . لا يمكن لغير معلم الحق أن يقول في ختام خدمته مع بولس: «أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ الْجَمِيعِ» .

ثم جعل الرسول يحذر إخوته قائلاً : «اِحْتَرِزُوا اذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً ، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال ٢٠: ٢٨) . لو كان خدام الإنجيل يذكرون دائماً أنهم إنما يتعاملون مع

مقتني دم المسيح لكان يوجد عندهم إحساس أعمق بأهمية عملهم . عليهم أن يحترزوا لأنفسهم ولرعيتهم . إن مثالهم يشرح تعليمهم ويكسبه قوة . وعلى اعتبار أنهم معلمو طريق الحياة ، فينبغي ألا يعطوا الفرصة لأحد كي يفتري على الحق أو يتحدث عنه بالسوء . وكنواب عن المسيح عليهم أن يحتفظوا بكرامة اسمه . وبتكريسهم وطهارة حياتهم وسيرتهم المقدسة عليهم أن يبرهنوا أنهم أهل لدعوتهم العليا .

إن المخاطر التي كانت مزمعة ان تنقض على كنيسة أفسس كشفت للرسول . فقال : «لأَنِّي أَعْلَمُ هذَا أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ . وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلاَمِيذَ وَرَاءهُمْ» (أعمال ٢٠: ٢٩،٣٠) . لقد ارتعب الرسول خوفاً على الكنيسة ، حيث أنه وهو يحدّق في المستقبل رأى الهجمات التي لا بد ستتلقاها من الأعداء في الخارج وفي الداخل . فبغيرة مقدسة أمر إخوته أن يحرصوا على الوديعة المقدسة المسلمة إليهم بكل يقظة . وقد ضرب مثلا لذلك موجها أنظارهم إلى خدماته بينهم بلا كلل فقال : « لِذلِكَ اسْهَرُوا ، مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاَثَ سِنِينَ لَيْلاً وَنَهَارًا ، لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ» (أعمال ٢٠: ٣١) .

ثم استطرد يقول : «وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لله وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ ، الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ . فِضَّةَ أَوْ ذَهَبَ أَوْ لِبَاسَ أَحَدٍ لَمْ أَشْتَهِ» كان بعض الإخوة في أفسس قوماً أغنياء ولكن الرسول بولس لم يسعَ أبداً للحصول على فائدة شخصية منهم . فلم يكن ضمن برنامج رسالته أن يوجه الأنظار إلى احتياجاته . فقد أعلن قائلاً : «أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ» . ففي غمرة أعماله الشاقة وسفراته الطويلة لأجل عمل المسيح كان قادراً لا على خدمة وتلبية احتياجاته وحدها ولكنه استطاع أن يوفر

شيئا لإعالة زملائه في العمل وتلبية أعواز الفقراء الذين يستحقون المساعدة . ولم يستطع أن يتمم كل هذا إلا باجتهاده المتواصل واقتصاده الحريص . فحق له أن يشير إلى مثاله فيقول : «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» .

«وَلَمَّا قَالَ هذَا جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ جَمِيعِهِمْ وَصَلَّى . وَكَانَ بُكَاءٌ عَظِيمٌ مِنَ الْجَمِيعِ ، وَوَقَعُوا عَلَى عُنُقِ بُولُسَ يُقَبِّلُونَهُ . مُتَوَجِّعِينَ ، وَلاَ سِيَّمَا مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا : إِنَّهُمْ لَنْ يَرَوْا وَجْهَهُ أَيْضًا . ثُمَّ شَيَّعُوهُ إِلَى السَّفِينَةِ» (أعمال ٢٠: ٣٢-٣٨) .

ومن ميليتس أقلع المسافرون «بِالاسْتِقَامَةِ إِلَى كُوسَ ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى رُودُسَ ، وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى بَاتَرَا» على الشاطئ الجنوبي الغربي من أسيا الصغرى ، وهناك: «فَإِذْ وَجَدْنَا سَفِينَةً عَابِرَةً إِلَى فِينِيقِيَةَ صَعِدْنَا إِلَيْهَا وَأَقْلَعْنَا» (أعمال ٢١: ١،٢) . وفي صور حيث كان لا بد أن تضع السفينة وسقها ، وجدوا تلاميذ قليلين وسمح لهم بالبقاء معهم سبعة أيام . وبواسطة الروح القدس أنذر هؤلاء التلاميذ بالمخاطر التي تنتظر بولس في أورشليم : «وَكَانُوا يَقُولُونَ لِبُولُسَ بِالرُّوحِ أَنْ لاَ يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» ولكن الرسول لم يسمح للخوف من التجارب والبلايا والسجن أن يحوله عن غرضه (عدد ٤) .

وفي نهاية الأسبوع الذي قضوه في صور توجه ، مع بولس ، كل الإخوة مع نسائهم وأطفالهم إلى السفينة ، وقبل صعوده إلى السفينة ، جثوا على الشاطئ حيث صلى بولس لأجلهم وصلوا هم لأجله .

وإذ تابعوا سيرهم إلى الجنوب وصل المسافرون إلى قيصرية و«دخلوا بَيْتَ فِيلُبُّسَ الْمُبَشِّرِ ، إِذْ كَانَ وَاحِدًا مِنَ السَّبْعَةِ وأقاموا عِنْدَهُ» (عدد ٨) . وهنا قضى

بولس أياماً قليلة كانت أيام هدوء وسعادة– آخر أيام الحرية التامة التي تمتع بها قبل انقضاء فترة أخرى طويلة .

وإذ كان بولس ماكثا في قيصرية ، «انْحَدَرَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسُ» . ثم يقول لوقا أيضاً: «فَجَاءَ إِلَيْنَا ، وَأَخَذَ مِنْطَقَةَ بُولُسَ ، وَرَبَطَ يَدَيْ نَفْسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ هذَا يَقُولُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ . الرَّجُلُ الَّذِي لَهُ هذِهِ الْمِنْطَقَةُ ، هكَذَا سَيَرْبُطُهُ الْيَهُودُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الأُمَمِ» .

ثم يستطرد لوقا فيقول : «فَلَمَّا سَمِعْنَا هذَا طَلَبْنَا إِلَيْهِ نَحْنُ وَالَّذِينَ مِنَ الْمَكَانِ أَنْ لاَ يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (عدد ١٠ – ١٢) ولكن بولس لم يرد أن ينحرف عن طريق الواجب . فكان يريد أن يتبع المسيح حتى إلى السجن والموت إذ لزم الأمر . فصاح فيهم قائلاً : «مَاذَا تَفْعَلُونَ ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي ، لأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (عدد ١٣) . فإذ رأوا أنهم يسببون له ألماً دون أن يغيروا ما عزم عليه ، كف الإخوة عن الإلحاح عليه قائلين فقط : «لِتَكُنْ مَشِيئَةُ الرَّبِّ» (عدد ١٤) .

وقد انتهى وقت مكوثهم القصير في قيصرية سريعاً . فبدأ بولس والذين معه في السفر إلى أورشليم وقد صحبهم بعض الإخوة . وكانت قلوبهم مكتنفة بشعور داخلي بخطر وشر قادمين .

لم يسبق لبولس الرسول أن اقترب من قبل من أورشليم بقلب حزين كما كانت الحال في تلك المرة . لقد عرف أنه سيجد أصدقاء قليلين وأعداء كثيرين . كان يقترب من المدينة التي قد رفضت ابن الله وقتلته ، والتي بدأت تنعقد الآن في سمائها تهديدات الغضب الإلهي . وإذ ذكر الرسول كم كان تعصبهم مراً ضد أتباع المسيح ، أحس بأعمق عطف على مواطنيه المخدوعين . ومع ذلك فما كان أقل أمله في أن يكون قادراً على مساعدتهم ،

فنفس الغضب الأعمى الذي كان قبلاً يضطرم في قلبه كـــان يضطــرم الآن ضده في قلوب أمة بجملتها بقوة لا يمكن وصفها .

ولم يكن يعول على عطف وتعضيد يأتيه حتى من إخوتـــه فـــي الإيمـــان . واليهود غير المهتدين الذين كانوا يتعقبونه عن قرب لم يكونوا متبـــاطئين فـــي إذاعة أردأ الشائعات عنه في أورشليم بالكلام وبالرسائل ، فيشوشون أفكار الناس عنه وعن عمله ، وحتى بعض من الرسل والمشايخ استقبلوا تلك الشائعات علـــى أنها حقيقية ، ولم يحاولوا أن ينقضوها ولا أظهروا رغبة فـــي التوفيـــق بينـــهم وبينه .

ومع ذلك ففي وسط كل هذه المفشلات لم يكن الرسول يائساً . فقد كان واثقـــاً من أن الصوت الذي خاطب قلبه سيخاطب أيضاً قلوب بني أمتـــه ، وأن الســـيد الذي كان إخوته التلاميذ يحبونه ويخدمونه سيوحد بين قلوبهم وقلبه فـــي عمـــل الإنجيل .

الفصل الثامن والثلاثون

بولس يؤخذ أسيراً

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢١: ١٧ - ٢٣: ٣٥) .

«وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَنَا الإِخْوَةُ بِفَرَحٍ . وَفِي الْغَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ ، وَحَضَرَ جَمِيعُ الْمَشَايِخِ» (أعمال ٢١: ١٧،١٨) .

في هذه المرة قدَّم بولس ورفاقه رسمياً إلى المشايخ المناظرين على العمل في أورشليم العطايا التي أرسلتها كنائس الأمم لإعالة الفقراء بين الإخوة في اليهودية . إن جمع هذه التبرعات قد كلّف الرسول وزملاءه وقتاً طويلاً وتفكيراً جزعاً وجهداً وتعباً جسمانياً . إن هذا المبلغ من المال الذي فاق كل انتظارات المشايخ في أورشليم كان رمزاً لتضحيات كثيرة وحتى لحرمان شديد وقاس من جانب المؤمنين من الأمم .

فهذه العطايا التطوعية أنبأت عن ولاء المهتدين من الأمم لعمل الله المنظم في أرجاء العالم . وكان ينبغي أن يقبله الجميع معبرين عن شكرهم وامتنانهم . ومع ذلك فقد ظهر لبولس ورفاقه أنه حتى بين هؤلاء الذين كانوا واقفين أمامهم وجد قوم كانوا عاجزين عن تقدير روح المحبة الأخوية التي دفعت أولئك الناس لتقديم تلك العطايا .

في أثناء السنوات الأولى لعمل الإنجيل بين الأمم وجد بين الإخوة المتقدمين في أورشليم جماعة كانوا متعلقين بالتعصب القديم والعادات الموروثة ، هـؤلاء لـم يتعاونوا تعاوناً قلبياً مع بولس ورفاقه . ففي اهتمامهم الدقيق بحفظ فرائض وطقوس لا معنى لها غابت عن أنظارهم البركة التي كان يمكن أن تأتيهم وتأتي إلى عمل الإنجيل الذي قد أحبوه وذلك عن طريق توحيد كل أجزاء عمل الرب معاً . ومع رغبتهم في حراسة أفضل لصالح الكنيسة المسيحية فقد أخفقوا في مسايرة عناية الله التقدمية . وفي حكمتهم البشرية حاولوا أن يفرضوا على الخدام كثيراً من القيود التي لا لزوم لها . وهكذا قامت جماعة من الناس الذين لم يكونوا يعرفون ، معرفة شخصية ، شيئاً عن تطورات الظروف والحاجات الخاصة التي كان يواجهها الخدام في الحقول البعيدة ، ومع ذلك أصروا على أن لهم السلطان لتوجيه إخوتهم في هذه الحقول ليتبعوا وسائل محددة للعمل . فقد أحسوا كما لو أن عمل الكرازة بالإنجيل ينبغي القيام به بحيث يكون متفقاً مع آرائهم .

كانت قد مرت بضع سنوات منذ تأمل الإخوة في أورشليم مع ممثلين من الكنائس الرئيسة الأخرى ، تأملاً جدياً في المشكلة المحيرة التي ظهرت عن الوسائل التي كان يتبعها من كانوا يخدمون بين الأمم . كان من نتائج ذلك المجمع أن الإخوة اتحدوا معاً في وضع توصيات محددة للكنائس عن بعض الطقوس والعادات بما فيها الختان . وفي ذلك المجمع العام اتحد الإخوة أيضاً في مدح برنابا وبولس لدى الكنائس المسيحية على أنهما خادمان يستحقان ثقة كل مؤمن كاملة .

وكان بين الحاضرين في ذلك الاجتماع قوم كانوا ينتقدون بكل مرارة وسائل العمل التي كان يتبعها الرسل الذين اضطلعوا بالعبء الأكبر للكرازة بالإنجيل في العالم الأممي . ولكن في أثناء المجمع اتسعت آفاق تفكيرهم عن مقاصد الله واتحدوا مع إخوتهم في وضع قرارات حكيمة كفلت إمكانية توحيد هيئة المؤمنين جميعاً .

وبعد ذلك ، عندما ظهر جلياً أن المهتدين من الأمم قد تكاثر عددهم بسرعة ، كان يوجد قليلون من أكابر الإخوة في أورشليم الذين عادوا من جديد يتشبثون بتعصبهم السابق ضد وسائل بولس ورفاقه . وقد ازدادت شدة هذه التعصبات بمرور السنين إلى أن قرر بعض القادة أن عمل الكرازة بالإنجيل يجب أن يسير منذ الآن بما يتفق مع آرائهم . فإذ جعل بولس وسائله تتفق مع بعض الخطط التي كانوا يدافعون عنها فسيعترفون بعمله ويعضدونه ، وإلا فإنهم لن يعودوا ينظرون إلى ذلك العمل نظرة الرضى أو يعضدونه .

لقد غابت عن أنظار هؤلاء الناس حقيقة كون الله هو معلم شعبه ، وأن على كل خادم في عمله أن يحصل على اختبار فردي في اتباع القائد الإلهي ، وألا ينظر إلى البشر للحصول على التوجيه المباشر ، وأن خدامه يجب أن يصاغوا ويشكلوا لا في قالب آراء الإنسان بل في القالب الإلهي .

إن الرسول بولس في خدمته علم الناس لا «بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» . إن الحقائق التي كرز بها أعلنت له بالروح القدس : «لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ . لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ» . ثم يعلن الرسول قائلاً : «الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا ، لاَ بِأَقْوَال تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ» (١كورنثوس ٢:٤،١٠-١٣) .

إن بولس في مدى سني خدمته كان يتطلع إلى الله في انتظار الإرشاد المباشر . وفي الوقت نفسه كان حريصاً جداً على أن يخدم في وفاق مع قرارات مجمع أورشليم العام . وكان من نتائج ذلك أن الكنائس كانت «تَتَشَدَّدُ فِي الإِيمَانِ وَتَزْدَادُ فِي الْعَدَدِ كُلَّ يَوْمٍ» (أعمال ١٦: ٥) . والآن فبرغم كون البعض لم

يظهروا له عطفاً ، فقد وجد عزاء في الشعور بأنه قد أدى واجبه في كونــه قــد عزز في نفوس المهتدين على يديه روح الولاء والكرم والمحبة الأخوية ، كمــا تجلت هذه الفرصة في العطايا السخية التي استطاع أن يضعــها أمــام مشــايخ اليهود .

وبعد تقديم العطايا : «طَفِقَ (بولس) يُحَدِّثُهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللهُ بَيْنَ الأُمَمِ بِوَاسِطَةِ خِدْمَتِهِ» (أعمال ٢١: ١٩) . فهذا السرد للحقائق أدخــل إلــى قلوب الجميع حتى من كانوا متشككين ومرتابين ، الاقتناع بأن بركة الســماء رافقت خدماته: «فَلَمَّا سَمِعُوا كَانُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ» (أعمال ٢١: ٢٠) . لقــد أحسوا بأن النظم التي استخدمها الرسول في العمل كانت تحمل ختم السماء . فالعطايا السخية الموضوعة أمامهم زادت من قوة شهادة الرسول على أمانــة الكنائس الجديدة المقامة بين الأمم . فالرجال الذين إذ كانوا محسوبين ضمــن المسؤولين عن العمل في أورشليم وألحّوا بوجوب اتخاذ إجــراءات تعســفية للسيطرة ، رأوا خدمة بولس في نور جديد ، واقتنعوا بخطأ تصرفهم وعلمــوا أنهم كانوا مستعبدين للعادات والتقاليد اليهودية ، وأن عمل الإنجيل قد تعطــل كثيراً لاخفاقهم في الاعتراف بأن حائط السياج بين اليهود والأمم قد نقــض بموت المسيح .

كانت هذه هي الفرصة الذهبية لكل الإخوة المتقدمين ليعترفوا صراحة بأن الله قد عمل بواسطة بولس وأنهم هم في بعض الأوقات قد أخطــأوا فــي الســماح للأخبار التي أذاعها أعداؤه أن تثير حسدهم وتعصبهم . ولكن بدلاً من أن يبذلــوا مجهوداً جماعياً لإنصاف ذاك الذي قد تضرر ، قدموا له مشورة برهنت علــى أنهم لا يزالون يضمرون لبولس شعورا بأنه يجب أن يكون هو المسئول أكــثر من غيره عن التعصب السائد حينئذ . إنهم لم يقفوا منه موقفاً نبيلاً دفاعاً عنــه ،

محاولين أن يبينوا لجماعة الساخطين عليه أوجه خطئهم ، بل حاولوا أن يعقدوا صلحاً بأن أشاروا عليه باتباع خطة كانوا يرون أنها كفيلة بإزالة كل أسباب سوء التفاهم .

وجواباً على شهادته قالوا له : «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَهُمْ جَمِيعًا غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ . وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى ، قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ . فَإِذًا مَاذَا يَكُونُ ؟ لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ ، لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ . فَافْعَلْ هذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ : عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَال عَلَيْهِمْ نَذْرٌ . خُذْ هؤُلاَءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ ، بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضًا حَافِظًا لِلنَّامُوسِ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الأُمَمِ ، فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَحَكَمْنَا أَنْ لاَ يَحْفَظُوا شَيْئًا مِثْلَ ذلِكَ ، سِوَى أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبحَ لِلأَصْنَامِ ، وَمِنَ الدَّمِ ، وَالْمَخْنُوقِ ، وَالزِّنَا» (أعمال ٢١: ٢٠ – ٢٥) .

كان الإخوة يرجون أن بولس إذ يعمل بموجب تلك الخطة المقترحة يقدم تكذيباً حاسماً للأخبار الكاذبة التي أشيعت عنه . وقد أكدوا له بأن حكم المجمع الأول بخصوص المهتدين من الأمم ، والناموس الطقسي لا يزال سارياً . ولكن هذه المشورة التي قدموها له لم تكن متفقة مع ذلك القرار . إن روح الله لم يلهمهم بتقديم تلك النصيحة لبولس ولكنها كانت من ثمار الجبن . لقد علم قادة الكنيسة في أورشليم أن عدم امتثال المسيحيين للناموس الطقسي سيعرضهم لعداء اليهود الذين قد يوقعون عليهم الاضطهاد . لقد كان مجمع السنهدريم يبذل قصاراه لتعطيل تقدم الإنجيل وانتشاره . وقد اختار هذا المجمع رجالاً ليتعقبوا الرسل ، سيما بولس ، وبكل وسيلة ممكنة يقاومون عملهم . فلو حكم على

المؤمنين بالمسيح أمام السنهدريم على أنهم كاسروا الناموس ، فلا بد من أن يحل بهم قصاص سريع وصارم كمرتدين عن الإيمان اليهودي .

إن كثيرين من اليهود الذين كانوا قد قبلوا الإنجيل ظلوا يوقرون الناموس الطقسي ، وكانوا يرغبون أشد الرغبة في الإدلاء بتصريحات طائشة محاولين بهذه الوسيلة أن يكسبوا ثقة مواطنيهم ويلاشوا تعصبهم ويربحوهم للإيمان بالمسيح كفادي العالم . وقد تحقق بولس من أنه طالما ظل المتقدمون بين أعضاء كنيسة أورشليم يضمرون التعصب ضده فسيعملون دائماً لإبطال تأثيره . وقد أحس أنه لو أمكنه بأي إذعان معقول أن يربحهم إلى جانب الحق لكان يستطيع إزاحة عقبة عظيمة من طريق تقدم الإنجيل ونجاحه في أماكن أخرى . ولكن الله لم يخول له أن يذعن بقدر ما أرادوا .

إننا عندما نفكر في رغبة بولس العظيمة في أن يكون في حالة وفاق مع إخوته ، فإن عطفه نحو الضعفاء في الإيمان ، واحترامه للرسل الذين كانوا مع المسيح ، وليعقوب أخي الرب ، وغرضه في أن يكون كل شيء لجميع الناس على قدر استطاعته دون أن يضحي بمبادئه- عندما نفكر في هذا كله ، فإنه لم يكن أمراً مستغرباً جداً إن أمكن إلزامه بالانحراف عن الطريق الثابت الحاسم الذي اتبعه إلى ذلك الحين . ولكن بدلاً من تحقيق الغرض المشتهى ، فإن محاولاته لأجل التوفيق عجلت بالكارثة ، وبوقوع الآلام التي قد أنبئ بها ، والتي عملت بالنتيجة على التفريق بينه وبين إخوته ، وحرمت الكنيسة من أحد أقوى أعمدتها ، وملأت قلوب كثيرين من المسيحيين بالحزن في كل البلدان .

وفي اليوم التالي بدأ بولس في العمل بمشورة الشيوخ . فالرجال الأربعة الذين كان عليهم نذر كانت قد انتهت مدته تقريباً ، أخذهم بولس ودخل بهم الهيكل

«مُخْبِرًا بِكَمَالِ أَيَّامِ التَّطْهِيرِ ، إِلَى أَنْ يُقَرَّبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْقُرْبَانُ» (أعمال ٢١: ٢٦) . وكان لا بد من تقديم ذبائح غالية عنهم (انظر سفر العدد ٦) .

إن الذين نصحوا لبولس باتخاذ هذه الخطوة لم يقدروا تماماً الخطر العظيم الذي سيتعرض له نتيجة لذلك . ففي ذلك العيد امتلأت أورشليم بالعابدين من بلدان كثيرة . فإذ حمل بولس الإنجيل إلى الأمم إتماماً للتفويض المعطى له من الله فقد زار كثيراً من أعظم مدن العالم وكان معروفاً لدى آلاف ممن قد أتوا من بلاد أجنبية لإحياء العيد في أورشليم . وبين هؤلاء وُجد رجالٌ امتلأت قلوبهم بالعداوة المرة ضد بولس . فكونه يدخل الهيكل في ذلك العيد العام يعني أنه كان يخاطر بحياته . ولمدى عدة أيام جعل يدخل ويخرج بين العابدين ، وكان يبدو كأن أحداً لم يلاحظه . ولكن قبل انتهاء فترة النذر المحددة ، إذ كان يتحدث مع الكاهن عن الذبائح المطلوب تقديمها ، عرفه بعض اليهود القادمين من آسيا .

فباهتياج كاهتياج الشياطين هجموا عليه صارخين : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ ، أَعِينُوا هذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْجَمِيعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضِدًّا لِلشَّعْبِ وَالنَّامُوسِ وَهذَا الْمَوْضِعِ» (أعمال ٢١: ٢٨) . وإذ استجاب الشعب للدعوة في طلب المعونة أضيفت تهمة أخرى مؤداها : «حَتَّى أَدْخَلَ يُونَانِيِّينَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ وَدَنَّسَ هذَا الْمَوْضِعَ الْمُقَدَّسَ» (عدد ٢٨) .

وكانت الشريعة اليهودية تعتبر دخول أى شخص أغلف إلى أروقة الهيكل الداخلية المقدسة ، جريمة قصاصها الموت . وكان بولس قد رؤي من قبل في أورشليم في صحبة تروفيمس الأفسسي فظنوا أنه قد أدخله إلى الهيكل . ولكنه لم يفعل هذا ، وإذ كان هو نفسه يهودياً فإن دخوله إلى الهيكل لم يكن معتبراً انتهاكاً للشريعة . ولكن مع أن التهمة كلها كانت كاذبة فقد كانت كفيلة بإثارة تعصب الشعب . وإذ انتشرت تلك الصرخة وتناقلتها الأفواه في أروقة الهيكل ثارت

ثائرة تلك الجماهير المجتمعة هناك . وبسرعة عظيمة انتشر الخبر في كل أورشليم : «فَهَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا ، وَتَرَاكَضَ الشَّعْبُ» (أعمال ٢١: ٣٠) .

إن الإشاعة القائلة بأن إنساناً مرتداً عن إسرائيل تجرأ على تنجيس الهيكل في الوقت نفسه الذي فيه احتشدت هناك آلاف من كل أنحاء العالم لتسجد ، أثارت أعنف أحاسيس الغضب في قلوب الرعاع : «وَأَمْسَكُوا بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْهَيْكَلِ . وَلِلْوَقْتِ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ» .

«وَبَيْنَمَا هُمْ يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ ، نَمَا خَبَرٌ إِلَى أَمِيرِ الْكَتِيبَةِ أَنَّ أُورُشَلِيمَ كُلَّهَا قَدِ اضْطَرَبَتْ») . لقد عرف كلوديوس ليسياس جيدا عناصر الاضطراب والاهتياج التي كان عليه أن يتعامل معها: «فَلِلْوَقْتِ أَخَذَ عَسْكَرًا وَقُوَّادَ مِئَاتٍ وَرَكَضَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْا الأَمِيرَ وَالْعَسْكَرَ كَفُّوا عَنْ ضَرْبِ بُولُسَ» (أعمال ٢١: ٣٠ - ٣٢) . فإذ كان القائد الروماني يجهل أسباب ذلك الشغب ، وإذ رأى غضب الشعب موجهاً كله ضد بولس ، استنتج أنه لا بد أن يكون ثائراً مصرياً كان قد سمع بخبره ولم يتمكن أحد من القبض عليه بعد . ولذلك : «أَمَرَ أَنْ يُقَيَّدَ بِسِلْسِلَتَيْنِ ، وَطَفِقَ يَسْتَخْبِرُ: تُرَى مَنْ يَكُونُ ؟ وَمَاذَا فَعَلَ ؟» ففي الحال ارتفعت أصوات الاتهام العالية الغاضبة : «وَكَانَ الْبَعْضُ يَصْرُخُونَ بِشَيْءٍ وَالْبَعْضُ بِشَيْءٍ آخَرَ فِي الْجَمْعِ . وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْلَمَ الْيَقِينَ لِسَبَبِ الشَّغَبِ ، أَمَرَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ . وَلَمَّا صَارَ عَلَى الدَّرَجِ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَسْكَرَ حَمَلَهُ بِسَبَبِ عُنْفِ الْجَمْعِ ، لأَنَّ جُمْهُورَ الشَّعْبِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ صَارِخِينَ خُذْهُ» (أعمال ٢١: ٣٣ - ٣٦) .

ففي وسط ذلك الشغب كان الرسول هادئاً وضابطاً لنفسه . كان عقله مثبتاً في الله وعرف أن ملائكة السماء يعسكرون حوله . وقد أحس أنه لا يريد أن يترك الهيكل دون أن يبذل مجهودا ليكرز بالحق أمام مواطنيه . وإذ كان موشكاً أن

يؤخذ إلى المعسكر قال للأمير : «أَيَجُوزُ لِي أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئًا ؟» فأجابه ليسياس : «أَتَعْرِفُ الْيُونَانِيَّةَ ؟ أَفَلَسْتَ أَنْتَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي صَنَعَ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ فِتْنَةً ، وَأَخْرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعَةَ الآلاَفِ الرَّجُلِ مِنَ الْقَتَلَةِ ؟» فأجابه بولس بقوله: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ طَرْسُوسِيٌّ ، مِنْ أَهْلِ مَدِينَةٍ غَيْرِ دَنِيَّةٍ مِنْ كِيلِيكِيَّةَ . وَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أُكَلِّمَ الشَّعْبَ» (عدد ٣٧ - ٣٩) .

وقد أجيب إلى طلبه حينئذ : «وَقَفَ بُولُسُ عَلَى الدَّرَجِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّعْبِ» إن اشارة يده استرعت انتباههم بينما هيئته أوجبت عليهم الاحترام : «فَصَارَ سُكُوتٌ عَظِيمٌ . فَنَادَى بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ قَائِلاً أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ وَالآبَاءُ ، اسْمَعُوا احْتِجَاجِي الآنَ لَدَيْكُمْ» فإذ سمعوه يخاطبهم بلغتهم العبرانية المألوفة: «أَعْطَوْا سُكُوتًا أَحْرَى» ففي وسط ذلك السكون الشامل راح يقول : «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ ، وَلكِنْ رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ . وَكُنْتُ غَيُورًا للهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ» (أعمال ٢١: ٤٠؛ ٢٢: ١ - ٣) ولم يمكن لأحد أن ينكر بيانات الرسول حيث أن الحقائق التي أشار إليها كانت معروفة لدى كثيرين ممن كانوا لا يزالون أحياء في أورشليم . ثم تحدث عن غيرته الأولى في اضطهاد تلاميذ المسيح حتى الموت وقص عليهم ظروف اهتدائه مخبراً اياهم كيف خضع قلبه المتكبر للناصري المصلوب . فلو أنه حاول الاشتباك في جدال مع خصومه لرفضوا بكل عناد الإصغاء إلى أقواله ولكن القصة التي أوردها من واقع اختباره كانت مصحوبة بقوة اقناع بدا أنها قد ألانت وأخضعت قلوبهم في ذلك الحين .

وقد حاول بعد ذلك أن يبرهن أن خدمته بين الأمم لم يسرع فيها باختياره . فقد كان يرغب أن يخدم بين أمته ولكن في نفس ذلك الهيكل كلمه الله بصوته في رؤيا مقدسة موجهاً ومحدداً الطريق الذي يسلكه : «إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا» .

إلى هنا أصغى الشعب بانتباه عظيم ، ولكن عندما وصل بولس إلى ذلك الحد من تاريخه حيث أقيم سفيراً للمسيح بين الأمم ، ثار ثائرهم من جديد . فإذ كان اليهود قد اصطلحوا على أن ينظروا إلى أنفسهم بوصفهم الشعب الوحيد المنعم عليه من الله ، لم يرغبوا في السماح للأمم المحتقرين بمقاسمتهم في الامتيازات التي كانت إلى ذلك الحين تعتبر مقتصرة عليهم . فإذ رفعوا أصواتهم فوق صوت ذلك الخطيب صاحوا قائلين : «خُذْ مِثْلَ هذَا مِنَ الأَرْضِ ، لأَنَّهُ كَانَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ» .

«وَإِذْ كَانُوا يَصِيحُونَ وَيَطْرَحُونَ ثِيَابَهُمْ وَيَرْمُونَ غُبَارًا إِلَى الْجَوِّ ، أَمَرَ الأَمِيرُ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ ، قَائِلاً أَنْ يُفْحَصَ بِضَرَبَاتٍ ، لِيَعْلَمَ لأَيِّ سَبَبٍ كَانُوا يَصْرُخُونَ عَلَيْهِ هكَذَا» .

«فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ ، قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ ؟ فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الأَمِيرِ ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلاً انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ لأَنَّ هذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ فَجَاءَ الأَمِيرُ وَقَالَ لَهُ قُلْ لِي أَنْتَ رُومَانِيٌّ ؟ فَقَالَ نَعَمْ . فَأَجَابَ الأَمِيرُ أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هذِهِ الرَّعَوِيَّةَ . فَقَالَ بُولُسُ أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا . وَلِلْوَقْتِ تَنَحَّى عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَفْحَصُوهُ . وَاخْتَشَى الأَمِيرُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ ، وَلأَنَّهُ قَدْ قَيَّدَهُ» .

«وَفِي الْغَدِ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ الْيَقِينَ : لِمَاذَا يَشْتَكِي الْيَهُودُ عَلَيْهِ ؟ حَلَّهُ مِنَ الرِّبَاطِ ، وَأَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَكُلُّ مَجْمَعِهِمْ . فَأَحْضَرَ بُولُسَ وَأَقَامَهُ لَدَيْهِمْ» (أعمال ٢٢: ٢١ – ٣٠) .

كان الرسول مزمعاً أن يُحاكم الآن أمام المحكمة نفسها التي كان هو أحد أعضائها قبل اهتدائه . فإذ وقف أمام رؤساء اليهود كانت هيئته هيئة الهدوء

وتجلى على وجهه سلام المسيح: «فَتَفَرَّسَ ... فِي الْمَجْمَعِ وَقَالَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ ِللهِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» . فإذ سمعوا هذا القول اشتعلت في قلوبهم نار العداوة من جديد : «فَأَمَرَ حَنَانِيَّا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ، الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ عَلَى فَمِهِ» . فأمام هذا الأمر القاسي صاح بولس قائلاً : «سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ ، وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفًا لِلنَّامُوسِ ؟ فَقَالَ الْوَاقِفُونَ : «أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ اللهِ ؟» فببشاشته المعتادة أجاب بولس قائلاً : «لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لاَ تَقُلْ فِيهِ سُوءًا» .

«وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرِّيسِيُّونَ ، صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ . عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ» .

«وَلَمَّا قَالَ هذَا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ ، وَانْشَقَّتِ الْجَمَاعَةُ ، لأَنَّ الصَّدُّوقِيِّينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَلاَ مَلاَكٌ وَلاَ رُوحٌ ، وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَيُقِرُّونَ بِكُلِّ ذلِكَ» . فابتدأ الحزبان يخاصم أحدهما الآخر وهكذا خفت حدة مقاومتهم لبولس «وَنَهَضَ كَتَبَةُ قِسْمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَطَفِقُوا يُخَاصِمُونَ قَائِلِينَ :«لَسْنَا نَجِدُ شَيْئًا رَدِيًّا فِي هذَا الإِنْسَانِ ! وَإِنْ كَانَ رُوحٌ أَوْ مَلاَكٌ قَدْ كَلَّمَهُ فَلاَ نُحَارِبَنَّ اللهَ» (أعمال ٢٣: ١ – ٩) .

ففي التشويش الذي حدث عقب ذلك ، حاول الصدوقيون بكل شوق ولهفة أن يقبضوا على الرسول حتى يقتلوه ، أما الفريسيون فتاقوا بلهفة مماثلة إلى حمايته . فإذ «اخْتَشَى الأَمِيرُ أَنْ يَفْسَخُوا بُولُسَ ، فَأَمَرَ الْعَسْكَرَ أَنْ يَنْزِلُوا وَيَخْتَطِفُوهُ مِنْ وَسْطِهِمْ وَيَأْتُوا بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ» (أعمال ٢٣: ١٠) . وبعد ذلك إذ كان يتأمل في تلك الاختبارات القاسية التي وقعت له في ذلك اليوم ، ابتدا بولس

يخشى لئلا يكون تصرفه غير مرضى أمام الله . أيمكن أن يكون قد أخطأ أخيراً إذ زار أورشليم ؟ فهل رغبته الحارة في الانضمام إلى إخوته هي التي أدت إلى هذه النتيجة المشؤومة ؟

إن ذلك الدور الذي لعبه اليهود المدعين أنهم شعب الله المختار أمام العالم العديم الإيمان ، سبب لنفس الرسول حزناً وألماً شديدين . فكيف ينظر اليهم أولئك الضباط الوثنيون ؟- إذ يدّعون بأنهم يعبدون الله ويشغلون وظيفة مقدسة ومع ذلك يسلمون أنفسهم لتحكم الغضب الأعمى غير المعقول فيهم وفي تصرفاتهم ويحاولون إهلاك حتى إخوتهم الذين يتجرأون على مخالفتهم في العقيدة الدينية ، ويحولون مجلسهم المقدس الوقور إلى مشهد من مشاهد النزاع والتشويش الجنوني . لقد أحس بولس أن اسم إلهه قد لحقه العار في نظر أولئك الوثنيين .

أما الآن فقد أُلقى به في السجن وقد عرف أن أعداءه في خبثهم وحقدهم المتهور سيلجأون إلى أية وسيلة ليقضوا عليه . فهل حقاً انتهت خدمته للكنائس ، وهل ستدخلها الآن الذئاب الخاطفة ؟ كان عمل المسيح محبوباً جداً لقلب بولس ، وكان يفكر في المخاطر المحدقة بالكنائس المبعثرة هنا وهناك بجزع عميق ، تلك الكنائس التي كانت محرضة لاضطهاد أناس كالذين اصطدم بهم في مجمع السنهدريم . ففي ضيقه وخوفه بكى وصلى .

ولكن في ساعة الظلمة تلك لم يكن الرب غافلاً عن خادمه . لقد حرسه من ذلك الجمع سفاك الدماء في أروقة الهيكل ، وكان معه وهو ماثل أمام مجمع السنهدريم ، وكان معه في القلعة ، وقد أعلن نفسه لشاهده الأمين إجابة لصلوات الرسول الجادة في طلب الإرشاد : «وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ وَقَفَ بِهِ الرَّبُّ وَقَالَ : «ثِقْ

يَا بُولُسُ ! لأَنَّكَ كَمَا شَهِدْتَ بِمَا لِي فِي أُورُشَلِيمَ ، هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْهَدَ فِي رُومِيَةَ أَيْضًا» (أعمال ٢٣: ١١) .

كان بولس يتطلع طويلاً إلى الأمام مشتاقاً لزيارة روما . وكان يرغب جداً في أن يشهد للمسيح هناك ، ولكنه أحس بأن مقاصده أحبطها عداوة اليهود . ولم يكن يتوقع حتى ذلك الحين بأنه سيذهب إلى هناك أسيراً .

وفيما كان الرب يشجع خادمه ، فإن أعداء بولس كانوا يتآمرون عليه متلهفين على إهلاكه . «وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ صَنَعَ بَعْضُ الْيَهُودِ اتِّفَاقًا ، وَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ حَتَّى يَقْتُلُوا بُولُسَ . وَكَانَ الَّذِينَ صَنَعُوا هذَا التَّحَالُفَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ» (أعمال ٢٣: ١٢،١٣) . هنا نجد صوماً شبيهاً بذاك الذي قد دانه الله بفم إشعياء – صوماً «لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ ، وَلِتَضْرِبُوا بِلَكْمَةِ الشَّرِّ» (أشعياء ٥٨: ٤) .

فأولئك المتآمرون : «فَتَقَدَّمُوا إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ وَقَالُوا قَدْ حَرَمْنَا أَنْفُسَنَا حرمًا أَنْ لاَ نَذُوقَ شَيْئًا حَتَّى نَقْتُلَ بُولُسَ . وَالآنَ أَعْلِمُوا الأَمِيرَ أَنْتُمْ مَعَ الْمَجْمَعِ لِكَيْ يُنْزِلَهُ إِلَيْكُمْ غَدًا ، كَأَنَّكُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْحَصُوا بِأَكْثَرِ تَدْقِيق عَمَّا لَهُ . وَنَحْنُ ، قَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ ، مُسْتَعِدُّونَ لِقَتْلِهِ» (أعمال ٢٣: ١٤،١٥) .

إن الكهنة والشيوخ بدلاً من أن يوبخوا أولئك الرجال على هذه المكيدة القاسية وافقوا عليها بلهفة . إن بولس قال الصدق عندما شبه حنانيا بالقبر المبيَّض .

إلا أن الله تدخل لانقاذ حياة خادمه . ذلك أن ابن أخت بولس إذ سمع «بِالْكَمِينِ» الذي نصبه أولئك السفاحون ، «جَاءَ وَدَخَلَ الْمُعَسْكَرَ وَأَخْبَرَ بُولُسَ . فَاسْتَدْعَى بُولُسُ وَاحِدًا مِنْ قُوَّادِ الْمِئَاتِ وَقَالَ اذْهَبْ بِهذَا الشَّابِّ إِلَى الأَمِيرِ ، لأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُخْبِرُهُ بِهِ . فَأَخَذَهُ وَأَحْضَرَهُ إِلَى الأَمِيرِ وَقَالَ اسْتَدْعَانِي الأَسِيرُ

بُولُسُ ، وَطَلَبَ أَنْ أُحْضِرَ هذَا الشَّابَّ إِلَيْكَ ، وَهُوَ عِنْدَهُ شَيْءٌ لِيَقُولَهُ لَكَ» (أعمال ٢٣: ١٦ – ١٨) .

وقد استقبل كلوديوس ليسياس الشاب بكل رفق ، وإذ تنحى به سأله : «مَا هُوَ الَّذِي عِنْدَكَ لِتُخْبِرَنِي بِهِ ؟» فأجابه الشاب قائلاً : «إِنَّ الْيَهُودَ تَعَاهَدُوا أَنْ يَطْلُبُوا مِنْكَ أَنْ تُنْزِلَ بُولُسَ غَدًا إِلَى الْمَجْمَعِ ، كَأَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَسْتَخْبِرُوا عَنْهُ بِأَكْثَرِ تَدْقِيق . فَلاَ تَنْقَدْ إِلَيْهِمْ ، لأَنَّ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَامِنُونَ لَهُ ، قَدْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ لاَ يَأْكُلُوا وَلاَ يَشْرَبُوا حَتَّى يَقْتُلُوهُ . وَهُمُ الآنَ مُسْتَعِدُّونَ مُنْتَظِرُونَ الْوَعْدَ مِنْكَ» .

«فَأَطْلَقَ الأَمِيرُ الشَّابَّ مُوصِيًا إِيَّاهُ أَنْ لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ إِنَّكَ أَعْلَمْتَنِي بِهذَا» (أعمال ٢٣: ١٩– ٢٢) .

ففي الحال قرر ليسياس أن ينقل بولس من دائرة اختصاصه إلى دائرة اختصاص فيلكس الوالي . كان اليهود كشعب في حالة اهتياج وانفعال وكانوا كثيراً ما يحدثون الشغب . ووجود الرسول في أورشليم بشكل دائماً قد يؤدي إلى نتائج خطرة على المدينة وربما للوالي نفسه ولذلك : «دَعَا اثْنَيْنِ مِنْ قُوَّادِ الْمِئَاتِ وَقَالَ أَعِدَّا مِئَتَيْ عَسْكَرِيٍّ لِيَذْهَبُوا إِلَى قَيْصَرِيَّةَ ، وَسَبْعِينَ فَارِسًا وَمِئَتَيْ رَامِحٍ ، مِنَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَنْ يُقَدِّمَا دَوَابَّ لِيُرْكِبَا بُولُسَ وَيُوصِلاَهُ سَالِمًا إِلَى فِيلِكْسَ الْوَالِي» (أعمال ٢٣: ٢٣،٢٤) .

لم يكن هنالك وقت يضيعونه في ترحيل بولس: «فَالْعَسْكَرُ أَخَذُوا بُولُسَ كَمَا أُمِرُوا ، وَذَهَبُوا بِهِ لَيْلاً إِلَى أَنْتِيبَاتْرِيسَ» (عدد ٣١) . ومن هناك سار الفرسان بالأسير إلى قيصرية ، بينما عاد الأربعمائة عسكري إلى أورشليم .

وقد سلم قائد الكتيبة المسؤول أسيره إلى فيلكس كما سلمه أيضاً رسالة أعطاه إياها الأمير وفيها يقول : «كُلُودِيُوسُ لِيسِيَاسُ ، يُهْدِي سَلاَمًا إِلَى

الْعَزِيزِ فِيلِكْسَ الْوَالِي . هذَا الرَّجُلُ لَمَّا أَمْسَكَهُ الْيَهُودُ وَكَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْتُلُوهُ ، أَقْبَلْتُ مَعَ الْعَسْكَرِ وَأَنْقَذْتُهُ ، إِذْ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ . وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ الْعِلَّةَ الَّتِي لأَجْلِهَا كَانُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلْتُهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ ، فَوَجَدْتُهُ مَشْكُوًّا عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ مَسَائِلِ نَامُوسِهِمْ . وَلكِنَّ شَكْوَى تَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ أَوِ الْقُيُودَ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ . ثُمَّ لَمَّا أُعْلِمْتُ بِمَكِيدَةٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَصِيرَ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْيَهُودِ ، أَرْسَلْتُهُ لِلْوَقْتِ إِلَيْكَ ، آمِرًا الْمُشْتَكِينَ أَيْضًا أَنْ يَقُولُوا لَدَيْكَ مَا عَلَيْهِ . كُنْ مُعَافىً» (أعمال ٢٣: ٢٦ - ٣٠) .

ولما قرأ فيلكس الرسالة ، سأل إلى أية ولاية ينتمي الأسير وعندما قيل له أنه من كيليكية قال : «سَأَسْمَعُكَ مَتَى حَضَرَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ أَيْضًا . وَأَمَرَ أَنْ يُحْرَسَ فِي قَصْرِ هِيرُودُسَ» (عدد ٣٥) .

إن قضية بولس لم تكن هي الأولى التي وجد فيها خادم الله ملجأ وملاذاً عند الوثنيين يحميه من خبث من يقولون إنهم شعب الله المختار . إن اليهود في اهتياجهم ضد بولس أضافوا جريمة جديدة إلى تلك القائمة السوداء التي اشتهر بها تاريخ ذلك الشعب . لقد ظلوا يقسّون قلوبهم ضد الحق وبذلك صارت دينونتهم أكيدة وهلاكهم محتوماً .

قليلون هم الذين يتحققون من المعنى الكامل للكلام الذي نطق به المسيح الذي إذ كان في مجمع الناصرة أعلن عن نفسه أنه المسيا . وقد أعلن أنه أرسل ليعزي ويبارك ويخلص المحزونين والخطاة ، وحينئذ إذ رأى الكبرياء وعدم الإيمان قد سيطرا على قلوب سامعيه ، ذكّرهم أن الله في العصور القديمة تحول عن شعبه المختار بسبب عدم إيمانهم وتمردهم ، وأعلن نفسه لبعض من كانوا من البلدان الوثنية ممن لم يكونوا قد رفضوا نور السماء . فأرملة صرفة ونعمان السرياني

عاشا بموجب كل النور المعطى لهما ، ولهذا فقد حُسبا أكثر براً مـــن شـــعب الله المختار الذين قد ارتدوا عنه وضحوا بالمبادئ طلبا للراحة والكرامة الدنيوية .

وقد نطق المسيح في مسامع اليهود في الناصرة بحق مخيف عندما أعلن لـــهم أن رسول الله الأمين لا يجد لنفسه أماناً في ربوع إسرائيل المرتد . لم يريدوا أن يعرفوا قدره أو أن يقدروا خدماته . وفي حين كان رؤســـاء اليـــهود يتشـــدقون بغيرتهم العظيمة على كرامة الله وخير إسرائيل ، كانوا أعداء لكليهما . فبأقوالهم ومثالهم كانوا يبعدون الشعب عن الطاعة لله شيئاً فشيئاً – كانوا يبعدونـــهم إلـــى المكان الذي لم يكن يمكن لله أن يكون ملجأ لهم في يوم الضيق .

إن كلام التوبيخ الذي وجهه المخلص إلى شعب الناصرة كان ، فـــي قضيـــة بولس ، منطبقاً لا على اليهود غير المؤمنين وحدهم ، بل على إخوته في الإيمان أنفسهم . فلو أن قادة الكنيسة تنازلوا كلياً عن إحساسهم بالمرارة نحو الرســـول ، وقبلوه باعتباره قد دُعي دعوة خاصة من الله ليحمل الإنجيل إلى الأمم ، لكـــان الرب قد أبقاه لهم . ولم يكن الله قد قرر أن تنتهي خدمات بولس هكذا ســـريعاً ، ولكنه لم يجر معجزة ليبطل ويوقف تتابع الأحداث والظروف التي أوجدها مسلك قادة كنيسة أورشليم .

ونفس هذه الروح لا تزال تؤدي إلى نفس النتائج . فإهمال تقدير معونة النعمة الإلهية وإهمال استخدامها حسناً ، جرد الكنيسة وحرمها من بركات كثيرة . كـــم من المرات كان الله يريد أن يطيل خدمات أحد الخدام الأمنـــاء لـــو أن النـــاس قدروها حق قدرها . ولكن إذا كانت الكنيسة تسمح لأعداء النفوس بأن يفســـدوا الأذهان بحيث يشوهون ويحرفون أقوال خادم المسيح وأفعالـــه ، وإذا ســـمحوا لأنفسهم بأن يعترضوا طريقه ويعطلوا نفعه ، فالرب أحيانا يحرمهم من البركـــة التي منحهم إياها .

إن الشيطان دائب على العمل بواسطة أعوانه في تثبيط عزائم أولئك قد اصطفاهم الله لإنجاز عمل عظيم صالح ، وإهلاكهم إن أمكن . قد يكونون مستعدين للتضحية حتى بالحياة نفسها في سبيل نجاح وتقدم ملكوت الله وعمل المسيح ، ومع ذلك فإن المحتال الأعظم يقترح على إخوتهم أن يشكوا فيهم ، تلك الشكوك التي لو أبقوا عليها فستقوض الثقة في نزاهتهم واستقامة أخلاقهم ، وهكذا يعرقلون نفعهم . وكثيراً ما ينجح في أن يجلب عليهم ، عن طريق إخوتهم ، أحزاناً قلبية عظيمة بحيث يتدخل الله في رحمته ليعطي راحة لخدامه المضطهدين . وعندما تطوى يدا خادم الله المحتضر على صدره العديم الحياة ، ويصمت صوت الإنذار والتشجيع حينئذ يستيقظ المتحجرو القلوب ليروا ويقدروا البركات التي طرحوها بعيداً عنهم . فقد يكون موت خدام الله أولئك متمماً لما عجزت حياتهم عن تحقيقه .

الفصل التاسع والثلاثون

المحاكمة في قيصرية

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الأعمال) .

بعد وصول بولس إلى قيصرية بخمسة أيام ، جاء المشتكون عليه من أورشليم وكان يصحبهم خطيب استخدموه ليكون مشيراً لهم واسمه ترتلس . وقد سمح بسماع القضية حالاً . وأتى ببولس ليمثل أمام ذلك الجمع ، ثم : «ابْتَدَأَ تَرْتُلُّسُ فِي الشِّكَايَةِ» . وإذ حسب ذلك الخطيب المحتال أن الإطراء والتملق سيكون لهما تأثير أفعل في الحاكم الرومانى من إيراد بيانات الحق والعدالة ، بدأ خطابه بامتداح فيلكس فقال : «إِنَّنَا حَاصِلُونَ بِوَاسِطَتِكَ عَلَى سَلاَمٍ جَزِيل ، وَقَدْ صَارَتْ لِهذِهِ الأُمَّةِ مَصَالِحُ بِتَدْبِيرِكَ . فَنَقْبَلُ ذلِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ فِيلِكْسُ بِكُلِّ شُكْرٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ» (عدد ٢،٣) .

نرى ترتلس هنا ينحدر إلى الكذب الوقح لأن أخلاق فيلكس كانت منحطة وحقيرة . لقد قيل عنه إنه : «في ممارسة كل أنواع الشهوات والقسوة كانت له قوة ملك وطبع عبد» (تاريخ تاسيتوس ، الفصل الخامس والفقرة التاسعة) . والذين استمعوا لخطاب ترتلس عرفوا أن كلمات المداهنة التي نطق بها كانت كاذبة ، ولكن رغبتهم في إدانة بولس كانت أقوى من حبهم للحق .

وقد اتهم ترتلس بولس في خطابه بجرائم لو ثبت صدقها لنتج عن ذلك إدانته بالخيانة العظمى ضد الحكومة . فقد أعلن الخطيب قائلاً : «وَجَدْنَا هـذَا الرَّجُلَ مُفْسِدًا وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ ، وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ ، وَقَدْ شَرَعَ أَنْ يُنَجِّسَ الْهَيْكَلَ أَيْضًا» (عدد ٥،٦) . وحينئذ أبان ترتلس أن ليسياس ، أمير الكتيبة التي في أورشليم ، أخذ بولس بعنف شديد من أيدي اليهود عندما كانوا مزمعين أن يحكموا عليه بموجب شريعتهم الروحية ، وبذلك أرغمهم على رفع القضية لفيلكس . وقد أدلى بهذه البيانات لحمل الوالي على تسليم بولس إلى المحكمة اليهودية . وقد وافق اليهود الحاضرون في دار القضاء على هذه التهم كلها بحماس شديد ، وبذلوا جهدا كبيرا لإخفاء عداوتهم للأسير .

كان فيلكس يتمتع بقدر كبير من الذكاء لمعرفة ميول المشتكين على بولس وأخلاقهم . لقد عرف الباعث الذي جعلهم يتزلفون إليه ويتملقونه ، كما رأى أيضاً أنهم قد عجزوا عن إظهار صدق التهم التي قدموها ضد بولس . وإذ التفت إلى المتهم أومأ إليه أن يجاوب عن نفسه . ولم يضيع بولس وقته في كلام المديح ، إنما أبان فقط بأنه يمكنه أن يحتج ويدافع عن نفسه بسرور أشد أمام فيلكس ما دام أنه كان لسنين كثيرة قاض للأمة ، وصار يدرك إدراكاً صحيحاً كنه قوانين اليهود وعاداتهم . وإذ أشار بولس إلى التهم الموجهة ضده ، برهن بكل جلاء على أنه ولا واحدة منها صادقة . وقد صرح بأنه لم يحدث أي اضطراب ولا صنع تجمعاً في أي قسم من أورشليم ولا نجس الهيكل : «وَلَمْ يَجِدُونِي فِي الْهَيْكَلِ أُحَاجُّ أَحَدًا أَوْ أَصْنَعُ تَجَمُّعًا مِنَ الشَّعْبِ ، وَلاَ فِي الْمَجَامِعِ وَلاَ فِي الْمَدِينَةِ . وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُثْبِتُوا مَا يَشْتَكُونَ بِهِ الآنَ عَلَيَّ» (عدد ١٢،١٣) .

وفي حين أنه اعترف أنه «حَسَبَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَقُولُونَ لَهُ شِيعَةٌ» هكذا عبد إله آبائه ، فقد أكد أنه كان دائماً يؤمن: «بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ» ،

وأنه وفقاً لما جاء في تعليم الكتب المقدسة الواضحة ، كان يؤمن بقيامة الأموات . وبعد ذلك أعلن أن القصد الأوحد في حياته هو أن «يَكُونَ لِي دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ» (عدد ١٤،١٦) .

وبطريقة صريحة صادقة مستقيمة أعلن الغرض من زيارته لأورشليم ، وظروف القبض عليه ومحاكمته فقال : «وَبَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ جِئْتُ أَصْنَعُ صَدَقَاتٍ لأُمَّتِي وَقَرَابِينَ . وَفِي ذلِكَ وَجَدَنِي مُتَطَهِّرًا فِي الْهَيْكَلِ ، لَيْسَ مَعَ جَمْعٍ وَلاَ مَعَ شَغَبٍ ، قَوْمٌ هُمْ يَهُودٌ مِنْ أَسِيَّا ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرُوا لَدَيْكَ وَيَشْتَكُوا ، إِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَيَّ شَيْءٌ . أَوْ لِيَقُلْ هؤُلاَءِ أَنْفُسُهُمْ مَاذَا وَجَدُوا فِيَّ مِنَ الذَّنْبِ وَأَنَا قَائِمٌ أَمَامَ الْمَجْمَعِ ، إِلاَّ مِنْ جِهَةِ هذَا الْقَوْلِ الْوَاحِدِ الَّذِي صَرَخْتُ بِهِ وَاقِفًا بَيْنَهُمْ : أَنِّي مِنْ أَجْلِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أُحَاكَمُ مِنْكُمُ الْيَوْمَ» (عدد ١٧ – ٢١) .

كان الرسول يتكلم بغيرة وإخلاص ظاهرين وكان لكلامه قوة إقناع عظيمة . هذا وأن كلوديوس ليسياس قدم في رسالته إلى فيلكس شهادة مشابهة لهذه عن تصرفات بولس . فضلاً عن هذا فإن فيلكس نفسه كانت له دراية بالديانة اليهودية أكثر مما ظن كثيرون . ثم أن طريقة بولس الواضحة في تبيانه لحقائق القضية أعانت فيلكس لكي يدرك بوضوح أشد البواعث التي كانت مسيطرة على اليهود في محاولتهم إثبات التهمة على الرسول بأنه مثير فتنة وخائن للوطن . ولم ينصع الوالي إليهم أو يحاول إرضاءهم بالحكم ظلماً على مواطن روماني ، ولا أسلمه إلى أيديهم لينفذوا فيه حكم الموت بدون محاكمة عادلة . ومع ذلك فان فيلكس لم يعرف باعثاً أسمى من مصلحته الشخصية ، وكان يسيطر عليه حب المديح ورغبته في الترقي . ثم أن خوفه من إغضاب اليهود منعه من إنصاف إنسان ، علم أنه بريء ، إنصافاً

كاملاً . ولذلك قرر إرجاء المحاكمة حتى يأتي ليسياس : «مَتَى انْحَدَرَ لِيسِيَاسُ الأَمِيرُ أَفْحَصُ عَنْ أُمُورِكُمْ» (عدد ٢٢) .

وقد ظل الرسول سجيناً ، إلا أن فيلكس أمر قائد المئة المكلف بحراسة بولس : «وَتَكُونَ لَهُ رُخْصَةٌ (حرية) وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَخْدِمَهُ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ» (عدد ٢٣) .

وبعد ذلك بقليل أرسل فيلكس ودروسلا امرأته يستدعيان بولس ، حتى يسمعان منه في مقابلة خاصة «عن الإيمان بالمسيح» . كانا يرغبان ويتوقان لسماع هذه الحقائق الجديدة– الحقائق التي قد لا يسمعانها مرة أخرى ، والتي إذا رفضاها ستكون شاهداً سريعاً عليهما في يوم الله .

وقد اعتبر بولس هذه المناسبة فرصه مقدمة له من الله ، فأحسن استخدامها بكل أمانة . لقد عرف أنه ماثل في حضرة إنسان له السلطان كي يقضي عليه بالموت أو يطلقه حراً . ومع ذلك فهو لم يخاطب فيلكس ودروسلا بألفاظ المديح أو التملق . فقد علم أن كلامه سيكون بالنسبة لهما إما رائحة حياة أو موت ، فإذ نسي كل الاعتبارات الذاتية ، حاول إيقاظهما للشعور بخطرهما .

أيقن الرسول بأن الإنجيل واجب على كل من يصغي إلى أقواله . وأن الناس سيقفون يوماً إما حول العرش العظيم الأبيض مع القديسين الأطهار ، أو مع أولئك الذين سيقول المسيح لهم : «اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ» (متى ٧: ٢٣) . وقد عرف أنه لا بد أن يلتقي مع كل واحد من سامعيه أمام محكمة السماء ، وأن عليه أن يقدم هناك حساباً ، ليس فقط عن كل ما قال وفعل ، بل أيضاً عن الدافع والروح الذي كان وراء أقواله وأفعاله .

كان مسلك فيلكس عنيفاً وقاسياً جداً بحيث أن قليلين جداً تجرأوا من قبل حتى على الإيعاز له بأن أخلاقه وتصرفاته لم تكن معصومة من الخطأ . ولكن بولس لم يكن يخشى بأس إنسان . فبكل صراحة جاهر بإيمانه بالمسيح ، وأسباب ذلك الإيمان ، وهكذا أرشده الله لأن يتحدث بنوع خاص عن تلك الفضائل الجوهرية في الخلق المسيحي ، والتي كان ذانك الزوجان المتغطرسان اللذان وقف أمامهما ، مجردين منها ومحرومين من امتلاكها إلى حد مخجل جداً .

وقد أوضح بولس لفيلكس ودروسلا صفات الله- البر والعدل والإنصاف وطبيعة شريعته . وقد أبان بكل جلاء أنه يجب على الإنسان أن يحيا حياة الصحو والتعقل والتعفف ضابطاً شهواته بضابط العقل امتثالاً لشريعة الله وحافظاً قوى جسمه وعقله في حالة الصحة . ثم أعلن أنه لا بد من مجيء يوم الدينونة ، ما في ذلك شك ، وفيه يدان الناس بحسب ما صنعوا في الجسد ، وحيث سيعلن بكل وضوح أن الثروة والمركز أو الألقاب لا قوة لها لتكسب الإنسان رضى الله ، أو أن تنقذه من قصاص خطيته وعواقبها الوخيمة . وقال أيضاً إن هذه الحياة إن هي إلا الفرصة المقدمة للإنسان ليتأهب للحياة العتيدة . فلو أهمل الفرص والامتيازات الحاضرة ، فسيخسر خسارة أبدية ولن تعطى له فرصة إمهال جديدة .

وقد أسهب بولس في الكلام بوجه خاص عن مطاليب شريعة الله البعيدة المدى . وقد أبان كيف أنها تمتد إلى أغوار خفايا طبيعة الإنسان الأدبية وتلقى فيضاً من النور على ما قد أخفي عن عيون الناس وعلمهم . فما تفعله اليدان أو ينطق به اللسان- وما تكشف عنه الحياة الخارجية- إنما يكشف بكيفية ناقصة صفات الإنسان الأدبية . إن الشريعة تفحص افكاره وبواعثه ومقاصده .

فالانفعالات المظلمة التي تكمن في الداخل بعيداً عن عيون الناس ، والحسد والغيرة والبغضة والشهوة والطمع والطموح الدنيوي والأعمال الشريرة التي يفكر فيها الإنسان في مخادع النفس الخفية المظلمة والتي لم تخرج إلى حيز التنفيذ لعدم وجود فرصة– كل هذا تدينه شريعة الله .

وقد حاول بولس أن يوجه تفكير ذينك السامعين إلى الذبيحة الوحيدة العظيمة المقدمة عن الخطية . لقد أشار إلى الذبائح التي كانت رمزاً لأشياء عتيدة أفضل ، وحينئذ قدم لهما المسيح بوصفه الشخص الذي كانت ترمز إليه كل تلك الطقوس،– الهدف الذي كانت تشير إليه بوصفه نبع الحياة والرجاء الوحيد للإنسان الساقط . لقد خلص القديسون قديماً بالإيمان بدم المسيح . فإذ كانوا يشاهدون آلام النزع التي كانت تقاسيها تلك الذبائح الكفارية ، تطلعوا عبر هوة الأجيال إلى حمل الله الذي كان مزمعاً أن يرفع خطية العالم .

إن لله الحق أن يطلب من كل خلائقه أن يحبوه ويطيعوه . لقد قدم لهم في شريعته مثالاً كاملاً للحق والصواب . ولكن كثيرين ينسون صانعهم ويفضلون اتباع طريقتهم في مقاومة مشيئته . إنهم يقابلون بالعداء محبته التي هي عالية علو السماء ومتسعة كاتساع المسكونة . إن الله لا يمكن أن يخفض من مطاليب شريعته لكي تتساوى مع مقياس الناس الأشرار ، ولا يستطيع الإنسان بقوته أن يتمم مطاليب الشريعة . إنما فقط بالإيمان بالمسيح يستطيع الخاطئ أن يتطهر من إثمه ويستطيع أن يقدم الطاعة لشريعة خالقه .

وهكذا قدم بولس ، السجين ، مطاليب شريعة الله لليهود والأمم ، وقدم يسوع الناصري المحتقر كابن الله وفادي العالم .

لقد فهمت تلك الأميرة اليهودية جيداً الصفة المقدسة لتلك الشريعة التي قد تعدت عليها بغير استحياء ، ولكن تعصبها ضد رجل الجلجثة قسى قلبها حتى لا

يتأثر بكلمة الحياة . أما فيلكس فلم يكن قد سمع الحق من قبل ، فإذ صوب روح الله سهام التبكيت إلى قلبه ، تأثر تأثراً عميقاً واهتاجت نفسه . فإذ استيقظ الضمير عندئذ ، أحس فيلكس أن كلام بولس صادق . وقد عادت به الذكرى إلى ماضيه وجرائمه التي ارتكبها فيه . وبوضوح مرعب اصطفت أمامه خفايا حياته الماضية حياة الخلاعة وسفك الدماء ، وسجل حياته الأسود الذي دونته حياته في سنيه اللاحقة . وقد رأى نفسه إنساناً فاجراً قاسياً وظالماً لم يسبق للحق أن مس قلبه من قبل كما حدث الآن ، ولم يسبق لنفسه أن امتلأت بمثل ذلك الرعب . إن الفكر بأن كل خفايا حياته ، حياة الشر والإجرام كانت مكشوفة أمام عيني الله ، وأنه لا بد أن يدان بحسب أعماله ، كل ذلك جعله يرتجف من هول الرعب .

ولكن بدلاً من أن يسمح لقناعاته أن تسوقه إلى التوبة ، حاول أن يطرد عنه هذه الأفكار المزعجة . لقد أنهى تلك المقابلة مع بولس بقوله له : «أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ ، وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ» (عدد ٢٥) .

ما أبعد الفرق بين تصرف فيلكس هذا وبين تصرف سجان فيلبي ، لقد أتي بخادمي الرب مقيدين إلى السجان كما أتي ببولس إلى فيلكس . إن البرهان الذي قدماه على أنهما كانا مسنودين بقوة إلهية ، وتهليلهما وتسبيحهما وهما يقاسيان الآلام والعار ، وشجاعتهما عندما كانت الأرض تترنح بتأثير هزة الزلزلة ، وروح الغفران الشبيه بروح المسيح الذي أظهراه ، كل ذلك أدخل التبكيت إلى قلب السجان ، وفيما كان مرتعباً اعترف بخطاياه فوجد غفراناً . أما فيلكس فمع كونه ارتعب فإنه لم يتب . لقد رحَّب السجان بروح الله بفرح ليدخل إلى قلبه وبيته ، أما فيلكس فأمر الرسول الإلهي بالانصراف . واحد منهما اختار أن يصير ابناً لله ووارثاً للسماء ، أما الآخر فألقى نصيبه مع فعلة الإثم .

ولمدى سنتين لم يتخذ أي إجراء ضد بولس ومع ذلك فقد ظل سجيناً . وقد زاره فيلكس مراراً وأصغى إلى أقواله بكل انتباه ولكن الدافع الحقيقي لتودده الظاهر للأسير كان حبه للمال ، وقد قال أنه لو دفع بولس مبلغاً كبيراً من المال فيمكن أن يطلق سراحه . ومع ذلك فإن طبيعة الرسول كانت من النبل بحيث رفض أن يطلق سراحه في مقابل رشوة . إنه لم يرتكب أي جرم ولم يرد أن ينحدر ليرتكب إثماً حتى يخرج حراً . وفضلاً عن ذلك فقد كان هو نفسه فقيراً لا يملك الفدية المطلوبة لو أنه أراد دفع الفدية ، ولم يرد أن يلجأ إلى عطف إخوته المهتدين وسخائهم لأجل نفسه . ثم أنه كان يحس بأنه بين يدي الله ولذلك لم يرد أن يتدخل في مقاصد الله لأجله .

أخيراً استدعي فيلكس إلى روما بسبب مظالم كثيرة ارتكبها ضد اليهود . فقبلما ترك قيصرية ليجيب على أمر استدعائه كمتّهم ، فكّر في «أَنْ يُودِعَ الْيَهُودَ مِنَّةً» (عدد ٢٧) بأن يترك بولس سجيناً . ولكن فيلكس لم يفلح في محاولته أن يستعيد ثقة اليهود . وقد عزل من وظيفته مجللاً بالعار وعين بوركيوس فستوس ليخلفه وكان مركز إدارته في قيصرية .

لقد نزلت شعاعة من نور السماء لتنير طريق فيلكس عندما كان بولس يحاجه عن البر والتعفف والدينونة العتيدة . تلك كانت الفرصة المقدمة له من السماء ليرى خطاياه ويتركها . ولكنه قال لرسول الله: «أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ ، وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ» . لقد استهان بآخر هبة رحمة قدمت له . ولم تقدم له دعوة أخرى من الله بعد ذلك .

الفصل الأربعون

بولس يرفع دعواه إلى قيصر

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢٥: ١ – ١٢) .

«فَلَمَّا قَدِمَ فَسْتُوسُ إِلَى الْوِلاَيَةِ صَعِدَ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ قَيْصَرِيَّةَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . فَعَرَضَ لَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَوُجُوهُ الْيَهُودِ ضِدَّ بُولُسَ ، وَالْتَمَسُوا مِنْهُ طَالِبِينَ عَلَيْهِ مِنَّةً ، أَنْ يَسْتَحْضِرَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (عدد ١ – ٣) . فهم إذ قدّموا هذا الالتماس قصدوا أن يترصدوا بولس في الطريق إلى أورشليم ويقتلوه . ولكن فستوس كان يقدر تبعات مركزه تقديراً عظيماً ، وبكل لطف رفض طلبهم . وقد أعلن قائلاً : «لَيْسَ لِلرُّومَانِيِّينَ عَادَةٌ أَنْ يُسَلِّمُوا أَحَدًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْمَشْكُوُّ عَلَيْهِ مُواجَهَةً مَعَ الْمُشْتَكِينَ ، فَيَحْصُلُ عَلَى فُرْصَةٍ لِلاحْتِجَاجِ عَنِ الشَّكْوَى» (أعمال ٢٥: ١٦) وقد صرح قائلاً : «وَأَنَّهُ هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَنْطَلِقَ عَاجِلاً» إلى قيصرية . ثم قال : «فَلْيَنْزِلْ مَعِي الَّذِينَ هُمْ بَيْنَكُمْ مُقْتَدِرُونَ . وَإِنْ كَانَ فِي هذَا الرَّجُلِ شَيْءٌ فَلْيَشْتَكُوا عَلَيْهِ» (عدد ٤،٥) .

ولكن هذا ما لم يكن يريده اليهود . إنهم لم ينسوا هزيمتهم السابقة في قيصرية . فعلى نقيض سلوك الرسول الهادئ وحججه القوية ، فإن روحهم الخبيثة واتهاماتهم التي لا تستند على أساس من الصحة بدت في أسوأ حالاتها .

وقد ألحوا مرة أخرى طالبين إن يؤتى ببولس إلى أورشـــليم ليحـــاكم ، ولكـــن فستوس أصر على تنفيذ غرضه في محاكمة بولس محاكمة عادلة في قيصريـــة . إن الله في عنايته سيطر على حكم فستوس لكي تطول حياة الرسول .

فلما فشلت مكايدهم تأهب رؤساء اليهود فوراً ليشهدوا ضد بولس في محكمـــة الوالي . فإذ عاد فستوس إلى قيصرية بعدما أقام في أورشليم أياماً قليلة : «وَفِـــي الْغَدِ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِبُولُسَ» «وَقَفَ حَوْلَهُ الْيَهُودُ الَّذِيـــنَ كَانُوا قَدِ انْحَدَرُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ ، وَقَدَّمُوا عَلَى بُولُسَ دَعَاوِيَ كَثِـــيرَةً وَثَقِيلَـــةً لَـــمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُبَرْهِنُوهَا» . فإذ لم يكن معهم محام هذه المرة ، فضلّـــوا أن يقدمـــوا شكواهم بأنفسهم . فلما تقدمت المحكمة في عملها برهن المتهم في هدوء وصـــدق وبكل جلاء بطلان كل اتهاماتهم .

وقد فهم فستوس أن موضوع النزاع يتصل بجملته بالعقائد اليهودية ، وأنه لـــو فهم الأمر على حقيقته ، فإنه لا شيء من التهم الموجهة إلى بولس ، حتى لو أمكن إثباتها ، يمكن أن تجعله مستحقاً لحكم الموت أو السجن . ومـــع ذلـــك فقـــد رأى بوضوح عاصفة الغضب التي يمكن أن تثور إذا لم يحكم على بولس أو يسلم إلـــى أيديهم : «وَلكِنَّ فَسْتُوسَ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُودِعَ الْيَهُودَ مِنَّةً» ، التفت إلى بولس وسأله عما إذا كان يرغب في الذهاب إلى أورشليم تحت حمايته ليحاكم أمام السنهدريم .

وقد علم الرسول أنه لا يمكنه أن ينتظر عدلاً من أولئك الناس الذيـــن كـــانوا بجرائمهم يستنزلون على أنفسهم غضب الله . وعلم أنه ، كالنبي إيليا ، يمكنه أن يجد أمناً أكثر بين الوثنيين منه بين أولئك الذين قد رفضوا النور الآتي من السماء وقســوا قلوبهم ضد الإنجيل . وإذ كان قد تعب وضجر من المنازعات ، فإن روحه النشـــطة لم تعد تستطع احتمال التأخيرات المتكررة والتوقف المتعاقب لمحاكمته وســجنه . ولذلك قرر أن يستخدم امتيازه كمواطن روماني لرفع دعواه إلى قيصر .

قال بولس جواباً على سؤال الوالي : «أَنَا وَاقِفٌ لَدَى كُرْسِيِّ وِلاَيَةِ قَيْصَرَ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ أُحَاكَمَ . أَنَا لَمْ أَظْلِمِ الْيَهُودَ بِشَيْءٍ ، كَمَا تَعْلَمُ أَنْتَ أَيْضًا جَيِّدًا . لأَنِّي إِنْ كُنْتُ آثِمًا ، أَوْ صَنَعْتُ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ ، فَلَسْتُ أَسْتَعْفِي مِنَ الْمَوْتِ . وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا يَشْتَكِي عَلَيَّ بِهِ هؤُلاَءِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَلِّمَنِي لَهُمْ . إِلَى قَيْصَرَ أَنَا رَافِعٌ دَعْوَايَ» (عدد ١٠،١١) .

ولم يكن فستوس يعلم شيئاً عن المؤامرات التي دبرها اليهود ضد بولس لاغتياله ، فاستغرب من أنه رفع دعواه إلى قيصر . ومع ذلك فإن كلام الرسول وضع حداً لإجراءات المحكمة .. حينئذٍ تكلم فستوس مع أرباب المشورة فأجاب : «إِلَى قَيْصَرَ رَفَعْتَ دَعْوَاكَ . إِلَى قَيْصَرَ تَذْهَبُ» (عدد ١٢) .

وهكذا حدث مرة أخرى أن خادماً لله بسبب الكراهية التي هي وليدة التعصب والبر الذاتي ، يضطر للالتجاء إلى الوثنيين لأجل الحماية . إن هذا العداء نفسه هو الذي أجبر إيليا على الهروب إلى أرملة صرفة لإعالته ، والذي أيضاً أرغم الكارزين بالإنجيل على الانصراف عن اليهود ليذيعوا بشرى الإنجيل بين الأمم . وشعب الله في هذا العصر سيواجهون هذه العداوة ذاتها ، إذ يوجد بين كثيرين من المعترفين بأنهم أتباع المسيح نفس الكبرياء والتمسك بالرسميات والطقوس والأنانية ونفس روح الاضطهاد والظلم التي كانت تحتل قلب اليهودي . وفي المستقبل سنرى أن كثيرين ممن يدعون بأنهم نواب المسيح يتخذون منهجاً مماثلاً للذي سار عليه كهنة اليهود ورؤساؤهم في معاملتهم للمسيح ورسله . وفي الأزمة العظيمة التي سيجتازون فيها قريباً ، سيصطدم خدام الله بنفس قساوة القلب ونفس الإصرار ونفس العداء الذي لا يخمد ولا يستكين .

فكل من يخدمون الله بلا خوف حسب إملاء ضمائرهم في ذلك اليوم الشرير سيكونون بحاجة إلى الشجاعة والثبات ومعرفة الله وكلمته لأن من هم أمناء لله

سيضطهدون وسيطعن في بواعثهم ، وجهودهم ستحرف واسمهم سيخرج كشرير . والشيطان سيعمل بكل قوته الخادعة ليؤثر على القلب ويظلم الإدراك ليجعل الشر يبدو خيراً والخير شراً . فكلما كان إيمان شعب الله قوياً ونقياً ، وكلما كان تصميمهم على إطاعته ثابتاً ، كلما زاد عنف الشيطان في محاولته أن يثير ضدهم غضب أولئك الذين ، في حين أنهم يدعون بأنهم أبرار ، يدوسون شريعة الله . إن الثبات على الإيمان المسلم مرة للقديسين سيتطلب أثبت اتكال وأعظم بطوله في السير نحو الهدف .

إن الله يريد أن يتأهب شعبه للأزمة القادمة سريعاً . ولا بد أن يواجهها الجميع سواء أكانوا متأهبين أو غير متأهبين . وأولئك الذين حياتهم على وفاق مع مقياس الله هم وحدهم الذين سيثبتون في ذلك الوقت وقت الامتحان والتجربة . وعندما يتحد الحكام الدنيويون مع خدام الدين في إملاء إرادتهم فيما هو من اختصاص الضمير ، فسيرى حينئذٍ من هم الذين يخافون الله ويخدمونه حقاً . فعندما تصل الظلمة إلى أشد حالات حلوكتها ، فإن نور الصفات الشبيهة بصفات الله ستضيء في أبهى لمعانها . وعندما يخذل الإنسان من كل سند بشري ، فسيرى من هم الذين لهم ثقة ثابتة في الله . وعندما ينتشر أعداء الحق على كل جانب ، ويحيطون بعبيد الرب منتظرين الفرصة ليوقعوا بهم الشر ، فإن الله يحرسهم ويرعاهم بالخير . وسيكون لهم كظل صخرة عظيمة في أرض معيية .

الفصل الحادي والأربعون

«بِقَلِيل تُقْنِعُنِي»

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢٥: ١٣- ٢٧ وإصحاح ٢٦) .

كان بولس قد رفع دعواه إلى قيصر فلم يسع فستوس إلا أن يرسله إلى روما . ولكن مر بعض الوقت قبل العثور على سفينة ملائمة ، وحيث أن أسرى آخرين كانوا مزمعين أن يرسلوا إلى روما مع بولس ، فإن النظر في قضاياهم أعاقتهم أيضاً عن السفر . وهذا أتاح لبولس فرصة عرض فيها أمام كبار القوم في قيصرية أسباب إيمانه ، كما عرضها أيضاً أمام الملك أغريباس الثاني آخر سلالة هيرودس .

«وَبَعْدَمَا مَضَتْ أَيَّامٌ أَقْبَلَ أَغْرِيبَاسُ الْمَلِكُ وَبَرْنِيكِي إِلَى قَيْصَرِيَّةَ لِيُسَلِّمَا عَلَى فَسْتُوسَ . وَلَمَّا كَانَا يَصْرِفَانِ هُنَاكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، عَرَضَ فَسْتُوسُ عَلَى الْمَلِكِ أَمْرَ بُولُسَ ، قَائِلاً يُوجَدُ رَجُلٌ تَرَكَهُ فِيلِكْسُ أَسِيرًا ، وَعَرَضَ لِي عَنْهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَمَشَايِخُ الْيَهُودِ لَمَّا كُنْتُ فِي أُورُشَلِيمَ طَالِبِينَ حُكْمًا عَلَيْهِ» (أعمال ٢٥: ١٣ – ١٥) . وقد حدد الظروف التي جعلت الأسير يرفع دعواه إلى قيصر وتحدث عن محاكمة بولس أمامه منذ عهد قريب وقال أن اليهود لم يقدموا ضد بولس أية شكوى مما كان يظن ، بل : «مَسَائِلُ مِنْ جِهَةِ دِيَانَتِهِمْ ، وَعَنْ وَاحِدٍ اسْمُهُ يَسُوعُ قَدْ مَاتَ ، وَكَانَ بُولُسُ يَقُولُ إِنَّهُ حَيٌّ» (أعمال ٢٥: ١٩) .

فإذا أخبر فستوس عن قصته أبدى أغريباس اهتماماً وقال : «كُنْتُ أُرِيدُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ الرَّجُلَ» فوفقاً لرغبته أعد ترتيب بأن يعقد اجتماع في اليوم التالي: «فَفِي الْغَدِ لَمَّا جَاءَ أَغْرِيبَاسُ وَبَرْنِيكِي فِي احْتِفَال عَظِيمٍ ، وَدَخَلاَ إِلَى دَارِ الاسْتِمَاعِ مَعَ الأُمَرَاءِ وَرِجَالِ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّمِينَ ، أَمَرَ فَسْتُوسُ فَأُتِيَ بِبُولُسَ» (أعمال ٢٥: ٢٣) .

حاول فستوس أن يجعل من تلك الفرصة عرضاً مهيباً لكي يبالغ في إكرام ضيوفه . فالحلل الغالية الثمن التي كان يلبسها الوالي وضيوفه ، وسيوف الجند ، وأسلحة قادتهم اللامعة أضفت على ذلك المشهد بهاء وهيبة .

والآن فها هو بولس الذي كان لا يزال مقيداً ، يقف أمام ذلك الجمع . فما كان أعظم الفارق بينه وبين أولئك العظماء . كان أغريباس وبرنيكي يتمتعان بسلطان ومكانة عظيمين ولهذا نالا رضى العالم . ولكنهما كانا مجردين من مسحة الخلق الذي يقدره الله . كانا متعديين على شريعته وفاسدين في قلبهما وحياتهما وكان تصرفهما كريهاً في نظر السماء .

لم يكن في منظر ذلك الأسير الشيخ الذي قيدت يده بيد حارسه ، ما يسوق الناس لإكرامه أو تقديم الولاء له . ومع ذلك فإن كل السماء كانت مهتمة بهذا الرجل الذي كان يبدو أنه بلا صديق أو ثروة أو مركز ، وكان سجيناً لأنه كان يؤمن بابن الله . كانت حاشيته من الملائكة . فلو أن أحد أولئك الملائكة ظهر ببهاء مجده المتألق لكان يكسف أبهة الملك وكبرياءه ، ولكان الملك وندماؤه يسقطون على الأرض مصعوقين كما حدث للحراس الذين كانوا يحرسون قبر المسيح .

وقد قدم فستوس بنفسه بولس إلى ذلك الجمع قائلاً : «أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ وَالرِّجَالُ الْحَاضِرُونَ مَعَنَا أَجْمَعُونَ ، أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ هذَا الَّذِي تَوَسَّلَ إِلَيَّ مِنْ

جهَتِهِ كُلُّ جُمْهُورِ الْيَهُودِ فِي أُورُشَلِيمَ وَهُنَا ، صَارِخِينَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ بَعْدُ . وَأَمَّا أَنَا فَلَمَّا وَجَدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ ، وَهُوَ قَدْ رَفَعَ دَعْوَاهُ إِلَى أُوغُسْطُسَ ، عَزَمْتُ أَنْ أُرْسِلَهُ . وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ يَقِينٌ مِنْ جِهَتِهِ لأَكْتُبَ إِلَى السَّيِّدِ . لِذلِكَ أَتَيْتُ بِهِ لَدَيْكُمْ ، وَلاَ سِيَّمَا لَدَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَحْصُ يَكُونُ لِي شَيْءٌ لأَكْتُبَ . لأَنِّي أَرَى حَمَاقَةً أَنْ أُرْسِلَ أَسِيرًا وَلاَ أُشِيرَ إِلَى الدَّعَاوِي الَّتِي عَلَيْهِ» (أعمال ٢٥: ٢٤- ٢٧) .

والآن فها هو الملك أغريباس يأذن لبولس أن يتكلم عن نفسه . ولم يرتبك الرسول ولا بهرته الأبهة والمناظر المتلألئة التي كانت أمامه أو المراكز الرفيعة التي كانت لأولئك السامعين ، لأنه عرف تفاهة قيمة غنى العالم والمراكز الدنيوية السامية . فلم يكن ممكناً للأبهة والسلطان الأرضيين أن يرعبا شجاعته أو يسلباه قوة ضبط النفس ولو للحظة واحدة .

فهتف قائلاً : «إِنِّي أَحْسِبُ نَفْسِي سَعِيدًا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ ، إِذْ أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَحْتَجَّ الْيَوْمَ لَدَيْكَ عَنْ كُلِّ مَا يُحَاكِمُنِي بِهِ الْيَهُودُ . لاَ سِيَّمَا وَأَنْتَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْعَوَائِدِ وَالْمَسَائِلِ الَّتِي بَيْنَ الْيَهُودِ . لِذلِكَ أَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَسْمَعَنِي بِطُولِ الأَنَاةِ» (أعمال ٢٦: ٢،٣) .

وقد أخبرهم بولس بقصة اهتدائه من عناده وتشدده في عدم الإيمان ، إلى الإيمان بيسوع الناصري كفادي العالم . وقد وصف لهم الرؤيا السماوية التي ملأت قلبه رعباً لا يعبر عنه في بادئ الأمر ، ولكنها برهنت بعد ذلك على أنها نبع لأعظم عزاء ،- إعلان مجد الله الذي رأى في وسطه عرشاً يجلس عليه ذاك الذي كان قبلا يحتقره ويبغضه ، والذي كان يقصد أن يهلك تلاميذه وتابعيه . ومن تلك الساعة صار بولس إنساناً جديداً ومؤمناً مخلصاً وغيوراً بيسوع وقد صار كذلك بفضل الرحمة المغيرة المجددة .

فبوضوح وقوة لخص بولس أمام أغريباس الحوادث الهامة المتعلقة بحياة المسيح على الأرض . وقد شهد بأن مسيح النبوة قد ظهر في شخص يسوع الناصري . وأبان كيف أعلنت أسفار العهد القديم أن المسيا مزمع أن يظهر كإنسان بين الناس ، وكيف تمت في حياة يسوع كل الشروط التي أشار إليها موسى والأنبياء . فلأجل فداء العالم الهالك ، احتمل ابن الله الصليب مستهيناً بالخزي وصعد إلى السماء ظافراً على الموت والهاوية .

وقد جعل بولس يحتج قائلاً لماذا يعتبر أمراً لا يصدق أن يقوم المسيح من الأموات ؟ لقد كان ذلك يبدو له أمراً مستحيلاً فيما مضى ، ولكن كيف له أن يشك الآن فيما قد رآه وسمعه ؟ إنه رأى عند باب دمشق بكل يقين المسيح المصلوب والمقام ، نفس الشخص الذي كان يذرع شوارع أورشليم ومات على صليب الجلجثة وحطم ربط الموت وصعد إلى السماء . لقد رآه وتحدث معه باليقين نفسه الذي رآه وتحدث معه صفا ويعقوب ويوحنا أو أي واحد من التلاميذ الآخرين . لقد أمره ذلك الصوت أن يذيع إنجيل المخلص المقام فكيف يمكنه أن يعصى ذلك الأمر ؟ وقد أذاع في دمشق وفي أورشليم وكل اليهودية وفي الأقاليم البعيدة الشهادة عن يسوع المصلوب مبرهنا لكل الطبقات «أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» .

ثم أعلن الرسول قائلاً : «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَمْسَكَنِي الْيَهُودُ فِي الْهَيْكَلِ وَشَرَعُوا فِي قَتْلِي . فَإِذْ حَصَلْتُ عَلَى مَعُونَةٍ مِنَ اللهِ ، بَقِيتُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ ، شَاهِدًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَأَنَا لاَ أَقُولُ شَيْئًا غَيْرَ مَا تَكَلَّمَ الأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ . إِنْ يُؤَلَّمِ الْمَسِيحُ ، يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ ، مُزْمِعًا أَنْ يُنَادِيَ بِنُورٍ لِلشَّعْبِ وَلِلأُمَمِ» (أعمال ٢٦: ٢١ – ٢٣) .

وبذهول كبير أصغى الجمع كله إلى هذا الحديث الذي شرح فيه بولس اختباره العجيب . لقد أسهب الرسول في الكلام عن موضوعه المحبب إلى نفسه . ولم يشك في إخلاصه أي واحد من سامعيه . ولكن فيما كان محمولاً مع تيار فصاحته المقنعة ، قاطعه فستوس إذ صرخ بصوت عظيم قائلاً : «أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذَيَانِ» .

فأجابه الرسول قائلاً : «لَسْتُ أَهْذِي أَيُّهَا الْعَزِيزُ فَسْتُوسُ ، بَلْ أَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ الصِّدْقِ وَالصَّحْوِ . لأَنَّهُ مِنْ جِهَةِ هذِهِ الأُمُورِ ، عَالِمٌ الْمَلِكُ الَّذِي أُكَلِّمُهُ جِهَارًا ، إِذْ أَنَا لَسْتُ أُصَدِّقُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ ، لأَنَّ هذَا لَمْ يُفْعَلْ فِي زَاوِيَةٍ» . وبعد ذلك التفت إلى أغريباس وخاطبه بكلام مباشر قائلاً : «أَتُؤْمِنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ بِالأَنْبِيَاءِ ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُؤْمِنُ» .

فإذا تأثر أغريباس تأثراً عميقاً غاب عن ناظريه إلى لحظة كل ما كان يحيط به ونسي عظمة مركزه . وإذا كان شاعراً فقط بالحقائق التي سمعها ، وإذ لم ير سوى ذلك الأسير الوضيع ماثلاً أمامه كسفير الله ، أجابه بانفعال لا إرادي قائلاً : «بِقَلِيل تُقْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا» (عدد ٢٤ - ٢٨) .

فأجابه الرسول بكل غيرة وإخلاص : «كُنْتُ أُصَلِّي إِلَى اللهِ أَنَّهُ بِقَلِيل وَبِكَثِيرٍ ، لَيْسَ أَنْتَ فَقَطْ ، بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَنِي الْيَوْمَ ، يَصِيرُونَ هكَذَا كَمَا أَنَا ، مَا خَلاَ هذِهِ الْقُيُودَ» (عدد ٢٩) .

كان يمكن لفستوس وأغريباس وبرنيكي أن يفكوا القيود عن يدي الرسول ورجليه بموجب العدل . كان الجميع مذنبين إذ ارتكبوا جرائم هائلة . وقد سمع أولئك المذنبون هبة الخلاص تقدم لهم في ذاك اليوم باسم المسيح . وقد وجد على الأقل واحد كاد يقتنع بقبول النعمة ورحمة الغفران المقدمين له . ولكن أغريباس ألقى جانبا الرحمة المقدمة ورفض قبول صليب الفادي المصلوب .

لقد أشبع الملك فضوله ، ثم إذ نهض من كرسيه دل بذلك علـــى انفضــاض الاجتماع . وإذ تفرق ذلك الجمع جعلوا يتداولون قائلين : «إِنَّ هذَا الإِنْسَانَ لَيْــسَ يَفْعَلُ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ أَوِ الْقُيُودَ» .

ومع أن أغريباس كان يهودياً فإنه لم يشارك الفريسيين في غيرتهم وتعصبـهم الأعمى . فقال لفستوس : «كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ هذَا الإِنْسَانُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَفَـــعَ دَعْوَاهُ إِلَى قَيْصَرَ» (عدد ٣١،٣٢) . ولكن القضية كانت قد رفعـــت إلـــى تلـــك المحكمة العليا فصارت الآن خارجة عن دائرة اختصاص كـــل مـــن فســتوس وأغريباس .

الفصل الثاني والأربعون

السفر وانكسار السفينة

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢٨،٢٧: ١ – ١٠) .

هاهو بولس أخيراً في طريقه إلى روما . فقد كتب لوقا يقول : «فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الرَّأْيُ أَنْ نُسَافِرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى إِيطَالِيَا ، سَلَّمُوا بُولُسَ وَأَسْرَى آخَرِينَ إِلَى قَائِدِ مِئَةٍ مِنْ كَتِيبَةِ أُوغُسْطُسَ اسْمُهُ يُولِيُوسُ . فَصَعِدْنَا إِلَى سَفِينَةٍ أَدْرَامِيتِينِيَّةٍ ، وَأَقْلَعْنَا مُزْمِعِينَ أَنْ نُسَافِرَ مَارِّينَ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي فِي أَسِيَّا . وَكَانَ مَعَنَا أَرِسْتَرْخُسُ ، رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ مِنْ تَسَالُونِيكِي» (أعمال ٢٧ : ١، ٢) .

في القرن الأول للتاريخ المسيحي ، كان السفر بحراً مكتنفاً بصعاب ومخاطر خاصة . كان الملاحون الذين يمخرون عباب البحر يعتمدون بالأكثر على موقع الشمس والنجوم كي يحددوا وجهتهم ويعرفوا طريقهم . فمتى احتجبت هذه وكانت الدلائل تدل على أن عاصفة ستهب ، كان أصحاب السفن يخشون من المخاطرة بالنزول بسفنهم في عرض البحر . وفي خلال بعض شهور السنة كان السفر في البحر يبدو مستحيلاً .

كان بولس الرسول قد دعي لاحتمال تلك الاختبارات الصعبة التي كانت مزمعة أن تواجهه كثيراً في سلاسل أثناء الرحلة الطويلة الشاقة إلى إيطاليا .

ولكن حادثة واحدة خففت من هول شدتها ، – وهي السماح للوقا وارسترخس بمرافقته . وفي رسالته التي أرسلها إلى أهل كولوسي أشار بعد ذلك إلى ارسترخس على أنه «الْمَأْسُورُ مَعِي» (كولوسى ٤: ١٠) . ولكن مشاركة ارسترخس لبولس في أسره كانت بمحض اختياره لكي يخدمه في ضيقته وبلواه .

وقد بدأت الرحلة بنجاح . ففي اليوم التالي ألقوا مراسيهم في ميناء صيدا . وفي هذا الميناء «عَامَلَ يُولِيُوسُ بُولُسَ بِالرِّفْقِ ، وَأَذِنَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى عِنَايَةٍ مِنْهُمْ» (أعمال ٢٧: ٣) . وقد قدر الرسول الذي كان معتل الصحة هذا الإذن تقديراً عظيماً .

فلما غادرت السفينة صيدا ، دهمتها رياح مضادة ، وإذ ساقتها الريح بعيداً عن طريقها المستقيم صار تقدمها بطيئاً . وفي ميراليكية في إقليم كيليكية ، وجد قائد المئة سفينة إسكندرية كبيرة مسافرة إلى إيطاليا ، ففي الحال أنزل أسراه فيها . ولكن الرياح كانت لا تزال مضادة فصار تقدم السفينة صعباً . وكتب لوقا يقول : «وَلَمَّا كُنَّا نُسَافِرُ رُوَيْدًا أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وَبِالْجَهْدِ صِرْنَا بِقُرْبِ كِنِيدُسَ ، وَلَمْ تُمَكِّنَّا الرِّيحُ أَكْثَرَ ، سَافَرْنَا مِنْ تَحْتِ كِرِيتَ بِقُرْبِ سَلْمُونِي . وَلَمَّا تَجَاوَزْنَاهَا بِالْجَهْدِ جِئْنَا إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْمَوَانِي الْحَسَنَةُ» (أعمال ٢٧: ٧،٨) .

وفي المواني الحسنة اضطروا للبقاء بعض الوقت منتظرين أن تعتدل الرياح وتكون مواتية لهم . وكان الشتاء يقترب بسرعة : «وَصَارَ السَّفَرُ فِي الْبَحْرِ خَطِرًا» ، وكان المسؤولون عن السفينة ملتزمين أن يتخلوا عن كل رجاء في الوصول إلى وجهتهم قبل انقضاء فصل السفر بحراً في تلك السنة . والسؤال الذي كان عليهم أن يبتوا فيه حينئذ كان ما إذا كان يجب عليهم البقاء في المواني الحسنة أو أن يحاولوا الوصول إلى مكان أصلح يقضون فيه شهور الشتاء .

فتداولوا في هذا السؤال بكل اهتمام ، وقد توجه قائد المئة إلى بولس الذي ظفر باحترام الملاحين والجنود . فبدون تردد نصحهم بالبقاء حيث كانوا ، قائلاً : «أَنَا أَرَى أَنَّ هذَا السَّفَرَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بِضَرَرٍ وَخَسَارَةٍ كَثِيرَةٍ ، لَيْسَ لِلشَّحْنِ وَالسَّفِينَةِ فَقَطْ ، بَلْ لأَنْفُسِنَا أَيْضًا» ولكن «رُبَّانِ السَّفِينَةِ ... وَصَاحِبِهَا» وغالبية المسافرين والملاحين لم يميلوا لقبول هذه المشورة . ولأن الميناء الذي رسوا فيه «لَمْ يَكُنْ مَوْقِعُهَا صَالِحًا لِلْمَشْتَى ، اسْتَقَرَّ رَأْيُ أَكْثَرِهِمْ أَنْ يُقْلِعُوا مِنْ هُنَاكَ أَيْضًا ، عَسَى أَنْ يُمْكِنَهُمُ الإِقْبَالُ إِلَى فِينِكْسَ لِيَشْتُوا فِيهَا . وَهِيَ مِينَا فِي كِرِيتَ تَنْظُرُ نَحْوَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ الْغَرْبِيَّيْنِ» (عدد ١٠– ١٢) .

وقد استقر رأي قائد المئة على النزول على حكم الأكثرية . ولذلك : «فَلَمَّا نَسَّمَتْ رِيحٌ جَنُوبٌ» ، أقلعوا من الموانى الحسنة على أمل أنهم يصلون إلى الميناء التي يرغبون في الوصول إليها : «وَلكِنْ بَعْدَ قَلِيل هَاجَتْ ... رِيحٌ زَوْبَعِيَّةٌ ... خُطِفَتِ السَّفِينَةُ وَلَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُقَابِلَ الرِّيحَ» (عدد ١٣– ١٥) .

فإذا كانت الريح العاصفة تسوق السفينة اقتربت من جزيرة صغيرة تدعى كلودي . وإذ كانوا محتمين فيها استعد الملاحون لمواجهة أسوأ الاحتمالات . ثم أن قارب النجاة الذي كان وسيلتهم الوحيدة للنجاة لو غرقت السفينة ، كان مقطوراً إلى السفينة وكان معرضاً لأن يتحطم في أية لحظة . فأول مهمة أمامهم كانت رفع القارب إلى ظهر السفينة . وقد أعدت بعد ذلك الاحتياطات لتقوية السفينة وإعدادها للصمود للعاصفة . والحماية الطفيفة التي وفرتها لهم الجزيرة الصغيرة لم تجدهم وقتاً طويلاً ، فسرعان ما تعرضوا من جديد للعاصفة في أعنف حالاتها .

وقد ظلت العاصفة تثور طوال الليل ، وبالرغم من الاحتياطات التي اتخذت ، فقد ثُقبت السفينة ، لذلك «جَعَلُوا يُفَرِّغُونَ (السفينة) فِي الْغَدِ» . ثم أقبل الليل

ثانية ، ولكن الرياح لم تخف وطأتها . فتلك السفينة التي كانت تضربها الرياح ، بساريتها المهشمة وقلوعها الممزقة ، كانت تندفع إلى هنا وهناك بفعل الرياح الثائرة وقد تقاذفها ذلك النوء الهائج . وفي كل لحظة كان يبدو كأن أخشاب السفينة المتداعية لا بد أن تتهاوى إذ كانت السفينة تترنح وترتج بشدة أمام صدمات العاصفة . وقد زاد الثقب اتساعاً بسرعة ، فجعل المسافرون والنوتية يعملون بلا انقطاع في تشغيل المضخات . ولم يكن أحد ممن على ظهر السفينة ليستريح لحظة واحدة . وقد كتب لوقا يقول : «وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَمَيْنَا بِأَيْدِينَا أَثَاثَ السَّفِينَةِ . وَإِذْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ وَلاَ النُّجُومُ تَظْهَرُ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا نَوْءٌ لَيْسَ بِقَلِيل ، انْتُزِعَ أَخِيرًا كُلُّ رَجَاءٍ فِي نَجَاتِنَا» (عدد ١٩، ٢٠) .

ولمدى أربعة عشر يوماً كانوا ينجرفون بلا هدى تحت سماء لم تظهر فيها الشمس ولا النجوم . ومع أن الرسول كان يتألم جسمانياً ، فقد نطق بأقوال الرجاء في أحلك الساعات ، وكانت له يد معينة في أوقات الطوارئ المحرجة . فبالإيمان تمسك بذراع الإله السرمدي وكان قلبه متكلاً على الله . لم يكن خائفاً على نفسه ، فقد كان يعلم أن الله سيحفظه ليشهد في روما لحق المسيح . ولكن قلبه كان يخفق بالعطف والحنان على النفوس المسكينة التي حوله ، تلك النفوس الخاطئة المنحطة غير المستعدة لمواجهة الموت . فإذ توسل إلى الله بكل غيرة وحرارة كي يُبقي على حياتهم ، أعلن له أن طلبته قد أجيبت .

وإذ انتهز بولس الفرصة التي هدأت فيها العاصفة قليلاً ، وقف على ظهر السفينة ورفع صوته قائلاً : «كَانَ يَنْبَغِي أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْ تُذْعِنُوا لِي ، وَلاَ تُقْلِعُوا مِنْ كرِيتَ ، فَتَسْلَمُوا مِنْ هذَا الضَّرَرِ وَالْخَسَارَةِ . وَالآنَ أُنْذِرُكُمْ أَنْ تُسَرُّوا ، لأَنَّهُ لاَ تَكُونُ خَسَارَةُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ ، إِلاَّ السَّفِينَةَ . لأَنَّهُ وَقَفَ بِي هذِهِ اللَّيْلَةَ مَلاَكُ الإِلهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ ، قَائِلاً : لاَ تَخَفْ يَا بُولُسُ .

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ . وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ اللهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ . لِذلِكَ سُرُّوا أَيُّهَا الرِّجَالُ ، لأَنِّي أُومِنُ بِاللهِ أَنَّهُ يَكُونُ هكَذَا كَمَا قِيلَ لِي . وَلكِنْ لاَ بُدَّ أَنْ نَقَعَ عَلَى جَزِيرَةٍ» (عدد ٢١ – ٢٦)

انتعشت الآمال لدى سماع هذه الأقوال . واستيقظ الركاب والنوتية من جمودهم وذهولهم . فقد بقي عليهم عمل كثيراً ليعملوه ، فلا بد من أن يبذلوا كل ما في وسعهم من جهد لينجوا من الهلاك .

وفي الليلة الرابعة عشرة وهم يتخبطون في ذلك البحر بأمواجه الثائرة السوداء ، حدث أن الملاحين سمعوا «نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ» صوت أمواج كبيرة كأنها تضرب على اليابسة . ظنوا «أَنَّهُمُ اقْتَرَبُوا إِلَى بَرّ . فَقَاسُوا وَوَجَدُوا عِشْرِينَ قَامَةً . وَلَمَّا مَضَوْا قَلِيلاً قَاسُوا أَيْضًا فَوَجَدُوا خَمْسَ عَشْرَةَ قَامَةً» . ثم كتب لوقا يقول : «وَإِذْ كَانُوا يَخَافُونَ أَنْ يَقَعُوا عَلَى مَوَاضِعَ صَعْبَةٍ ، رَمَوْا مِنَ الْمُؤَخَّرِ أَرْبَعَ مَرَاسٍ ، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَصِيرَ النَّهَارُ» (عدد ٢٧ – ٢٩) .

وعند الفجر كانت ترى معالم الشاطئ الذي تضربه العواصف غير واضحة ، ولكنهم لم يستطيعوا رؤية أية علامات مألوفة . كان المنظر كئيباً جداً بحيث أن النوتية الوثنيين خارت عزيمتهم وشجاعتهم وكانوا «يَطْلُبُونَ أَنْ يَهْرُبُوا مِنَ السَّفِينَةِ ، وَأَنْزَلُوا الْقَارِبَ إِلَى الْبَحْرِ بِعِلَّةِ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَمُدُّوا مَرَاسِيَ مِنَ الْمُقَدَّمِ» ، فإذا اكتشف بولس نيتهم الدنيئة ، قال لقائد المئة والعسكر : «إِنْ لَمْ يَبْقَ هؤُلاَءِ فِي السَّفِينَةِ فَأَنْتُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْجُوا» . ففي الحال «قَطَعَ الْعَسْكَرُ حِبَالَ الْقَارِبِ وَتَرَكُوهُ يَسْقُطُ» في البحر . (عدد ٣٠ – ٣٢) .

إلا أن أحرج ساعة كانت لا تزال تنتظرهم . ومرة أخرى خاطبهم الرسول بكلمات التشجيع ، فتوسل إلى النوتية والمسافرين أن يتناولوا طعاماً قائلاً لهم : «هذَا هُوَ الْيَوْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ ، وَأَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ لاَ تَزَالُونَ صَائِمِينَ ، وَلَمْ تَأْخُذُوا

شَيْئًا . لِذلِكَ أَلْتَمِسُ مِنْكُمْ أَنْ تَتَنَاوَلُوا طَعَامًا ، لأَنَّ هذَا يَكُونُ مُفِيدًا لِنَجَاتِكُمْ ، لأَنَّهُ لاَ تَسْقُطُ شَعْرَةٌ مِنْ رَأْسِ وَاحِدٍ مِنْكُمْ» .

«وَلَمَّا قَالَ هذَا أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ اللهَ أَمَامَ الْجَمِيعِ ، وَكَسَّرَ ، وَابْتَدَأَ يَأْكُلُ» . وحينئذ فتلك الجماعة المتعبة والخائرة التي قوامها مئتان وخمس وسبعون نفساً والذين لولا وجود بولس لغمرهم اليأس ، اشتركوا مع الرسول في تناول الطعام : «وَلَمَّا شَبِعُوا مِنَ الطَّعَامِ طَفِقُوا يُخَفِّفُونَ السَّفِينَةَ طَارِحِينَ الْحِنْطَةَ فِي الْبَحْرِ» (عدد ٣٥،٣٦،٣٨) .

أشرق بعد ذلك نور النهار في ملء قوته ، ولكنهم لم يروا شيئاً يساعدهم على معرفة مكانهم في البحر . ومع هذا فقد «أَبْصَرُوا خَلِيجًا لَهُ شَاطِئٌ ، فَأَجْمَعُوا أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيْهِ السَّفِينَةَ إِنْ أَمْكَنَهُمْ . فَلَمَّا نَزَعُوا الْمَرَاسِيَ تَارِكِينَ إِيَّاهَا فِي الْبَحْرِ ، وَحَلُّوا رُبُطَ الدَّفَّةِ أَيْضًا ، رَفَعُوا قِلْعًا لِلرِّيحِ الْهَابَّةِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الشَّاطِئِ . وَإِذْ وَقَعُوا عَلَى مَوْضِعٍ بَيْنَ بَحْرَيْنِ ، شَطَّطُوا السَّفِينَةَ ، فَارْتَكَزَ الْمُقَدَّمُ وَلَبِثَ لاَ يَتَحَرَّكُ . وَأَمَّا الْمؤَخَّرُ فَكَانَ يَنْحَلُّ مِنْ عُنْفِ الأَمْوَاجِ» (عدد ٣٩ – ٤١) .

كان بولس والأسرى الآخرين مهددين الآن بمصير أرهب من انكسار السفينة . فقد رأى العسكر أنهم وهم يحاولون الوصول إلى اليابسة سيغدو من المستحيل عليهم مراقبة الأسرى الذين تحت حراستهم والحفاظ عليهم . فكل رجل سيحاول بكل قوته أن ينجو بنفسه . ومع ذلك فإنه لو فقد أحد الأسرى فإن حياة الجنود المسئولين عنهم ستهلك . ولهذا كان العسكر يرغبون في قتل جميع الأسرى . وكان القانون الروماني يبيح هذه السياسة القاسية ، وكان يمكن تنفيذ هذه الخطة في الحال لولا ذاك الذي كان الجميع على السواء مدينين له بالكثير . لقد عرف يوليوس قائد المئة أن بولس كان واسطة في إنقاذ حياة كل من كانوا على ظهر السفينة ، وفضلاً عن ذلك فإذ كان مقتنعاً

أن الرب معه ، خاف من أن يمسه بسوء . ولذلك أمر : «أَنَّ الْقَادِرِينَ عَلَى السِّبَاحَةِ يَرْمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَوَّلاً فَيَخْرُجُونَ إِلَى الْبَرِّ ، وَالْبَاقِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَلْوَاحٍ وَبَعْضُهُمْ عَلَى قِطَعٍ مِنَ السَّفِينَةِ . فَهكَذَا حَدَثَ أَنَّ الْجَمِيعَ نَجَوْا إِلَى الْبَرِّ» (عدد ٤٣،٤٤) . ولما نوديت الأسماء لم يكن واحداً منهم مفقوداً .

فتلك الجماعة التي تحطمت بهم السفينة استقبلهم أهل مليطة البرابرة بكل رفق ومحبة . وقد كتب لوقا يقول : «أَوْقَدُوا نَارًا وَقَبِلُوا جَمِيعَنَا مِنْ أَجْلِ الْمَطَرِ الَّذِي أَصَابَنَا وَمِنْ أَجْلِ الْبَرْدِ» . وقد كان بولس ضمن من نشطوا لخدمة الآخرين وراحتهم . فإذ جمع «كَثِيرًا مِنَ الْقُضْبَانِ وَوَضَعَهَا عَلَى النَّارِ ، فَخَرَجَتْ مِنَ الْحَرَارَةِ أَفْعَى وَنَشِبَتْ فِي يَدِهِ» . فأصاب الرعب الناظرين ، وإذ رأوا من السلاسل التي في يديه أنه أسير ، قالوا بعضهم لبعض : «لاَ بُدَّ أَنَّ هذَا الإِنْسَانَ قَاتِلٌ ، لَمْ يَدَعْهُ الْعَدْلُ يَحْيَا وَلَوْ نَجَا مِنَ الْبَحْرِ» . ولكن بولس نفض الوحش إلى النار ولم يتضرر بشيء رديء . وإذ كان أولئك القوم يعرفون الطبيعة السامة لتلك الأفعى كانوا ينتظرون أنه مزمع أن يسقط في أية لحظة وهو يتلوى من هول الآلام : «فَإِذِ انْتَظَرُوا كَثِيرًا وَرَأَوْا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ شَيْءٌ مُضِرٌّ ، تَغَيَّرُوا وَقَالُوا هُوَ إِلهٌ» (أعمال ٢٨: ٢ – ٦) .

وفي غضون الشهور الثلاثة التي قضاها من كانوا فوق ظهر السفينة في مليطة ، أحسن بولس ورفيقاه استخدام فرص كثيرة في الكرازة بالإنجيل . وقد عمل الله بواسطتهم بطريقة عجيبة . فإكراماً لبولس ، عومل أولئك القوم الذين نجوا من حطام السفينة بشفقة عظيمة ، وتمت تلبية كل احتياجاتهم . وعند مغادرتهم مليطة زودوا بكل ما يحتاجون إليه في سفرتهم . وقد أوجز لوقا أهم الحوادث التي جرت في مدة بقائهم هناك فقال :

«وكَانَ فِي مَا حَوْلَ ذلكَ الْمَوْضِعِ ضِيَاعٌ لِمُقَدَّمِ الْجَزِيرَةِ الَّذِي اسْمُهُ بُوبْلِيُوسُ . فَهذَا قَبِلَنَا وأَضَافَنَا بِمُلاَطَفَةٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ . فَحَدَثَ أَنَّ أَبَا بُوبْلِيُوسَ كَانَ مُضْطَجِعًا مُعْتَرًى بِحُمَّى وَسَحْجٍ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ بُولُسُ وَصَلَّى ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ فَشَفَاهُ . فَلَمَّا صَارَ هذَا ، كَانَ الْبَاقُونَ الَّذِينَ بِهِمْ أَمْرَاضٌ فِي الْجَزِيرَةِ يَأْتُونَ وَيُشْفَوْنَ . فَأَكْرَمَنَا هؤُلاَءِ إِكْرَامَاتٍ كَثِيرَةً . وَلَمَّا أَقْلَعْنَا زَوَّدُونَا بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ» (عدد ٧ – ١٠) .

الفصل الثالث والأربعون

في روما

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في أعمال ٢٨: ١١- ٣١ ، والرسالة إلى فليمون) .

عندما أصبح السفر بالبحر مأموناً ، بدأ قائد المئة وأسراه رحلتهم إلى روما . وكانت هنالك سفينة إسكندرية موسومة بعلامة «الْجَوْزَاءِ» قد شتت في مليطة في طريقها إلى الغرب ، فنزل فيها أولئك المسافرون . ومع أن بعض الرياح المضادة قد أعاقتهم بعض الوقت ، فقد تمت الرحلة بسلام وألقت السفينة مراسيها في ميناء بوطيولي الجميل على شاطئ إيطاليا .

وكان يوجد في هذا المكان قلة من المسيحيين ، فتوسلوا إلى الرسول أن يبقى بينهم سبعة أيام وقد منحهم قائد المئة هذا الامتياز . إن مسيحيو إيطاليا منذ وصلتهم رسالة بولس إلى أهل رومية كانوا ينتظرون بشوق أن يزورهم الرسول . ولم يكونوا يظنون أنه سيأتي كأسير ، إلا أن آلامه حببته إلى قلوبهم أكثر . وإذ كانت المسافة بين بوطيولي وروما لا تزيد عن مائة وأربعين ميلاً ، وكان الاتصال دائماً ومستمراً بين هذا الميناء وبين العاصمة ، فقد علم المسيحيون في روما أن بولس كان في طريقه إليهم وذهب بعض منهم لاستقباله والترحيب به .

ففي اليوم الثامن بعد نزولهم في الميناء ، سافر قائد المئة وأسراه إلى روما . وقد منح يوليوس للرسول كل معروف استطاع أن يقدمه له بكل سرور ورضى . ولكنه لم يستطع أن يغير حالته كأسير أو أن يفك السلسلة التي كان موثقاً بها إلى الجندي الذي كان يحرسه . فبقلب مثقل بالحزن سار بولس قدماً في زيارته التي طال انتظارها إلى عاصمة العالم . ما كان أبعد الفرق بين هذه الظروف والظروف التي كان ينتظرها ! فكيف يمكنه ، وهو مقيد وموصوم بالعار أن يكرز بالإنجيل ؟ إن آماله في ربح نفوس كثيرة للحق في روما ، بدا وكأنها قد حكم عليها بالخيبة والفشل .

أخيراً يصل المسافرون إلى فورن أبيوس التي تبعد عن روما أربعين ميلاً . فإذ يشقون لأنفسهم طريقاً في وسط الجموع التي تزحم الطريق العام العظيم ، ينظر العابرون إلى ذلك الشيخ الذي جلل الشيب رأسه والمقيد مع جماعة من المجرمين القساة ، نظرات تنم عن الاحتقار ، ويصير موضوع هزء الكثيرين وسخريتهم .

وفجأة تسمع صيحة فرح ، ويثب رجل من بين الجمع ويقع على عنق الأسير ويعانقه بدموع وبفرح ، كما يرحب ابن بأبيه الذي طال اغترابه . ويتكرر هذا المنظر مراراً إذ ترمقه العيون التي صارت حادة التمييز لطول انتظار أصحابها ولهفتهم ومحبتهم كي يشاهدوه . فكثيرون إذ رأوا ذلك الأسير المكبل بالحديد ، ميزوا فيه ذاك الذي كان في كورنثوس وفيلبي وأفسس يحدثهم بكلام الحياة .

وإذ يتجمهر أولئك التلاميذ المحبون حول أبيهم في الإنجيل ، يتوقف ذلك الجمع كله . ومع أن الجنود يضجرهم ذلك التأخير ، فإن قلوبهم لا تطاوعهم لمنع ذلك اللقاء السعيد ، لأنهم هم أيضاً قد تعلموا أن يكرموا ويقدروا أسيرهم . ففي ذلك الوجه المتعب المجهد ، يرى التلاميذ صورة المسيح . ويؤكدون لبولس أنهم لم ينسوه قط ولا كفوا عن أن يحبوه ، وأنهم مدينون له بالرجاء المفرح

الذي ينعش حياتهم ويعطيهم سلاماً مع الله . وفي حرارة محبتهم تاقوا أن يحملوه على أعناقهم طول الطريق إلى المدينة ، لو أعطي لهم ذلك الامتياز .

قليلون هم الذين يتحققون من فحوى تلك الكلمات التي سجلها لوقا والقائلة أن بولس لما رأى إخوته : «شَكَرَ اللهَ وَتَشَجَّعَ» (أعمال ٢٨: ١٥) . ففي وسط جماعة المؤمنين الباكين المواسين الذين لم يخجلوا من قيوده ، شكر الرسول الله بصوت عال . وقد انقشعت سحابة الحزن التي غشت روحه . لقد كانت حياته المسيحية سلسلة متواصلة من التجارب والآلام والمفشلات ، ولكنه في تلك الساعة أحس بأنه قد كوفئ مكافأة سخية . فسار في طريقه بخطوات ثابتة وقلب فرح متهلل . لم يعد يشكو من الماضي أو يخاف من المستقبل . لقد عرف أن وثقاً وشدائد تنتظره ، ولكنه عرف أيضاً أن عليه أن يحرر نفوساً من عبودية أرهب بكثير ، ففرح في آلامه لأجل المسيح .

وفي روما سلم قائد يوليوس أسراه إلى رئيس معسكر الإمبراطور . هذا وإن التقرير الذي قدّمه يوليوس عن بولس وكذلك الرسالة التي بعث بها فستوس ، كانا كفيلين بأن يجعلا رئيس المعسكر يعامل بولس معاملة حسنة وكريمة ، وبدلاً من أن يلقي به في السجن ، أذن له بأن يعيش في بيت استأجره لنفسه . ومع أنه كان طول الوقت موثقاً إلى أحد الجنود ، فقد كانت له الحرية بأن يستقبل أصدقاءه ويخدم لأجل نجاح وتقدم ملكوت المسيح .

إن كثيرين من اليهود الذين كانوا قد أبعدوا عن روما قبل هذا الوقت بسنين ، سمح لهم بالعودة ، وهكذا وجد كثيرون منهم في روما . لهؤلاء قبل غيرهم عوّل بولس أن يقدم الحقائق الخاصة بشخصه وبعمله ، قبلما تتاح لأعدائه الفرصة

لإثارتهم ضده . فبعد وصوله إلى روما بثلاثة أيام ، استدعى كبارهم ووجوههم وبطريقة بسيطة صريحة أبان لهم سبب مجيئه إلى روما كأسير .

فقال : «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا ضِدَّ الشَّعْبِ أَوْ عَوَائِدِ الآبَاءِ ، أُسْلِمْتُ مُقَيَّدًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَيْدِي الرُّومَانِيِّينَ ، الَّذِينَ لَمَّا فَحَصُوا كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُطْلِقُونِي ، لأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِيَّ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ لِلْمَوْتِ . وَلكِنْ لَمَّا قَاوَمَ الْيَهُودُ ، اضْطُرِرْتُ أَنْ أَرْفَعَ دَعْوَايَ إِلَى قَيْصَرَ ، لَيْسَ كَأَنَّ لِي شَيْئًا لأَشْتَكِيَ بِهِ عَلَى أُمَّتِي . فَلِهذَا السَّبَبِ طَلَبْتُكُمْ لأَرَاكُمْ وَأُكَلِّمَكُمْ ، لأَنِّي مِنْ أَجْلِ رَجَاءِ إِسْرَائِيلَ مُوثَقٌ بِهذِهِ السِّلْسِلَةِ» (أعمال ٢٨: ١٧ – ٢٠) .

ولم يقل الرسول لهم شيئاً عن الإهانات التي قاساها على أيدي اليهود ، أو عن المؤامرات المتكررة التي دبروها لاغتياله . وقد امتازت أقواله بالحذر والرفق . إنه لم يكن يطلب اهتماماً بشخصه أو عطفاً عليه ، بل أراد الدفاع عن الحق وضمان كرامة الإنجيل .

وجواباً على كلامه قرر سامعوه أنهم لم يقبلوا شكايات ضده لا في رسائل عامة ولا خاصة . وأن أحداً من اليهود الذين قدموا إلى روما لم يتهمه بأية جريمة . كما عبّروا عن شوقهم العظيم لأن يسمعوا بأنفسهم عن أسباب إيمانه بالمسيح ، قائلين : «لأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَنَا مِنْ جِهَةِ هذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يُقَاوَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ» (عدد ٢٢) .

وحيث أنهم هم أنفسهم الذين طلبوا ذلك ، فقد طلب منهم أن يعينوا يوماً يقدم فيه لهم حقائق الإنجيل . وفي الوقت المعين حضر كثيرون : «فَطَفِقَ يَشْرَحُ لَهُمْ شَاهِدًا بِمَلَكُوتِ اللهِ ، وَمُقْنِعًا إِيَّاهُمْ مِنْ نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ بِأَمْرِ يَسُوعَ ، مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ» (عدد ٢٣) . وقد سرد عليهم اختباره الشخصي ، وقدم لهم حججاً من أسفار العهد القديم ببساطة وإخلاص وقوة .

كما أبان لهم الرسول أن الدين لا ينحصر في الطقوس والرسميات أو العقـــائد والنظريات . فلو كان ينحصر في شيء من هذه لأمكن للإنسان أن يدركه بـالبحث والاستقصاء ، كما يدرك الأمور الدنيوية . وقد علم بولس أن الدين قـوة عمليـة مخلصة ومبدأ يأتي بجملته من الله ، واختبار شخصي لقوة الله المجددة للنفس .

ثم أراهم كيف أن موسى قد وجه أنظار إسرائيل إلى المسيح بوصفـه النبـى الذي كان عليهم أن يستمعوا اليه ، وكيف أن جميع الأنبياء قد شهدوا عنه بوصفه علاج الله العظيم للخطية ، والسيد المعصوم الذي كان مزمعاً أن يحمل خطايـا الأثمة . إنه لم يحاول تخطئة حفظهم للرسميات والطقوس ، بل أراهم أنهم فـي حين كانوا يحفظون الخدمات الطقسية بدقة عظيمة ، كانوا يرفضون ذاك الـذي كانت كل أنظمتهم وطقوسهم ترمز إليه .

وقد أعلن لهم بولس أنه في حالته قبل التجديد عـرف المسـيح ، لا معرفـة شخصية ، بل مجرد معرفة التصور الذي كان هو وبنو أمته يعتزون به حـول صفات المسيا الآتي وعمله . وأنه رفض يسوع الناصري كمحتال لأنه لم يحقـق هذا التصور . أما الآن فإن آراء بولس عن المسيح ورسالته هى أعظم روحانيـة وأسمى مما كانت قبلاً لأنه قد اهتدى وتجدد . وقد أكد لهم الرسول أنه لم يقـدم لهم المسيح حسب الجسد . لقد رأى هيرودس المسيح في أيـام تجسـده ، ورآه حنان ، وكذلك بيلاطس والكهنة والرؤساء جميعهم رأوه ، كما رآه أيضاً عسـكر الرومان . إلا أن هؤلاء كلهم لم يروه بعين الإيمان ، لم يروه بوصفـه الفـادي الممجد . إن إدراك المسيح بالإيمان ، ومعرفته معرفة روحية هي أمر ينبغـي أن يصبو الإنسان إليه أكثر من معرفته معرفة شخصية عندما عاش علـى الأرض . إن الشركة مع المسيح التي كان بولس يتمتع بها حينئذ كانت أكثر مـودة وحبـاً ودواماً من مجرد العشرة البشرية الأرضية .

وإذ كان بولس يتكلم عما قد عرف ويشهد بما قد رآه عن يسوع الناصري كرجاء إسرائيل ، اقتنع أولئك الذين كانوا يبحثون عن الحق بأمانة . وقد أحدث كلامه تأثيراً لا يمحى على أذهان بعض منهم على الأقل . أما الآخرون فبكل إصرار وعناد رفضوا شهادة الكتب المقدسة الصريحة مع أن الذي قدمها كانت عنده إنارة الروح القدس الخاصة . لقد عجزوا عن تفنيد حججه ومع ذلك رفضوا قبول استنتاجاته .

وقد مرت شهور طويلة بعد وصول بولس إلى روما ، قبلما جاء يهود أورشليم بأنفسهم ليقدموا شكواهم ضد الأسير . لقد تعطلت مساعيهم ومحاولاتهم مراراً ، أما الآن فإذ كان بولس مزمعاً أن يحاكم أمام أعلى محكمة في الإمبراطورية الرومانية ، فإنهم لم يريدوا أن يخاطروا كي لا يصابوا بهزيمة أخرى . لقد أعلن ليسياس وفيلكس وفستوس وأغريباس عن اقتناعهم ببراءة ساحة بولس . أما أمل أعدائه الوحيد في النجاح فكان ينحصر في كونهم يدبرون دسيسه يكسبون بها عطف الإمبراطور . والتأخير قد يخدم أغراضهم إذ يعطيهم متسعاً من الوقت يكملون فيه خططهم وينفذونها ، وهكذا انتظروا بعض الوقت قبل تقديم اتهاماتهم شخصياً ضد الرسول .

وقد شاءت عناية الله أن يؤول هذا التأخير إلى تقدم الإنجيل ونشره . فبواسطة فضل ومعروف أولئك الذين وكلت إليهم حراسة بولس سمح له بالسكنى في منزل رحب ومريح حيث كان يجتمع مع أصدقائه بكل حرية ، كما كان كل يوم يقدم الحق لمن كانوا يأتون ليسمعوه . وهكذا ظل لمدة سنتين «كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ ، وَمُعَلِّمًا بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ ، بِلاَ مَانِعٍ» (عدد ٣١) .

وفي غضون ذلك الوقت لم يكن لينسى الكنائس التي كان قد أسسها في بلدان كثيرة . فإذ كان الرسول يدرك المخاطر التي كانت تتهدد المهتدين إلى الإيمان

الجديد ، حاول قدر إمكانه أن يلبي احتياجاتهم بإرسال رسائل تشتمل على تحذيرات وتوجيهات عملية . وقد أرسل من روما خداماً مكرسين ليعملوا ليس فقط في هذه الكنائس بل في الحقول التي لم يذهب هو إليها . فهؤلاء الخدام ، كالرعاة الحكماء ، قووا وشددوا العمل الذي قد بدأه بولس حسناً ، وإذ ظل الرسول على اتصال بحالة الكنائس والمخاطر المحدقة بها بمراسلتهم ، أمكنه أن يمارس إشرافاً حكيماً على كل الكنائس .

وهكذا إذ كان يبدو أن بولس قد منع عن كل عمل نشط ، فقد بذل تأثيراً أبعد مدى وأطول أمداً مما لو كانت له الحرية للسفر وزيارة الكنائس كما في السنين الماضية . وكأسير الرب كانت له سيطرة أقوى على عواطف إخوته ، فالأقوال التي كان يكتبها ذاك الذي كان مقيداً لأجل المسيح ، استرعت انتباهاً وإكراماً أعظم مما كان وهو حاضر معهم بشخصه . ولم يتحقق المؤمنون من مقدار ثقل الأعباء التي كان يحملها بولس عنهم إلى أن أخذ من بينهم . فيما مضى كان أكثرهم يتملصون من المسؤولية وحمل الاثقال لأنه كانت تعوزهم حكمة الرسول ولباقته ونشاطه الذي لا يكل ، أما وقد تركوا مفتقرين للخبرة ليتعلموا الدروس التي قد أعرضوا عنها ، فقد صاروا يقدّرون إنذاراته ومشوراته وتعاليمه ، بعد أن كانوا قبلاً لا يقدّرون عمله وخدماته الشخصية بينهم . وإذ علموا أنه قد أبدى شجاعة وإيماناً في إبان مدة سجنه الطويلة ، صار ذلك حافزاً لهم على إظهار ولاء أعظم وغيرة أكمل في عمل المسيح .

كان بين مساعدي بولس في روما كثيرون من رفقائه وزملائه القدامى . فقد كان لا يزال معه «لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ» الذي لازمه في سفره من أورشليم ومدى السنتين اللتين قضاهما سجيناً في قيصرية وفي أثناء سفرته الخطرة إلى روما .

وكان تيموثاوس أيضاً يخدمه ويعزيه . كما أن تيخيكس وقف إلى جواره بكل نبل وشجاعة ، حتى أن الرسول كتب عنه يقول : «الأَخُ الْحَبِيبُ ، وَالْخَادِمُ الأَمِينُ ، وَالْعَبْدُ مَعَنَا فِي الرَّبِّ» (كولوسي ٤: ٧) كذلك كان معه أيضاً ديماس ومرقس . وكان أرسترخس وأبفراس «مأسورين معه» (راجع كولوسي ٤: ٧ – ١٤) .

أما مرقس فقد تعمق اختباره المسيحي منذ سني اعترافه بالإيمان في بدء حياته الروحية . فإذ درس حياة المسيح وموته بكل إمعان وتدقيق ، حصل على أفكار أوضح حول رسالة المخلص وأتعابها وتحدياتها . فإذ قرأ في أثر الجروح التي في يديه ورجليه دلائل خدمته للبشرية ، والمدى الذي يسوق إليه إنكار الذات في سبيل تخليص الضالين والهالكين ، أصبح مرقس راغباً في اتباع السيد في طريق التضحية . والآن إذ قاسم بولس الأسير في مصيره ، صار يدرك أكثر مما أدرك في أي وقت مضى أن ربح المسيح هو أفضل من كل ربح ، وأن أفدح خسارة هى أن يربح الإنسان العالم ويخسر النفس التي أهرق دم المسيح لفدائها . وقد ظل مرقس ثابتاً في وجه التجارب والضيقات القاسية ، وكان معيناً حكيماً ومحبوباً للرسول .

أما ديماس الذي ظل ثابتاً بعض الوقت فقد ترك خدمة المسيح بعد ذلك . وإذ كان بولس يشير إلى ذلك كتب يقول : «دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ» (٢تيموثاوس ٤: ١٠) . ففي سبيل الأرباح العالمية ضحّى ديماس بكل اعتبار سام ونبيل . ما كان أقصر نظره وهو يعقد تلك الصفقة ويقدم على تلك المبادلة ، فإذ كان ديماس لا يملك سوى الغنى أو الكرامة الدنيوية ، فقد كان فقيراً حقا مهما ادعى عن وفرة غناه ، أما مرقس فإذ اختار احتمال الآلام لأجل المسيح فإنه كان يملك غنى أبدياً إذ كان معتبراً في السماء من ورثة الله ووارثاً مع ابنه .

كان بين من سلموا قلوبهم لله عن طريق خدمات بولس في روما أنسيمس الذي كان عبداً وثنياً أخطأ إلى مولاه فليمون الذي كان أحد المؤمنين المسيحيين في كولوسي ، وهرب إلى روما . إن بولس بسبب رقة قلبه طلب أن يسعف هذا العبد الهارب البائس في فقره وضيقة نفسه ، وحينئذ حاول أن يدخل نور الحق إلى مخادع عقله المظلم . وقد أصغى أنسيمس إلى كلام الحياة واعترف بخطاياه واهتدى إلى الإيمان بالمسيح .

وقد جعل أنسيمس نفسه عزيزة على قلب بولس بتقواه وإخلاصه ، كما أنه اهتم أيضاً براحة الرسول وكان يرعاه بكل رقة ، هذا فضلاً عن غيرته على تقدم عمل الإنجيل . وقد رأى فيه بولس بعض ميزات خلقية كفيلة بأن تجعله مساعداً نافعاً في العمل الكرازي ، فنصحه بالعودة إلى فليمون بلا إبطاء ليستغفره ومن ثم يخطط للمستقبل . وقد وعده الرسول بأن يتحمل مسؤولية المبلغ الذي سرق من فليمون . وإذ كان الرسول مزمعاً أن يرسل تيخيكس برسائل إلى الكنائس المختلفة في آسيا الصغرى ، أرسل أنسيمس معه . كان اختبارا قاسياً لهذا العبد أن يسلم نفسه لذلك السيد الذي أخطأ إليه ، ولكن اهتداءه كان حقيقياً فلم يتحول عن واجبه .

وقد حمَّل بولس أنسيمس رسالة إلى فليمون استخدم فيها الرسول لباقته ورقته المعتادة في التوسل لأجل ذلك العبد التائب ، وعبر عن رغبته في أن يستبقيه عنده ليخدمه في المستقبل . وقد بدأت الرسالة بتحية حبية لفليمون كصديق وشريك في الخدمة .

فكتب يقول : «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . أَشْكُرُ إِلـهِي كُلَّ حِينٍ ذَاكِرًا إِيَّاكَ فِي صَلَوَاتِي ، سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ ، وَالإِيمَانِ الَّذِي لَكَ نَحْوَ الرَّبِّ يَسُوعَ ، وَلِجَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ ، لِكَيْ تَكُونَ شَرِكَةُ إِيمَانِكَ فَعَّالَةً فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ الصَّلاَحِ

الَّذِي فِيكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فليمون ٣ – ٦) . وقد ذكَّر الرسول فليمون أن كل غرض صالح وكل ميزة خلقية نبيلة كانت له تنسب لنعمة المسيح . هذا وحده هو الذي جعله يختلف عن الناس المتمردين الفاسدين الخطأة . ونفس هذه النعمة أمكنها أن تجعل المجرم الحقير ابناً لله وخادماً نافعاً للإنجيل .

كان يمكن لبولس أن يشدد على فيلمون لكي يقوم بواجبه كمسيحي ، إلا أنه فضل لغة التوسل فقال : «إِذْ أَنَا إِنْسَانٌ هكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ الشَّيْخِ ، وَالآنَ أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَيْضًا أَطْلُبُ إِلَيْكَ لأَجْلِ ابْنِي أُنِسِيمُسَ ، الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قُيُودِي ، الَّذِي كَانَ قَبْلاً غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ ، وَلكِنَّهُ الآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي» (عدد ٩،١٠) .

وقد سأل الرسول فليمون بالنظر إلى اهتداء أنسيمس أن يقبل ذلك العبد التائب كابن له مظهراً له تلك المحبة التي تجعله يختار المعيشة مع سيده السابق : «لاَ كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَخًا مَحْبُوبًا» (عدد ١٦) . وقد عبّر له عن رغبته في استبقاء أنسيمس بوصفه يستطيع أن يخدمه في قيوده بالطريقة التي كان يمكن لفليمون نفسه أن يفعلها ، مع أنه لم يكن يرغب أن يخدمه أنسيمس ما لم يحرر فليمون ذلك العبد من تلقاء ذاته .

عرف الرسول كل المعرفة مقدار القسوة التي كان السادة يعاملون بها عبيدهم ، كما عرف أيضاً أن فليمون كان مغتاظاً جداً بسبب تصرف عبده . فحاول أن يكتب إليه بطريقة توقظ أعمق وأرق مشاعره كمسيحي . إن اهتداء أنسيمس جعله أخاً في الإيمان ، فكل عقوبة تفرض على هذا المهتدي حديثاً كان بولس يعتبرها واقعة عليه هو نفسه .

وقد تطوع بولس لاعتبار نفسه مسئولاً عن دَيْن أنسيمس حتى يجنب ذلك العبد المذنب عار القصاص ويعود للتمتع بالامتيازات التي قد خسرها . فكتب يقول لفليمون : «فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكًا ، فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي . ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ

بِشَيْءٍ ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَاحْسِبْ ذلِكَ عَلَيَّ . أَنَا بُولُسَ كَتَبْتُ بِيَدِي أَنَا أُوفِي» (عدد ١٧ - ١٩) .

كم يعبر هذا عن محبة المسيح للخاطئ التائب . فالعبد الذي قد غدر بمولاه لم يكن يملك شيئاً به يعوض عما اختلسه . والخاطئ الذي قد سلب الله سنيناً طويلة كان يمكنه فيها أن يخدمه لا يملك ما يفي به الدين أو يلغيه . ولكن يسوع يتوسط بين الخاطئ وبين الله قائلاً : أنا أوفي الدين . أبقِ على الخاطئ فأنا سأتألم بدلاً منه .

وبعدما تطوع بولس لأن يأخذ على نفسه تبعة دين أنسيمس ، جعل يذكر فليمون كم هو نفسه مدين للرسول . لقد كان مديناً له بذاته لأن الله جعل بولس واسطة لهدايته . وحينئذ وفي توسل رقيق غيور طلب من فليمون أنه كما أراح أحشاء القديسين بعطاياه السخية فكذلك هو يريده أن يريح روح الرسول بمنحه إياه هذا السبب للفرح . فقال : «إِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، عَالِمًا أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيْضًا أَكْثَرَ مِمَّا أَقُولُ» (عدد ٢١) .

إن رسالة بولس هذه إلى فليمون تظهر لنا تأثير الإنجيل على العلاقة بين السادة والعبيد . كان الاسترقاق أو تجارة الرقيق نظاماً ثابتاً في كل الإمبراطورية الرومانية . وفي معظم الكنائس التي خدم فيها بولس كان هناك السادة والعبيد . وفي المدن حيث كان العبيد في غالب الأحيان يتعدى عددهم عدد السكان الأحرار ، كانت القوانين الصارمة جداً تعتبر لازمة لإخضاعهم . وكثيراً ما كان الروماني الثري يملك مئات من العبيد من كل الطبقات والرتب والأمم وكل أنواع الثقافات والأعمال . وبسلطانه المطلق على أرواح هذه الخلائق التعسة وأجسادهم ، كان يمكنه أن يوقع عليهم أية عقوبة يختارها . ولو أن واحداً منهم تجرأ على رفع يده على سيده آخذا بالثأر أو دفاعاً عن النفس ، فكل أسرة

المذنب يمكن أن تقتل بلا رحمة . وأقل غلطة أو حادثة أو إهمال كـــانت توقـــع على مرتكبها القصاص بلا رحمة في غالب الأحيان .

ولكن بعض السادة الذين كانوا أرحم وأكرم من غيرهم كانوا يظهرون تسامحاً نحو عبيدهم ، إلا أن أكثرية الأثرياء والنبلاء الذين أسلموا أنفســـهم بـــلا رادع للانغماس في الهوى والشهوات والنهم ، جعلوا عبيدهم فرائـــس تعســـة للـــهوى والطغيان . وقد كان ذلك النظام برمته يميل إلى الانحطاط الذي لا يجبر .

ولم يكن عمل الرسول يهدف لقلب نظام المجتمع الثابت بطريقة اســـتبدادية أو فجائية . فلو حاول عمل ذلك لكان عمل الإنجيل يتعطل ويفشـــل . ولكنـــه قـــدم مبادئ ضربت تجارة الرقيق من أساسها ، ولو نفذت لكانت كفيلة بتقويض النظام كله . فقد أعلن قائلاً : «وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ» (٢كورنثـوس ٣: ١٧) . وكان العبد عندما يهتدي يصبح عضواً في جسد المسيح ، وكعضو فـــي الجســـد المقدس كان يجب أن يعامل بالمحبة ويعتبر كأخ وشريك مع سيده لبركـــات الله وامتيازات الإنجيل . ومن الناحية الأخـــرى كـــان علـــى العبيـــد أن يمارســـوا واجباتهم : «لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِـــيحِ ، عَـــامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ» (أفسس ٦: ٦) .

إن المسيحية توجد صلة اتحاد وثيقة بين السيد والعبد ، بين الملك ورعايـــاه ، بين خادم الإنجيل والخاطئ المنحط الذي قد وجد فـــي المســـيح تطـــهيراً مـــن خطاياه . لقد اغتسلوا في نفس الدم وأحياهم نفس الروح وصاروا واحـــداً فـــي المسيح يسوع .

الفصل الرابع والأربعون

بيت قيصر

لقد أحرز الإنجيل أعظم انتصاراته ووصل إلى أوج نجاحه بين الطبقات الفقيرة . وهاهو بولس يقول : «لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ» (١كورنثوس ١: ٢٦) . ولهذا لم يكن ينتظر أن بولس الذي كان أسيراً لا صديق له يستطيع أن يظفر باهتمام وانتباه المواطنين الرومان الأثرياء وطبقة الأشراف . فلمثل هؤلاء قدمت الرذيلة إغراءاتها الخلابة وجعلتهم أسرى لها بمحض اختيارهم . ولكن من بين ضحايا ظلمهم ، الذين أضناهم التعب وأذلتهم الحاجة والعوز ، بل حتى من بين العبيد التعساء الفقراء ، أصغى كثيرون بفرح إلى أقوال بولس ، وبالإيمان بالمسيح وجدوا رجاء وسلاماً أسنداهم وعزياهم في ظل الظلم والمشقات التي كانت من نصيبهم .

ومع ذلك ففي حين أن عمل الرسول بدأ بالوضعاء والأدنياء ، فقد امتد تأثيره إلى أن وصل إلى قصر الإمبراطور نفسه .

كانت روما في ذلك الوقت قصبة الدنيا. وكان القياصرة المتعجرفون يضعون الشرائع والقوانين لأغلب أمم الأرض. وكان الملك وندماؤه إما يجهلون كل شيء

عن الناصري الوضيع ، أو ينبذونه ويسخرون منه . ومع ذلك ففي فترة أقل من سنتين شق الإنجيل طريقه من بيت الأسير المتواضع إلى أبهاء قصر الإمبراطور . كان بولس مقيداً كفاعل شر . «لكِنَّ كَلِمَةَ اللهِ لاَ تُقَيَّدُ» (٢تيموثاوس ٢: ٩) .

في السنين الماضية جاهر الرسول بإيمان المسيح بقوة آسرة . وبالآيات والمعجزات قدم برهاناً لا يخطئ على الصفة الإلهية لهذا الإيمان . وبثبات ونبل وشجاعة وقف أمام حكماء اليونان ، وبعلمه الغزير وفصاحته النادرة أبكم حجج الفلسفة المتعجرفة . وبشجاعة لا تعرف الخوف وقف أمام ملوك وولاة وتحدث معهم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة ، حتى ارتعب الحكام المتكبرون كما لو أنهم كانوا يرون أهوال يوم الله .

أما حينئذ فلم تعد لدى الرسول مثل هذه الفرص التي حرم منها ، إذ كان عليه أن يلازم مسكنه لا يبرحه ، فكانت كرازته بالحق مقصورة على الذين كان يمكنهم المجيء إليه دون غيرهم . ولم يمنح له تفويض كالذي منح لموسى وهرون وفق أمر الهي ، بالذهاب إلى الملك الخليع ، وباسم إلهه العظيم يوبخه على قسوته وظلمه . ومع ذلك ففي نفس ذلك الوقت الذي بدا وكأن أعظم مدافع عن الحق قد انقطع عن العمل العلني ، أحرز الإنجيل نصرة عظيمة ، لأنه من نفس بيت الملك انضم أعضاء إلى الكنيسة .

لم يكن هنالك قط جو غير متجانس مع المسيحية مثلما كان في البلاط الروماني . فقد بدا أن نيرون قد محا عن نفسه آخر آثار الصفات الإلهية وحتى الصفات الإنسانية ، وأنه صار يحمل طابع الشيطان . وكان أتباعه وندماؤه في الغالب يتصفون بصفاته– فكانوا شرسين ومنحطين وفاسدين . وكان يبدو أن المسيحية يستحيل عليها أن تثبت قدمها في بلاط نيرون وقصره .

ومع ذلك ففي هذه الحالة كما في حالات أخرى كثيرة تبين صدق التصريح الذي نطق به بولس حين قال أن أسلحة محاربته «قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ» (٢كورنثوس ١٠: ٤) . فحتى في بيت نيرون أحرز الصليب انتصارات باهرة . فمن بين حاشية شريرة وفاسدة لملك أكثر شراً وفساداً ، ربح بعض المهتدين الذين صاروا أولاداً لله . ولم يكن هؤلاء مسيحيين في الخفاء ولكنهم جاهروا بمسيحيتهم ولم يستحوا بإيمانهم .

ولكن بأية وسيلة أمكن للمسيحية التغلغل وتثبيت قدمها حيث بدا أن دخولها أو السماح بها أمر مستحيل ؟ إن بولس في رسالته إلى أهل فيلبي ، نسب نجاحه في ربح مهتدين إلى الإيمان من بين نيرون إلى سجنه . فلخوفه من أن يظن أن آلامه قد عطلت تقدم الإنجيل ، أكد لجماعة الفيليبيين قائلاً : «أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّ أُمُورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ» (فيلبي ١: ١٢) .

لما علمت الكنائس المسيحية في بادئ الأمر أن بولس مزمع أن يزور روما ، كانوا ينتظرون أنه سيحرز نصراً فذاً للإنجيل في تلك المدينة . لقد حمل بولس الحق إلى بلدان كثيرة وكرز به في المدن العظيمة . أفلا يمكن لبطل الإيمان هذا أن يفلح في ربح نفوس للمسيح حتى في قصبة العالم ؟ إلا أن آمالهم تحطمت حين علموا أن بولس قد ذهب إلى روما أسيراً . كانوا يؤملون بكل ثقة أن يروا الإنجيل وقد ثبت ورسخت قدمه في هذا المركز العظيم ، ومن ثم يمتد بسرعة إلى كل الأمم ويصير هو القوة الغالبة في الأرض . فما كان أمر خيبة آمالهم ، لقد فشلت التوقعات البشرية ، أما قصد الله فلم يفشل .

إن ما كان مزمعاً أن يسترعي انتباه البلاط إلى المسيحية لم يكن هو عظات بولس بل وثقه وقيوده . فكأسير أمكنه أن يحطم قيود نفوس كثيرة قيدتها عبودية

الخطية . ولم يكن هذا كل شيء . فلقد أعلن قائلاً : «وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ بِوُثُقِي ، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلاَ خَوْفٍ» (فيلبي ١: ١٤) .

إن صبر بولس وفرحه في أثناء مدة سجنه الطويلة بغير حق ، وشجاعته وإيمانه ، كله كان بمثابة عظة دائمة . وروحه التي كانت على نقيض روح العالم شهدت بأن قوة أسمى من قوة الأرض كانت تلازمه . وقد حرك مثاله المسيحيين ودفعهم لبذل نشاط أعظم كمدافعين عن القضية التي كان قد انسحب بولس من العمل فيها جهاراً . فبهذه الوسائل كان لوثق الرسول تأثيرها بحيث أنه عندما بدا أن قوة كرازته وتأثيرها قد بطلا وانقطعا ، وكانت كل الظواهر تدل على أنه لن يعمل إلا أقل القليل ، حينئذ جمع حزماً للمسيح من حقول بدا كأنه قد نفي منها .

وقبل انقضاء السنتين اللتين قضاهما بولس سجينا أمكنه أن يقول : «إِنَّ وُثُقِي صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ وَفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ» وبين الذين أرسلوا سلامهم إلى أهل فيلبي يذكر على الخصوص «الَّذِينَ مِنْ بَيْتِ قَيْصَرَ» (فيلبي ١: ١٣؛ ٤: ٢٢) .

إن الصبر والشجاعة لهما نصراتهما . فبواسطة الاحتمال والوداعة تحت التجربة يمكن أن تربح نفوس للمسيح كما في إبداء الجرأة في تنفيذ المشاريع سواء بسواء . إن المسيحي الذي يظهر الصبر والفرح تحت آلام الثكل والحرمان والعذاب ، والذي يواجه حتى الموت نفسه بسلام وهدوء الإيمان الذي لا يتزعزع ، يمكنه أن يعمل للإنجيل أكثر مما كان يمكنه أن يعمل بحياة طويلة يقضيها في الخدمة الأمينة . في أحيان كثيرة عندما يسحب خادم الله من غمرة واجباته النشطة ، فإن عناية الله العجيبة التي نندبها نحن لقصر نظرنا ، يقصد الله بها أن ينجز عملاً ما كان يمكن إنجازه بغير ذلك .

لا يظنن تابع المسيح أنه عندما لا يعود قادراً على القيام بعمل لله نشط وعلني إعلاء لحقه فإنه لا تعود توجد خدمة يؤديها ولا مكافأة يحصل عليها . إن خدام المسيح وشهوده الأمناء لا يمكن أن يلقى بهم جانباً . ففي الصحة والمرض ، في الحياة والموت ، لا يزال الله يستخدمهم . فعندما يضطهد خدام المسيح بسبب خبث الشيطان ، وتتعطل خدماتهم النشطة ، وعندما يلقى بهم في السجن أو يساقون ليشنقوا أو ليحرقوا . فإن القصد من ذلك أن يحرز الحق انتصاراً أعظم . فإذ ختم هؤلاء الأمناء شهادتهم بدمهم ، فإن النفوس التي كانت من قبل فريسة للشكوك وعدم اليقين آمنت بالمسيح ووقفت في صفه بكل شجاعة . فمن رماد الشهداء جمع حصاد وفير لله .

إن غيرة بولس وشركائه في الخدمة وولاءهم ، مثلها في ذلك مثل إيمان المهتدين إلى المسيحية وطاعتهم في ظروف صعبة جداً ، هي توبيخ صارم لكسل خادم المسيح وافتقاره إلى الإيمان . كان يمكن لبولس وشركائه في الخدمة أن يحتجوا قائلين أنهم عبثاً ينادون بالتوبة والإيمان بالمسيح لعبيد نيرون الذين كانوا معرضين لتجارب عنيفة ومحاطين بمعطلات هائلة وعرضة لمقاومة مرة . وحتى لو اقتنعوا بالحق فكيف يمكنهم أن يقدموا الطاعة ؟ ولكن بولس لم يفكر هكذا . إنما بالإيمان قدم الإنجيل لهذه النفوس وكان بين سامعيه جماعة عقدوا العزم على الطاعة مهما كانت الكلفة . وبالرغم من المعطلات والمخاطر ، سيقبلون النور ويثقون أن الله سيعينهم حتى يضيء نورهم على من حولهم .

ولم يربح المهتدون إلى الحق في بيت قيصر وحسب ، ولكنهم بعد اهتدائهم ظلوا في ذلك البيت . لم يكونوا يحسون أن لهم الحرية في ترك مراكزهم وواجباتهم لأن البيئة التي كانوا يعيشون فيها ما عادت مؤاتية لهم أو متجانسة مع

أخلاقهم . لقد وجدهم الحق هناك فلبثوا هناك حيث شهدوا بحياتهم وصفاتهم المتجددة لقوة الإيمان الجديد المغيرة .

هل هناك من يجربون لأن يجعلوا ظروفهم حجة وعذراً لإخفاقهم في الشهادة للمسيح ؟ ليفكر أمثال هؤلاء في موقف التلاميذ الذين كانوا في بيت قيصر – في فساد الإمبراطور وخلاعة الحاشية والبلاط كله . إننا لا نكاد نتصور وجود ظروف أكثر معاكسة للحياة الدينية وينتج عنها تضحيات أو مقاومات أعظم من تلك التي وجد أولئك المهتدون أنفسهم فيها . ومع ذلك ففي وسط الصعوبات والمخاطر ظلوا ثابتين على ولائهم . إن المسيحي قد يحاول إعفاء نفسه من طاعة الحق كما هو في يسوع بسبب العوائق التي يبدو أنها يصعب التغلب عليها ، ولكنه لا يستطيع تقديم عذر يحتمل الامتحان . فلو أمكنه ذلك لكان برهن على أن الله ظالم (حاشا الله) ، في كونه أوجد أولاده في ظروف وشروط للخلاص لا يمكنهم الامتثال لها .

إن من ثبت قلبه ووطد عزمه على خدمة الله سيجد فرصة مؤاتية للشهادة له . والصعوبات لن يكون لها تأثير في تعطيل من قد عقد العزم أن يطلب أولاً ملكوت الله وبره . فبالقوة التي ينالها بالصلاة ودرس الكلمة سيطلب الفضيلة ويهجر الرذيلة . وإذ ينظر إلى يسوع رئيس الإيمان ومكمله ، الذي احتمل لنفسه مقاومة الخطاة ، فإن ذلك المؤمن سيصمد أمام الاحتقار والسخرية عن طيب خاطر . وذاك الذي كلامه حق يعده بالعون والنعمة لكل حالة . والأذرع الأبدية تحيط بالنفس التي تلتفت إلى الرب في طلب العون . ويمكننا أن نستند على رعايته مطمئنين وقائلين : «فِي يَوْمِ خَوْفِي ، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ» (مزمور ٥٦: ٣) . والله سيتمم وعده لكل من يتوكلون عليه .

إن المخلص قد برهن بمثاله أن تابعيه يمكنهم أن يكونوا في العالم ومع ذلك لا يكونون من العالم . إنه لم يأت ليشارك العالم في مسراته الخادعة أو لينساق مـع تيار عاداته أو ليتمثل به في ممارساته ، بل ليفعل إرادة أبيه ويطلب ويخلص مـا قد هلك . فالمسيحي إذ يجعل هذا الهدف نصب عينيه ، يمكنه أن يقـف طـاهراً غير ملوث في أية بيئة يوجد . ومهما يكن مركزه أو ظروفه ، سواء في حـال الرفعة أو الاتضاع ، فسيظهر قوة الديانة الحقة في قيامه بواجبه بكل أمانة .

إن الخلق المسيحي يتكون وينمو لا في تحرره من التجربة بل في وسـطها . إن تعرض تابع المسيح للخيبة والصدمات والمقاومات يقوده إلى مزيد من السهر والصلاة الحارة للمعين القدير . فالمؤمن إذ يحتمل التجربة القاسية بنعمة الله فلن ذلك ينمي فيه الصبر والسهر واليقظة والجلد والثبات ، والثقة العميقة الثابتة فـي الله . إن نصرة الإيمان المسيحي هي التي تعيـن معتنقـها علـى أن يحتمـل ويتقوى ، وأن يخضع ، وهكذا ينتصر ، وأن يموت كل يوم ومع ذلـك يحيـا ، وأن يحمل الصليب ، وهكذا ينال إكليل المجد .

الفصل الخامس والأربعون

رسائل كتبت في رومية

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في رسالتي كولوسي وفيلبي) .

إن الرسول بولس في اختباره المسيحي الباكر أعطيت له فرص خاصة ليتعلم إرادة الله بالنسبة إلى تابعي يسوع . لقد «اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ» ، «إِلَى الْفِرْدَوْسِ ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا ، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا» . وهو نفسه يعترف بأنه قد أعطي له أن يرى «مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ» . وأن إدراكه لمبادئ حق الإنجيل كان مساوياً لإدراك «فَائِقِي الرُّسُلِ» (٢كورنثوس ١٢: ٢،٤،١،١١) . كان يدرك إدراكاً واضحاً كاملاً «عرض وطول وعمق وعلو مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ» (أفسس ٣: ١٨،١٩) .

لم يستطع بولس أن يخبر بكل ما شاهده في الرؤيا ، لأنه كان يوجد بين سامعيه من كان يمكن أن يسيئوا تطبيق أقواله . ولكن ما أعلن له أعانه كي يخدم كقائد ومعلم حكيم ، كما ساعده على صوغ الرسائل التي أرسلها فيما بعد إلى الكنائس . والتأثير الذي حدث له حين كان يرى الرؤيا لازمة دائماً وأعانه كي يقدم صورة صادقة صحيحة للخلق المسيحي . فبأقواله ورسائله حمل رسالة قدمت لكنيسة الله العون والقوة منذ ذلك الحين . هذه الرسالة تنطق بوضوح

لمسيحيي اليوم مبينة المخاطر المزمعة أن تهدد الكنيسة ، والتعاليم الكاذبة التي عليهم أن يواجهوها .

إن رغبة الرسول نحو أولئك الذين أرسل إليهم رسائل النصح والإنذار هي : «كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ» بل أن يصلوا جميعهم إلى «وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ . إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ . إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ» . وقد توسل إلى من كانوا تابعين ليسوع في الأوساط الوثنية ألا يسلكوا: «كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ ... بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ» بل «تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ» (أفسس ٤: ١٤،١٣،١٧،١٨؛ ٥: ١٥،١٦) . وقد شجع المؤمنين كي ينظروا إلى الأمام إلى الوقت الذي فيه أحب المسيح «الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا – لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً ، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ» كنيسة «مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ» (أفسس ٥: ٢٥،٢٧) .

هذه الرسائل المكتوبة لا بقوة إنسان بل بقوة الله تشتمل على تعاليم ينبغي للجميع أن يدرسوها ويمكن تكرارها مراراً للنفع والفائدة . ففيها لخصت التقوى العملية ، ووضعت مبادئ يحق لكل كنيسة أن تتبعها ، وأوضحت الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية .

إن بولس في رسالته إلى «الْقِدِّيسِينَ فِي كُولُوسِّي ، وَالإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ» . والتي كتبت عندما كان سجيناً في روما ، يتحدث عن فرحه لأجل ثباتهم في الإيمان ، الذي أخبره به أبفراس الذي يقول الرسول عنه أنه : «أَخْبَرَنَا أَيْضًا بِمَحَبَّتِكُمْ فِي الرُّوحِ» . ثم استطرد يقول : «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا ، مُنْذُ يَوْمَ سَمِعْنَا ، لَمْ نَزَلْ مُصَلِّينَ وَطَالِبِينَ لأَجْلِكُمْ أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ ، فِي

كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ ، فِي كُلِّ رِضىً ، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ، مُتَقَوِّينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ أَنَاةٍ بِفَرَحٍ» (كولوسى ١: ٢، ٩ – ١١) .

وهكذا عبر بولس بالكلام عما يطلبه للمؤمنين في كولوسي . فما أسمى المثل الأعلى الذي تضعه هذه الكلمات أمام تابع المسيح ، أنها ترينا الإمكانات العجيبة للحياة المسيحية وترينا بوضوح أنه لا حد للبركات التي يمكن لأولاد الله أن يحصلوا عليها . فإذ يستزيدون باستمرار من معرفة الله ، يمكنهم أن يذهبوا من قوة إلى قوة ، ومن سمو إلى سمو في الاختبار المسيحي ، حتى أنهم «بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ» يصيرون «أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ» (عدد ١١،١٢) .

وقد عظّم الرسول المسيح ومجّده أمام إخوته كمن به خلق الله كل الأشياء وبه أكمل فداءهم . كما أعلن أن اليد التي تدعم العوالم في الفضاء ، والتي تبقي كل الأشياء في كل مسكونة الله في نظامها المتقن ونشاطها وحركتها التي لا تني ولا تكل ، هي اليد التي سمرت على الصليب لأجلهم . وقد كتب بولس يقول : «فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ : مَا في السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى ، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ . الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ . الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» . (عدد ١٦،١٧) : «وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ» (عدد ٢١،٢٢) .

إن ابن الله قد تنازل ليرفع الساقطين . ولأجل ذلك ترك العوالم التي بلا خطية في الأعالي ، التسعة والتسعين الذين أحبوه وأتى إلى هذا العالم ليكون «مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا ، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا» (إشعياء ٥٣: ٥) . كان ينبغي أن يشبه

إخوته في كل شيء . وقد صار بشراً مثلنا . وعرف معنى الجوع والعطش واختبر التعب والإعياء . وكان يسند قلبه بالطعام وينتعش بالنوم . كان غريباً ونزيلاً على الأرض- كان في العالم ولكنه لم يكن منه . لقد جُرّب وامتُحن كما يُجرب الرجال والنساء ويُمتحنون في هذه الأيام ، ومع ذلك فقد عاش بلا خطية . وإذ كان رقيقاً ومشفقاً وعطوفاً وعلى الدوام منصفاً للآخرين فقد مثل صفات الله . «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا ... مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤) .

إن المؤمنين في كولوسي إذ كانوا محاطين بأعمال الوثنية وتأثيراتها ، كانوا في خطر من أن يجتذبوا بعيداً عن بساطة الإنجيل ، فإذ حذرهم بولس من هذا ووجه أنظارهم إلى المسيح بوصفه المرشد الأمين الوحيد ، كتب يقول لهم : «فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ ، لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ ، الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ .

«وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق .. فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ ، مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ ، كَمَا عُلِّمْتُمْ ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ . اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِل ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ . فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا . وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ» (كولوسي ٢: ١ - ١٠) .

لقد أنبأ المسيح أنه سيقوم مضلون ، وبسبب تأثيرهم «سيكثر الإِثْمِ» ، و«تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ» . (متى ٢٤: ١٢) . كما أنذر التلاميذ أن الخطر الذي ستُستهدف له الكنيسة من هذا الشر سيكون أعظم وأرهب مما ستتعرض له

من جراء اضطهاد أعدائها . وقد حذر بولس جماعة المؤمنين مراراً عديدة من هؤلاء المعلمين الكذبة . وأنه ينبغي لهم أن يتحفظوا من هذا الخطر أكثر من حذرهم من أي خطر آخر ، فإنهم إن قبلوا المعلمين الكذبة فإنهم بذلك يفسحون المجال لضلالات بها يظلم العدو بصيرتهم الروحية ، ويزعزع ثقة الحديثي العهد بإيمان الإنجيل . إن المسيح هو النموذج والمقياس الذي على نوره يمتحنون التعاليم التي تقدم لهم . فكل ما لا يتفق مع تعاليمه عليهم أن ينبذوه . فالمسيح المصلوب لأجل الخطية ، والمسيح المقام من بين الأموات ، والمسيح الصاعد إلى السماء– كان هو علم الخلاص الذي كان عليهم أن يتعلموه ويعلموا به .

إن إنذارات كلمة الله بالنسبة للمخاطر المحدقة بالكنيسة المسيحية لازمة لنا في هذه الأيام . فكما حاول بعض الناس في أيام الرسل بواسطة التقليد والفلسفة أن يلاشوا الإيمان بالكتب المقدسة ، كذلك الحال اليوم إذ يحاول عدو البر بواسطة الآراء المسرة التي يبتكرها من ينتمون إلى المذهب المسمى «بالنقد الأعلى» ومذهب النشوء والارتقاء ، ومناجاة الارواح ، والتصوف ، ومذهب من يعتقدون بألوهية الكون ، يحاول عدو البر أن يضلل النفوس لتسير في الطرق المنهي عنها . إن الكتاب المقدس يشبه في نظر كثيرين مصباحاً لا زيت فيه ، ذلك لأن عقولهم انحرفت إلى قنوات الاعتقاد النظري والتخمينات التي تؤدي بالإنسان إلى سوء الفهم والارتباك والبلبلة . إن عمل «النقد الأعلى» في التشريح والتخمين والتشييد من جديد ، يلاشي الإيمان بالكتاب كإعلان الهي . وهو يسلب كلمة الله من القدرة على أن تسيطر على حياة البشر وتسمو بها وتلهمها . وبواسطة مناجاة الأرواح يتعلم جماهير كثيرة من الناس الاعتقاد بأن الشهوة هي أسمى قانون وأن الخلاعة حرية وأن الإنسان مسئول أمام نفسه فقط .

إن تابع المسيح لا بد سيُواجه «بِكَلاَمٍ مَلِق» الذي حذر الرسول مؤمني كولوسي منه (كولوسي ٢: ٤) . وسيواجه تأويلات معتنقي مذهب مناجاة الأرواح للكتاب المقدس ولكن عليه ألا يقبلها . وينبغي أن يسمع صوته عالياً مجلجلاً في توكيد واضح صريح لحقائق الكتاب المقدس الأبدية . وإذ يثبت نظره في المسيح ، عليه أن يتقدم بمثابرة إلى الأمام في الطريق المرسوم . مبعداً عن نفسه كل الآراء التي لا تتفق وتعليم الله . وينبغي أن يكون حق الله موضوع تأمله ولهجه . وعليه أن يعتبر الكتاب المقدس صوت الله مكلماً إياه مباشرة . وهكذا يجد الحكمة الإلهية .

إن معرفة الله كما هي معلنة في المسيح هى المعرفة التي ينبغي أن يمتلكها جميع المخلصين . هذه هى المعرفة التي تحدث تغييراً في الخلق . وإذ يقبلها الإنسان في حياته فهي تخلق النفس خليقة جديدة على صورة المسيح . هذه هي المعرفة التي يدعو الله أولاده ليقبلوها ، وكل ما عداها باطل وعدم .

في كل عصر وفي كل أمة نجد أن الأساس الحقيقي لبناء الأخلاق هو هو لم يتبدل ،– أي المبادئ المتضمنة في كلمة الله . إن القانون الأمين الأكيد الوحيد هو أن نفعل ما يقوله الله: «وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ» ، «الَّذِي يَصْنَعُ هذَا لاَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ» (مزمور ١٩: ١٥،٨: ٥) . وقد واجه الرسل النظريات الكاذبة بكلمة الله قائلين : «لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ» (١كورنثوس ٣: ١١) .

إن مؤمني كولوسي عند اهتدائهم وعمادهم تعهدوا أن يلقوا بعيداً عنهم كل المعتقدات والأعمال التي كانت قبلاً جزءاً من حياتهم وأن يكونوا أمناء في ولائهم للمسيح . وقد ذكرهم بولس بهذا في رسالته وناشدهم ألا ينسوا أنهم لكي يثبتوا على عهودهم عليهم أن يبذلوا جهداً مستمراً في محاربة الشرور التي تحاول السيطرة عليهم . فقال لهم : «فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا

فَوْقُ ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ . اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ» (كولوسى ٣: ١ – ٣) .

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧) . فبواسطة قوة المسيح أمكن للرجال والنساء أن يحطموا سلاسل العادات الشريرة . لقد نبذوا عنهم الأنانية . فالنجسون صاروا وقورين والسكيرون أصبحوا صاحين ، والخلعاء طاهرين . والنفوس التي كانت تحمل صورة الشيطان تغيرت فصارت تحمل صورة الله . هذا التغيير هو في ذاته آية الآيات . والتغيير الذي يحدث بواسطة الكلمة هو من أعمق أسرار الكلمة . نحن لا نستطيع أن ندركه ، ولكننا فقط نؤمن ، كما هو معلن في الكتاب : «الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ» (كولوسي ١: ٢٧) .

عندما يسيطر روح الله على العقل والقلب ، تنشد النفس المتجددة أنشودة جديدة لأن ذلك المؤمن يتحقق أن وعد الله قد تم في اختباره وأن تعدياته قد غفرت وأن خطيته قد سترت . لقد تاب إلى الله عن مخالفته للشريعة الإلهية وآمن بالمسيح الذي مات لأجل تبرير الإنسان : «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٥: ١) .

ولكن لأن هذا هو اختبار المسيحي ، ينبغي ألا يجلس مكتوف اليدين قانعاً بما قد عمل لأجله . فذاك الذي قد عقد العزم على أن يدخل الملكوت الروحي سيجد أن كل قوى وشهوات طبيعته الأصلية غير المتجددة ، تساندها كل جيوش مملكة الظلام ، مصطفة لمحاربته . ففي كل يوم عليه أن يجدد تكريسه ، وفي كل يوم عليه أن يحارب الشر . والعادات القديمة وميوله الموروثة لعمل الشر والخطأ ،

كلها ستحاول التسلط عليه فعليه أن يكون أبداً على حذر من هذه كلها محـــولاً أن ينتصر بقوة المسيح .

وقد كتب بولس إلى أهل كولوسى يقول : «فَأَمِيتُوا أَعْضَـــاءَكُمُ الَّتِـــي عَلَـــى الأَرْضِ ، ... الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَلَكْتُمْ قَبْلاً ، حِينَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ فِيهَا . وَأَمَّـــا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ ، السَّخَطَ ، الْخُبْـــثَ ، التَّجْدِيـــفَ ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ ... فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِيـــنَ أَحْشَـــاءَ رَأْفَاتٍ ، وَلُطْفًا ، وَتَوَاضُعًا ، وَوَدَاعَةً ، وَطُولَ أَنَاةٍ ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًـــا ، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى . كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِـــيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا . وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ . وَلْيَمْلِـكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ» (كولوسـي ٣: ٥ – ١٥)

إن الرسالة إلى كولوسي مليئة بالتعاليم القيمة لكل مـــن يعملـــون فـــي خدمـــة المسيح ، التعاليم التي تبين وحدة القصد وسمو الهدف التي ترى في حياة من يمثـل المخلص أصدق تمثيل . فإذ ينفض يديه من كل ما قد يعيقه عن التقدم في طريـــق السماء ، أو ما قد يجعل إنساناً آخر يميل عن الطريق الضيق ، فهذا المؤمن يعلـــن في حياته اليومية الرحمة والشفقة والتواضع والوداعة والصبر ومحبة المسيح .

إن حاجتنا العظمى هي إلى قوة حياة أسمى وأطهر وأنبل . إننا نعطي للعـــالم من تفكيرنا ما هو فوق الحاجة ، أما ملكوت السموات فنوليه القليل من تفكيرنا .

إن المسيحى في محاولته الوصول إلى المثل الأعلى الذي قد رسمه الله لـه ينبغي ألا ييأس من شيء . إن الجميع مدعوون إلى الكمال الأدبي والروحـــي بنعمة المسيح وقوته . ويسوع هو مصدر القوة ونبع الحياة . إنه يأتى بنا إلى كلمته ، ومن شجرة الحياة يقدم لنا أوراقاً لشفاء النفوس المريضة بالخطيـــة .

وهو يقودنا إلى عرش الله ويضع في أفواهنا صلاة ندخل بموجبها إلى صلة وثيقة بشخصه . ولأجلنا يحشد كل قوات السماء المقتدرة . وفي كل خطوة نلمس قوته الحية .

إن الله لا يقيم حداً لتقدم أولئك الذين يرغبون في «أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ ، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ» . فبواسطة الصلاة والسهر والنمو في المعرفة والفهم ، فإنهم «يتقوّون بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ» . وبهذه الطريقة يتأهبون لخدمة الآخرين . إن المخلص يقصد أن يكون بنو الإنسان ، المطهرون والمقدسون مساعدين له . وعلينا أن نشكره على هذا الامتياز حيث قد «أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ» .

وقد كتبت رسالة بولس إلى أهل فيلبي عندما كان سجيناً في روما مثلها مثل رسالة كولوسي . كانت كنيسة فيلبي قد أرسلت إلى بولس بعض العطايا بيد أبفرودتس الذي يدعوه بولس : «أَخِي ، وَالْعَامِلَ مَعِي ، وَالْمُتَجَنِّدَ مَعِي ، وَرَسُولَكُمْ ، وَالْخَادِمَ لِحَاجَتِي» . وإذ كان أبفرودتس في روما «مَرِضَ قَرِيبًا مِنَ الْمَوْتِ ، لكِنَّ اللهَ رَحِمَهُ» . ثم يقول بولس الرسول : «وَلَيْسَ إِيَّاهُ وَحْدَهُ بَلْ إِيَّايَ أَيْضًا لِئَلاَّ يَكُونَ لِي حُزْنٌ عَلَى حُزْنٍ» . فإذ سمع المؤمنون في فيلبي بمرض ابفرودتس امتلأت قلوبهم فزعاً عليه ، وقد قرر العودة إليهم . وكتب الرسول يقول : «إِذْ كَانَ مُشْتَاقًا إِلَى جَمِيعِكُمْ وَمَغْمُومًا ، لأَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ كَانَ مَرِيضًا ... فَأَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ بِأَوْفَرِ سُرْعَةٍ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمُوهُ تَفْرَحُونَ أَيْضًا وَأَكُونُ أَنَا أَقَلَّ حُزْنًا . فَاقْبَلُوهُ فِي الرَّبِّ بِكُلِّ فَرَحٍ ، وَلْيَكُنْ مِثْلُهُ مُكَرَّمًا عِنْدَكُمْ . لأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ عَمَلِ الْمَسِيحِ قَارَبَ الْمَوْتَ ، مُخَاطِرًا بِنَفْسِهِ ، لِكَيْ يَجْبُرَ نُقْصَانَ خِدْمَتِكُمْ لِي» (فيلبي ٢: ٢٥ – ٣٠) .

وقد أرسل بولس رسالة إلى مؤمني فيلبى بيد أبفرودتس وفيها شكرهم على عطاياهم التي قد أرسلوها إليه . لقد كانت كنيسة فيلبي أسخى جميع الكنائس في تدبير احتياجات الرسول . وقد قال الرسول في رسالته : «وَأَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْفِيلِبِّيُّونَ أَنَّهُ فِي بَدَاءَةِ الإِنْجِيلِ ،لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَكدُونِيَّةَ ، لَمْ تُشَارِكْنِي كَنِيسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي حِسَابِ الْعَطَاءِ وَالأَخْذِ إِلاَّ أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ . فَإِنَّكُمْ فِي تَسَالُونِيكِي أَيْضًا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لِحَاجَتِي . لَيْسَ أَنِّي أَطْلُبُ الْعَطِيَّةَ ، بَلْ أَطْلُبُ الثَّمَرَ الْمُتَكَاثِرَ لِحِسَابِكُمْ . وَلكِنِّي قَدِ اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَاسْتَفْضَلْتُ . قَدِ امْتَلأْتُ إِذْ قَبِلْتُ مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ ، نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ» (فيلبى ٤: ١٥- ١٨) .

وها هو يكتب إليهم قائلاً : «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . أَشْكُرُ إِلهِي عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي إِيَّاكُمْ دَائِمًا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِي ، مُقَدِّمًا الطَّلْبَةَ لأَجْلِ جَمِيعِكُمْ بِفَرَحٍ ، لِسَبَبِ مُشَارَكَتِكُمْ فِي الإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى الآنَ . وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ ، لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي ، فِي وُثُقِي ، وَفِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الإِنْجِيلِ وَتَثْبِيتِهِ ، أَنْتُمُ الَّذِينَ جَمِيعُكُمْ شُرَكَائِي فِي النِّعْمَةِ . فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ لِي كَيْفَ أَشْتَاقُ إِلَى جَمِيعِكُمْ ... وَهذَا أُصَلِّيهِ : أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ» (فيلبي ١: ٢- ١١) .

لقد أعانت نعمة الله بولس في سجنه وساعدته كي يفرح في الضيق . فبإيمان ويقين كتب إلى إخوته في فيلبي يقول لهم أن سجنه كان من نتائجه تقدم الإنجيل . فقال : «ثُمَّ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّ أُمُورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ

الإنْجِيلِ ، حَتَّى إِنَّ وُثُقِي صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ وَفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ . وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ بِوُثُقِي ، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلاَ خَوْفٍ» (فيلبي ١: ١٢ – ١٤) .

إن لنا في اختبار بولس هذا درساً ، لأنه يعلن لنا عن طريقة الله في العمل . إن الرب يستطيع أن يخرج النصرة مما يبدو إنه فشل وهزيمة . إننا في خطر من أن ننسى الله ، وننظر ما يرى بدلاً من أن ننظر بعين الإيمان إلى ما لا يرى . فعندما يحالفنا سوء الحظ أو تحل بنا كارثة أو بلية فسرعان ما نتهم الله بالإهمال أو القسوة . وإذا كان يرى من المناسب أن يوقف نفعناً في ناحية ما ، فإننا ننوح ولا نجلس لنفكر في أن الله قد يعمل لخيرنا بهذه الطريقة . إننا نحتاج أن نتعلم أن التأديب هو جزء من خطته العظيمة ، وإن المسيحي وهو تحت عصا التأديب قد يخدم سيده أحياناً أكثر مما لو كان يشتغل ويقوم بخدماته النشطة .

إن بولس يوجه أنظار أهل فيلبي إلى المسيح كمثال لهم في الحياة المسيحية قائلاً : «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ . لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ . وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» .

ثم استطرد يقول : «إِذًا يَا أَحِبَّائِي ، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي ، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ . افْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ ، لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ ، وَبُسَطَاءَ ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ . مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ لافْتِخَارِي فِي يَوْمِ الْمَسِيحِ ، بِأَنِّي لَمْ أَسْعَ بَاطِلاً وَلاَ تَعِبْتُ بَاطِلاً» (فيلبي ٢: ٥ – ١٢،٨ – ١٦) .

لقد سجل هذا الكلام لمساعدة كل نفس مجاهدة . إن بولس يرفع مثال الكمال عالياً ويرينا كيف يمكننا بلوغه والوصول إليه . فيقول : «تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ»

إن عمل نيل الخلاص هو عمل مساهمة مشتركة وعملية متصلة . فينبغي أن يوجد تعاون بين الله وبين الخاطئ التائب . هذا لازم وضروري لأجل تكوين مبادئ صائبة وعادلة في الخلق . فعلى الإنسان أن يبذل جهوداً جادة لينتصر على ما يعطله عن بلوغ الكمال . ولكنه يعتمد بالتمام على الله لإحراز النجاح . إن المجهود البشري قاصر في حد ذاته . فبدون معونة القوة الإلهية لا جدوى منه . فالله يعمل والإنسان يعمل كذلك ، ولكن الإنسان هو الذي يجب عليه أن يقاوم التجربة وعليه أن يستمد قوته من الله . فمن الناحية الواحدة توجد الحكمة والرأفة والمدرة غير المحدودة ، ومن الأخرى يوجد الضعف والشر والعجز التام .

إن الله يريدنا أن نسيطر على نفوسنا . ولكنه لا يستطيع مساعدتنا في ذلك بدون رضانا وتعاوننا . إن روح الله يعمل عن طريق القوى والذكاء والمقدرة المعطاة للإنسان . إننا من ذواتنا لا نستطيع التوفيق بين الأغراض والرغبات والميول وبين إرادة الله . ولكن إذا رغبنا فالمخلص سيتمم هذا لنا: «هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٠: ٥) .

إن من يريد أن يبني خلقاً متناسقاً قوياً ، ويريد أن يصير مسيحياً متزناً ، عليه إن يقدم كل شيء ويفعل كل شيء لأجل المسيح لأن الفادي لا يقبل خدمة مجزأة . فعليه أن يتعلم كل يوم معنى تسليم الذات . عليه أن يدرس كلمة الله متفهماً معناها مطيعاً لوصاياها . وهكذا يمكنه بلوغ مقياس التفوق المسيحي . والله يعمل معه يوماً فيوما مكملاً الخلق الذي سيثبت في وقت الامتحان النهائي .

ويوماً فيوماً يؤدي المؤمن أمام الناس والملائكة تجربة سامية وجليلة مبينـــا مـــا يمكن للإنجيل أن يفعله للبشر الساقطين .

وقد كتب بولس يقول : «أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ . وَلَكِنِّي أَفْعَــلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَـرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٣ : ١٣،١٤) .

لقد عمل بولس أعمالاً كثيرة . فمنذ الوقت الذي قــدم فيــه ولاءه للمســيح ، ازدحمت حياته بخدمات لا تكل . فمن مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى بلـــد كــان يسافر مخبراً الناس بموضوع الصليب ، وكان يربح مهتدين للإنجيل كما كـــان يؤسس كنائس . وكان يرعى هذه الكنائس رعاية دائمة ويكتب إليها رسائل كثيرة تتضمن تعاليم ثمينة . وأحياناً كان يزاول حرفته ليكسب قوته اليومي . ولكن في كل أعمال ونشاطات حياته ، لم يغب عن نظره قط غرض واحد عظيم ،– وهــو أن يتقدم إلى جعالة دعوته العليا . وقد وضع أمامه هدفاً واحداً ثابتاً– وهـــو أن يكون أميناً لذاك الذي أعلن نفسه له عند باب دمشق . ولم يمكن لشيء أن يحـول نظره عن هذا الغرض . فكونه يعظم صليب الجلجثة– كان هو البـــاعث الـــذي استوعب كل تفكيره والذي كان ملهماً له في كلامه وأعماله .

إن ذلك الهدف العظيم الذي دفع بولس إلى الامتداد إلى ما هو قدام في وجـــه المشقات والصعوبات ينبغي أن يدفع كل خادم للمسيح أن يكرس نفســه بالتمــام لخدمة الله . وستعرض أمامه الجواذب الدنيوية لتحول انتباهه بعيداً عن المخلــص ، ولكن عليه أن يسعى نحو الغرض ، مبرهناً للعالم وللملائكة وللناس أن الأمل في رؤية وجه الله يساوي كل الجهد والتضحية اللذين يتطلبهما بلوغ هذا الرجاء .

إن بولس مع كونه سجيناً فإنه لم يفشل . وبدلاً من ذلك فإن نغمة الانتصـــار ترن في كل الرسائل التي كتبها من روما للكنائس . فقد كتب إلى أهـــل فيلبــي

يقول : «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ ، وَأَقُولُ أَيْضًا افْرَحُوا ... لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ . وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ . أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا» . «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ... نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ . آمِينَ» (فيلبي ٤: ٤،٨،١٩،٢٣) .

الفصل السادس والأربعون

إطلاق سراح بولس

عندما بوركت خدمات بولس في روما باهتداء نفوس كثيرة وتقوية المؤمنين وتشجيعهم، بدأت تتجمع السحب التي كانت تتهدد، ليس فقط سلامته بل أيضاً نجاح الكنيسة وتقدمها. فحين وصل إلى روما أولاً وضع تحت حراسة رئيس معسكر الحرس الإمبراطوري الذي كان رجلاً عادلاً ومستقيماً، وعن طريق رأفته وحلمه كانت لبولس حرية نسبية لمواصلة القيام بعمل الإنجيل. ولكن قبل نهاية سنتي السجن، حل محل هذا الرجل موظف قاس لم يكن الرسول ينتظر منه أي معروف خاص.

وقد صار اليهود الآن أنشط مما كانوا في مساعيهم ضد بولس، وقد وجدوا لهم معيناً مقتدراً في شخص المرأة المتهتكة التي جعلها نيرون زوجته الثانية، والتي لكونها مهتدية يهودية، ألقت بكل نفوذها لمساعدتهم في خططهم الإجرامية ضد بطل المسيحية.

ولم يكن بولس ينتظر كثيراً من العدالة من القيصر الذي قد رفع دعواه إليه. فقد كان نيرون أكثر انحطاطاً من الناحية الأدبية، وأكثر استهتاراً في أخلاقه، وفي الوقت نفسه أكثر اقتداراً في قسوته الفظيعة من أي حاكم سابق. إن عنان

الحكم لا يمكن أن يوكل إلى ملك أشد منه طغياناً. ففي أول سنة من حكمه قتل بالسم أخاه الأصغر، ابن أبيه، الذي كان الوارث الشرعي للعرش. وقد انحدر نيرون من بؤرة عميقة للرذيلة والجريمة إلى بؤرة أكثر عمقاً، حتى قتل أمه، وبعد ذلك قتل زوجته. لم تكن هنالك رذيلة أفظع من أن يقترفها، ولا عمل أشد سفالة من أن ينحدر إليه. لقد كانت أعماله لا تثير سوى الكراهية والبغض والإزدراء في كل عقل نبيل.

هذا وإن الآثام التي ارتكبت في بلاطه كانت منحطة ورهيبة إلى أقصى حد، بحيث لا يمكن وصفها. إن شروره وخلاعته خلقت اشمئزازاً ونفوراً، حتى في نفوس العديد ممن أجبروا على مشاركته في جرائمه. فباتوا في خوف مستمر مما سيتمخض به من فظائع يقترحها عليهم. ومع ذلك فحتى مثل تلك الجرائم التي ارتكبها نيرون لم تؤثر في ولاء رعاياه له. لقد اعترف به بوصفه الحاكم المطلق على العالم المتمدن كله. وأكثر من هذا، فقد كان يتقبل الكرامات المقتصرة على الله، ويعبد كإله.

فمن وجهة نظر الحكم البشري، كانت إدانة بولس أمام مثل هذا القاضي مؤكدة. ولكن الرسول كان يحس أنه طالما ظل على ولائه وإخلاصه لله، فليس هناك ما يخشاه. فذاك الذي كان حارساً له فيما مضى يستطيع أيضاً أن يقيه من خبث اليهود وحقدهم، ومن سلطان القيصر.

وقد كان الرب حامياً لعبده. فعند محاكمة بولس وجد أن التهم الموجهة ضده لم يكن ممكناً إثباتها، وعلى غير ما كان يتوقعه الجميع، ومراعاة للعدالة التي كانت مغايرة تماماً لخلق نيرون، أعلن ذلك القيصر أن الأسير غير مذنب. فأزيلت القيود عن بولس ومرة أخرى أمسى إنساناً حراً .

فلو أرجئت محاكمته وقتا أطول، أو لو أبقى في روما إلى السنة التالية لأي سبب، لكان قد هلك حتماً في الاضطهاد الذي حدث حينئذ. وفي غضون مدة

سجن بولس زاد عدد المهتدين إلى المسيحية زيادة عظيمة بحيث استرعت انتباه السلطات وأثارت عداوتها. وقد ثار غضب الإمبراطور خصوصاً عندما اهتدى إلى المسيح بعض أعضاء بيته، وسرعان ما وجد علة جعل لأجلها المسيحيين هدفا لقسوته التي لا ترحم.

ففي ذلك الوقت تقريباً حدث حريق هائل في روما دمر حوالي نصف المدينة. وقد انتشرت إشاعة تقول إن نيرون نفسه هو الذي أمر بإضرام النار في المدينة ، فلكي يحول عن نفسه التهمة تظاهر بسخاء وكرم عظيمين بكونه ساعد الذين بلا مأوى والمعدمين. ومع ذلك فقد اتهم بتلك الجريمة. فهاج الناس وغضبوا ، فلكي يبرئ نفسه ولكي تتخلص المدينة من جماعة من الناس كان هو يخشاها ويبغضها، ألصق نيرون التهمة بالمسيحيين. وقد أفلحت مكيدته ومات آلاف من أتباع المسيح من الرجال والنساء والأطفال ميتات قاسية.

وقد أُبقي على حياة بولس فلم يلحقه هذا الاضطهاد، لأنه حالما أطلق سراحه غادر روما. وقد أحسن استخدام فترة الحرية الأخيرة هذه بكل اجتهاد إذ خدم في الكنائس. وقد حاول أن يقيم اتحاداً أوثق بين الكنائس اليونانية والكنائس الشرقية ويحصن عقول المؤمنين ضد التعاليم الكاذبة التي كانت تزحف إلى الكنائس لكي تفسد إيمانها.

إن التجارب والهموم التي احتملها بولس أثرت على قواه الجسدية. وقد أدركته ضعفات الشيخوخة . وأحس أنه يقوم بآخر عمل له، وكلما قصرت مدة خدمته كلما زادت جهوده التي بذل فيها قصاراه. وقد بدا كأن لا حد لغيرته. فإذ كان ثابتاً في عزمه وسريعاً في عمله وقوياً في إيمانه، كان يسافر من كنيسة إلى كنيسة في أقطار عديدة ، ويحاول بكل وسيلة في مقدوره أن يشدد أيادي المؤمنين ليكونوا أمناء في خدمة ربح النفوس ليسوع، وفي الأزمنة الصعبة التي كانوا قادمين عليها يظلون ثابتين في إيمان الإنجيل ويشهدون للمسيح شهادة أمينة.

الفصل السابع والأربعون

الاعتقال الأخير

إن خدمة بولس في الكنائس ، بعدما أطلق سراحه ، لم تكن لتخفى على أعدائه . ومنذ بدء الاضطهاد الذي أثاره نيرون ، اعتبر المسيحيون في كل مكان شيعة محرمة ومبعدة . وبعد وقت فكر اليهود غير المؤمنين في إلصاق تهمة خطيرة ببولس مؤداها أنه هو الذي حرض على حرق روما . صحيح أن أحداً منهم لم يفكر لحظة أن بولس كان مذنباً ، ولكنهم كانوا يعلمون أن مثل هذه التهمة إذا لاقت أي قبول فإنه ستكون كفيلة بأن تختم على هلاكه . وهكذا فعن طريق جهودهم ، قبض على بولس ثانية ونقل إلى سجنه الأخير بسرعة .

وفي سفرته الثانية إلى روما صحب بولس عدد من رفقائه القدامى ، وآخرون طلبوا بكل غيرة وإلحاح أن يشاطروه مصيره ، ولكنه لم يسمح لهم بتعريض حياتهم للخطر بهذه الطريقة . لقد كان المستقبل أمامه أقل ملاءمة ، بما لا يقاس ، مما كان عندما اعتقل أول مرة . فقد التهمت نيران الاضطهادات التي ثارت تحت حكم نيرون ، كثيرين من المسيحيين فنقص عدد الأحياء منهم في روما نقصاً كبيراً . لقد استشهد آلاف منهم لأجل إيمانهم ، وكثيرون منهم هجروا المدينة ، والباقون فيها كانوا متضايقين ومذعورين إلى حد كبير .

وعندما وصل بولس إلى روما ألقي به في سجن كئيب ليبقى هناك حتى ينتهي به المطاف . وإذ كان متهما بالتحريض على ارتكاب واحدة من أحط وأرهب الجرائم ضد المدينة والأمة فقد صار موضع كراهية الجميع ، وبدأ الأصدقاء القليلون الذين شاركوا الرسول في أعبائه يهجرونه عندئذ ، بعضهم تركوه نهائياً والبعض الآخر أوفدوا إلى الكنائس المتعددة في مهمات خاصة . وقد كان فيجللوس وهرموجانوس أول من تركاه . ثم أن ديماس ، إذ ملكه اليأس بسبب سحب الصعوبات والمخاطر المتجمعة ، ترك الرسول المضطهد . وقد أرسل بولس كريسكيس إلى كنائس غلاطية ، وتيطس إلى دلماطية ، وتيخيكس إلى أفسس . وإذ كتب بولس إلى تيموثاوس عن اختباره هذا قال في رسالته : «لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي» (٢تيموثاوس ٤: ١١) . إن بولس كان في ذلك الوقت في أشد الحاجة إلى خدمات إخوته إذ كان قد أدركه الوهن بسبب شيخوخته وكده وتعبه وضعفاته الكثيرة وهو سجين في تلك السراديب الرطبة المظلمة في ذلك السجن الروماني . أما خدمات لوقا التلميذ الحبيب والصديق الأمين فكانت عزاء عظيما لبولس وقد أعانته على الاتصال بإخوته وبالعالم الخارجي .

وفي ذلك الظرف الصعب القاسي ابتهج قلب بولس بزيارات أنيسيفورس المتعددة . فهذا الرجل الأفسسي الحار القلب بذل كل ما في طوقه للتخفيف من أعباء الرسول في سجنه . لقد كان معلمه الحبيب مكبلاً بالقيود لأجل الحق بينما هو نفسه كان حراً طليقاً ، ولذلك فلم يدخر وسعاً في جعل نصيب بولس أكثر احتمالاً .

وفي آخر رسالة كتبها الرسول ، يتحدث هكذا عن هذا التلميذ الأمين قائلاً : «لِيُعْطِ الرَّبُّ رَحْمَةً لِبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ ، لأَنَّهُ مِرَارًا كَثِيرَةً أَرَاحَنِي وَلَمْ يَخْجَلْ بِسِلْسِلَتِي ، بَلْ لَمَّا كَانَ فِي رُومِيَةَ ، طَلَبَنِي بِأَوْفَرِ اجْتِهَادٍ فَوَجَدَنِي . لِيُعْطِهِ الرَّبُّ أَنْ يَجِدَ رَحْمَةً مِنَ الرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ» (٢تيموثاوس ١: ١٦،١٨) .

إن الشوق إلى المحبة والعطف هو غرس يغرسه الله نفسه في القلب . إن المسيح في ساعة آلامه في جثسيماني كان يتوق إلى عطف تلاميذه . وبولس مع أنه كان يبدو لا مبالياً بالمشقات والآلام فإنه كان يتوق إلى العطف والمشاركة . وإن زيارة أنيسيفورس له التي شهدت بولائه في وقت الوحشة والهجران ، أتت بالفرح والبهجة لقلب ذاك الذي قضى حياته في خدمة الآخرين .

SPQR

الفصل الثامن والأربعون

بولس أمام نيرون

عندما دعي بولس ليمثل أمام الإمبراطور نيرون للمحاكمة ، لم يكن يتوقع غير الموت الأكيد . فإن طبيعة التهمة الخطيرة الموجهة إليه ، وعداء أكثرية الناس ضد المسيحيين ، لم يترك له إلا القليل من الرجاء في الوصول إلى نتيجة مرضية .

كانت العادة بين اليونانيين والرومان أن يعطى للمتهم امتياز توكيل محام يتولى الدفاع عنه أمام محاكم العدل . فبواسطة قوة الحجة أو الفصاحة الحماسية المحركة للعواطف أو التوسلات والتضرعات والدموع ، كان يمكن لمثل ذلك المحامي في أغلب الأحيان أن يظفر بحكم في صالح السجين ، فإن أخفق في ذلك فقد يفلح في التخفيف من قسوة الحكم . ولكن عندما دعي بولس للمثول أمام نيرون ، لم يجرؤ أحد أن يعمل كمشير له أو يتولى أمر الدفاع عنه ، ولا كان هناك صديق كي يحفظ سجلاً بالتهم الموجهة إليه أو الحجج التي دافع بها عن نفسه . فبين المسيحيين في روما لم يتقدم أحد ليقف إلى جانبه في تلك الساعة القاسية .

والسجل الوحيد الموثوق به عن تلك المحاكمة هو ما قدمه بولس نفسه في رسالته الثانية إلى تيموثاوس . فقد كتب الرسول يقول : «فِي احْتِجَاجِي الأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي ، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي . لاَ يُحْسَبْ عَلَيْهِمْ . وَلكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ

مَعِي وَقَوَّانِي ، لِكَيْ تُتَمَّ بِي الْكِرَازَةُ ، وَيَسْمَعَ جَمِيعُ الأُمَمِ ، فَأُنْقِذْتُ مِنْ فَمِ الأَسَدِ» . (٢تيموثاوس ٤: ١٦، ١٧) .

بولس أمام نيرون- يا له من تباين مدهش ! فالملك المتعجرف الذي كان على رجل الله أن يدافع أمامه عن إيمانه ، كان قد ارتفع إلى أعلى مراقي القوة والسلطان والثراء الأرض كما كان قد انحدر إلى أحط دركات الجريمة والإثم . ففي مجال السلطان والعظمة لم يكن من يباريه . ولم يكن كذلك من يجرؤ على الشك في سلطته أو يقاوم إرادته . كان الملوك يطرحون تيجانهم عند موطئ قدميه . وكانت الجيوش الجرارة تسير بأمره ، وكانت أعلام أساطيله ترفرف معلنة عن الانتصار . وقد أقيم تمثاله في دور القضاء ، وكانت أوامر رجال مجلس الشيوخ وأحكام القضاء صدى لإرادته . وقد انحنى ملايين الناس وسجدوا خضوعاً وطاعة لأوامره . إن اسم نيرون جعل العالم يخاف ويرتعد . فالذي كان يتعرض لسخطه كان لا بد سيخسر أمواله وحريته وحياته ، وكان الناس يخافون عبوسه أكثر مما يخافون الوبأ الفتاك .

وقد وقف السجين الشيخ أمام نيرون وهو خاوي الوفاض من المال ، بلا أصدقاء ، ولا من يقدم له مشورة- وقد ارتسمت على محيا الإمبراطور صورة مخجلة للأهواء التي كانت تستعر في أعماقه ، أما وجه المتهم فكان ينم عن قلب يملؤه سلام الله . لقد اختبر بولس العوز وإنكار الذات والآلام . وبرغم التحريف المستمر والعار والإهانات التي حاول أعداؤه أن يخيفوه بها ، فقد رفع راية الصليب عالية بلا خوف : كان كسيده جوّاباً طريداً بلا مأوى ، وعاش كما عاش سيده ليبارك بني الإنسان . فإن لنيرون الطاغية المتقلب الأطوار الحاد الطبع والخليع أن يدرك أو يقدر خلق ابن الله هذا ودوافعه ؟

وقد امتلأت دار القضاء على رحبها بجمع كبير من الناس المشتاقين غير المستقرين الذين كانوا يصخبون ويموجون ويتدافعون نحو الأمام ليروا ويسمعوا

كل ما يحدث . كان هناك الرفيع والحقير ، الغنى والفقير العالم والجاهل المتكبر والوضيع ، والجميع كانوا خالين ومحرومين من معرفة طريق الحياة والخلاص .

وقد قدم اليهود ضد بولس التهم القديمة عن أحداث الثورات والترويج للهرطقات ، كما اتهمه اليهود والرومان بالتحريض على حرق المدينة . وإذ كانت هذه التهم توجه إلى بولس ، فقد ظل محتفظاً برصانته ورباطة جأشه . فشخص إليه الشعب والقضاة في ذهول . لقد حضروا محاكمات كثيرة ونظروا إلى كثيرين من المجرمين ، ولكنهم لم يروا قط إنساناً ارتسم على وجهه هدوء مقدس كالذي يرونه على وجه ذلك الأسير الماثل أمامهم . إن عيون القضاة الحادة التي اعتادت أن تقرأ ما ارتسم على وجوه الأسرى ، تفحصت وجه بولس لترى برهاناً على إجرامه ولكن خاب أملهم . وعندما أذن له بأن يدافع عن نفسه ، أصغى الجميع لكلامه باهتمام وشوق .

ومرة أخرى قدمت لبولس فرصة ليرفع راية الصليب . أمام ذلك الجمع المأخوذ . فإذ شخص في تلك الجماهير التي أمامه- من اليهود واليونانيين والرومان وغيرهم من الغرباء من بلدان كثيرة- ، اضطرمت في نفسه رغبة قوية وشوق طاغ لخلاصهم . فغاب عن عينه المشهد الذي أمامه والمخاطر المحدقة به والمصير الرهيب القريب منه جداً . ورأى فقط يسوع ، الوسيط متوسلاً أمام الله لأجل الخطأة . فبفصاحة وقوة تفوقان فصاحة البشر وقوتهم ، قدم بولس حقائق الإنجيل . ووجه أنظار سامعيه إلى الذبيحة المقدمة لأجل البشر الساقطين الخطأة . وأعلن أن ثمناً غالياً قد دفع لأجل فداء الإنسان . وأن كل الترتيبات قد أعدت ليشارك الآن في عرش الله . لقد ارتبطت الأرض بالسماء بواسطة رسل من الملائكة ، وكل أعمال الناس ، صالحة كانت أم شريرة ، مكشوفة أمام عيني العدالة الإلهية .

هكذا كان ذلك الرجل المدافع عن الحق يترافع . فإذ كان أميناً بين غير الأمناء ، ومخلصا بين الخونة ، وقف نائباً عن الله ، وكان يبدو أن صوته يسمع آتياً من السماء . فلم يكن يبدو في كلامه أو نظراته أي أثر للخوف أو الحزن أو الفشل أو الجبن . فإذ كان متحصناً في إحساسه ببراءته ومتسلحاً بسلاح الحق ، كان فرحاً لكونه ابناً لله . كان كلامه يشبه هتاف الانتصار فوق زئير المعركة وهو يعلن أن القضية التي كرس حياته لها ، هي القضية الوحيدة التي لا يمكن أن تخيب قط . فلئن هلك هو ، فإن الإنجيل لن يهلك أو يندثر . فالله حي وحقه لا بد أن ينتصر .

كثيرون ممن شخصوا إليه في ذلك اليوم: «وَرَأَوْا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ» (أعمال ٦: ١٥) .

لم يسبق لتلك الجموع أن سمعت مثل هذا الكلام . لقد لمس كلامه أوتار قلوبهم فتأثرت حتى أقسى القلوب . فالحق الصريح المقنع قلب الضلال شر منقلب . وقد أشرق النور على عقول كثيرين ممن تبعوا أشعة ذلك النور فيما بعد سرور . وقد قدر لتلك الحقائق التي فاه الرسول بها في ذلك اليوم أن تهز أمماً بأسرها ، وتظل خالدة مدى العصور ، مؤثرة في قلوب الناس في الوقت الذي كانت الشفتان اللتان قد نطقتا بها صامتتين في قبر شهيد .

ولم يسبق لنيرون أن سمع الحق كما قد سمعه في تلك المناسبة . ولم يسبق لجرم حياته الشنيع أن انكشف له كما حدث في ذلك اليوم . لقد اخترق نور السماء مخادع نفسه الملوثة فارتعد خوفاً من فكرة أنه ، وهو سيد العالم ، سيستجوب أخيراً أمام محكمة يقف أمامها كفاعل شر وينال جزاء عادلاً عن أعماله . كان يخاف من إله الرسول ، فلم يجرؤ على الحكم على بولس الذي لم تثبت عليه أية تهمة . وقد كان شعوره بالرهبة والخوف رادعاً له ولروحه المتعطشة لسفك الدم ، إلى حين .

ولمدى لحظة انفتحت السماء أمام نيرون القاسى القلب ، وبـــدا كـــأن ســـلامها وطهارتها من الأمور المشتهاة . في تلك اللحظة قدمت دعوة الرحمة حتـــى إليـــه هو . ولكنه لم يرحب بفكرة الغفران إلا لمدى لحظة . ثم صدر أمر بأن يعاد بولس إلى سجنه ، وإذ أغلق الباب دون رسول الله أغلق باب التوبة إلى الأبد في وجـــه إمبراطور روما . ولم يكن لأي بصيص من نور السماء أن يخترق مرة أخـــرى الظلام المحدق به . وبعد قليل كان لا بد له أن يقاسي أهوال دينونة الله وانتقامه .

وبعد ذلك بقليل أقلع نيرون في رحلته الشائنة إلى بلاد اليونان حيث جلب العـــار على نفسه ومملكته باستهتاره المذل الدنيء . فإذ عاد إلى روما بأبهة عظيمة ، جمـع حوله ندماءه وانشغل في ضروب الدعارة الشائنة . وفي غمرة هذه العربدة ، ســـمع صوت شغب في الشوارع . فإذ أرسل رسول ليعرف السبب ، عاد بخـــبر مخيــف يقول إن القائد «جالبا» يقترب بسرعة من مدينة روما على رأس جيش، وأن ثورة قد انتشرت في المدينة، وأن الشوارع مزدحمة بالرعاع الســـاخطين الذيـــن يقـــتربون بسرعة من القصر ويتوعدون الإمبراطور وكل معاونيه ومؤيديه بالموت .

وفي وقت الخطر ذاك لم يكن لنيرون إله مقتدر ورحيم، كمـــا كـــان لبولـــس الأمين، يمكنه أن يعتمد عليه. فإذ كان يخاف من الآلام والعذابات التي قد يجـــبر على تحملها بأيدي الرعاع، فكر ذلك الطاغية التعس في أن ينهى حياتـــه بيـــده، ولكن في تلك اللحظة الحرجة خذلته شجاعته. وإذ كان مرتعباً جداً وجباناً، هرب من المدينة مجللاً بالخزي ولاذ بملجأ ريفي يبعد عن المدينة بضعة أميال، ولكـــن بلا جدوى. فسرعان ما اكتشف مخبأه، وإذ اقترب مطاردوه الفرسان من المكان، استدعى أحد العبيد وطلب إليه أن يعينه، وطعن نفسه طعنة قاتلة. وهكـــذا هلـــك نيرون الطاغية في بكور شبابه، في الثانية والثلاثين من عمره.

الفصل التاسع والأربعون

آخر رسالة كتبها بولس

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس) .

عاد بولس من دار محكمة القيصر إلى زنزانته متحققاً من أنه لم يكسب لنفسه سوى فترة إمهال قصيرة . لقد علم أن أعداءه لن يستريحوا حتى ينفذوا فيه حكم الموت . ولكنه علم أيضاً أن الحق قد انتصر إلى حين . فكونه قد كرز بالمخلص المصلوب والمقام أمام ذلك الجمع الغفير الذي أصغى اليه ، كان في حد ذاته انتصاراً . ففي ذلك اليوم بدأ عملاً كان مزمعاً أن ينمو ويتقوى ويزدهر ، وعبثاً حاول نيرون وأعداء المسيح الآخرون أن يعطلوه أو يلاشوه .

وإذ ظل بولس جالساً يوماً بعد يوم في زنزانته الكئيبة وهو عالم أن كلمة واحدة أو إيماءة تصدر من نيرون قد تكون كفيلة بتنفيذ حكم الموت فيه ، فكر في تيموثاوس وعول أن يرسل في طلبه . كان قد عهد إلى تيموثاوس بأمر رعاية الكنيسة في أفسس ، ولذلك فقد تخلف عندما سافر بولس سفرته الأخيرة إلى روما . كان بولس وتيموثاوس مرتبطين معاً برباط محبة عميقة ووثيقة جداً . إن تيموثاوس منذ اهتدائه اشترك مع بولس في خدماته وآلامه . وقد توطدت أواصر الصداقة بين الاثنين وتوثقت وصارت أقوى وأعمق وأقدس مما كانت حيث صار

تيموثاوس بمثابة ابن لأبيه الرسول الشيخ المضني والمحبوب والمكرم . إذن فلا غرابة إذا كان بولس في وحدته ووحشته يتوق لأن يراه .

في أفضل الظروف المؤاتية كان لا بد من مرور عدة شهور قبلما يمكن لتيموثاوس أن يصل إلى روما قادماً من آسيا الصغرى . وقد عرف بولس أن حياته غير مضمونة فبات يخشى أن يأتي تيموثاوس بعد فوات الأوان فلا يراه . كانت لديه نصائح هامة وتعاليم لازمة يقدمها لذلك الشاب الذي عهد إليه بتلك المهمة العظيمة ، وفي حين ألح عليه في المجيء بلا إبطاء ، أملى شهادة موته التي قد لا يعطى إمهالاً لينطق بها . وإذ كان قلب بولس مفعماً بالحب والجزع على ابنه في الإنجيل وعلى الكنيسة التي تحت رعايته ، فقد حاول أن يطبع على عقل تيموثاوس أهمية الولاء للعهدة المقدسة التي بين يديه .

وقد بدأ بولس رسالته بهذه التحية: «إِلَى تِيمُوثَاوُسَ الابْنِ الْحَبِيبِ: نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إِنِّي أَشْكُرُ اللهَ الَّذِي أَعْبُدُهُ مِنْ أَجْدَادِي بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ ، كَمَا أَذْكُرُكَ بِلاَ انْقِطَاعٍ فِي طَلِبَاتِي لَيْلاً وَنَهَارًا» (٢تيموثاوس ١: ٢،٣).

ثم أكد الرسول لتيموثاوس ضرورة الثبات في الإيمان . فكتب يقول : «أُذَكِّرُكَ أَنْ تُضْرِمَ أَيْضًا مَوْهِبَةَ اللهِ الَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ ، لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ . فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا ، وَلاَ بِي أَنَا أَسِيرَهُ ، بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ» وقد ناشد بولس تيموثاوس أن يذكر بأنه قد دعي «دَعْوَةً مُقَدَّسَةً» ليعلن قوة ذاك الذي : «وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ» . وقد واصل يقول : «الَّذِي جُعِلْتُ أَنَا لَهُ كَارِزًا وَرَسُولاً وَمُعَلِّمًا لِلأُمَمِ . لِهذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذِهِ الأُمُورَ أَيْضًا . لكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ» (٢تيموثاوس ١: ٦- ٨،١٠- ١٢) .

إن بولس في مدى سني خدمته الطويلة لم يتردد قط في ولائه لمخلصه. فأينما كان- سواء أمام جماعة الفريسيين العابسين، أو السلطات الرومانية، أو أمام الرعاع الثائرين في لسترة أو الخطأة المحكوم عليهم في سجن مكدونية، وسواء كان يجادل مع النوتية المرتعبين على ظهر السفينة الغارقة أو واقفاً وحده أمام نيرون يرافع لأجل حياته- لم يخجل قط من القضية التي كان يدافع عنها. إن غرض حياته المسيحية العظيم كان أن يخدم ذاك الذي كان قبلاً يحتقر اسمه احتقاراً عظيماً ، ولم يمكن لأية مقاومة أو اضطهاد أن يحوله عن غرضه. إن إيمانه الذي قوته الخدمة وطهرته التضحية، أسنده وقواه. وقد استطرد بولس يقول : «فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا. فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢تيموثاوس ٢: ١ - ٣) .

إن خادم الله الأمين لا يتهرب من المشقات أو المسؤوليات . فمن النبع الذي لا يخذل قط من يطلبون القوة الإلهية بإخلاص ، يستقي القوة التي تعينه على مواجهة التجربة والانتصار عليها وعلى القيام بالواجبات التي يضعها الله عليه . إن طبيعة النعمة التي ينالها توسع مقدرته على معرفة الله وابنه . إن نفسه تصبو شوقاً لعمل الخدمة المقبولة لدى سيده . وإذ يتقدم سائراً في الطريق المسيحي يصبح «قوياً في النعمة التي في المسيح يسوع» . هذه النعمة تمكنه أن يصير شاهداً أميناً لما قد سمعه . إنه لا يحتقر ولا يهمل المعرفة التي قد قبلها من الله ، ولكنه يودع هذه المعرفة لأناس أمناء ، وهؤلاء بدورهم يعلمون آخرين .

في الرسالة الأخيرة إلى تيموثاوس يرفع الرسول نصب عيني الخادم الشاب مثلاً عالياً مبيناً له الواجبات المسندة إليه كخادم للمسيح . فقد كتب إليه الرسول يقول : «اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ ِللهِ مُزَكًى ، عَامِلاً لاَ يُخْزَى ، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ

بالاسْتِقَامَةِ» ، «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا ، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ . وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالسَّخِيفَةُ اجْتَنِبْهَا ، عَالِمًا أَنَّهَا تُوَلِّدُ خُصُومَاتٍ ، وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ» (٢تيموثاوس ٢:١٥،٢٢-٢٥) .

وقد حذر الرسول تيموثاوس من المعلمين الكذبة الذين يحاولون الدخول إلى الكنيسة . فأعلن قائلاً : «وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ ، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ ، مُتَعَظِّمِينَ ، مُسْتَكْبِرِينَ ، مُجَدِّفِينَ ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ ، غَيْرَ شَاكِرِينَ ، دَنِسِينَ ... لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى ، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا . فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ» (٢تيموثاوس ٣: ١ – ٥) .

ثم تابع كلامه قائلاً : «وَلكِنَّ النَّاسَ الأَشْرَارَ الْمُزَوِّرِينَ سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَأَ ، مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ . وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ . وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ ... كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً ، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَل صَالِحٍ» (٢تيموثاوس ٣: ١٣ – ١٧) . لقد أعد الله وسائل كثيرة لمواصلة الحرب بنجاح ضد الشر الذي في العالم . إن الكتاب المقدس هو خزانة الأسلحة الذي منه يمكننا أن نتسلح لخوض هذه الحرب . ينبغي لنا أن نمنطق أحقاءنا بالحق وأن نلبس درع البر . ولنمسك ترس الإيمان في أيدينا ولتكن خوذة الخلاص على رؤوسنا ، وإذ نمسك سيف الروح الذي هو كلمة الله في أيدينا ، علينا أن نشق لأنفسنا طريقنا في وسط عوائق الخطة وإشراكها .

لقد عرف بولس أن أمام الكنيسة أزمنة خطر عظيم. كما عرف أن المسئولين عن الكنائس ينبغي لهم أن يقوموا بخدمة أمينة غيورة فكتب إلى تيموثاوس يقول: «أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذًا أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ. اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ» (٢تيموثاوس ٤: ١-٢) .

فهذه الوصية المقدسة الموجهة إلى شخص غيور وأمين كتيموثاوس إن هي إلا شهادة قوية عن أهمية ومسؤولية خدمة خادم الإنجيل. فإذ يوقف بولس تيموثاوس أمام محكمة الله يأمره بأن يكرز بالكلمة وليس بأقوال الناس وعاداتهم، وأن يكون مستعداً لأن يشهد لله كلما سنحت له الفرصة- أمام جموع كبيرة أو في بيوت خاصة، على قارعة الطريق، أو أمام المدفأة، للأصدقاء والأعداء، سواء كان في أكناف السلامة أو معرضاً للخطر والمشقات أو العار أو الخسائر.

وخوفا من أن تسوقه طبيعة تيموثاوس الوديعة الهادئة المذعنة إلى نبذ هذا الجزء الجوهري من خدمته ، أوصاه الرسول بأن يكون أميناً في توبيخ الخطية ، وأن يوبخ حتى بكل صرامة مرتكبي الخطايا الفظيعة والشرور الهائلة . ولكن كان عليه أن يفعل ذلك: «بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ» .

وكان عليه أن يظهر صبر المسيح ومحبته ، موضحاً ومعززاً توبيخاته بحقائق الكلمة .

إن كون الإنسان يبغض الخطية ويوبخها وفي نفس الوقت يبدي للخاطئ كل عطف ورقة هو مطلب عسير . إننا كلما كنا جادين وحارين في بذل جهودنا لبلوغ قداسة القلب والحياة كلما كان إحساسنا بالخطية شديداً وقوياً ، وكلما كان استنكارنا لأي انحراف عن الحق والصواب ثابتاً وشديداً . ينبغي لنا أن نحذر من القسوة غير اللائقة على المذنب ، ولكن ينبغي أيضاً أن نحترس كي لا تغيب

عنا هذه الحقيقة وهي أن الخطية خاطئة جداً . إننا بحاجة إلى إظهار الصبر والحب المسيحيين نحو المذنب ، ولكن هنالك أيضاً خطر من أن نبدي تسامحاً وتساهلاً عظيما نحو غلطته بحيث ينظر إلى نفسه بوصفه ممن لا يستحق التوبيخ فيرفضه على أنه إجراء ظالم لا داع له .

أحياناً يحدث خدام الإنجيل ضرراً بالغاً عندما يجعلون صبرهم واحتمالهم تجاه الخاطئ ينحطان بحيث يصبحان تساهلاً تجاه الخطايا، بل اشتراكاً فيها. وهذا ما يقودهم إلى التسامح مع ما يدينه الله بل وإلى استساغته، وبعد قليل يتعامون إلى حد أن يمتدحوا الأشخاص أنفسهم الذين يأمرهم الله بأن يوبخوهم. إن من قد صيَّر إحساسه الروحي بليداً كليلاً بسبب لينه وتساهله الخاطئ مع من يدينهم الله، سيرتكب بعد قليل خطية أعظم بقسوته وفظاظته نحو من يرضى الله عنهم.

إن كثيرين ممن يدعون أنفسهم مسيحيين وممن يحسون بقدرتهم على أن يعلموا الآخرين ، سينقادون إلى الارتداد عن مطاليب الله بواسطة افتخارهم بالحكمة البشرية واحتقارهم لقوة الروح القدس وتأثيره ، وتقززهم ونفورهم من حقائق كلمة الله ، وقد أعلن بولس لتيموثاوس قائلاً : «لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ» (٢تيموثاوس ٤: ٣،٤) .

إن الرسول لا يشير هنا إلى من يجاهرون بكفرهم وزندقتهم ، ولكنه يشير إلى المعترفين بالمسيحية الذين يجعلون ميولهم مرشداً لهم ، وهكذا يصيرون مستعبدين للذات . مثل هؤلاء يميلون للإصغاء إلى تلك التعاليم التي لا توبخ خطاياهم أو تدين سلوكهم المنطوي على حب اللذات ، هذا هو ما يستمعون إليه دون سواه . وهم يغتاظون من الأقوال الصريحة التي ينطق بها خدام المسيح

الأمناء ويختارون المعلمين الذين يمدحونهم ويتملقونهم . وكذلك يوجد بين الخدام المحترفين من يكرزون بآراء الناس بدلاً من كلمة الله . فلكونهم غير أمناء على الوديعة المسلمة لهم يضللون أولئك الذين يتطلعون إليهم في طلب الإرشاد الروحي .

لقد قدم الله في وصاياه المقدسة المدونة في شريعته قانوناً كاملاً للحياة ، وقد أعلن أن هذه الشريعة باقية إلى انقضاء الدهر ، وهى باقية لا تتغير فيها نقطة واحدة أو حرف واحد بل ستظل محتفظة بمطاليبها على بني الإنسان . لقد جاء المسيح لكي يعظم الشريعة ويكرمها . وقد برهن أنها مبنية على الأساس المتسع أساس المحبة لله والمحبة للناس ، وأن الطاعة لوصاياها تستوعب واجب الإنسان كله . والمسيح في حياته قدم نفسه مثالاً لنا في الطاعة لشريعة الله . وفي موعظته التي ألقاها على الجبل أبان أن مطاليبها تمتد إلى أبعد من الأعمال الخارجية وتتغلغل إلى أفكار القلب ونياته .

ومتى أطاع الناس الشريعة فذلك يقودهم كي «نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ» (تيطس ٢: ١٢) . ولكن عدو كل بر قد أسر العالم وقاد الرجال والنساء لعصيان الشريعة . وكما سبق بولس فرأى ، نجد أن جماهير كثيرة من الناس تركوا حقائق كلمة الله الصريحة الفاحصة واختاروا لهم معلمين يقدمون لهم الخرافات التي يشتهونها . كثيرون من الخدام والشعب يدوسون تحت أقدامهم وصايا الله . وهكذا يهان خالق العالم ويضحك الشيطان منتصراً لنجاح مكايده .

ومع تزايد الاحتقار لشريعة الله يتزايد نفور الناس من الدين وتتفاقم الكبرياء وحب اللذات وعصيان الوالدين والإفراط في الشهوات ، وفي كل مكان يتساءل المفكرون بجزع قائلين : ماذا يمكن أن نعمل لإصلاح هذه الشرور المفزعة ؟

والجواب نجده في وصية بولس لتيموثاوس إذ يقول : «اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ» ففي الكتاب المقدس توجد المبادئ السليمة الوحيدة للعمل ، فهو صورة دقيقة لإرادة الله وتعبير عن الحكمة الإلهية . وهو يكشف أمام ذهن الإنسان مشاكل الحياة العظيمة ، وكل من يلتفتون إلى وصاياه سيثبت لهم أنه مرشد لا يخطئ ، إذ يحفظهم من إنفاق حياتهم في جهود ضالة .

لقد أعلن الله إرادته ، وإنها لجهالة من الإنسان ما بعدها جهالة أن يشك أو يجادل فيما قد خرج من شفتي العلي . فبعدما تتكلم الحكمة السرمدية لا يعود هناك مجال للإنسان لأن يحكم في أسئلة مشكوك فيها ولا توجد إمكانات مهتزة ومترددة لتعديلها ، وكل ما يطلب منه هو القبول الصريح الجدي لإرادة الله الواضحة . إن الطاعة هي أسمى ما يمليه العقل وكذلك الضمير .

وقد تابع بولس تقديم وصيته لتلميذه قائلاً : «فَاصْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . احْتَمِلِ الْمَشَقَّاتِ . اعْمَلْ عَمَلَ الْمُبَشِّرِ . تَمِّمْ خِدْمَتَكَ» (٤: ٥) . كان بولس موشكاً أن يكمل سعيه فكان يريد أن يشغل تيموثاوس مكانه فيحرس الكنيسة من الخرافات والضلالات التي يحاول العدو عن طريقها وبوسائل متعددة أن يبعدهم عن بساطة الإنجيل . وقد أوصاه بأن ينفض يديه من كل المطالب والارتباكات الدنيوية . التي قد تعيقه عن تكريس نفسه ووقته بالتمام لعمل الله ، وأن يحتمل بفرح المقاومة والعار والاضطهاد الذي قد يتعرض له بسبب أمانته ، وأن يتمم خدمته بأن يستخدم كل الوسائل التي تصل إليها يده لعمل الخير لمن قد مات المسيح لأجلهم .

كانت حياة بولس تجسيداً للحقائق التي علم بها ، وفي هذا كانت قوته . كان قلبه ممتلئاً بإحساس عميق ثابت بمسئوليته ، وكان يعمل في شركة وثيقة مع ذاك الذي هو نبع العدل والرحمة والحق . وقد تعلق بصليب المسيح بوصفه الضمان

الوحيد لنجاحه . كانت محبة المخلص هي الباعث الحي الذي دعمه في حروبه مع الذات وفي صراعه ضد الشر ، حين تقدم إلى الأمام في خدمة المسيح ضد عداوة العالم ومقاومة أعدائه .

والذي تحتاجه الكنيسة في أيامنا الخطيرة هذه هو جيش من الخدام الذين دربوا أنفسهم كبولس كي يكونوا ذوي نفع ، الذين عندهم اختبار عميق في أمور الله والذين هم ممتلئو القلوب بالاهتمام والهمة والغيرة . إن الحاجة هي إلى رجال مقدسين ومضحين ، رجال لا يستعفون من الامتحان والمسئولية ، رجال شجعان أمناء ، وفي قلوبهم تصور المسيح «رَجَاءُ الْمَجْدِ» ، الذين إذ تكون قد مست شفاههم النار المقدسة ، «يكرزون بالكلمة» . فبسبب عدم وجود مثل هؤلاء الرجال يضعف ملكوت الله ، وتوصم أخلاق عدد كبير من بني الإنسان وتصلب آمالهم بالضلالات المميتة كما بسم قتال .

فإذ يسلم الرجال الأمناء المنهكو القوى حاملو الأعلام أرواحهم في سبيل الحق ، فمن ذا الذي سيتقدم إلى الأمام ليحل مكانهم ؟ فهل يقبل شبابنا الوديعة المقدسة من أيدي ابائهم ؟ وهل يستعدون ليملأوا الأماكن التي خلت بموت الأمناء ؟ وهل يلتفتون إلى وصية الرسول ، ويسمعون نداء الواجب في وسط المحرضات على الأثرة والطموح اللذين يغريان الشباب ؟

وقد اختتم بولس رسالته برسائل شخصية لأفراد مختلفين ، ثم كرر مرة أخرى طلبه المعجل لتيموثاوس بأن يبادر بالمجيء إليه سريعاً ، إن أمكن قبل حلول الشتاء . وقد تحدث عن وحدته التي كان سببها هجران بعض أصدقائه له ، واضطرار آخرين للتغيب عنه ، ولئلا يتردد تيموثاوس لخوفه من أن تكون كنيسة أفسس بحاجة إلى خدماته فلا يستطع التغيب عنها ، أخبره بولس بأنه قد أرسل تيخيكس ليحل مكانه .

فبعدما تحدث بولس عن مشهد محاكمته أمام نيرون ، وهجران إخوته لـــه ، ونعمة الإله حافظ العهد التي دعمته ختم رسالته بأن استودع تيموثاوس الحبيـــب لحراسة رئيس الرعاة الذي سيظل يهتم برعيته مع أن الرعـــاة الأرضييـــن قــد يموتون .

الفصل الخمسون

الحكم علي بولس بالموت

في أثناء محاكمة بولس الأخيرة أمام نيرون كان الإمبراطور متأثراً تأثراً عميقاً بقوة أقوال الرسول بحيث أرجأ الحكم في القضية، فلا هو أطلق سراح خادم الله المشكو في حقه ولا هو أدانه. ولكن سرعان ما عاد إلى الإمبراطور حقده على بولس. فإذ كان مغتاظاً بسبب عجزه عن إيقاف انتشار الدين المسيحي عند حده حتى في بيت الإمبراطور، فقد صمم أنه حالما يجد عذراً مقبولاً في الظاهر فسيقتل الرسول. وبعد وقت قصير نطق نيرون بحكمه القاضي بأن يموت بولس شهيداً. وحيث أن المواطن الروماني لم يكن يسمح بتعذيبه، فقد حكم على الرسول بقطع رأسه.

وقد أخذ بولس خفية إلى مكان الإعدام. ولم يسمح لغير عدد قليل من المشاهدين أن يكونوا عند تنفيذ الحكم، لأن مضطهديه إذ أفزعهم تأثير الرسول الواسع النطاق باتوا يخشون أن ينضم إلى المسيحية مهتدون جدد لو شاهدوه وهو يموت . ولكن حتى الجنود القساة الذين رافقوه أصغوا إلى أقواله ، وقد شاهدوه ذاهلين وهو يواجه الموت ببهجة وفرح. وبالنسبة إلى بعض من شاهدوا استشهاده كانت روح الغفران التي أظهرها لقاتليه وثقته التي لا تتزعزع في المسيح إلى النهاية ، رائحة حياة لحياة . وقد قبل بعض منهم المخلص الذي بشر به بولس ، وبعد قليل ختموا ، هم أيضاً شهادة إيمانهم بدمهم بلا خوف .

وإلى آخر ساعة في حياته شهد بولس لصدق الكلمات التي كتبها قبلاً لأهل كورنثوس عندما قال لهم : «لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا ، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . وَلَكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لاَ مِنَّا . مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ . مُتَحَيِّرِينَ ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ . مُضْطَهَدِينَ ، لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ . مَطْرُوحِينَ ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ . حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا» (٢كورنثوس ٤: ٦ – ١٠) . لم تكن كفايته في شخصه بل في حضور روح الله وعمله الذي ملأ نفسه وأخضع كل فكر لإرادة المسيح . والنبى يعلن قائلاً : «ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا ، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ» (إشعياء٢٦: ٣) . إن سلام السماء الذي كان يلمع في وجه بولس ربح نفوسا كثيرة للإنجيل .

كان بولس يحمل معه جو السماء وكل من عاشروه أحسوا بقوة اتحاده بالمسيح . إن حقيقة كون حياته كانت مثالاً للحق الذي كرز به أضفت على كرازته قوة إقناع عظيمة. هنا توجد قوة الحق. إن قوة الحياة المقدسة غير المقصودة والتي لا يحس بها صاحبها هي أقوى عظة مقنعة يمكن تقديمها في صالح المسيحية. إن الحجة حتى عندما تكون قوية لا ترد، قد لا يكون لها تأثير غير إثارة المقاومة، أما الحياة المثالية المقدسة فلها قوة يستحيل مقاومتها مقاومة كلية.

لقد غابت عن نظر الرسول آلامه القادمة في غمرة جزعه على أولئك الذين كان مزمعاً أن يتركهم ليكافحوا ضد التعصب والكراهية والاضطهاد. فحاول أن يقوي المسيحيين القليلين الذين رافقوه إلى مكان الإعدام ويشجعهم بأن راح يردد المواعيد المقدمة للمضطهدين لأجل البر. وقد أكد لهم أنه لا يمكن أن تسقط كلمة واحدة من كل ما قاله الرب عن أولاده المجربين الأمناء. قد يحزنون إلى حين

بسبب التجارب المتنوعة وقد يحرمون من المتع الأرضية، ولكن يمكنهم أن يشددوا قلوبهم بيقين أمانة الله قائلين: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي» (٢تيموثاوس ١: ١٢). فسرعان ما ينتهي ليل التجارب والآلام وحينئذ ينبثق فجر السلام والنهار الكامل المفرح. كان الرسول يتطلع إلى الأبدية العظيمة لا في غير يقين أو خوف بل برجاء مفرح وانتظار وشوق. وإذ يقف في مكان الاستشهاد لا يرى سيف الجلاد أو الأرض المزمعة أن تتلقى دمه ولكنه ينظر إلى فوق ومن خلال السماء الزرقاء الهادئة في ذلك اليوم الصيفي يرى عرش الله السرمدي.

إن رجل الإيمان هذا يرى السلم التي رآها يعقوب وهي ترمز إلى المسيح الذي ربط الأرض بالسماء، والإنسان المحدود بالله غير المحدود. ثم أن إيمانه يتقوى عندما يذكر كيف اعتمد الآباء والأنبياء على ذاك الذي هو الآن سنده وعزاؤه والذي في سبيله سيسلم حياته للموت. فقد سمع أولئك الرجال القديسين الذين شهدوا لإيمانهم من جيل إلى جيل وهم يوقنون ويؤكدون بأن الله أمين. ثم أن زملاءه الرسل الذين في سبيل الكرازة بإنجيل المسيح خرجوا ليواجهوا التعصب الديني والخرافات الوثنية والاضطهاد والازدراء، والذين لم يحسبوا نفوسهم ثمينة عندهم ليرفعوا نور الصليب عالياً في وسط متاهات الإلحاد المظلمة– هؤلاء يسمعهم وهم يشهدون ليسوع على أنه ابن الله ومخلص العالم. فمن فوق آلة التعذيب والآلة التي يشد إليها من يحرقون أحياء، ومن السجن ومن مغاور وشقوق الأرض ، يسمع أصوات هتاف الانتصار من أفواه الشهداء. إنه يسمع شهادة النفوس الثابتة ، الذين مع أنهم كانوا معتازين ومتضايقين ومعذبين فهم يقدمون شهادة مقدسة بلا خوف لإيمانهم قائلين «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ». هؤلاء إذ يسلمون أرواحهم لأجل الأيمان يعلنون للعالم أن ذاك الذي قد اتكلوا عليه قادر أن يخلص إلى التمام.

إن بولس إذ كان قد افتدي بذبيحة المسيح ، واغتسل وتطهر من خطاياه في دمه واكتسى بثوب بره كانت له الشهادة في نفسه بأن نفسه عزيزة في عيني فاديه . إن حياته مستترة مع المسيح في الله وهو مقتنع بأن ذاك الذي قد غلب الموت قادر أن يحفظ وديعته . إن عقله يفهم ويدرك وعد المخلص القائل : «وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يوحنا ٦: ٤٠) . إن أفكاره وآماله مركزة في المجيء الثاني لسيده . وإذ يهوي سيف الجلاد وتتجمع ظلمات الموت حول الشهيد ، فإن آخر فكر من أفكاره يثب إلى الأمام كما سيكون الحال بالنسبة لأول فكر من أفكاره في القيامة العظيمة ، لملاقاة معطى الحياة الذي سيرحب به إلى غبطة المباركين .

لقد مضى ما يقرب من عشرين قرناً منذ سفك دم بولس الشيخ كشاهد لكلمة الله وشهادة يسوع المسيح . ولم تسجل يد أمينة للأجيال القادمة آخر مشاهد حياة هذا القديس ، إلا أن الوحي الإلهي قد حفظ لنا شهادته التي نطق بها في ساعة احتضاره . وقد رن صوته كصوت بوق من جيل إلى جيل منذ ذلك الحين مقوياً بشجاعته آلافاً من شهود المسيح وموقظاً في قلوب آلاف ممن قد صعقهم الحزن صدى فرحه وانتصاره حين قال : «فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا ، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ . قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا» (٢تيموثاوس ٤: ٦ – ٨) .

الفصل الحادي والخمسون

راع مساعد وأمين

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في رسالة بطرس الرسول الأولى) .

إن كاتب سفر الأعمال لا يذكر إلا القليل عن الأعمال اللاحقة التي قام بها بطرس الرسول . ففي غضون السنوات المزدحمة بالخدمة التي تلت انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين كان هو واحداً ممن بذلوا جهوداً لا تكل للوصول إلى اليهود الذين كانوا يأتون إلى أورشليم ليسجدوا في أيام أعيادهم السنوية .

فإذ تكاثر عدد المؤمنين في أورشليم وفي غيرها من الأماكن التي كان يزورها رسل الصليب ، برهنت مواهب بطرس أن لها قيمة لا تقدر للكنيسة المسيحية الأولى . فقوة شهادته عن يسوع الناصري امتدت إلى أماكن بعيدة . لقد وضعت عليه مسؤولية مضاعفة ، وقدم شهادة إيجابية قاطعة عن المسيا أمام غير المؤمنين وكان يتعب بكل غيرة في سبيل هدايتهم ، وفي الوقت نفسه كان يقوم بعمل خاص للمؤمنين مقوياً ومشدداً إياهم في الإيمان بالمسيح .

فبعدما أقدم بطرس على إنكار الذات والاعتماد التام على القوة الإلهية ، قبل الدعوة لأن يخدم كراع مساعد . لقد قال المسيح لبطرس قبل إنكاره له : «وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لوقا ٢٢: ٣٢) . كان هذا القول يشير إلى العمل

المتسع الفعال الذي كان على هذا الرسول أن يقوم به في المستقبل لمن سيقبلون إلى الإيمان . إن اختبار بطرس للخطية والآلام والتوبة قد أعده لهذا العمل . ولم يمكنه أن يتحقق من حاجة المؤمن إلى الاعتماد على المسيح إلا بعدما أيقن من ضعفه . ففي غمرة عاصفة التجربة أدرك بأن الإنسان يمكنه أن يسير آمناً ، فقط عندما يعتمد على المخلص وهو عديم الثقة تماماً بنفسه .

وعندما اجتمع المسيح عند البحر بتلاميذه لآخر مرة فإن بطرس بعدما امتحن بذلك السؤال الذي وجه إليه ثلاث مرات قائلاً : «أَتُحِبُّنِي» (يوحنا ٢١: ١٥ ١٧) ، أعيد إلى مكانه بين التلاميذ الاثنى عشر . كان عمله قد عين له فكان عليه أن يرعى قطيع الرب . والآن بعدما رجع وقبل لم يكن عمله منحصراً في طلب تخليص من هم خارج الحظيرة بل كان عليه أن يكون راعياً للقطيع .

وقد ذكر المسيح لبطرس شرطاً واحداً للخدمة . «أَتُحِبُّنِي» هذا هو المؤهل الجوهري . فمع أن بطرس قد يكون حائزاً على كل شيء آخر فإنه بدون محبة المسيح ما كان يمكنه ان يكون راعياً أميناً لقطيع الله . إن المعرفة والإحسان والفصاحة والغيرة – كلها لازمة في الخدمة الصالحة وجوهرية جداً ، ولكن بدون محبة المسيح في القلب فإن عمل الخادم المسيحي يمسي فاشلاً .

إن المحبة للمسيح ليست شعوراً متقلباً متقطعاً ولكنها مبدأ حراً ينبغي أن يظهر كقوة ثابتة في القلب . فإذا كانت أخلاق الراعي وسلوكه تمثيلاً للحق الذي يدافع عنه فإن الرب سيختم على خدمته بختم الرضى والقبول . وسيصبح الرعاة والرعية واحداً متحدين في رجائهم المشترك في المسيح .

إن طريقة المخلص في معاملته لبطرس كان فيها درس وتعليم له ولإخوته . فمع أنه كان قد أنكر سيده فإن المحبة التي كان يكنها يسوع له لم تتغير ولم تضعف . وحيث أن الرسول كان يجب عليه أن يضطلع بعمل خدمة الكلمة

للآخرين فقد كان عليه أن يعامل الخاطئ والمذنب بالصبر والعطف والمحبة الغافرة . فإذ ذكر ضعفه وفشله ، كان عليه أن يعامل الحملان والخراف المسلمة لرعايته بنفس الرقة التي عامله بها المسيح .

إن الخلائق البشرية المسلمة للشر معرضة لأن تعامل المجربين والمخطئين بغير رفق أو حنان . فهم لا يعرفون ما يكنه القلب ولا يعلمون شيئاً عن محارباته وآلامه . إنهم بحاجة أن يتعلموا شيئاً عن التوبيخ الذي تلطفه المحبة ، والضربة التي تجرح لتشفي والإنذار الذي ينطق بالرجاء .

إن بطرس في مدى سني خدمته كان يسهر على الرعية المسلمة له ليرعاها ، وهكذا برهن أنه أهل للعهدة والمسؤولية التي سلمها له المخلص . لقد كان أبداً يمجد يسوع الناصري بوصفه رجاء إسرائيل ومخلص بني الإنسان . وقد خضع لتدريب الخادم الأعظم (يسوع المسيح) . وبكل وسيلة تحت سلطانه سعى ليدرب المؤمنين على الخدمة النشطة . كان مثاله المقدس ونشاطه الذي لا يكل ملهماً لكثيرين من الشبان الذي يرجى منهم الخير لتكريس ذواتهم بالتمام لعمل الخدمة . وبمرور الزمن زاد تأثير الرسول كمهذب وقائد ، وفي حين أنه لم يتخل عن مسئوليته في خدمة اليهود بوجه خاص ، فإنه مع ذلك أذاع شهادته في بلدان كثيرة وشدد إيمان جماهير كثيرة من الناس بالإنجيل .

وفي أواخر سني خدمته أوحي إلى بطرس أن يبعث برسالة إلى المؤمنين : «الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ» (١بطرس ١: ١) . وكانت رسالتاه وسيلة لإنعاش شجاعة الذين كانوا يحتملون التجارب والآلام ، وتقوية إيمانهم ، وتجديد الأعمال الصالحة للذين ، كانوا في خطر التخلي عن تمسكهم بالله بسبب التجارب . هاتان الرسالتان تحملان طابعاً خاصاً

وهو أن كاتبهما إنسان توافرت فيه آلام المسيح وتعزياته- إنسان غيرت النعمة كيانه كله ، وكان رجاؤه في الحياة الأبدية ثابتاً وطيداً .

وفي بداية رسالته الأولى ، قدم خادم الله الشيخ الثناء والحمد والشكر لسيده . فهتف يقول : «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ ، بِإِيمَانٍ ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ» (١: ٣ - ٥) .

لقد ابتهج المسيحيون الأولون وتهللوا برجاء هذا الميراث في الأرض الجديدة حتى في أوقات التجارب والآلام القاسية فكتب بطرس يقول : «الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي ، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ ... فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ» (١: ٦ - ٩) .

لقد كتبت أقوال الرسول لأجل تعليم المؤمنين في كل عصر . ولها معنى خاص للذين يعيشون في العصر الذي فيه «نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ اقْتَرَبَتْ» . إن نصائحه وإنذاراته وكلام الإيمان والشجاعة تحتاجها كل نفس تريد أن تحتفظ بإيمانها: «ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ» (عبرانيين ٣: ١٤) .

وقد حاول الرسول أن يعلم المؤمنين مقدار أهمية حفظ العقل والأفكار من التيهان والاسترسال في المواضيع المحرمة ، أو إنفاق قوى العقل في موضوعات تافهة لا طائل تحتها . فالذين لا يريدون أن يسقطوا فريسة لمكايد

الشيطان ، عليهم أن يحرسوا جيداً مداخل النفس ، وعليهم الابتعاد عن قـراءة أو رؤية أو سماع ما من شأنه أن يوحى بأفكار نجسة . وينبغي ألا يـترك الفكـر ليتعمق جزافاً في كل موضوع يقترحه عدو النفوس . كما ينبغي إقامة حـارس أمين على القلب ، وإلا فالشرور التي من الخارج ستوقظ الشرور الهاجعة فـي الداخل وتثيرها فتتلمس النفس طريقها في الظلام . وقد كتب بطـرس الرسـول يقول : «لِذلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ ، فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَـةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ... لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّـابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُـلِّ سِيرَةٍ . لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (١: ١٣- ١٦) .

«فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ ، عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْـيَاءَ تَفْنَـى ، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَـاءِ ، بَـلْ بِـدَمٍ كَرِيمٍ ، كَمَا مِنْ حَمَل بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ ، دَمِ الْمَسِيحِ ، مَعْرُوفًا سَـابِقًا قَبْـلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِـهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَـاهُ مَجْـدًا ، حَتَّـى إِنَّ إِيمَـانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ» (١: ١٧- ٢١) .

لو كانت الفضة والذهب كافيين لشراء الخلاص للناس فكم كان يتم ذلك بكـل سهولة بواسطة ذاك الذي يقول : «لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ» (حجي ٢: ٨) . ولكـن لم يكن من الممكن فداء الإنسان العاصى بغير دم ابن الله الكريم . لقد اعتمـدت خطة الخلاص على التضحية . وقد كتب الرسول بولس يقول : «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُـونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ ، لِكَيْ تَسْـتَغْنُوا أَنْتُـمْ بِفَقْرِهِ» (٢كورنثوس ٨: ٩) . فبذل المسيح نفسه لأجلنا ليفدينا من كل إثـم . وإن أعظم وأثمن بركات الخلاص هي هذه : «هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُـوعَ

رَبِّنَا» (رومية ٦: ٢٣) وقد واصل الرسول بطرس يقول : «طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ» (١: ٢٢) . إن كلمة الله- الحق- هي الوسيلة التي عن طريقها يظهر الرب روحه وقدرته . إن الطاعة للكلمة تثمر ثمراً من النوع المطلوب- «لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ» . هذه المحبة هي وليدة السماء وتقود إلى البواعث السامية وأعمال الإيثار .

عندما يصبح الحق المبدأ الثابت في الحياة ، فالنفس تكون «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً ، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى ، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى ، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (١: ٢٣) . هذا الميلاد الثاني هو نتيجة قبول المسيح بوصفه كلمة الله . وعندما تنطبع الحقائق الإلهية على القلب بالروح القدس ، تستيقظ في النفس أفكار جديدة ، كما تستيقظ القوى التي كانت هاجعة وساكنة من قبل لتتعاون مع الله .

هكذا كانت الحال مع بطرس وزملائه التلاميذ . كان المسيح هو معلن الحق للعالم . وبواسطته زرع الزرع الذي لا يفنى- كلمة الله- في قلوب الناس . ولكن كثيراً من أثمن تعاليم المعلم العظيم قيلت لمن لم يفهموها حينئذ . ولكن بعد الصعود ذكر الروح القدس التلاميذ بتعاليم السيد فاستيقظت حواسهم الهاجعة . وقد أبرقت معاني هذه الحقائق في أذهانهم كما لو كانت إعلاناً جديداً ، ووجد الحق الطاهر الأصلي مكاناً لنفسه . حينئذ صار ذلك الاختبار العجيب اختبار حياة المسيح ملكا لهم . وقد شهدت الكلمة بواسطهم ، وهم الذين قد أقامهم ، فأعلنوا الحق العظيم القائل: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا ... مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» . «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا ، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ» (يوحنا ١: ١٤،١٦) .

وقد أوصى الرسول المؤمنين بأن يدرسوا الكتب المقدسة لأنه بالإدراك اللائق لها يمكنهم أن يعملوا عملاً أكيداً للأبدية . وقد تحقق بطرس بأنه يوجد في اختبار كل إنسان منتصر انتصاراً نهائياً بعض مشاهد الحيرة والتجربة ، ولكنه علم أيضاً أن فهم كلمة الله يعين الإنسان المجرب كي يتذكر المواعيد المعزية والمقوية للإيمان بالإله القدير .

وقد أعلن قائلاً : «لأَنَّ كُلَّ جَسَدٍ كَعُشْبٍ ، وَكُلَّ مَجْدِ إِنْسَانٍ كَزَهْرِ عُشْبٍ . الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ ، وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ . وَهذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا . فَاطْرَحُوا كُلَّ خُبْثٍ وَكُلَّ مَكْرٍ وَالرِّيَاءَ وَالْحَسَدَ وَكُلَّ مَذَمَّةٍ ، وَكَأَطْفَال مَوْلُودِينَ الآنَ ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ» (١: ٢٤،٢٥؛ ٢: ١ – ٣) .

إن كثيرين من المؤمنين الذين أرسل بطرس رسالتيه اليهم كانوا يعيشون في وسط الوثنيين وكانت هناك أشياء كثيرة تعتمد على بقائهم أمناء لدعوة اعترافهم العليا . ثم أن الرسول نبههم إلى امتيازاتهم بوصفهم تابعين للمسيح يسوع . فكتب يقول لهم: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ . الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا ، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ . الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ .

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ ، أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ ، وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً ، لِكَيْ يَكُونُوا ، فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرّ ، يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ» (٢: ٩ – ١٢) .

وقد حدد الرسول بوضوح الموقف الذي ينبغي أن يتخذه المؤمنون حيال السلطات المدنية عندما قال : «فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ . إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ ، أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ . لأَنَّ هكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ . كَأَحْرَارٍ ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ . أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ . أَحِبُّوا الإِخْوَةَ . خَافُوا اللهَ . أَكْرِمُوا الْمَلِكَ» (٢: ١٣- ١٧) .

أما من كانوا خداماً فقد نصحهم بأن يظلوا خاضعين لسادتهم: «بِكُلِّ هَيْبَةٍ ... لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضًا». وأوضح الرسول قائلاً: «لأَنَّ هذَا فَضْلٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ ، يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ. الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا» (٢: ١٨ – ٢٥) .

وقد أوصى الرسول النساء المؤمنات أن تكون سيرتهن سيرة العفاف وأن يكن محتشمات في اللبس والتصرف . وقد نصحهن قائلاً : «وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ» (٣: ٣ – ٤) .

هذا الدرس ينطبق على المؤمنين في كل عصر : «مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ» (متى ٧: ٢٠) . إن زينة الروح الوديع الهادئ هي كثرة الثمن . وفي حياة السيدة المسيحية بالحق ، تكون الزينة الخارجية متوافقة دائماً مع السلام والقداسة القلبيين . وقد قال المسيح : «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (متى ١٦: ٢٤) . إن إنكار الذات والتضحية يميزان حياة المسيحي . وإن البرهان على أن الذوق قد تغير وتجدد يرى في ثياب كل من يسيرون في الطريق المرسوم لمفديي الرب .

من الصواب أن نحب الجمال ونشتهيه ، إلا أن الله يريدنا أن نحب ونطلب أولاً الجمال الأسمى ، ذاك الذي لا يبلى ولا يفنى . لا يمكن لأية زينة خارجية أن تضارع في قيمتها أو جمالها «زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ» ، «بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا» (رؤيا ١٩: ١٤) الذي سيلبسه كل قديسي الأرض . هذا الثوب سيجعلهم حسان المنظر ومحبوبين هنا وسيكون لهم في حياة الخلود بمثابة جواز دخولهم إلى قصر الملك وشارتهم المميزة لهم . إنه يعد قائلاً : «فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ» (رؤيا ٣: ٤) .

إن الرسول إذ نظر ببصيرته النبوية إلى الأمام إلى الأزمنة الصعبة التي كانت كنيسة المسيح مزمعة أن تجوز فيها ، أوصى المؤمنين بالثبات أمام التجارب والآلام . فكتب يقول : «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ» (٤: ١٢) .

إن البلوى هي جزء من التدريب المعطى في مدرسة المسيح لتطهير شعب الله من زغل الأرضيات والتعلق بها . فلكون الله هو الذي يقود أولاده فإنهم يمرون باختبارات صعبة . إن البلايا والعوائق هي وسائله التي يستخدمها في تدريبهم والشروط التي عينها للنجاح . فذاك الذي يقرأ خفايا قلوب الناس يعرف ضعفاتهم

أفضل مما يعرفون هم أنفسهم . إنه يرى أن البعض لهم مؤهلات لـــو وجـــهت توجيها صحيحا يمكن استخدامها في تقدم عمله ونجاحه . وفي عنايته يأتي بتلــك النفوس إلى مواقف وظروف مختلفة لكي يكتشـــفوا النقــائص المســتورة عــن علمهم . وهو يعطيهم فرصة ينتصرون فيها على نقائصهم تلك ويؤهلون أنفســهم للخدمة . وفي أحيان كثيرة يسمح لنيران التجارب بأن تحرقهم لكي يتطهروا .

إن رعاية الله لميراثه لا تنقطع. وهو لا يسمح بوقوع تجربـــة علـــى أولاده إلا إذا كانت جوهرية لأجل خيرهم الزمني والأبدي. وهو سيطهر كنيسته كما قد طهر المسيح الهيكل في أثناء خدمته على الأرض. وكل ما يجلبه على شعبه في الامتحان والتجربــة إنما يجلبه لكي يحصلوا على تقوى أعمق وقوة أعظم للتقدم بانتصارات الصليب .

لقد جاء وقت في اختبار بطرس عندما نفر وتهرب من مرأى الصليـــب فـــي عمل المسيح . فعندما أعلم المخلص التلاميذ بآلامه القادمــــة وموتـــه ، صـــاح بطرس قائلاً : «حَاشَاكَ يَارَبُّ لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا» (متـــى ١٦: ٢٢) . إن اشـــفاق بطرس على نفسه الذي جعله يُحجِم عن مشاركة المسيح في آلامــــه ، اســـتفزه فنطق بهذا الاحتجاج . كان هذا درسا مراً وقاسياً لهذا التلميـــذ ، درســـاً تعلمـــه ببطء ، وهو أن طريق المسيح علـــى الأرض كـــان يمـــر فـــي وســـط الآلام والاتضاع . ولكن في حرارة نار الآتون كان عليه أن يتعلم الدرس . ثم عندمـــا انحنى جسمه ، الذي كان قبلاً نشطاً ، تحت أثقال السنين والمتـــاعب أمكنـــه أن يكتب قائلاً : «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُـــمْ حَادِثَـــةٌ ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ ، بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِـــيحِ ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهِجِينَ» (٤:١٢،١٣) .

وفي خطابه الذي وجهه إلى شيوخ الكنيسة بخصوص مســـئولياتهم كرعـــاة يعملون تحت إشراف الراعي الأعظم لقطيع المسيح ، كتب الرسول يقـــول لـــهم

«ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا ، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ . وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (٥:٢-٤) .

والذين يشغلون مراكز الرعاة المساعدين للراعي الأعظم عليهم أن يمارسوا اجتهاداً يقظاً على قطيع الرب . وينبغي ألا يكون هذا سهراً استبدادياً بل سهراً يؤول إلى التشجيع والتقوية وإقامة الساقطين . إن الخدمة تعني شيئاً أكثر من تقديم العظات ، فهى تعني الخدمة الشخصية الجادة . إن الكنيسة على الأرض مكونة من رجال ونساء مخطئين يحتاجون إلى بذل جهد صبور دقيق لكي يتربوا بل يتدربوا على العمل المقبول في هذه الحياة ، وفي الحياة العتيدة يكللون بالمجد والخلود . توجد حاجة إلى رعاة –رعاة أمناء– لا يتزلفون أو يتملقون شعب الله ولا يعاملونهم بقسوة أو فظاظة ، بل يغذون الرعية بخبز الحياة– إلى رجال يشعرون في حياتهم اليومية بقوة الروح القدس المجددة ، وقلوبهم عامرة بمحبة قوية غير أنانية نحو من يخدمونهم .

يوجد عمل دقيق ليقوم به الراعي الذي يعمل تحت إشراف المسيح عندما يدعى لمواجهة الفرقة والمرارة والغيرة والحسد في الكنيسة ، وعليه أن يخدم بروح المسيح لينظم كل شيء . ينبغي تقديم الإنذارات الأمينة ، كما يجب توبيخ الخطايا وإصلاح الأخطاء والمظالم ، ليس فقط بواسطة خدمة الخادم من على المنبر ، بل عن طريق العمل الفردي . قد يعترض القلب الضال على الرسالة ، وقد ينتقد خادم الله ويخطئ الناس في حكمهم عليه . إذن فليذكر حينئذ أن «الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ ، مُتَرَفِّقَةٌ ، مُذْعِنَةٌ ، مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً ، عَدِيمَةُ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ . وَثَمَرُ الْبِرِّ يُزْرَعُ فِي السَّلاَمِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلاَمَ» (يعقوب ٣: ١٧،١٨) .

إن عمل خادم الإنجيل هو أن «ينير الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ» (أفسس ٣: ٩) . فإذا دخل الإنسان إلى هذه الخدمة واختار أقل جزء يتطلب تضحية الذات ويقنع بالكرازة ويترك خدمة العمل الفردي لشخص آخر فإن خدماته لن تكون مقبولة لدى الله . فالنفوس التي قد مات المسيح لأجلها تهلك لعدم وجود عمل فردي موجه توجيهاً صالحاً . وذاك الذي إذ يدخل الخدمة يرفض القيام بالعمل الفردي الذي تتطلبه رعاية القطيع يكون قد أخطأ في فهم دعوته .

إن روح الراعي الأمين هي روح نسيان الذات . إنه يغفل الذات حتى يمكنه أن يعمل أعمال الله . وبواسطة الكرازة بالكلمة والعمل الفردي في بيوت الشعب يطلع على حاجياتهم وأحزانهم وتجاربهم ، وإذ يتعاون مع حامل الأثقال الأعظم ، يشاطرهم في تجاربهم والأمهم ومسراتهم وكروبهم ويغيث أرواحهم الجائعة ويربح قلوبهم لله . وفي هذا العمل يحظى الخادم بصحبة الملائكه ، وهو نفسه يتعلم ويستنير في الحق الذي يحكم للخلاص .

وفيما يختص بتعليمه لمن يشغلون وظائف ذات مسؤولية في الكنيسة ، لخص الرسول بعض المبادئ العامة التي كان يجب أن يسير عليها الذين كانوا مرتبطين بشركة الكنيسة . فلقد حث جماعة الشباب في الرعية أن يتمثلوا بالشيوخ في وداعة كوداعة المسيح . فقال لهم : «كَذلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ ، وَكُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ ، لأَنَّ:«اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً . فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ ، مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ . اُصْحُوا وَاسْهَرُوا . لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ . فَقَاوِمُوهُ ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (٥: ٥ – ٩) .

هذا ما كتبه بطرس للمؤمنين في وقت وقوع تجارب متميزة على الكنيسة . كان كثيرون قد صاروا شركاء المسيح في آلامه ، وبعد قليل كانت الكنيسة مزمعة أن تمر في فترة اضطهاد مخيف . وفي مدى سنين قليلة كان كثيرون ممن عملوا في الكنيسة كمعلمين وقادة سيدفعون حياتهم من أجل الإنجيل . فالذئاب الخاطفة كانت مزمعة أن تدخل الكنيسة فلا تبقى على القطيع . ولكن لا شيء من هذه الكوارث كان كفيلاً بأن يخيف أو يثبط همة أولئك الذين قد ثبت رجاؤهم في المسيح . إن الرسول بطرس بأقواله المشجعة والمفرحة حول أذهان المؤمنين بعيدا عن التجارب الحاضرة ومناظر الآلام المستقبلة إلى : «لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ» . وقد صلى بكل حرارة قائلاً : «وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا ، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ ، وَيُثَبِّتُكُمْ ، وَيُقَوِّيكُمْ ، وَيُمَكِّنُكُمْ . لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ . آمِينَ» (٥: ١٠،١١) .

الفصل الثاني والخمسون

الثبات إلى النهاية

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في رسالة بطرس الثانية) .

إن بطرس في رسالته الثانية التي أرسلها إلى أولئك الذين نالوا معه «إِيمَانًا ثَمِينًا» ، بسط أمامهم التدبير الإلهي لنمو الخلق المسيحي . فقد كتب يقول :

«لِتَكْثُرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَيَسُوعَ رَبِّنَا . كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى ، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ» .

«وَلِهذَا عَيْنِهِ - وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ- قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً ، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً ، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا ، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا ، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى ، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً ، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً . لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١: ٢ ٨) .

هذه الأقوال مليئة بالتعليم وهي تضرب على نغمة الانتصار . إن الرسول يقدم للمؤمنين سلم الرقي المسيحي وكل درجة فيه تمثل تقدماً في معرفة الله ،

وفي صعوده لا يوجد توقف . فالإيمان والفضيلة والمعرفة والتعفف والصبر والتقوى والمودة الأخوية والمحبة هي درجات السلم . إننا نخلص بالتسلق درجة بعد درجة ، الصعود خطوة بعد خطوة إلى علو مثال المسيح لنا . وهكذا هو يصير لنا حكمة وبراً وقداسة وفداء . لقد دعا الله شعبه للمجد والفضيلة ، اللتان تظهران في حياة كل من هم مرتبطون به ارتباطاً حقيقياً . فإذ يصيرون شركاء في الهبة السماوية عليهم أن يتقدموا إلى الكمال ، وهم «بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ ، بِإِيمَانٍ» (١بطرس ١: ٥) إن الله يتمجد إذ يمنح فضائله لأولاده . إنه يتوق لأن يرى الرجال والنساء يبلغون أسمى المستويات ، وعندما يتمسكون بقوة المسيح بالإيمان ، وحين يتوسلون إليه ليتمم لهم مواعيده التي لا تخيب ويطالبون بها كحقهم الخاص ، وعندما يطلبون قوة الروح القدس بلجاجة وإلحاح ، حينئذ يصيرون كاملين فيه .

وحيث قبلوا إيمان الإنجيل ، فإن عمل المؤمن بعد ذلك هو أن يضيف إلى خلقه فضيلة وهكذا يطهر القلب ويعد الذهن لقبول معرفة الله . وهذه المعرفة هي أساس كل تهذيب حقيقي وكل خدمة حقيقية . وهى الواقي الحقيقي الأمين الوحيد ضد التجربة ، وهذا وحده يجعل الإنسان شبيهاً بالله في الصفات . وعن طريق معرفة الله وابنه يسوع المسيح يعطي للمؤمن «كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى» (١: ٣) . ولا تُمنع عطية صالحة عمن يتوق بكل إخلاص للحصول على بر الله .

لقد قال المسيح : «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣) . ولقد أعلن إرميا النبي قائلاً : «لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ . بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ ، يَقُولُ الرَّبُّ» (إرميا ٩:

٢٣،٢٤) . إن العقل البشري لا يكاد يدرك مــدى اتســاع وعمــق المعلومــات الروحية التي يحصل عليها من يصل إلى هذه المعرفة .

لا حاجة لإنسان أن يفشل في البلوغ إلى كمال الخلق المسيحي في محيطــه . فبذبيحة المسيح أُعدَّت للمؤمن مؤونة لقبول كل ما هو للحياة والتقــوى . إن الله يدعونا لنصل إلى مقياس الكمال ويضع أمامنــا صفــات المســيح كمثــال . إن المخلص في ناسوته الذي تكمل بحياة المقاومة الدائمة للشر ، برهــن لنــا أنــه بواسطة التعاون مع اللاهوت يمكن للبشر في هذه الحياة أن يبلغوا إلــى كمــال الخلق . وما يؤكده لنا الله أنه يمكننا نحن أيضاً أن ننال انتصاراً كاملاً .

فأمام المؤمن توضع الإمكانية العجيبة أن يكون كالمسيح ، مطيعاً لكل مبــادئ الشريعة . ولكن الإنسان في ذاته عاجز عجزاً كاملاً عن الوصــول إلــى هــذه الحالة . إن القداسة التي تعلن كلمة الله أنها ينبغي أن تكون له قبلما يخلص هــي نتيجة فاعلية النعمة الإلهية إذ ينحني خاضعــاً لتدريــب تــأثيرات روح الحــق الرادعة . لا يمكن أن تكمل طاعة الإنسان إلا بواسطة بخور بر المسيح وحــده الذي يملأ كل عمل من أعمال الطاعة برائحة الله الذكية . إن الدور الذي علــى المسيحي أن يقوم به هو المثابرة في الانتصار على كل خطأ . عليه أن يصلــي إلى المخلص على الدوام لكي يشفي وعكات نفسه المريضة بالخطية . فهو ليست لديه الحكمة أو القوة على الانتصار فهذان يخصان الرب وهو يمنحــهما لمــن يلتمسون منه العون في تذلل وانسحاق .

إن عملية التغيير من النجاسة إلى القداسة هي عملية مستمرة . فمن يوم إلــى يوم يعمل الله لتقديس الإنسان وعلى الإنسان أن يتعاون معه باذلاً أقصى جــهوده والمثابرة في غرس العادات الحسنة في قلبه . عليه أن يضيف نعمة إلى نعمــة ، وإذ يقوم بعملية الإضافة هذه فالله سيقوم بعمليــة الإكثــار أو المضاعفــة . إن

مخلصنا هو مستعد أبداً أن يسمع ويجيب الصلاة الصادرة من القلب المنسحق ، وهو يضاعف النعمة والسلام لأبناء شعبه الأمناء . وهو بكل سرور يمنحهم البركات التي يحتاجونها في صراعهم ضد الشرور المحيطة بهم .

هنالك جماعة يحاولون الصعود على سلم النجاح المسيحي ، ولكن إذ يتقدمون يضعون ثقتهم في قوة الإنسان وسرعان ما يغيب عن أنظارهم يسوع رئيس إيمانهم ومكمله . والنتيجة هي الفشل الأكيد– وخسارة كل ما قد أحرزوه . إن حالة أولئك الذين إذ يعيون من مشقات الطريق ، يسمحون لعدو النفوس أن يسلبهم الفضائل المسيحية التي بدأت تنمو وتزدهر في قلوبهم وحياتهم ، هي حالة محزنة حقاً . يقول الرسول «لأَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هذِهِ ، هُوَ أَعْمَى قَصِيرُ الْبَصَرِ ، قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ» (١: ٩) .

إن الرسول بطرس كان له اختبار طويل في أمور الله . فإيمانه بقدرة الله على منح الخلاص تقوى بمرور السنين ، إلى أن برهن بما لا يقبل جدلاً أنه لا توجد إمكانية للفشل أمام ذاك الذي إذ يتقدم بإيمان يرتفع مرحلة بعد مرحلة ، مرتفعاً ومتقدماً دائماً إلى الأمام إلى أعلى درجة في السلم التي تصل حتى إلى أبواب السماء .

لقد ظل بطرس مدى سنين عديدة يشدد على المؤمنين في وجوب النمو المستمر في النعمة وفي معرفة الحق ، وإذ علم أنه سيدعى سريعاً ليتألم ويموت شهيداً لأجل إيمانه ، استرعى الانتباه مرة أخرى إلى الامتيازات الثمينة التي هي في متناول كل مؤمن . ففي يقين إيمانه الكامل أوصى ذلك التلميذ الشيخ إخوته بالثبات على الهدف في الحياة المسيحية . فالتمس منهم قائلاً : «بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ . لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا . لأَنَّهُ هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ

الأَبَدِيِّ» (١: ١٠، ١١) . يا له من يقين ثمين ، وما أمجد الرجـــاء الـــذي أمـــام المؤمن إذ يتقدم بالإيمان صاعداً إلى أعالي الكمال المسيحي .

ثم يستطرد الرسول فيقول : «لِذلِكَ لاَ أُهْمِلُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ دَائِمًا بِهذِهِ الأُمُـــورِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ وَمُثَبَّتِينَ فِي الْحَقِّ الْحَاضِرِ . وَلكِنِّي أَحْسِبُهُ حَقًّا - مَا دُمْتُ فِـــي هذَا الْمَسْكَنِ- أَنْ أُنْهِضَكُمْ بِالتَّذْكِرَةِ ، عَالِمًا أَنَّ خَلْعَ مَسْكَنِي قَرِيبٌ ، كَمَا أَعْلَنَ لِـــي رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ أَيْضًا . فَأَجْتَهِدُ أَيْضًا أَنْ تَكُونُوا بَعْدَ خُرُوجِي ، تَتَذَكَّرُونَ كُـــلَّ حِينٍ بِهذِهِ الأُمُورِ» (١: ١٢ – ١٥) .

كان الرسول مؤهلاً جيداً لأن يتحدث عن مقاصد الله نحو الجنس البشـــري ، لأنه في غضون سني خدمة المسيح على الأرض كان قد رأى وسمع الكثير عمـلا يختص بملكوت الله . فقد ذكّر المؤمنين قائلاً : «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَـةً ، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ . لأَنَّـــهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا ، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ . وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّـــوْتَ مُقْبِـــلاً مِـــنَ السَّمَاءِ ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ» (١: ١٦ – ١٨) .

ومع أن هذا البرهان كان مقنعاً جداً فيما يختص بيقينية رجاء المســيحي ، فقد كان لا يزال يوجد برهان آخر أكثر إقناعاً ، ألا وهو شهادة النبوة التـــي كان يمكن لإيمان الجميع أن يتثبت عليها ويرسو بأمان . فقد أعلن بطـــرس قائلاً : «وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَهِيَ أَثْبَتُ ، الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَـنًا إِنِ انْتَبَـهْتُمْ إِلَيْهَا ، كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ ، إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ ، وَيَطْلَـعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ ، عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِـــنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ . لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَـــانٍ ، بَـــلْ تَكَلَّـــمَ أُنَـــاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (١: ١٩ – ٢١) .

إن الرسول إذ عظم «الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ ... الأثبت» على أنها المرشد الأمين في أوقات الخطر ، فقد حذر الكنيسة بكل وقار من «مشعل» النبوات الزائف الذي كان سيرفعه «مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ» الذين يدسون «بِدَعَ هَلاَكٍ . وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ» . هؤلاء المعلمون الكذبة الذين يظهرون في الكنيسة وكثيرون من إخوتهم في الإيمان يعتبرونهم أمناء ، يشبههم الرسول بـ«آبَارٌ بِلاَ مَاءٍ ، غُيُومٌ يَسُوقُهَا النَّوْءُ . الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ» . وقد أعلن الرسول قائلاً : «فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الأَوَائِلِ . لأَنَّهُ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ ، مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَمَا عَرَفُوا ، يَرْتَدُّونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلَّمَةِ لَهُمْ» (٢: ١،١٧،٢٠،٢١) .

وإذ تطلع بطرس عبر الأجيال إلى انقضاء الدهر أُوحي إليه أن يلخص الظروف التي ستوجد في العالم قبيل مجيء المسيح ثانية . فكتب يقول : «سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ ، وَقَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ» (٣: ٣ – ٤) ولكن «حِينَمَا يَقُولُونَ سَلاَمٌ وَأَمَانٌ ، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً» (١تسالونيكي ٥: ٣) . ومع ذلك فلن يؤخذ الجميع في أشراك العدو ومكايده . فإذ تقترب نهاية كل الأمور الأرضية سيوجد جماعة من الأمناء قادرين أن يميزوا علامات الازمنة . ففي حين أن عدداً كبيراً من المعترفين بالإيمان ينكرون إيمانهم بأعمالهم ، إلا أنه ستكون هنالك بقية تصبر إلى المنتهى .

لقد أبقى بطرس رجاء مجيء المسيح ثانية حياً ومتوهجاً في قلبه ، وأكد للكنيسة يقينية إتمام المخلص لوعده القائل : «وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ» (يوحنا ١٤: ٣) . قد يبدو أن مجيء المسيح ، بالنسبة للأمناء المجربين ، قد تباطأ جداً وتأخر . ولكن الرسول يؤكد لهم قائلاً : «لاَ يَتَبَاطَأُ

الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ ، لكنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا ، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ . وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ ، يَوْمُ الرَّبِّ ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً ، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا» .

«فَبِمَا أَنَّ هذهِ كُلَّهَا تَنْحَلُّ ، أَيَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى ؟ مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهِبَةً ، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ . وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً ، وَأَرْضًا جَدِيدَةً ، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ» . (٣: ٩ – ١٣) .

«لِذلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هذِهِ ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ ، فِي سَلاَمٍ . وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصًا ، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ ... فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، إِذْ قَدْ سَبَقْتُمْ فَعَرَفْتُمْ ، احْتَرِسُوا مِنْ أَنْ تَنْقَادُوا بِضَلاَلِ الأَرْدِيَاءِ ، فَتَسْقُطُوا مِنْ ثَبَاتِكُمْ . وَلكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٣: ١٤،١٥،١٧،١٨) .

لقد سمحت العناية الإلهية أن يُنهي بطرس خدمته في روما حيث أمر الإمبراطور نيرون بإلقائه في السجن في نحو الوقت الذي قبض فيه على بولس آخر مرة . وهكذا كان على ذينك الرسولين المحنكين اللذين كانا لسنين كثيرة ، متباعدين عن بعضهما في حقول خدمتهما ، أن يؤديا شهادتهما الأخيرة للمسيح في قصبة العالم ، وعلى أديمها يُسفَك دمهما ليكون بذار لحصاد وفير من القديسين والشهداء .

إن بطرس منذ إعادة تثبيته بعد انكاره للمسيح ، جابه الخطر بلا تردد أو خوف وأبدى شجاعة عظيمة في الكرازة بالمخلص المصلوب والمقام لي

الصاعد . فإذ كان مضطجعاً في زنزانته ، ذكر الكلام الذي وجهه إليه المسيح حين قال : «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ . وَلكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ» (يوحنا ٢١: ١٨) . وهكذا عرَّف المسيح تلميذه هذا نفس الطريقة التي سيموت بها ، بل لقد تنبأ أيضاً بمد يديه على الصليب .

إن بطرس إذ كان يهودياً وغريباً حكم عليه بالجلد والصلب . وفي انتظار هذه الميتة المخيفة تذكر الرسول خطيته العظيمة في إنكاره ليسوع ساعة محاكمته . كان قبلاً غير مستعد للاعتراف بالصليب ، أما الآن فها هو يحسبه فرحاً أن يبذل حياته لأجل الإنجيل ، وهو يشعر بأن كونه ، هو الذي قد أنكر سيده ، يموت بالطريقة نفسها التي بها مات معلمه وربه هو شرف أعظم بكثير مما يستحقه . كان بطرس قد تاب عن تلك الخطية توبة صادقة ، وكان المسيح قد غفر له كما يظهر ذلك من المأمورية السامية التي أسندها له بأن يرعى خراف الرعية وحملانها . ولكن بطرس لم يستطع أن يغفر لنفسه أبداً . وحتى تفكيره في آلام المشهد الأخير الرهيب لم يستطع أن يخفف من مرارة حزنه وتوبته . وقد طلب من جلاديه أن يسدوا إليه معروفاً أخيراً بأن يصلبوه منكس الرأس . وقد أجيب إلى طلبه . وفي هذا الوضع مات بطرس الرسول العظيم .

الفصل الثالث والخمسون

يوحنا الحبيب

لقد امتاز يوحنا على باقي التلاميذ بأنه «التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ» (يوحنا ٢١: ٢٠) . ويبدو أنه قد تمتع بصداقة يسوع إلى درجة فائقة جداً وحصل على علامات كثيرة تدل على ثقة المخلص ومحبته له . وكان يوحنا أحد الثلاثة الذين سمح لهم بمشاهدة مجد المسيح فوق جبل التجلي ، وآلامه في جثسيماني ، وقد أوكل إليه السيد أمر رعاية أمه في ساعاته الأخيرة التي كان يقاسي فيها سكرات الموت على الصليب .

وقد قوبلت محبة المخلص لتلميذه الحبيب بكل ما يمكن أن يكنه قلب إنسان من أقوى حب وأعمق ولاء . فتعلق يوحنا بالمسيح كما تتعلق الكرمة بالعمود العظيم . فلأجل خاطر سيده واجه المخاطر بحضور المحاكمة في دار الولاية ، وبقي عند الصليب ، وإذ سمع النبأ القائل بأن المسيح قد قام ، أسرع إلى القبر وفي غيرته سبق حتى بطرس السريع الاندفاع .

إن المحبة الواثقة والتكريس غير الأناني اللذين ظهرا في حياة يوحنا وخلقه يقدمان للكنيسة المسيحية دروسا ذات قيمة لا تقدر. إن يوحنا لم يكن يملك بالطبيعة جمال الخلق الذي كشف عنه اختباره اللاحق. فبطبيعته كانت فيه نقائص خطيرة.

فلم يكن فقط متكبراً ومعتداً بذاته وطامعاً في الكرامة بل كان أيضاً مندفعاً وسريع الغضب أن وقعت عليه أذية. وقد دعي هو وأخوه «ابْنَي الرَّعْدِ» . لقد كان الطبع الشرير والرغبة في الانتقام وروح الانتقاد كلها موجودة عند التلميذ الحبيب. ولكن المعلم الإلهي رأى ببصيرته النفاذة وراء ذلك كله قلباً غيوراً وفياً محباً. لقد وبخه يسوع لأنه طلب ما لنفسه وخذل مطامعه وامتحن إيمانه . ولكنه أعلن له ما كانت تتوق نفسه إليه،– جمال القداسة وقوة المحبة المغيرة.

وقد ظهرت النقائص في خلق يوحنا على حقيقتها وبقوة في عدة مناسبات في أثناء عشرته الشخصية مع المخلص . ففي مرة أرسل المسيح أمامه رسلاً إلى قرية للسامريين طالباً من أولئك الناس أن يعدوا له ولتلاميذه طعاماً ينعشون به أنفسهم . ولكن عندما اقترب المخلص من المدينة تظاهر كأنه يرغب في أن يتجاوزهم ذاهباً إلى أورشليم . فأثار ذلك حسد السامريين فبدلاً من أن يدعوه ليمكث معهم منعوا عنه الكرم والمجاملات التي كانوا ليقدمونها لأي عابر سبيل . إن يسوع لا يفرض حضوره على أي إنسان وقد خسر السامريون البركة التي كان يمكنه أن يمنحها لهم لو التمسوا منه أن يحل ضيفاً عليهم .

لقد فهم التلاميذ أن المسيح كان يقصد أن يبارك السامريين بحضوره بينهم، فلما قوبل معلمهم بذلك الفتور والحسد وعدم الاحترام امتلأوا دهشة وغضباً. وقد ثار يعقوب ويوحنا بوجه خاص. لقد بدا لهما أن معاملة ذاك الذي كانا يكرمانه إكراماً عظيماً بمثل تلك المعاملة، ظلم أعظم من أن يسكتا عليه بدون قصاص سريع. ففي غيرتهما قالا: «يَارَبُّ ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا ؟» وهذه إشارة إلى هلاك رئيسي قوات الجيش السامري المرسلين للقبض على إيليا وقواتهما. وقد دهش التلميذان حين علما أن كلامهما قد آلم يسوع، وزادت دهشتهما عندما سمعا توبيخه القائل: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ

مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا . لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ ، بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لوقا ٩: ٥٤ - ٥٦) .

إنه ليس من ضمن برنامج خدمة المسيح أن يرغم الناس على قبوله . ولكن الشيطان والناس الذين تحركهم روحه هم الذين يحاولون أن يرغموا الضمير . فبحجة الغيرة على البر يوقع الناس المتحالفون مع الملائكة الأشرار الآلام على بني جنسهم أحياناً لكي يجعلوهم يعتنقون آراءهم بخصوص الدين . ولكن المسيح يظهر دائما الرحمة ويحاول دائماً أن يأسر القلوب بإظهار محبته . إنه لا يسمح بوجود منافس له فينا ، ولا يقبل خدمة ناقصة ، ولكنه يرغب فقط في الخدمة الطوعية ، وتسليم القلب بمحض الاختيار تحت ضغط المحبة .

وفي مناسبة أخرى قدم يعقوب ويوحنا إلى يسوع طلبة عن طريق أمهما طالبين منه أن يسمح لهما بأن يشغلا أسمى مراتب الشرف والكرامة في ملكوته . فبالرغم من تعليم المسيح المتكرر المختص بطبيعة ملكوته ، فإن هذين التلميذين الشابين كانا لا يزالان يعززان الرجاء بمجيء مسيا يأخذ لنفسه عرشاً وسلطاناً ملكياً طبقاً لرغبات الناس . وإذ كانت الأم مع ابنيها تشتهي لهما مكان الشرف في هذا الملكوت ، سألت يسوع قائلة : «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ» .

ولكن المخلص أجاب بقوله: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا ؟»ومع أنهما ذكرا كلامه المبهم الذي كان يشير إلى المحاكمة والألم ، فقد أجاباه بكل ثقة قائلين: «نَسْتَطِيعُ». لقد حسبا أن أعظم شرف وأسمى كرامة أن يبرهنا على ولائهما له بكونهما. يشاركان سيدهما في كل ما يحل به.

فأعلن لهما المسيح قائلاً: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ». كان أمامه صليب بدل العرش، ورفيقان مذنبان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. وكان على يعقوب ويوحنا أن يشاركا سيدهما في احتمال الألم- فقد قُضي على أحدهما بأن يموت قتلا بالسيف بعد قليل، أما الآخر فقد كان أطول التلاميذ عمراً في اتباع سيده في العمل والخدمة واحتمال العار والاضطهاد. واستطرد المخلص يقول: «وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي» (متى ٢٠: ٢١ - ٢٣).

لقد فهم يسوع الباعث الذي حفّز ذينك التلميذين لتقديم ذلك الطلب وهكذا وبّخ كبرياءهما وطموحهما . فقال : «أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ . فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ . بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا ، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠: ٢٥ - ٢٨) .

في ملكوت الله لا يُنال المركز عن طريق المحاباة . كلا ولا ينال بالاستحقاق ، ولا يحصل الإنسان عليه عن طريق منحة اعتباطية . ولكنه نتيجة الخلق . فالإكليل والعرش هما علامات لحالة بلغها الإنسان- علامات قهر الذات بواسطة نعمة ربنا يسوع المسيح .

وبعد ذلك بوقت طويل عندما دخل يوحنا في نطاق التعاطف والشعور مع المسيح عن طريق شركة آلامه ، أعلن له الرب يسوع الشرط الذي بموجبه يصير قريباً من ملكوته . فقال المسيح : «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي ، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ» (رؤيا ٣: ٢١) . إن الذي يقف قريباً جداً من المسيح هو ذاك الذي قد شرب فارتوى من روحه التي هي روح المحبة المضحية- المحبة التي «لاَ تَتَفَاخَرُ ، وَلاَ تَنْتَفِخُ ... وَلاَ تَطْلُبُ

مَا لِنَفْسِهَا ، وَلاَ تَحْتَدُّ ، وَلاَ تَظُنُّ السُّؤَ» (اكورنثوس ١٣: ٥،٤)- المحبة التي تحرك التلميذ كما قد حركت سيدنا لأن يقدم الكل ، ويعيش ويخدم ويضحي حتى الموت لأجل خلاص البشرية .

وفي مرة أخرى أثناء الخدمات الكرازية الأولى ، تقابل يعقوب ويوحنا مع رجل كان يخرج شياطين باسم المسيح مع أنه لم يكن تابعاً له معترفاً به . وقد منع هذان التلميذان ذلك الرجل من مزاولة هذا العمل ، وكان يظنان أنهما كانا على صواب فيما فعلا . ولكن عندما بسطا المسألة أمام المسيح وبخهما بقوله : «لاَ تَمْنَعُوهُ ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعًا أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا» (مرقس ٩: ٣٩) . فما كان ينبغي أن يصد أحد ممن برهنوا على صداقتهم ومحبتهم للمسيح بأية طريقة . ينبغي ألا يضمر التلاميذ أي روح ضيقة أو تزمت أو انطوائية بل عليهم أن يظهروا نفس روح العطف البعيدة المدى التي قد رأوها في معلمهم . كان يعقوب ويوحنا يظنان أنهما إذ صدا الرجل كانا يضعان في اعتبارهما كرامة الرب ، ولكنهما بدءا يريان أنهما أنما كانا يغاران على كرامتهما الذاتية . وقد اعترفا بخطئهما وقبلا التوبيخ .

إن تعاليم المسيح التي أوضحت أن الوداعة والتواضع والمحبة جوهرية لأجل النمو في النعمة والأهلية لخدمته كانت لها قيمة عظيمة جداً في نظر يوحنا . لقد اختزن في عقله وقلبه كل درس وحاول أن يجعل حياته في حالة توافق وانسجام مع المثال الإلهي . فبدأ يوحنا يميز مجد المسيح- لا الأبهة والسلطان الأرضيين اللذين كان قد تعلم أن ينتظرهما ويصبو إليهما ، بل: «مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤) .

إن محبة يوحنا العميقة الملتهبة لسيده لم تكن هي سبب محبة المسيح له ولكنها كانت نتيجة تلك المحبة . كان يوحنا يتوق لأن يكون كالمسيح ، وتحت

قوة محبته المغيرة صار وديعاً ومتواضعاً . لقد اختفت الذات في يسوع . وتفوق يوحنا على زملائه في كونه سلم نفسه لقوة تلك الحياة العجيبة . وها هو يقول : «فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ ، وَقَدْ رَأَيْنَا» ، «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا ، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ» (١يوحنا ١: ٢؛ يوحنا ١: ١٦) . لقد عرف يوحنا المخلص معرفة اختبارية . ونُقشت تعاليم سيده على قلبه ونفسه . وعندما شهد عن نعمة المخلص فإن لغته البسيطة كانت فصيحة بفضل المحبة التي تغلغلت في كل كيانه .

إن تلك المحبة العميقة التي كان يوحنا يكنها للمسيح قادته إلى أن يشتهى القرب منه دائماً. لقد أحب المخلص تلاميذه الاثني عشر كلهم، ولكن روح يوحنا كانت أكثر قبولاً واستجابة من الجميع. كان أصغر سناً من الباقين وقد فتح قلبه ليسوع بثقة كثقة الاطفال أكثر من الباقين. وهكذا صار في حالة عطف وتقارب مع المسيح، وبواسطته أبلغت للشعب أعمق التعاليم الروحية التي نطق بها المخلص.

إن يسوع يحب أولئك الذين يمثلون الآب ، وقد أمكن ليوحنا أن يتحدث عن محبة الآب أكثر مما استطاع باقي التلاميذ لقد أعلن لبني جنسه ما قد أحس به في نفسه مجسداً في خلقه صفات الله . لقد انعكس مجد الرب على وجهه . وجمال القداسة الذي قد غيَّره أضاه ببهاء كبهاء المسيح من وجهه . وفي تعبد وحب رأى المخلص إلى أن صار التشبه بالمسيح والشركة معه رغبته وشوق قلبه الوحيد . وقد انعكست صفات سيده في شخصه .

وقد قال : «اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ ... أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ . وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يوحنا ٣: ١،٢) .

الفصل الرابع والخمسون

شاهد أمين

(يعتمد هذا الفصل على ما ورد في رسائل يوحنا) .

بعد صعود المسيح انبرى يوحنا ليكون خادما أمينا غيورا لسيده . لقد اشترك مع التلاميذ الآخرين في التمتع بانسكاب الروح القدس في يوم الخمسين ، وبغيرة وقوة جديدتين ظل يحدث الناس بكلام الحياة محاولاً أن يقود أفكارهم إلى غير المنظور . كان كارزاً قوياً وغيوراً وجاداً في عمله . فبلغة جميلة وصوت موسيقى تحدث عن أقوال المسيح وأعماله إذ كان يخاطب الناس بطريقة أثرت في قلوب سامعيه . إن بساطة أقواله ، والقوة السامية الرائعة التي اتصفت بها الحقائق التي نطق بها ، والغيرة التي امتازت بها تعاليمه جعلته يصل إلى كل الطبقات . كانت حياة الرسول متفقة مع تعاليمه . فمحبة المسيح التي تأججت في قلبه دفعته إلى بذل جهود غيورة لا تكل لأجل بني جنسه وبوجه خاص لأجل إخوته في الكنيسة المسيحية .

كان المسيح قد أمر تلاميذه الأولين بأن يحبوا بعضهم بعضاً كما قد أحبهم . وهكذا كان عليهم أن يشهدوا للعالم بأن المسيح رجاء المجد قد تصور فيهم . وقال لهم : «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا

تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يوحنا ١٣: ٣٤) . إن التلاميذ لم يستطيعوا فهم هذا الكلام عندما سمعوه ، ولكن بعدما شاهدوا آلام المسيح ، وبعد صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء ، وبعدما استقر الروح القدس عليهم في يوم الخمسين أدركوا محبة الله إدراكاً أوضح ، كما أدركوا طبيعة تلك المحبة التي كان ينبغي لكل منهم أن يكنها لإخوته . حينئذ أمكن ليوحنا أن يقول للتلاميذ زملائه : «بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ» (١يوحنا ٣: ١٦) .

وبعد حلول الروح القدس ، عندما خرج التلاميذ ليكرزوا بالمخلص الحي ، كانت رغبتهم الوحيدة خلاص النفوس . لقد فرحوا وتهللوا بحلاوة الشركة مع القديسين . فكانوا لطفاء ومفكرين ومنكرين لذواتهم وراغبين في الإقدام على أية تضحية في سبيل الحق . وفي شركتهم اليومية مع بعضهم البعض أعلنوا وأظهروا المحبة التي أوصاهم بها المسيح . وبأعمالهم وأقوالهم الخالية من الأنانية حاولوا أن يضرموا هذه المحبة في قلوب الآخرين .

مثل هذه المحبة كان ينبغي للمؤمنين أن يحتضنوها ويحتفظوا بها دائماً . كان عليهم أن يتقدموا في طاعة اختيارية امتثالاً لهذه الوصية الجديدة . كان عليهم أن يكونوا في اتحاد وثيق جداً بالمسيح كي يتمكنوا من إتمام كل مطاليبه . وكان يجب أن حياتهم تعظم وتمجد المخلص الذي أمكنه أن يبررهم ببره .

ولكن حدث تغيير تدريجي . فقد بدأ المؤمنون يتطلعون ليجدوا نقائص في حياة الآخرين . وإذ أمعنوا النظر طويلا في أخطاء الآخرين ، وأفسحوا المجال للانتقاد المر ، غاب عن أنظارهم المخلص ومحبته . وصاروا أكثر تدقيقاً فيما يختص بالطقوس الخارجية ، وأكثر تدقيقا في أمر النظريات أكثر مما في

ممارسة الإيمان . وفي غيرتهم على إدانة الآخرين أغفلوا أخطاءهم . وأضاعوا المحبة الأخوية التي أمر المسيح بها ، وما هو أسوأ من كل ذلك أنهم لم يحسوا بخسارتهم ، ولم يفطنوا إلى أن السعادة والفرح أخذا يتسربان من حياتهم وأنهم لكونهم قد طردوا محبة الله من قلوبهم فسرعان ما سيكتنفهم الظلام .

فإذ تحقق يوحنا من أن الكنيسة كانت تعوزها المحبة الأخوية ، فقد حث المؤمنين على حاجتهم الدائمة إلى هذه المحبة . وقد امتلأت رسائله إلى الكنائس بهذه الفكرة . فكتب يقول : «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا ، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ . وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ . بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ . فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا ، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا . أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هكَذَا ، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» (١يوحنا ٤: ٧ – ١١) .

وفيما يختص بالمعنى الخاص الذي بموجبه ينبغي للمؤمنين أن يعلنوا هذه المحبة كتب الرسول يقول : «أَيْضًا وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ ، مَا هُوَ حَقٌّ فِيهِ وَفِيكُمْ أَنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ مَضَتْ ، وَالنُّورَ الْحَقِيقِيَّ الآنَ يُضِيءُ . مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ . مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ . وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي ، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» . «لأَنَّ هذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ : أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» . «مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ . كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ . بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ» (١يوحنا ٢: ٨ – ١١؛ ٣: ١١،١٤–١٦) .

إن ما يعرِّض كنيسة المسيح للخطر ليس هو مقاومة العالم. ولكن الشر الـذي يحتضنه المؤمنون في قلوبهم هو الذي يشكل أفدح كارثة تحل بهم، وبكل تـأكيد يؤخر تقدم عمل الله. لا توجد طريقة أفعل في إضعاف الروحيات من آفات الحسد والشكوك وإيجاد العيب في الناس وسوء الظن التي يحتضنها شعب الله في قلوبهم. ومن الناحية الأخرى فإن أقوى شهادة أن الله قد أرسل ابنه إلى العالم هي وجود التوافق والاتحاد بين الناس ذوي الأمزجة والميول المتباينة الذين تتكون منهم كنيسته . ومن امتيازات أتباع المسيح أن يظفروا بمثل هذه الشهادة. ولكن لكي يحصلوا على هذا ينبغي أن يضعوا أنفسهم رهن أمر المسيح وإشارته. وينبغي أن تكون صفاتهم مماثلة لصفاته، وإرادتهم متفقة مع مشيئته.

قال المسيح : «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يوحنا ١٣: ٣٤) . ما أعجب هذا القول ، ومع ذلك فما أقل ما نمارسه ، إن كنيسة الله اليوم تنقصها المحبة الأخوية إلى حد محزن . فكثيرون ممن يعترفون بأنهم يحبون المخلص لا يحب بعضهم بعضاً . إن غير المؤمنين يراقبون ليروا ما إذا كان للإيمان الذي يمارسه المسيحيون قوة لتقديس حياتهم ، وهم سرعان ما يكتشفون النقص في أخلاق المسيحيين والتناقض في أعمالهم . ليحذر المسيحيون من إعطاء المجال للعدو لأن يشير إليهم ويقول : «انظروا كيف أن هؤلاء الناس الواقفين تحت راية المسيح يبغضون بعضهم بعضاً» . إن المسيحيين هم جميعاً أعضاء في أسرة واحدة وأولاد للآب السماوي الواحد ولهم رجاء الخلود المبارك الواحد . فينبغي أن تكون الأواصر التي تربطهم معاً قوية متينة .

إن المحبة الإلهية تقدم أعظم توسلاتها المؤثرة للقلب عندما تدعونا لأن نظهر نفس الرأفة والمحبة التي أظهرها المسيح . إن ذلك الإنسان الذي يحب أخاه محبة

غير مغرضة ومنكرة لذاتها هو وحده الذي يحب الله محبة صادقة . والمسيحى الحقيقى لا يسمح بمحض اختياره بترك النفس المعرضة للخطر والعوز بأن تسير في طريقها بدون إنذار أو رعاية . وهو لن يترفع عن المخطئين تاركاً إياهم ليغوصوا ويوغلوا في التعاسة والخيبة أو يسقطوا في أرض الشيطان .

ان أولئك الذين لم يختبروا قط محبة المسيح الرقيقة الآسرة ، لا يستطيعون إرشاد الآخرين إلى نبع الحياة . فمحبته في القلب قوة دافعة تشوق الناس إلى إظهاره في السيرة وفي الروح الرقيقة المشفقة ، والتسامي بحياة الذين يعاشرونهم . وينبغي للخدام المسيحيين الذين ينجحون في خدماتهم وجهودهم أن يعرفوا المسيح ، ولكي يعرفوه عليهم أن يعرفوا محبته . وفي السماء تقاس أهليتهم كخدام بقدرتهم على أن يحبوا كما أحب المسيح ويخدموا كما خدم .

وقد كتب الرسول يقول : «لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ» (١يوحنا ٣: ١٨) . يمكن البلوغ إلى كمال الخلق المسيحي متى كان الدافع إلى تقديم العون والبركة للآخرين ينبع من الداخل على الدوام . إن جو هذه المحبة المحيط بنفس المؤمن هو الذي يجعله رائحة حياة لحياة ويجعل الله قادراً على أن يبارك عمله وخدمته .

إن المحبة الفائقة لله والمحبة لبعضنا البعض في غير أثرة– هي أفضل هبة يمكن أن يمنحها أبونا السماوي . هذه المحبة ليست باعثاً أو محركاً بل هي مبدأ الهي وقوة دائمة وثابتة . إن القلب غير المكرس لا يمكنه أن يبدعها أو ينتجها . ولكنها توجد فقط في القلب الذي يملك فيه يسوع . «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١يوحنا ٤: ١٩) . ففي القلب المتجدد بنعمة الله نجد أن المحبة هي المبدأ السائد في العمل . إنها تهذب الخلق وتتسلط على البواعث ، وتتحكم في الأهواء

والشهوات وتسمو بالعواطف . هذه المحبة متى احتفظ بها الإنسان في نفسه فهي تجعل الحياة حلوة وعذبة وتضفي تأثيرا مهذباً ونقياً على كل ما حولها .

لقد حاول الرسول يوحنا أن يرشد المؤمنين لفهم الامتيازات السامية التي يمكنهم التمتع بها إن هم مارسوا روح المحبة . فهذه القوة الفادية إذا ملكت على القلب تسيطر على كل باعث آخر وترفع من يمتلكونها فوق متناول مؤثرات العالم الفاسدة . وعندما يسمح لهذه المحبة بأن تسود سيادة كاملة وتصير هي القوة المحركة في النفس ، فان اتكالهم على الله وثقتهم فيه وفي معاملته لهم سيكونان كاملين . ويمكنهم حينئذ أن يأتوا إليه في ثقة الإيمان الكاملة عالمين أنهم سينالون منه كل مما يحتاجون إليه لأجل خيرهم الزمنى والأبدي . وقد كتب الرسول يقول : «بِهذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ ، لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هذَا الْعَالَمِ ، هكَذَا نَحْنُ أَيْضًا . لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ» . «وَهذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئًا حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا ، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلِبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ» (١يوحنا ٤: ١٨،١٧؛ ٥: ١٤،١٥) .

«وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ . وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا . لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا» . «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يوحنا ٢: ١،٢؛ ١: ٩) . إن شروط حصولنا على الرحمة من الله بسيطة ومعقولة . فالرب لا يطلب منا القيام بعمل محزن أو مكدر لننال الغفران . ولا حاجة بنا إلى القيام بحج مضن متعب أو تأدية أعمال كفارية مؤلمة لكي تنال نفوسنا الحظوة أمام إله السماء أو للوفاء بديون معاصينا . «مَنْ يُقِرُّ بِهَا (بخطاياه) وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أمثال ٢٨: ١٣) .

إن المسيح يتوسل في المنازل العليا لأجل كنيسته- يتوسل لأجل أولئك الذين قد بذل دمه ثمناً لفدائهم . إن القرون والأجيال لا يمكنه أن تقلل من فاعلية دمه المكفر . فلا الحياة أو الموت ، لا العلو أو العمق تستطيع أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا ، لا لكوننا نتمسك به بكل قوتنا وبكل ثبات ، بل لأنه هو يتعلق بنا بكل ثبات . لو كان خلاصنا متوقفاً على جهودنا لما أمكننا أن نخلص ، بل يتوقف على ذاك الذي يقف خلف كل المواعيد . إن تمسكنا به قد يبدو واهناً وضعيفاً ، ولكن محبته هي محبة الأخ البكر ، فطالما ظللنا محتفظين باتحادنا به فلا يستطيع احد أن ينتزعنا من يده .

وإذ مرت السنون وتكاثر عدد المؤمنين ، كان يوحنا يخدم بولاء متزايد وغيرة مضاعفة لأجل إخوته . كانت الأوقات ممتلئة بالمخاطر على الكنيسة . لقد وجدت الخدع الشيطانية في كل مكان . كما حاول رسل الشيطان بواسطة التشويه والكذب أن يثيروا المقاومة ضد تعاليم المسيح ، وكان من نتائج ذلك أن الخصومات والهرطقات عرَّضت الكنيسة للخطر . وبعض من اعترفوا بالمسيح ادعوا أن محبته قد أعفتهم من الطاعة لشريعة الله . ومن الناحية الأخرى فقد علم كثيرون ضرورة حفظ العادات والطقوس اليهودية ، وأن مجرد حفظ الشريعة بدون الإيمان بدم المسيح كاف للخلاص . وقد اعتقد البعض أن المسيح كان رجلاً صالحاً ولكنهم أنكروا لاهوته . وبعض من تظاهروا بالإخلاص لعمل الله كانوا مخادعين كاذبين ، وبأعمالهم أنكروا المسيح وإنجيله . وإذ كانوا هم أنفسهم يعيشون في العصيان كانوا يدسون الهرطقات في الكنيسة . وهكذا انساق كثيرون إلى متاهات الإلحاد والخداع .

وقد امتلأ قلب يوحنا بالحزن والغم إذ رأى هذه الضلالات السامة تزحف إلى داخل الكنيسة . رأى المخاطر التي كانت الكنيسة معرضة لها ، فواجه هذه

الحالة الطارئة بحزم وتصميم . إن رسائل يوحنا تتحدث عن روح المحبة . ويبدو كما لو أنه كتب بقلم مغموس في المحبة . ولكن عندما واجه أولئك الذين كانوا يكسرون شريعة الله ومع ذلك كانوا يدعون أنهم يعيشون بلا خطية ، لم يتردد عن تحذيرهم من خداعهم المخيف .

وإذ كتب إلى سيدة مساعدة في عمل الإنجيل وتتمتع بسمعة طيبة ونفوذ واسع النطاق ، قال لها : «قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ . هذَا هُوَ الْمُضِلُّ ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ . انْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ نُضَيِّعَ مَا عَمِلْنَاهُ ، بَلْ نَنَالَ أَجْرًا تَامًّا . كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللهُ . وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهذَا لَهُ الآبُ وَالابْنُ جَمِيعًا . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ ، وَلاَ يَجِيءُ بِهذَا التَّعْلِيمِ ، فَلاَ تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ . لأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشِّرِّيرَةِ» (٢يوحنا ٧ – ١١) .

وقد فُوِّض لنا أن نعتبر ونقدر الذين يدعون بأنهم ثابتون في المسيح في حين أنهم يعيشون حياة العصيان على شريعة الله ، بنفس تقدير التلميذ الحبيب لهم . ويوجد في هذه الأيام الاخيرة شرور مماثلة لتلك التي كانت تتهدد نجاح الكنيسة الأولى ، فينبغي الالتفات إلى تعاليم الرسول بخصوص هذه الأمور بكل حرص . «ينبغي أن تكون عندكم محبة» ، هذه هي الصيحة التي تسمع في كل مكان وعلى الخصوص من أفواه الذين يدعون القداسة . ولكن المحبة الحقة هي أطهر من أن تستر خطية غير معترف بها . ففي حين يجب علينا أن نحب النفوس التي مات المسيح لأجلها إلا أنه يتوجب علينا ألا نعقد اتفاقاً مع الشر . علينا ألا نتحد مع العصاة معتبرين ذلك محبة . إن الله يطلب من شعبه الذين يعيشون في العالم اليوم أن يقفوا إلى جانب الحق بشجاعة كما فعل يوحنا في مقاومة الضلالات المهلكة للنفوس .

والرسول يعلمنا أنه في حين ينبغي لنا أن نظهر اللطف المسيحي فقد فــوض لنا أن نتعامل مع الخطية والخطأة بمنتهى الصراحة ، وإن هذا لا يتعارض مــع المحبة الحقيقية . وقد كتب يقول : «كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًــا . وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي . وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ، وَلَيْــسَ فِيــهِ خَطِيَّةٌ . كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ . كُلُّ مَنْ يُخْطِئُ لَــمْ يُبْصِــرْهُ وَلاَ عَرَفَــهُ» (١يوحنا ٣: ٤ – ٦) .

إن يوحنا كشاهد للمسيح لم يدخل في جدال ولا في منازعة مملة . بل أعلــن ما عرفه ، وما رآه وسمعه . كان في شركة حبّية مع المســيح وأصغــى إلــى تعاليمه وشاهد آياته ومعجزاته . وقليلون هم الذين رأوا جمال صفات المسيح كما رآها يوحنا . فبالنسبة إليه الظلمة قد مضت ، وكان النور الحقيقي يضيء عليه . وشهادة يوحنا عن حياة المخلص وموته كانت واضحة وقوية . ومن ملء قلبــه الفائض بالمحبة للمخلص تكلم ، ولم يمكن لأية قوة أن توقفه عن الكلام .

وقد أعلن قائلاً : «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَــا ، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا ، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ ... الَّذِي رَأَيْنَــاهُ وَسَــمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا . وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَــعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١يوحنا ١: ١ – ٣) .

وهكذا يمكن لكل مؤمن حقيقى عن طريق اختباره أن «يختم أَنَّ اللهَ صَــادِقٌ» (يوحنا ٣: ٣٣) . وأن يشهد لما قد رآه وسمعه وأحس به من قوة المسيح .

الفصل الخامس والخمسون

إنسان غيَّرته النعمة

لقد تمثلت القداسة الحقيقية في حياة التلميذ يوحنا. ففي غضون سني عشـــرته الوثيقة مع المسيح كثيراً ما كان المخلص ينذره ويحذره، وقد قبل يوحنا التوبيخ، وإذ انكشفت صفات المخلص الإلهي ليوحنا رأى عجزه ونقائصه فاتضع أمام هذا الاكتشاف. ويوماً بعد يوم، وعلى نقيض روحه العنيفة، رأى رقة يسوع ولطفـــه وصبره وسمع تعاليمه عن الوداعة والصبر. ويوماً بعد يوم انجذب قلبـــه إلـــى المسيح إلى أن غابت الذات عن نظره في غمرة محبته لسيده. إن ما رآه في حياة ابن الله اليومية من قوة ولطف، وجلال ووداعة واقتدار وصبر ملأ نفسه إعجاباً. فسلم طبعه السريع الغضب والطموح ليتبدل بقوة المسيح، وقد أحدثت محبـــة الله تغييراً عظيماً في أخلاقه.

وعلى نقيض مدهش للقداسة التي تمت في حياة يوحنا كان اختبار زميله التلميـذ يهوذا . وكيوحنا زميله، اعترف يهوذا بأنه تلميذ للمسيح، ولكن لـــم يكـــن لـــه إلا صورة التقوى. إن يهوذا لم يكن جامد الشعور من جهة جمال صفـــات المســـيح، ومراراً كثيرة حين كان يصغي إلى أقوال المخلص شعر بالتبكيت والإدانة، ولكنـــه رفض أن يتضع أو يعترف بخطاياه. إنه بمقاومته للتأثير الإلهي، أهان السيد الـــذي ادعى بأنه يحبه . لقد جاهد يوحنا بكل غيرة ضد أخطائه وقاومها، أما يهوذا فقـــد

انتهك ضميره وخضع للتجربة فكبل نفسه بعاداته الشريرة بأحكام أكبر. إن ممارسة الحقائق التي علم بها المسيح كانت مغايرة لرغائبه وأغراضه ولم يستطع إخضاع نفسه لآراء معلمه ليحصل على الحكمة من السماء. فبدلاً من أن يسلك في النور اختار السلوك في الظلمة. وقد أبقى في قلبه الرغائب الشريرة والطمع وشهوة الانتقام والأفكار المظلمة الكئيبة إلى أن سيطر الشيطان عليه سيطرة كاملة.

إن يوحنا ويهوذا يمثلان الذين يعترفون أنهم اتباع المسيح. فكلا هذين التلميذين كانت لديهما الفرص نفسها لدراسة حياة المثال الإلهي واتباعه، وكلاهما كانا على صلة وثيقة بيسوع وتمتعا بامتياز الاستماع لتعاليمه. كان لكل منهما نقائصه الخطيرة في خلقه، كما كان في متناول كل منهما الحصول على النعمة الإلهية التي تغير الخلق. ولكن في حين أن أحدهما كان بكل تواضع يتعلم من يسوع، فإن الآخر اظهر أنه ليس عاملاً بالكلمة بل سامعاً فقط. أحدهما إذ كان كل يوم يموت عن الذات وينتصر على الخطية فقد تقدس في الحق، أما الآخر فإذ كان يقاوم قوة نعمة الله المغيرة وينغمس في رغائبه وأنانيته صار عبداً للشيطان.

إن مثل هذا التغيير في الخلق كما يرى في حياة يوحنا هو دائماً نتيجة الشركة مع المسيح. قد تكون هنالك نقائص ملحوظة في خلق أي فرد، ولكنه عندما يصير تلميذاً حقيقياً للمسيح فإن قوة النعمة الإلهية تغيره وتقدسه. فإذ يرى مجد الرب كما في مرآة يتغير من مجد إلى مجد إلى أن يصير على صورة ذاك الذي يعبده ويمجده.

كان يوحنا معلما للقداسة، وفي رسائله إلى الكنائس قدم قوانين لا تخطئ لتصرفات المسيحيين. فقد كتب يقول: «وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ» . «مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا» (١يوحنا ٣: ٣؛ ٢: ٦). وقد علم أنه يجب على المسيحي أن يكون

طاهراً في قلبه وفي حياته وينبغي ألا يقنع أبدا بـــاعتراف فـــارغ. فكمـــا أن الله قدوس في محيطه، كذلك على الإنسان الساقط أن يكـــون قديســـاً فـــي محيطـــه بالإيمان بالمسيح.

وقد كتب بولس الرسول يقول: «هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ : قَدَاسَتُكُمْ» (١تســـالونيكي ٤: ٣). إن تقديس الكنيسة هو قصد الله من كل معاملاته مع شعبه. لقد اختـــارهم منذ الأزل ليكونوا قديسين. ولقد بذل ابنه للموت لأجلهم ليكونوا مقدســـين فـــي طاعة الحق مجردين من صغر النفس ونقاهتها . إنه يطلـــب عمـــلاً شـــخصياً وتسليماً شخصياً. إن الله يمكن أن يتمجد بواسطة الذين يعترفون بإيمانهم به، فقط على قدر ما يكونون مشابهين لصورته وعلى قدر ما يخضعون لسلطان روحـــه. وحينئذ فكشهود يمكنهم أن يخبروا الآخرين بما قد صنعته نعمة الله لأجلهم.

إن التقديس الصحيح يأتي كنتيجة لتفاعل مبدأ المحبة : «اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُـتْ فِي الْمَحَبَّةِ ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ» (١يوحنا ٤: ١٦). إن حياة من يسكن المسيح في قلبه تظهر التقوى العملية . والخلق يتطهر ويتسامى ويكرم ويتمجد. والتعليـم النقي يمتزج بأعمال البر، والوصايا السماوية تمتزج بالأعمال المقدسة .

ينبغي لمن يرغبون في الحصول على بركة التقديس أن يتعلموا أولا معنـــى تضحية الذات . إن صليب المسيح هو العمود الذي يستند إليه : «أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَـلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا» . وقد قال المسيح : «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِـــي فَلْيُنْكِـرْ نَفْسَـهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِـــي» (٢كورنثوس ٤: ١٧؛ متى ١٦: ٢٤) . إن الرائحـة الذكية التي تفوح من محبتنا لبني جنسنا هي التي تكشف عـــن محبتنـــا لله . إن الصبر في الخدمة هو الذي يجلب الراحة للنفس . وعن طريق الكـــد والخدمـــة المتواضعة المجدة الأمينة يمكن لشعب الله أن ينجح ويتقدم . إن الله يسند ويقـوي من يرغب في اتباع طريق المسيح .

إن التقديس ليس عمل لحظة أو ساعة أو يوم بل هو عمل الحياة كلها . وهو لا ينال بواسطة الإحساس بالسعادة القصيرة الأمد بل هو نتيجة الموت الدائم عن الخطية والحياة المستمرة من أجل المسيح . إن الأخطاء لا يمكن تصحيحها والإصلاحات لا يمكن إجراؤها في الخلق بواسطة الجهود الواهنة المتقطعة . ولكننا ننتصر فقط بواسطة بذل جهود طويلة مثابرة وتدريب مؤلم وحرب قاسية ضروس . ولا نعرف في يوم مقدار شدة نضالنا الذي سنشتبك فيه في اليوم التالي . فطالما الشيطان يملك ، علينا أن نخضع الذات ونتغلب على الخطايا المحيطة بنا ، وعلى قدر ما تطول حياتنا فلن يوجد مكان فيه نتوقف ، أو نقطة نصل إليها ونقول : لقد أدركت إدراكاً كاملاً . فالتقديس هو ثمرة الطاعة مدى الحياة .

لم يوجد نبي ولا رسول ادعى لنفسه العصمة من الخطية . فالناس الذين عاشوا على قرب شديد من الله ، الناس الذين كانوا على أتم استعداد للتضحية بالحياة نفسها كي لا يرتكبوا خطأ واحداً عن علم ، الناس الذين أكرمهم الله بنور وقوة الهيين ، اعترفوا بشر طبيعتهم . إنهم لم يضعوا ثقتهم في الجسد ، ولم يدعوا أي بر ذاتي ، بل اتكلوا بالتمام على بر المسيح .

وهكذا ستكون الحال مع كل من يشاهدون المسيح . كلما زدنا قرباً من يسوع ، وكلما اكتشفنا بكل جلاء طهارة خلقه ، كلما رأينا بكل وضوح شر الخطية العظيم ، وكلما زهدنا في تمجيد ذواتنا . وستتوق النفس وتصبو باستمرار إلى الله ، وسيكون هنالك اعتراف بالخطية مستمر وحار وعميق يتضع القلب أمامه . وفي كل خطوة نتقدم فيها في اختبارنا المسيحي سنزيد توبتنا عمقا . وسنعرف أن كفايتنا إنما هي في المسيح وحده ، وسنعترف بما اعترف به الرسول فنقول : «فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ ، أَيْ فِي جَسَدِي ،

شَيْءٌ صَالِحٌ» . «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي ، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (رومية ٧: ١٨ ، غلاطية ٦: ١٤) .

ليكتب الملائكة المسجلون تاريخ الحروب المقدسة ونضال شعب الله ، وليسجلوا صلواتهم ودموعهم ، ولكن لا يجلبن أحد العار على الله بقوله : «أنا بلا خطة ، أنا قديس» ، فالشفاه التي تقدست لا تنطق بتلك الأقوال الجريئة الوقحة .

لقد اختطف بولس الرسول إلى السماء الثالثة ورأى أشياء لا ينطق بها ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة التي نطق بها في غير تصنع أو ادعاء : «لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً ، وَلكِنِّي أَسْعَى» (فيلبي ٣: ١٢) . ليكتب ملائكة السماء عن انتصارات بولس في مجاهدته جهاد الإيمان الحسن . وكذلك أيضاً لتفرح السماء بخطواته الثابتة وهو سائر في طريقه إلى السماء ، فهو إذ وضع الجعالة قبلته وأمام ناظريه حسب كل شيء آخر نفاية . إن الملائكة يفرحون إذ يخبرون بنصراته ، أما هو فلا يفاخر بما قد بلغه أو أدركه . وموقف بولس هو الموقف الذي ينبغي أن يقفه كل تابع للمسيح وهو يتقدم في طريق جهاده في سبيل إحراز الإكليل الذي لا يفنى .

فلينظر الذين يميلون إلى المفاخرة بادعائهم القداسة لأنفسهم ، لينظروا في مرآة شريعة الله . فإذ يرون مطاليبها البعيدة المدى ويدركون عملها كمميزة لأفكار القلب ونياته ، فإنهم لا يفاخرون بعصمتهم . يقول يوحنا ، وهو في هذا لا يميز نفسه على إخوته : «إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا» ، «إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِبًا ، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا» . «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يوحنا ١: ٨،١٠،٩) .

توجد جماعة تدعي القداسة ، وتعلن أنها بجملتها للرب ، وتدعي لنفسها الحق في مواعيد الله ، وهي في الوقت نفسه ترفض إطاعة وصاياه . هؤلاء المعتدون على الشريعة يدعون لأنفسهم الحق في كل مما قد وعد به الله أولاده ، ولكن هذه وقاحة وغطرسة من جانبهم ، لأن يوحنا يخبرنا أن المحبة الحقيقية لله تظهر في الطاعة لكل وصاياه . لا يكفي الاعتقاد بنظرية الحق ، أو الاعتراف بالإيمان بالمسيح ، أو الاعتقاد بأن يسوع ليس محتالاً ، أو أن ديانة الكتاب ليست خرافة مصنعة . فلقد كتب يوحنا يقول : «مَنْ قَالَ قَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ . وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ ، فَحَقًّا فِي هذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللهِ . بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ» . «وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ» (١يوحنا ٢: ٤،٥؛ ٣: ٢٤) .

إن يوحنا لم يعلم أن الخلاص يمكن الحصول عليه بالطاعة ، بل أن الطاعة هي ثمرة الإيمان والمحبة . فقال : «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ . كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ . كُلُّ مَنْ يُخْطِئُ لَمْ يُبْصِرْهُ وَلاَ عَرَفَهُ» (١يوحنا ٣: ٥،٦) . فإن ثبتنا في المسيح وسكنت محبة الله في القلب فإن مشاعرنا وأفكارنا وأفعالنا تكون متوافقة مع إرادة الله . إن القلب المقدس هو في حالة انسجام مع وصايا شريعة الله .

يوجد كثيرون ممن يحاولون أن يحفظوا وصايا الله بكل اجتهاد ومع ذلك قلما يحصلون على السلام أو الفرح. فهذا النقص في اختبارهم هو نتيجة إخفاقهم في ممارسة الإيمان. فيبدو أنهم سائرون في أرض سبخة مالحة وقفر يابس. إنهم يطالبون بالقليل في حين كان يمكنهم أن يطالبوا بالكثير لأن مواعيد الله لا تحدها حدود. مثل هؤلاء لا يمثلون التقديس الذي يحدث عن طريق الطاعة للحق تمثيلاً صحيحاً. إن الرب يريد أن يكون كل أولاده وبناته سعداء ومسالمين ومطيعين.

وبواسطة ممارسة الإيمان يمتلك المؤمن هذه البركات . وبواسطة الإيمان يمكن سد كل نقص في الخلق ، ويمكن التطهر من كل دنس أو نجاسة ، ويمكن تصحيح كل خطأ وكل تفوق يمكن أن ينمو ويزداد .

إن الصلاة هي الوسيلة التي رسمتها السماء للنجاح في الحرب ضد الخطية وتنمية الخلق المسيحي . إن المؤثرات أو القوى الإلهية التي تأتي إجابة لصلاة الإيمان ستتمم في نفس المصلي كل ما يتوسل في طلبه . يمكننا أن نسأل غفران خطايانا أو انسكاب الروح القدس علينا أو أن تكون طباعنا مسيحية ، أو أن نطلب الحكمة للقيام بعمله ، أو أية هبة وعد باعطائها لنا . والوعد لنا هو هذا : «تُعْطَوْا» .

إن موسى حين كان في الجبل منفرداً مع الله رأى المثال العجيب للبناء الذي كان مزمعا أن يكون مسكن مجده . فإذ نكون نحن في الجبل مع الله– في ستر الشركة علينا أن نتأمل في المثل الأعلى المجيد الذي وضعه للبشرية . ففي كل العصور ، وعن طريق الشركة مع السماء ، تمم الله قصده لبنيه بكونه كشف لعقولهم بالتدريج عن تعاليم النعمة . إن طريقته في إبلاغ الحق مصورة في هذه الكلمات: «خُرُوجُهُ يَقِينٌ كَالْفَجْرِ» (هوشع ٦: ٣) . إن من يضع نفسه في الوضع الذي يستطيع فيه أيده أن ينيره يكون كمن يتقدم من عتمة الفجر الجزئية إلى إشراق نور الظهيرة الكامل .

إن التقديس الحقيقي معناه المحبة الكاملة لله والطاعة الكاملة والامتثال التام لإرادة الله . علينا أن نكون مقدسين لله بواسطة إطاعة الحق . يجب أن تتطهر ضمائرنا من الأعمال المميتة لنخدم الله الحي . إننا لسنا بعد كاملين ، ولكنه امتياز لنا أن ننتزع أنفسنا من عراقيل الذات والخطية ونتقدم إلى الكمال . توجد إمكانات عظيمة ومدارك سامية ومقدسة موضوعة في متناول الجميع .

إن السبب الذي لأجله لا يتقدم كثيرون إلى مدى أبعد في الحياة الإلهية في هذا العصر من تاريخ العالم هو كونهم يترجمون إرادة الله لتكون وفق ما يرغبون تماماً . ففيما هم يتبعون رغباتهم الخاصة ، يخدعون أنفسهم بالقول إنهم مطيعون لارادة الله . هؤلاء ليس لهم حروب مع الذات ليخوضوها . ويفلح آخرون إلى حين في الحرب ضد رغبتهم الذاتية في طلب المسرات والراحة . إنهم مخلصون وغيورون ولكنهم يكلون بسبب الجهد الطويل والموت كل يوم والاضطراب المتواصل . وإذ يبدو التراخي والكسل مغرياً ، والموت عن الذات منفراً وكريهاً ، فإنهم يغمضون عيونهم المسبلة بالنعاس ويسقطون تحت سلطان التجربة بدلاً من أن يقاوموها .

إن التعليمات المدونة في كلمة الله لا تترك مجالاً للاتفاق مع الشر أو مجاراته . لقد أُظهِر ابن الله ليجتذب جميع الناس إلى شخصه . لقد أتى لا لكي يهدهد العالم لينام بل ليوجه الأنظار إلى الطريق الضيق الذي ينبغي أن يسير فيه جميع من يصلون أخيراً «إلى أبواب مدينة الله» . وعلى أولاده أن يسيروا في نفس الطريق الذي سار هو فيه من قبل . ومهما ضحوا براحتهم أو تمتعاتهم الذاتية ، ومهما كانت كلفة التعب أو الآلام ، عليهم أن يثيروا حرباً لا راحة فيها ولا هوادة ضد الذات .

إن أعظم تمجيد يمكن للناس أن يقدموه لله هو أن يكونوا أدوات مقدسة يمكن لله أن يعمل بواسطتها . إن الوقت يسرع بنا إلى الأبدية ، إذن فلا نحجز عن الله حقوقه . ولا ننكر عليه الشيء الذي ، مع كونه لا يمكن أن يعطى بدون استحقاق ، لا يمكن أن ينكر أو يحجز بدون هلاك . إنه يطلب القلب بجملته ، فاعطه إياه فهو له بحق الخلق وبحق الفداء . وهو يطلب عقلك ، فاعطه إياه فهو له . وهو يطب مالك ، فاعطه إياه فهو له : «وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ

اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ» (١كورنثوس ٦: ١٩، ٢٠) . إن الله يطلب ولاء النفس المقدسة التي قد أعدت ذاتها بممارسة الإيمان العامل بالمحبة لتخدمه . إنه يرفع أمام أنظارنا أسمى مثال أي الكمال . وهو يطلب منا أن نكون له بالتمام وبالكلية في هذا العالم كما أنه هو لنا في حضرة الله .

«هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ» بالنسبة إليكم ، «قَدَاسَتُكُمْ» (١تسالونيكي ٤: ٣) فهل هي إرادتك أنت أيضاً ؟ قد تكون خطاياك كجبال أمامك ، ولكن إذا كنت تتضع وتعترف بخطاياك متكلاً على استحقاقات المخلص المصلوب والمقام ، فسيغفر لك ويطهرك من كل إثم . الله يطلب منك الامتثال الكامل لشريعته . هذه الشريعة هي صدى صوته القائل لك : كن أقدس وأقدس مما أنت . اطلب ملء نعمة المسيح . ليمتلئ قلبك بشوق حار إلى بره الذي تعلن كلمة الله إنه ينشئ سلاماً وينتج عنه الهدوء واليقين إلى الأبد .

فإذ تتوق نفسك وتتعطش إلى الله فستجد الشيء الكثير جداً من غنى نعمته الذي لا يستقصى . وإذ تتأمل في هذه الكنوز فستمتلكها وتعلن عن استحقاقات ذبيحة المخلص وحماية بره وملء حكمته ، وقدرته ليوقفك أمام الآب: «بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ» (٢بطرس ٣: ١٤) .

الفصل السادس والخمسون

جزيرة بطمس

كان قد مر ما يزيد على نصف قرن على تنظيم الكنيسة المسيحية . وفي غضون تلك المدة ظلت رسالة الإنجيل تصطدم بمقاومة مستمرة . إن أعداء الإنجيل لم يتراخوا قط في جهودهم وأخيراً أفلحوا في تعبئة قوة الإمبراطور الروماني ضد المسيحيين .

وفي الاضطهاد الرهيب الذي تبع ذلك عمل الرسول يوحنا الشيء الكثير لكي يثبت ويقوي إيمان المؤمنين . فقدم شهادة لم يستطع خصومه أن يجادلوا فيها ، وقد أعانت هذه الشهادة إخوته على مواجهة التجارب التي حلت بهم بشجاعة وولاء . وعندما بدا أن إيمان المسيحيين قد بدأ يترنح ويضعف أمام المقاومة العنيفة التي اضطروا لمواجهتها ، كان خادم يسوع المحنك ذاك يردد بقوة وفصاحة قصة المخلص المصلوب والمقام . لقد احتفظ بإيمانه بكل ثبات ، ومن بين شفتيه كانت تخرج دائماً نفس الرسالة المفرحة القائلة : «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا ، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا ، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ ... الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ» (١يوحنا ١: ١ – ٣) .

لقد عاش يوحنا عمراً طويلاً . وقد شهد خراب أورشليم وتدمير الهيكل الفخم . فذاك الذي عاش أكثر من كل التلاميذ الباقين والذي كان مرتبطاً

بالمخلص برباط الحب الوثيق كان لرسالته تأثير كبير في إعلان حقيقة كون يسوع هو المسيا فادى العالم . ولم يمكن لأحد أن يشك في إخلاصه ، وبواسطة تعاليمه رجع كثيرون عن عدم إيمانهم .

وقد امتلأت قلوب رؤساء اليهود بالعداوة المرة ضد يوحنا بسبب ولائه الثابت لعمل المسيح . وقد أعلنوا أن كل جهودهم ضد المسيحيين لن تجديهم فتيلاً طالما بقيت شهادة يوحنا ترن في آذان الشعب . فلكي تنسى معجزات يسوع وتعاليمه ينبغي إسكات صوت هذا الشاهد الجريء .

ولذلك استدعي يوحنا إلى روما لكي يحاكم لأجل إيمانه . وهناك حرفت تعاليم الرسول وزورت أمام السلطات ، وتقدم شهود زور واشتكوا عليه بأنه يعلم بهرطقات وضلالات دينية تدعو إلى العصيان والتمرد على الحكومة . وكان أعداؤه يرجون أنه بناء على هذه التهم سيحكم عليه بالموت .

وقد أجاب يوحنا عن نفسه بطريقة واضحة ومقتنعة وببساطة وإخلاص جعلا لكلامه تأثيراً عظيماً . وقد دهش سامعوه من حكمته وفصاحته . ولكن بقدر ما كانت شهادته مقنعة بقدر ما زادت عداوة خصومه ومقاوميه . وقد استشاط الإمبراطور دومتيانوس غضباً . فلم يستطع أن يجادل في البراهين التي أدلى بها ذلك المدافع الأمين عن المسيح ، ولا أن يباري القوة المرافقة لكلام الحق الذي نطق به ، ومع ذلك عقد العزم على إسكات صوته .

وقد ألقى يوحنا في قدر كبيرة فيها زيت يغلي ولكن الرب حفظ حياة خادمه الأمين كما حفظ حياة الفتية العبرانيين الثلاثة في أتون النار . وعندما قيلت هذه الكلمات : هكذا يهلك كل من يؤمنون بذلك المحتال يسوع الناصرى ، أعلن يوحنا قائلاً : إن سيدي قد احتمل بصبر كل ما أمكن للشيطان وملائكته أن يبتكروه لإذلاله وتعذيبه . لقد بذل حياته ليخلص العالم . وإني قد أكرمت إذ سمح

لي بأن أتألم لأجله . أنا إنسان ضعيف وخاطئ . أما المسيح فكان أميناً قدوساً بلا عيب ولا دنس . فهو لم يعمل خطية ولا وجد في فمه مكر .

كان لهذه الأقوال تأثيرها فأخرج يوحنا من القدر بأيدي الرجال أنفسهم الذين ألقوه فيها .

ومرة أخرى ثقلت يد الاضطهاد على الرسول . فنفي يوحنا بأمر الإمبراطور إلى جزيرة بطمس إذ حكم عليه بذلك : «مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ ، وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رؤيا ١: ٩) . وقد ظن أعداؤه أنه لن يعود أحد من الناس يحس بتأثير الرسول في تلك الجزيرة النائية ، ولا بد من أن يموت تحت ضغط العناء ووطأة الكرب والغم والألم . لقد اختيرت جزيرة بطمس الصخرية الجدباء الواقعة في بحر إيجة ، من قبل الحكومة الرومانية لتكون منفي للمجرمين ، أما بالنسبة لخادم الله هذا ، فقد صارت تلك البقعة الكئيبة باب السماء . ففي هذا المكان المنقطع عن مشاهد الحياة النشطة الصاخبة ، وإذ كان هو بعيداً عن حقل خدمته السابق ، كان في صحبته الله والمسيح وملائكة السماء ، وقد تلقى منهم التعليمات لأجل الكنيسة على مدى العصور المستقبلة . وقد أجملت أمامه الحوادث التي كانت مزمعة أن تقع في المشاهد الختامية لتاريخ هذه الأرض ، وهناك سجل الرؤى التي أراه إياها الله . فعندما لا يعود صوته قادراً على أن يشهد لذاك الذي قد أحبه وخدمه . فان الرسائل المعطاة له على ذلك الشاطئ المقفر كانت مزمعة أن تخرج كمصباح متقد معلنة عن قصد الرب الأكيد تجاه كل أمة على الأرض .

وبين جروف بطمس وصخورها كانت ليوحنا شركة مع صانعه . لقد راجع حياته الماضية وإذ فكر في البركات التي قد حصل عليها ملأ السلام قلبه . لقد عاش عيشة مسيحية فأمكنه أن يقول بإيمان : «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ

إِلَى الْحَيَاةِ» (١يوحنا ٣: ١٤) . ولم يكن هذا لينطبق على الإمبراطور الذي قد نفاه والذي كان يستطيع أن ينظر فقط إلى ميادين الحروب والمذابح ، والبيوت الموحشة ، والأرامل والأيتام النائحين ، وكل ذلك ثمرة شهوة نفسه الطامعة في التفوق والسيادة .

إن يوحنا وهو في مسكنه المنعزل ذاك استطاع أن يدرس بتمعن وتدقيق أكثر مما فعل في أي وقت مضى ، إعلانات قدرة الله كما سجلت في سفر الطبيعة وفي صفحات الوحى الإلهي . وكان من دواعي سروره واغتباطه أن يتأمل في عمل الخليقة ويمجد المهندس الإلهي . في السنين الماضية كانت عيناه تقعان على منظر التلال المغطاة بالغابات والوديان اليانعة والسهول المثمرة ، وفي محاسن الطبيعة كان مما يسره أن يتتبع حكمة الخالق ومهارته . أما الآن فقد صار محاطاً بمناظر تبدو في نظر الكثيرين كئيبة لا تثير أي اهتمام ، أما بالنسبة ليوحنا فكانت خلاف ذلك . ففي حين كانت البيئة المحيطة به موحشة وقفراء ، فإن السماء الزرقاء التي ظللته كانت منيرة وجميلة كالسماء التي تظلل مدينته المحبوبة أورشليم . ففي الصخور الوعرة ، أسرار الغمر العميق ، وفي أمجاد الجلد قرأ دروساً هامة . كان كل شيء في تلك البيئة يحمل رسالة قدرة الله ومجده .

رأى الرسول في كل ما حوله شهوداً على الطوفان الذي غمر الأرض لأن سكانها تجرأوا وتعدوا على شريعة الله . فالصخور التي قذف بها من الغمر العظيم ومن الأرض بسبب انفجار ينابيع المياه ، صورت لعقله بجلاء أهوال ذاك الإنسكاب المخيف لغضب الله . ففي صوت المياه الكثيرة –غمر ينادي غمراً– سمع صوت الخالق . فالبحر الذي لطمته وأثارته الرياح القاسية صور له غضب الإله الذي أسيء إليه . فالأمواج الهائلة في هيجانها المخيف التي كانت تتوقف

عند حدها الذي عينته لها يد غير منظورة ، تحدثت عن سيطرة قدرة غير محدودة . وبالمقارنة مع ذلك تحقق من ضعف بني الإنسان وجهلهم ، الذين مع كونهم لا يزيدون عن أن يكونوا دوداً يزحف في التراب ، فهم يفخرون بحكمتهم المزعومة وقدرتهم الكاذبة ويقسّون قلوبهم ضد حاكم الكون كما لو كان الله شخصاً نظيرهم . وقد ذكرته الصخور بالمسيح صخر قوته الذي يمكنه أن يحتمي فيه بلا خوف . ومن قلب ذاك الرسول المنفي في جزيرة بطمس الصخرية صعدت آخر أشواق نفسه وصلواته الحارة جداً إلى الله .

إن تاريخ يوحنا يقدم لنا مثالاً مدهشاً للطريقة التي يستطع الله بها أن يستخدم الخدام الطاعنين في السن . فعندما نفي يوحنا إلى جزيرة بطمس ظن كثيرون أن خدمته قد انتهت ، إذ كان كقصبة مرضوضة قديمة موشكة على السقوط في أي وقت . ولكن الرب رأى أنه من الأفضل أن يستخدمه أيضاً . ومع أنه قد نفي بعيداً عن مشاهد خدمته الأولى فهو لم يكف عن الشهادة للحق . فحتى في بطمس أمكنه أن يكتسب أصدقاء ومهتدين . لقد كانت رسالته رسالة الفرح إذ كرز بمخلص مقام هو في الأعالي يشفع في شعبه إلى أن يعود ليأخذهم لنفسه . وبعدما شاخ يوحنا في خدمة سيده وصلته من السماء اخبار أكثر مما قد وصله مدى سني حياته الأولى .

ينبغي أن نكن أرق المشاعر والاعتبار والتقدير للذين قد ارتبط اهتمام حياتهم بعمل الله . فهؤلاء الخدام الطاعنون في السن وقفوا أمناء في وسط الأعاصير والتجارب قد تكون لهم ضعفاتهم ولكن مع ذلك فإنهم يملكون مواهب تؤهلهم لأن يتبوأوا مكانهم في عمل الله . ومع أنهم قد أدركهم الضنى وصاروا عاجزين عن تحمل أعباء أثقل كالتي يستطيع حملها الشباب ويجب أن يحملوها ، فإن المشورة التي يمكنهم تقديمها لها أعظم قيمة .

ربما يكونون قد ارتكبوا بعض الأخطاء ، ولكنهم تعلموا من فشلهم أن يتجنبوا الأخطاء والمخاطر ، أفليسوا لذلك أهلاً لأن يقدموا نصيحة حكيمة ؟ لقد احتملوا المحن والتجارب ومع أنهم قد فقدوا جانباً من نشاطهم فالرب لا يلقي بهم جانباً . بل هو يمنحهم نعمة وحكمة خاصتين .

أولئك الذين خدموا سيدهم عندما كانت الخدمة شاقة وقاسية ، والذين احتملوا الفقر وظلوا أمناء في الوقت الذي كان فيه الواقفون إلى جانب الحق قليلين ، ينبغي إكرامهم واحترامهم . إن الرب يرغب أن يحصل الخدام الشباب على الحكمة والقوة والنضج بمعاشرتهم لهؤلاء الرجال الأمناء . ليتحقق الشباب أن وجود مثل هؤلاء الخدام بينهم هو فضل وبركة لا تقدر . فليعطوهم مكان الكرامة في مجامعهم .

إن الذين قد أنفقوا حياتهم في خدمة المسيح إذ تقترب خدمتهم الأرضية من نهايتها ، فإن الروح القدس سيحثهم كي يسردوا الاختبارات التي حصلوا عليها والتي لها صلة بعمل الله . إن سفر معاملات الله العجيبة مع شعبه ، وصلاحه العظيم في إنقاذه إياهم من التجربة ينبغي ترديدها للحديثي العهد بالإيمان . فالله يريد أن يقف الخدام المتقدمون في الأيام والمختبرون في مكانهم وأن يقوموا بنصيبهم في إنقاذ الرجال والنساء حتى لا يجرفهم تيار الشر القوي إلى الأسفل . إنه يرغب أن يظلوا حاملين سلاحهم حتى يأمرهم هو بإلقائه جانباً .

إننا نجد في اختبار يوحنا الرسول تحت الاضطهاد درساً عجيباً لتقوية المسيحي وتعزيته . إن الله لا يمنع الأشرار من التآمر ولكنه يجعل مكايدهم تعمل لخير أولئك الذين يحتفظون بإيمانهم وولائهم في وسط التجارب والحروب . كثيراً ما يضطلع خادم الإنجيل بأعباء خدمته في وسط عواصف الاضطهاد

والمقاومة المرة والتعييرات الظالمة . ففي مثل هذه الظروف ليذكر أن الاختيـار الذي سيحصل عليه وهو في أتون التجربة والآلام والضيقات يساوي كل الألـم الذي يتطلبه . وهكذا يقرب الله أولاده إليه لكي يريهم ضعفهم وقوته . إنه يعلمهم الاستناد عليه . وهكذا يعدهم لمواجهة الاحتمالات والطوارئ وليمـلأوا مراكـز ذات مسؤوليات وليتمموا الغرض العظيم الذي لأجله أعطيت لهم القوة .

في كل العصور عرّض شهود الله المعنيون أنفسهم للعار والاضطهاد لأجـل الحق . لقد افتري على يوسف واضطهد لأنه ظل محتفظاً بفضيلته واسـتقامته . وداود الرسول المختار من الله طورد كالفريسة أمام أعدائه . ودانيال طرح فـي جب الأسود لأنه كان أميناً في ولائه للسماء . وأيوب جُرِّد من أملاكه الأرضيـة وكان مبتلياً في جسمه بحيث اشمأز منه الأقرباء والأصدقاء ، ومع ذلك فقد ظـل متمسكاً بكماله . ولم يكن ممكناً منع إرميا من النطق بالكلام الذي وضعه الله فـي فمه ليتكلم به ، وقد أثارت شهادته الملك والأمراء إلى حد جعلهم يطرحونه فـي جب كريه . وقد رجم استفانوس لأنه كرز بالمسيح المصلوب . وقد طرح بولس في السجن وضرب بالعصى ورجم وأخيراً قتل لأنه كان رسولاً أمينـا لله إلـى الأمم . ويوحنا نفي إلى جزيرة بطمس . «مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ شَـهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» .

هذه الأمثلة على ثبات الناس تشهد لأمانة مواعيـد الله – وحضـوره الدائـم ونعمته العاضدة . وهي تشهد أيضاً على قوة الإيمان على الصمود أمام قـوات العالم . إن عمل الإيمان هو الاستناد على الله في أحلك الساعات ، والإحسـاس بأن الآب السماوي هو الذي يدير الدفة حتى عندما تمر النفس في تجارب مـرة وعندما تصدمها العواصف . إن عين الإيمان هي وحدها التي تستطيع أن تـرى ما وراء أمور الزمن الحاضر لتقدر الغنى الأبدي تقديراً صائباً .

إن يسوع لا يقدم لتابعيه رجاء في الحصول على مجد العالم وغناه ، أو أن يحيوا حياة خالية من التجارب . ولكنه بدلاً من ذلك يدعوهم لأن يتبعوه في طريق إنكار الذات واحتمال العار . إن ذاك الذي قد أتى ليفتدي العالم احتمل مقاومة قوات الشر مجتمعة . ففي تحالف قاس ظالم اتحد الناس والملائكة الأشرار في محاربة رئيس السلام . فكل كلمة قالها وكل عمل أظهر إشفاقاً إلهياً ، فعدم تشبهه بالعالم أثار ضده أمرَّ العداء .

وهكذا ستكون الحال مع كل من يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع . فالاضطهاد والعار ينتظران كل من يسكن في قلوبهم روح المسيح . نعم إن صفة الاضطهاد تتغير بمرور الزمن ، ولكن المبدأ -الروح الذي يكمن وراءه- هو ذاته الذي قتل مختاري الرب منذ أيام هابيل ، ولم يتغير .

ففي كل العصور اضطهد الشيطان شعب الله . لقد عذبهم وقتلهم ولكنهم انتصروا بموتهم . لقد شهدوا لقوة ذاك الذي هو أقوى من الشيطان . يمكن للأشرار أن يعذبوا الجسد ويقتلوه ولكنهم لا يستطيعون أن يمسوا الحياة المستترة مع المسيح في الله . يمكنهم أن يحبسوا الرجال والنساء داخل أسوار السجن ولكنهم لا يستطيعون أن يقيدوا الروح .

وعن طريق التجارب والاضطهاد يعلن مجد الله وصفاته في مختاريه . إن المؤمنين بالمسيح الذين يبغضهم العالم ويضطهدهم يتهذبون ويتدربون في مدرسة المسيح . فهم يسيرون على الأرض في طرق ضيقة ويتطهرون ويتنقون في أتون الألم ، وهم يتبعون المسيح في حروب قاسية ، ويتحملون إنكار الذات ويختبرون مرارة الفشل ، ولكنهم بذلك يتعلمون شر الخطية وشقاءها فينظرون إليها باشمئزاز . فإذ يصيرون شركاء المسيح في آلامه

يمكنهم أن ينظروا من خلال الظلام إلى المجد قائلين : «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا» (رومية ٨: ١٨) .

الفصل السابع والخمسون

ا لرؤيا

كان المسيحيون المؤمنون في عهد الرسل ممتلئين غيرة وحماساً . وكانوا يخدمون سيدهم بغير كلل بحيث أنه في وقت قصير نسبياً ، وبرغم المقاومة العنيفة سمعت بشارة الملكوت في كل أنحاء المعمورة. إن الغيرة التي أبداها أتباع يسوع حينئذ سجلها قلم الوحي لأجل تشجيع المؤمنين في كل عصر . وفيما يختص بكنيسة أفسس التي اتخذها الرب يسوع كرمز للكنيسة المسيحية عامة في العصر الرسولي ، أعلن الشاهد الأمين الصادق قائلاً :

«أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً ، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ . وَقَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ» (رؤيا ٢: ٢،٣) .

في بادئ الأمر امتازت كنيسة أفسس بغيرة وبساطة كبساطة الأطفال. وقد اجتهد المؤمنون في إطاعة كلمة الله بكل غيرة وقد كشفت حياتهم عن محبة للمسيح غيورة مخلصة. وقد سروا بعمل إرادة الله لأن المخلص كان ساكناً في قلوبهم بشكل دائم. فإذ امتلأت قلوبهم محبة لفاديهم كان هدفهم الأسمى أن يربحوا له نفوساً. فهم لم يفكروا في اختزان كنز نعمة المسيح الثمين لأنفسهم. بل أحسوا

بأهمية دعوتهم، وإذ كانوا مثقلين بالرسالة القائلة: «عَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» اضطرم في قلوبهم الشوق لحمل بشرى الخلاص المفرحة إلى أقصى أرجاء الأرضي. وقد عرف العالم أنهم كانوا مع يسوع. والناس الخطاة إذ تابوا وغفرت خطاياهم وتطهروا وتقدسوا دخلوا في شركة مع الله في ابنه.

كان أعضاء الكنيسة متحدين معاً في الشعور وفي العمل . وإذ كانت المحبة . للمسيح هي السلسلة الذهبية التي ربطت بينهم ، فقد تقدموا ليعرفوا الرب معرفة أكمل وقد تجلى في حياتهم فرح المسيح وسلامه . فافتقدوا اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظوا أنفسهم بلا دنس من العالم موقنين من أن إخفاقهم في ذلك يعتبر مناقضة لاعترافهم وإنكارا لفاديهم .

وفي كل مدينة تقدم العمل . وقد تجددت نفوس ، وهؤلاء بدورهم أحسوا بأن عليهم أن يذيعوا نبأ الكنز الذي لا يقدر الذي قد حصلوا عليه . لم يستطيعوا أن يستريحوا حتى رأوا النور الذي أشرق عليهم مشرقاً على الآخرين . وقد علم جماهير من غير المؤمنين سبب رجاء المسيحي . وقد قدمت دعوات حارة ملهمة شخصية للخطاة والمنبوذين ولأولئك الذين في حين أنهم كانوا يعترفون بأنهم يعرفون الحق كانوا محبين للذات أكثر من محبتهم لله .

ولكن بعد وقت بدأت غيرة المؤمنين تفتر كما قلت محبتهم لله ولبعضهم البعض . لقد زحف الفتور إلى الكنيسة . فنسي البعض منهم الطريقة العجيبة التي بها قبلوا الحق . وقد سقط حاملو الأعلام القدماء عند مراكزهم الواحد في أثر الآخر . وبعض الخدام من الشباب الذين كان يمكن أن يشاركوا هؤلاء الرواد في حمل أثقالهم ويصبحوا مستعدين للقيادة الحكيمة ، ضجروا من الحقائق التي طال ترديدها مراراً . فإذ كانوا يتوقون إلى شيء جديد ومثير ومفزع حلولوا أن يقدموا مظاهر جديدة للعقيدة تكون أكثر إرضاء لعقول كثيرة ، ولكنها لا تتفق مع

مبادئ الإنجيل الأساسية . ففي ثقتهم في ذواتهم وعماهم الروحي أخفقوا في التنبه إلى أن هذه المغالطات كفيلة بأن تجعل كثيرين يشكّون في اختبارات الماضي وبذلك تقود إلى الارتباك وعدم الإيمان .

وإذ تم التحريض والإلحاح على هذه التعاليم الكاذبة نشأت الخلافات وتحولت أنظار الكثيرين عن رؤية يسوع بوصفه رئيس إيمانهم ومكمله . ثم أن النقاش والمداولة في بعض النقاط غير المهمة في العقيدة ، والتفكير في الخرافات المسرة التي هي من اختراع الناس ، شغل الوقت الذي كان ينبغي أن يصرف في الكرازة بالإنجيل . والجموع الذين كان يمكن أن يتبكتوا ويهتدوا بواسطة الكرازة الأمينة بالحق تركوا بدون إنذار . لقد بدأت التقوى تتضاءل بسرعة وبدا كأن الشيطان مزمع أن يسود على من كانوا يدعون بأنهم أتباع المسيح .

وفي ذلك الوقت الحرج من تاريخ الكنيسة حكم بالنفي على يوحنا . كانت الكنيسة أحوج لسماع صوته عندئذٍ منها في أي وقت آخر . فكل زملائه في الخدمة تقريباً ماتوا شهداء . والبقية الباقية من المؤمنين كانت تواجه مقاومة عنيفة ، وكانت كل الظواهر تدل أن اليوم الذي فيه ينتصر أعداء كنيسة المسيح ليس بعيداً .

ولكن يد الرب غير المنظورة كانت تتحرك لتعمل في الظلام . فقد شاءت عناية الله أن يوضع يوحنا في وضع يمكن للمسيح فيه أن يقدم له إعلاناً عجيباً عن نفسه وعن الحق الإلهي لأجل إنارة الكنائس . إن أعداء الحق بنفيهم ليوحنا كانوا يؤملون أن يسكتوا إلى الأبد صوت شاهد الله الأمين ، ولكن في بطمس تلقى هذا التلميذ رسالة كان تأثيرها مزمعاً أن يدوم مقوياً الكنيسة ومشدداً إياها إلى انقضاء الدهر . ومع أن أولئك الذين نفوا يوحنا لم يعفوا من مسؤولية عملهم

الظالم الذي ارتكبوه في حقه فقد صاروا آلات في يدي الله لإتمام مقاصد السماء ، والمسعى نفسه الذي بذل لإخماد النور زاد من سطوعه وإشراقه .

وفي يوم السبت ظهر المجد للرسول المنفي . لقد كان يوحنا يحفظ السبت ويقدسه في بطمس كما كان يحفظه وهو يكرز للشعب في مدن اليهودية وقراها . وادعى لنفسه الحق في المواعيد الثمينة التي أعطيت بخصوص ذلك اليوم . وكتب يوحنا يقول : «كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلاً أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ . الأَوَّلُ وَالآخِرُ ... فَالْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعِي . وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَفِي وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ» (رؤيا ١: ١٠ – ١٣) .

لقد أنعم على هذا التلميذ الحبيب بنعمة غنية وحصل على حظوة كبيرة . لقد رأى سيده في جشيماني حين كان وجهه ينضح بقطرات الدم نتيجة الكرب والعذاب النفسي . «كَانَ مَنْظَرُهُ ... كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ» (إشعياء ٥٢: ١٤) . لقد رآه بين أيدي عساكر الرومان وقد ألبس ثوب أرجوان بال وجبينه مكلل بالشوك . كما رآه معلقا على صليب الجلجلة هدفاً للسخرية والإهانات القاسية . والآن فها هو يوحنا يسمح له مرة أخرى بمشاهدة سيده ، ولكن ما أعظم الفرق في منظره ! ما عاد بعد رجل أوجاع محتقراً ومخذولاً من الناس ، ولكنه متسربل بثوب بهاء سماوي : «وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ ، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ . وَرِجْلاَهُ شِبْهُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ ، كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أَتُونٍ» (رؤيا ١: ١٤،١٥) . وصوته موسيقي كصوت مياه كثيرة ووجهه يضيء كالشمس . ومعه في يده سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ، رمزاً لسلطان كلمته . لقد تألقت بطمس بمجد الرب المقام .

ثم كتب يوحنا يقول : «فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ ، فَوَضَعَ يَـــدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي لاَ تَخَفْ» (رؤيا ١: ١٧) .

لقد تشدد يوحنا ليحيا في محضر سيده الممجد . وحينئذ انكشفت أمجاد السماء أمام بصيرته التي علتها الدهشة . لقد سمح له بأن يرى عرش الله ، وإذ يتطلـــع إلى ما وراء منازعات الأرض وحروبها يشاهد الجماهير اللابسين الثياب البيض من المفديين . وقد سمع موسيقى ملائكة السماء وأناشيد الانتصار التي تغنى بــها الذين غلبوا بدم الخروف وبكلمة شهادتهم . وفي الرؤيا المعطاة له انكشف أمــام ناظريه مشهد مهم تلو الآخر مما يحرك المشاعر ، في اختبار شعب الله . كمـــا كشف له تاريخ الكنيسة حتى انقضاء الدهر . وفي التشابيه والرموز انكشفت أمام عيني يوحنا مواضيع ذات أهمية عظيمة ، وكان عليه أن يسجلها حتـــى يـــدرك شعب الله الذي يعيش في عصره والعصور التالية المخاطر والحروب التي أمامه إدراكاً صحيحاً وسليماً .

لقد أعطيت هذه الرؤيا لأجل إرشاد الكنيسة وتعزيتها مدى العـــهد المســيحي كله . ومع ذلك فقد أعلن معلمو الدين أن هذا السفر هو سفر مختوم ولا يمكـــن شرح أسراره أو تفسيرها . ولذلك ترك كثيرون هذا السفر النبوي وانصرفوا عنه ورفضوا أن يبذلوا بعضاً من وقتهم في درس أسراره . ولكن الله لا يرغـــب أن يعتبر شعبه هذا السفر هكذا . فهو : «إِعْلاَنُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي أَعْطَـــاهُ إِيَّـــاهُ اللهُ ، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ» . والرب يعلن قـــائلاً : «طُوبَـــى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُـــوبٌ فِيــهَا ، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ» (رؤيا ١: ٣،١) : «لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْـــوَالَ نُبُـــوَّةِ هـــذَا الْكِتَابِ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا ، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِـــي هـــذَا الْكِتَابِ . وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ ، يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِـنْ

سِفْرِ الْحَيَاةِ ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ . يَقُولُ الشَّاهِدُ بِهذَا نَعَمْ أَنَا آتِي سَرِيعًا» . (رؤيا ٢٢: ١٨ – ٢٠) .

في الرؤيا صورت عمائق الله . إن الاسم الذي أطلق على هذا السفر الموحى به «الرؤيا» ، يناقض مزاعم القائلين بأنه كتاب مختوم . فالرؤيا شيء يرى ويعلن . فالرب نفسه أعلن لعبده الأسرار المتضمنة في هذا السفر ، وهو يقصد أنها تتكشف أمام عيون كل دارسيه . وحقائقه موجهة إلى من يعيشون في الأيام الأخيرة من تاريخ هذه الأرض مثلما هي موجهة لمن يعيشون في أيام يوحنا . وبعض المشاهد المصورة في هذه النبوة هي في الزمن الماضي ، والبعض الآخر يتم الآن ، والبعض يصور نهاية الصراع العظيم بين قوات الظلمة وبين ابن الله ، أمير السماء . والبعض يكشف لنا عن الانتصارات والأفراح التي يتمتع بها المفديون في الأرض الجديدة .

لا يظنن أحد أنه لكونه لا يستطيع أن يوضح معنى كل رمز في الرؤيا فإنه من العبث له أن يفتش هذا السفر محاولاً معرفة معنى الحق المتضمن فيه . فذاك الذي كشف هذه الأسرار ليوحنا سيعطى لمن يفتش عن الحق باجتهاد أن يتذوق شيئا من الأمور السماوية . وأولئك الذين قلوبهم مفتوحة لقبول الحق ستمنح لهم القدرة على إدراك تعاليمه وسينالون البركة الموعود بها أولئك . «لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا» .

إن كل أسفار الكتاب المقدس تلتقي وتنتهي في سفر الرؤيا . هنا نجد تكملة سفر دانيال . فأحدهما نبوة والآخر إعلان . إن السفر المختوم ليس هو الرؤيا بل هو ذلك الجزء من نبوة دانيال الخاص بالأيام الأخيرة . فقد أمره الملاك قائلاً : «أَمَّا أَنْتَ يَا دَانِيآلُ فَأَخْفِ الْكَلاَمَ وَاخْتِمِ السِّفْرَ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ» (دانيال ١٢: ٤) .

والمسيح هو الذي أمر الرسول بأن يسجل ما سيكشف أمامه ويعلن له . فقد أمره قائلاً : «وَالَّذِي تَرَاهُ ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا إِلَى أَفَسُسَ ، وَإِلَى سِمِيرْنَا ، وَإِلَى بَرْغَامُسَ ، وَإِلَى ثِيَاتِيرَا ، وَإِلَى سَارْدِسَ ، وَإِلَى فِيلاَدَلْفِيَا ، وَإِلَى لاَوُدِكِيَّةَ» . «و(أنا) اَلْحَيُّ . وَكُنْتُ مَيْتًا ، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ ... فَاكْتُبْ مَا رَأَيْتَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ ، وَمَا هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هذَا . سِرَّ السَّبْعَةِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى يَمِينِي ، وَالسَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ: السَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ هِيَ مَلاَئِكَةُ السَّبْعِ الْكَنَائِسِ ، وَالْمَنَايِرُ السَّبْعُ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ السَّبْعُ الْكَنَائِسِ» (رؤيا ١: ١١، ١٨ – ٢٠) .

إن أسماء الكنائس السبع ترمز إلى الكنيسة في عصور التاريخ المسيحي المختلفة . إن العدد سبعة يدل على الكمال ويرمز إلى حقيقة كون الرسائل تمتد إلى انقضاء الدهر ، في حين أن الرموز المستعملة تعلن عن حالة الكنيسة في فترات تاريخ العالم المختلفة .

قيل عن يسوع المسيح بأنه يتمشى في وسط المناير الذهبية. وهكذا يرمز إلى علاقته بالكنائس. إنه على اتصال دائم بشعبه ويعرف حالتهم على حقيقتها. وهو يلاحظ نظامهم وتقواهم وتكريسهم. ومع أنه رئيس الكهنة والوسيط الشفيع في القدس الأعلى إلا أنه يرمز إليه بوصفه يتمشى هنا وهناك في وسط كنائسه على الأرض. فبيقظة لا تكل وسهر لا ينقطع يراقب ليرى ما إذا كان نور أي من حراسه يخبو أو يكاد ينطفئ. فلو تركت المناير للرعاية البشرية وحدها فإن لهبها الخافق قد يضعف وينطفئ، ولكنه هو الرقيب الأمين في بيت الرب والحارس الأمين في أروقة الهيكل. إن رعايته الدائمة ونعمته المسندة العاضدة هما نبع الحياة والنور.

إن المسيح يرمز إليه هنا على أنه يمسك الكواكب السبعة في يمينه هـــذا يؤكد لنا أنه لا حاجة لأي كنيسة أمينة لودائعها أن تخشى الخوف أو الفشل، لأن الكواكب المحفوظة في يد الله القدير لا يمكن أن تختطف من يد المسيح.

«هذَا يَقُولُهُ الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ» (رؤيا ٢: ١) . هذا الكلام موجه إلى المعلمين في الكنيسة– أولئك الذيـن ائتمنهم الله على مسؤوليات خطرة . إن المؤثرات الجميلة التـــي ســتتوفر فـــي الكنيسة مرتبطة بخدام الله الذين يعلنون محبة المسيح . إن كواكب السماء هـــي تحت سلطانه وهو يملأها بالنور . وهو يرشدها ويوجهها في مداراتها . فلو لـــم يفعل ذلك لكانت تصير كواكب ساقطة أو تائهة . وكذلك الحال مع خدامه . إنــهم لا يزيدون عن كونهم آلات في يديه وكل الخير الذي يصنعونه إنمـــا يصنعونـــه بقدرته . فنوره يضيء فيهم وينبغي أن يكون المخلص كفايتهم . فإذا تطلعوا إليه كما تطلع هو إلى الآب فسيكونون قادرين على إنجاز عملــه . وإذ يجعلــون الله معتمدهم فسيعطيهم من نوره وبهائه ليعكسوهما على العالم .

في بدء تاريخ الكنيسة بدأ سر الإثم الذي أنبأ به بولس، يعمل عملــه المــهلك الوبيل. وإذ أدخل المعلمون الكذبة ضلالاتهم التي حذر بطرس الرسول المؤمنين منها، تلك، أخذ كثيرون في شراك التعاليم الكاذبة. وقد اضطرب البعــض أمـــام التجربة وجربوا بأن يتركوا الإيمان . وفي الوقت الذي رأى فيــه يوحنـــا هــذه الرؤيا ترك كثيرون محبتهم الأولى لحق الإنجيل. ولكن الله في رحمته لم يـــترك الكنيسة لتظل في حالة الارتداد. ففي رسالة الرحمة والمحبة غير المحدودة أعلـن لهم محبته ورغبته في أن يعملوا عملا أكيداً للأبدية. فقد توســـل إليــهم قـــائلاً: «فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى» (رؤيا ٢: ٥) .

كانت الكنيسة ناقصة وبحاجة إلى توبيخ صارم وتأديب . وقد أوحـــى إلـــى يوحنا بأن يكتب رسائل إنذار وتوبيخ وتوسل لأولئك الذين إذ تغيب عن أنظارهم مبادئ الإنجيل الأساسية ، يعرّضون للخطر رجاءهم في الخلاص . ولكن كـــلام التوبيخ الذي يرى الله أنه من اللازم أن يقدمه لشعبه يقدمه دائماً في حب رقيـــق مصحوباً بالوعد والسلام لكل مؤمن تائب . والرب يعلن قائلاً : «هنَـــذَا وَاقِــفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ . إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ ، أَدْخُلُ إِلَيْـــهِ وَأَتَعَشَّـــى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا ٣: ٢٠) .

أما بالنسبة إلى الذين يعزمون على الاحتفاظ بإيمانهم فـــي وســـط الصـــراع النفسي فقد أعطي للنبي كلام المديح والوعد ليوجهه إليهم إذ يقول لهم الـــرب : «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ . هنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًـــا وَلاَ يَسْـــتَطِيعُ أَحَـــدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ ، لأَنَّ لَكَ قُوَّةً يَسِيرَةً ، وَقَدْ حَفِظْتَ كَلِمَتِي وَلَمْ تُنْكِرِ اسْمِي ... لأَنَّكَ حَفِظْـتَ كَلِمَةَ صَبْرِي ، أَنَا أَيْضًا سَأَحْفَظُكَ مِنْ سَاعَةِ التَّجْرِبَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى الْعَـــالَمِ كُلِّهِ لِتُجَرِّبَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ» . «كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ ، الَّذِي هُوَ عَتِيـدٌ أَنْ يَمُوتَ» . «هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا . تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ» (رؤيـــا ٣: ٨،١٠،٢،١١) .

إن المسيح أعلن لكنيسته الأمور التي يجب عليهم أن يحتملوها لأجـــل اســـمه عن طريق شخص كان لهم «أخاً وشريكاً فِي الضِّيقَةِ» (رؤيا ١: ٩). فـــإذ نظـــر ذلك الشيخ المنفي عبر قرون من الظلمة والخرافات رأى جماهير كثيرة تقاســـي آلام الاستشهاد لأجل محبتها للحق. ولكنه رأى أيضاً أن ذاك الذي أسند شـــهوده الأولين لن يترك أتباعه الأمناء أثناء عصور الاضطهاد التي لا بد أن يجـــوزوا فيها قبل انقضاء الدهر. لقد أعلن الرب قائلاً: «لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيـــدٌ أَنْ

تَتَأَلَّمَ بِهِ . هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيْقٌ ... كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (رؤيا ٢: ١٠).

أما كل الأمناء الذين كانوا يجاهدون ضد الشر فقد سمع يوحنا الوعود المقدمة لهم . وهاك بعضها : «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ» . «مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا ، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ» . «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي ، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ» (رؤيا ٢: ٧؛ ٣: ٥،٢١) .

لقد رأى يوحنا رحمة الله وحنانه . ومحبته ممتزجة بقداسته وعدله وقدرته . ورأى الخطاة يجدون في ذاك الذي قد أخافتهم خطاياهم منه الآب الرحيم . وإذ تطلع إلى ما بعد نهاية الصراع العظيم رأى على جبل صهيون «الْغَالِبِينَ... وَاقِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ الزُّجَاجِيِّ ، مَعَهُمْ قِيثَارَاتُ اللهِ ، وَهُمْ يُرَتِّلُونَ تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَبْدِ اللهِ ، وَتَرْنِيمَةَ الْخَرُوفِ» (رؤيا ١٥: ٢،٣) .

إن المخلص يقدم نفسه ليوحنا تحت هذين الرمزين : «الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا» . و«خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ» (رؤيا ٥: ٥،٦) . وهذان الرمزان يمثلان الاتحاد بين القدرة غير المحدودة والمحبة المضحية . فالأسد الذي من سبط يهوذا ، الذي هو مرعب لرافضي نعمته سيكون حمل الله للمطيعين والأمناء . إن عمود النار الناطق بالرعب والغضب لمن يتعدى على شريعة الله هو علامة النور والرحمة والخلاص والنجاة للذين حفظوا وصاياه . فالذراع القوية المرفوعة لتسحق العصاة ستكون قوية لإنقاذ المخلصين الأمناء . كل من هو أمين سيخلص : «فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوق عَظِيمِ الصَّوْتِ ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا» . (متى ٢٤: ٣١) .

إن شعب الله بالمقارنة مع ملايين الناس الذين في العالم سيكونون كما كـــانوا دائماً ، قطيعاً صغيراً . ولكن إذا كانوا يثبتون إلى جانب الحق كما هو معلن فــي كلمة الله فسيكون لهم ملجأ . إنهم يقفون تحت ستر القدير المتسع . إن جـانب الله هو دائماً جانب الأكثرية . فعندما يخترق صوت البوق الأخـــير بيــوت ســجن الموتى ويخرج الأبرار بانتصار هاتفين وقائلين : «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ ؟ أَيْـــنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ ؟» (١كورنثوس ١٥: ٥٥) . وإذ يقف أولاد الله مع الله والمســيح والملائكة ومع المخلصين والأمناء في كل العصور فسيكونون أكثرية ساحقة .

إن تلاميذ المسيح الأمناء يتبعونه في وسط الحروب القاسية محتملين إنكـــار الذات ومختبرين الخيبة المرة ، ولكن هذا يعلمهم مقدار شر الخطيـــة وشــقائها ويقودهم إلى النظر إليها بكراهة واشمئزاز . وإذ هم شركاء المسيح في آلامه فقد قدر لهم أن يكونوا شركاءه في مجده . وقد رأى النبي في رؤيا مقدسة النصـــرة النهائية لكنيسة الله الباقية . فكتب يقول : «وَرَأَيْتُ كَبَحْرٍ مِنْ زُجَاجٍ مُخْتَلِطٍ بِنَارٍ ، وَالْغَالِبِينَ ... وَاقِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ الزُّجَاجِيِّ ، مَعَهُمْ قِيثَارَاتُ اللهِ ، وَهُــمْ يُرَتِّلُــونَ تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَبْدِ اللهِ ، وَتَرْنِيمَةَ الْخَرُوفِ قَائِلِينَ عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَـــالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَادِلَةٌ وَحَق هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقِدِّيسِــينَ» (رؤيا ١٥: ٢،٣) .

«نَظَرْتُ وَإِذَا خَرُوفٌ وَاقِفٌ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَمَعَهُ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُــونَ أَلْفًا، لَهُمُ اسْمُ أَبِيهِ مَكْتُوبًا عَلَى جِبَاهِهِمْ» (رؤيا ١٤: ١). إنهم حين كانوا في هـــذا العالم كانت أفكارهم مكرسة لله، وقد خدموه بعقولهم وبقلوبـــهم والآن يمكنـــه أن يضع اسمه «عَلَى جِبَاهِهِمْ ». «وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤيا ٢٢: ٥). إنهم لا يدخلون ويخرجون كمن يستجدون مكاناً. إنهم محسوبون ضمن أولئك الذيـــن يقول لهم المسيح: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِـــــي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُـــمْ مُنْـذُ

تَأْسِيسِ الْعَالَمِ». وهو يرحب بهم كأولاده قائلا لكل منهم: «اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى ٢٥: ٣٤،٢١).

«هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْخَرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ . هؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً ِللهِ وَلِلْخَرُوفِ» (رؤيا ١٤: ٤) . إن رؤيا النبي تصورهم على أنهم واقفون على جبل صهيون متمنطقين للخدمة المقدسة ولابسين بزاً أبيض هو تبررات القديسين . ولكن الذين يتبعون الخروف في السماء ينبغي أن يكونوا قد تبعوه أولاً حين كانوا على الأرض ، لا بتبرم أو بتقلب بل بطاعة محبة واثقة راغبة ، تماماً كما تتبع الرعية راعيها .

«وَسَمِعْتُ صَوْتًا كَصَوْتِ ضَارِبِينَ بِالْقِيثَارَةِ يَضْرِبُونَ بِقِيثَارَاتِهِمْ ، وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ كَتَرْنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ ... وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيمَةَ إِلاَّ الْمِئَةُ وَالأَرْبَعَةُ وَالأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ اشْتُرُوا مِنَ الأَرْضِ ... وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يُوجَدْ غِشٌّ ، لأَنَّهُمْ بِلاَ عَيْبٍ قُدَّامَ عَرْشِ اللهِ» (رؤيا ١٤:٢ – ٥) .

«وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا» . «وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَمِ حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْبٍ بَلُّورِيٍّ . وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَالٍ ، وَكَانَ لَهَا اثْنَا عَشَرَ بَابًا ، وَعَلَى الأَبْوَابِ اثْنَا عَشَرَ مَلاَكًا ، وَأَسْمَاءٌ مَكْتُوبَةٌ هِيَ أَسْمَاءُ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ» . «وَالاثْنَا عَشَرَ بَابًا اثْنَتَا عَشَرَةَ لُؤْلُؤَةً ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الأَبْوَابِ كَانَ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ . وَسُوقُ الْمَدِينَةِ ذَهَبٌ نَقِيٌّ كَزُجَاجٍ شَفَّافٍ . وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلاً ، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا» (رؤيا ٢١: ٢،١١،١٢،٢١،٢٢) .

«وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ . وَعَرْشُ اللهِ وَالْخَرُوفِ يَكُونُ فِيهَا ، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ . وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ . وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ ،

وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ» (رؤيا ٢٢: ٣ - ٥) .

«وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ . فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ ، شَجَرَةُ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمَرَةً ، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا ، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الأُمَمِ» . «طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ» (رؤيا ٢٢: ١،٢،١٤) .

«وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً:

«هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ

«وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ

«وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا

«وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ» (رؤيا ٢١: ٣) .

الفصل الثامن والخمسون

الكنيسة المنتصرة

لقد مرَّ أكثر من ثمانية عشر قرناً منذ استراح الرسل من أتعابهم، ولكن تاريخ أتعابهم وتضحياتهم لأجل المسيح لا يزال من أثمن ذخائر الكنيسة وكنوزها. فهذا التاريخ المكتوب بإرشاد الروح القدس إنما سجل لكي يكون حافزاً لأتباع المسيح في كل جيل على الغيرة العظيمة والاهتمام الأكمل في خدمة المخلص.

لقد قام التلاميذ بالمأمورية التي كلفهم بها المسيح . فإذ خرج رسل الصليب هؤلاء لإذاعة الإنجيل والمناداة به كان هنالك إعلان لمجد الله كما لم تشاهده عين بشر من قبل . وبمعاونة الروح القدس قام الرسل بعمل هز أركان العالم . وفي جيل واحد وصل الإنجيل إلى كل أمة تحت السماء .

وما كان أمجد النتائج التي صحبت خدمة الرسل الذين اختارهم المسيح . وفي بدء خدمتهم كان بعض منهم غير متعلمين ولكن تكريسهم لخدمة سيدهم كان في غير تحفظ ، وتحت إرشاده وتعليمه حصلوا على إعداد كامل للقيام بالعمل العظيم المسلم إليهم . كانت النعمة والحق يملكان على قلوبهم وقد ألهمتا دوافعهم وسيطرتا على أعمالهم . كانت حياتهم مستترة مع المسيح في الله وقد غابت الذات عن أنظارهم وغاصت في أعماق المحبة الإلهية السرمدية .

كان التلاميذ رجالاً عرفوا كيف يتحدثون ويصلون بإخلاص، رجالا أمكنهم أن يتمسكوا بشدة الرب وقوته. ما كان أعظم قربهم من الله حين وقفوا إلى جانبه وربطوا كرامتهم الشخصية بعرشه. كان الرب إلهاً لهم. وكرامته كانت كرامتهم. وحقه كان حقهم. وأي تهجم على الإنجيل كان بمثابة طعنات موجهة إلى صميم قلوبهم، فبكل قوى كيانهم حاربوا لأجل عمل المسيح. لقد أمكنهم إذاعة كلمة الحياة لأنهم قبلوا المسحة السماوية. لقد انتظروا الشيء الكثير ولذلك بذلوا جهداً عظيماً. فالمسيح أعلن ذاته لهم، ولهذا فقد لجأوا إليه في طلب الإرشاد. كان إدراكهم للحق وقوتهم في الصمود أمام المقاومة متناسبين مع امتثالهم لإرادة الله. إن يسوع المسيح حكمة الله وقدرته كان هو موضع كل احاديثهم. واسمه– الاسم الوحيد تحت السماء الذي يمكن للناس أن يخلصوا به– عظموه ومجدوه. وإذ أذاعوا كمال المسيح المخلص المقام ، حرك كلامهم القلوب وربح الرجال والنساء للإنجيل. وجماهير من الناس الذين كانوا يهينون اسم المخلص ويشتمونه ويزدرون بقوته اعترفوا عندها بأنهم قد صاروا تلاميذ للمصلوب.

إن الرسل لم يتمموا مأموريتهم أو يؤدوا رسالتهم بقوتهم بل بقوة الله الحي. لم يكن عملهم سهلاً هيناً. إن الخدمات الأولى التي قامت بها الكنيسة المسيحية كانت مصحوبة بالمشقات والأحزان المرة. فالتلاميذ وهم يباشرون عملهم واجهوا الحرمان المستمر والفقر والوشايات والاضطهاد، ولكنهم لم يحسبوا أنفسهم ثمينة عندهم، وقد فرحوا لكونهم دعوا ليتألموا لأجل المسيح. ومع ذلك فإنه لا التردد ولا التقلب ولا ضعف القصد والهزيمة أضعفت جهودهم. كانوا راغبين في أن يُنفِقوا ويُنفَقوا. إن إحساسهم بالمسؤولية الملقاة عليهم طهّر اختبارهم وأغناه، وأعلنت نعمة السماء في الانتصارات التي أحرزوها لأجل المسيح. إن الله عمل بواسطتهم بقدرته المقتدرة على كل شيء لكي ينتصر الإنجيل.

لقد بنى الرسل الكنيسة على الأساس الذي وضعه المسيح نفسه . ففي الكتاب المقدس نجد أن رمز إقامة هيكل يُستعمل كثيراً لتمثيل بناء الكنيسة . وزكريا يشير إلى المسيح بوصفه الغصن الذي ينبغي أن يبنى هيكل الرب . وهو يتحدث عن الأمم على أنهم يساعدون في العمل : «وَالْبَعِيدُونَ يَأْتُونَ وَيَبْنُونَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ» (زكريا ٦: ١٢،١٥) . وإشعياء يعلن قائلاً : «وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ» (اشعياء ٦٠: ١٠) . وبطرس وهو يكتب عن بناء هذا الهيكل يقول : «الَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ ، حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ ، وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ -كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ- بَيْتًا رُوحِيًّا ، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا ، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بطرس ٢: ٤،٥)

ففي محجر العالم اليهودي والأممي خدم الرسل وأخرجوا أحجاراً لتوضع على الأساس . إن بولس في رسالته إلى المؤمنين في أفسس قال : «فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً ، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا ، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ . الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا ، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ» (أفسس ٢: ١٩ – ٢٢)

وقد كتب إلى أهل كورنثوس يقول : «حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا ، وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ . وَلكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ . فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ . وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدُ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا ، فِضَّةً ، حِجَارَةً كَرِيمَةً ، خَشَبًا ، عُشْبًا ، قَشًّا ، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ . لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ» (١كورنثوس ٣: ١٠ – ١٣) .

لقد بنى الرسل على أساس راسخ إلا وهو صخر الدهور . وقد أتوا إلى هذا الأساس بالأحجار التي اقتطعوها من العالم . وقد تعب البناؤون في عملهم تعباً شديداً إذ وجدت في طريقهم معطلات كثيرة . وقد زاد من صعوبة عملهم مقاومة أعداء المسيح . كان عليهم أن يحاربوا التعصب والتحزب وعداوة من كانوا يبنون على أساس كاذب . إن كثيرين ممن عملوا كبنائين للكنيسة يمكن تشبيههم بمن كانوا يبنون السور في أيام نحميا ، الذين يقول الكتاب عنهم : «الْبَانُونَ عَلَى السُّورِ بَنَوْا وَحَامِلُو الأَحْمَالِ حَمَلُوا . بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ ، وَبِالأُخْرَى يَمْسِكُونَ السِّلاَحَ» (نحميا ٤: ١٧) .

لقد حاول الملوك والحكام والكهنة والرؤساء أن يهدموا بيت الله .. هيكله . ولكن في وجه السجن والعذاب والموت استمر الرجال الأمناء يقومون بالعمل ويتقدمون به إلى الأمام وكان البناء يعلو ويرتفع جميلاً ومتناسقاً في بعض الأوقات كاد البناؤون لا يعرفون شيئاً بسبب ضباب الخرافات الذي جثم عليهم . وفي مرات أخرى كادوا ينهزمون أمام عنف خصومهم ، ولكن بإيمان ثابت وشجاعة لا تعرف الخوف أو الاضطراب ساروا قدماً بعملهم .

وقد سقط البناؤون المتقدمون واحداً بعد الآخر بيد العدو . فرجم استفانوس ومات ، ويعقوب مات قتلاً بالسيف ، وبولس قطعت رأسه ، وبطرس مات مصلوباً ، ويوحنا نفي . ومع ذلك فقد ظلت الكنيسة تنمو . وقد جاء خدام جدد ليحلوا مكان الذين سقطوا ، فأضيف إلى البناء حجر بعد حجر . وهكذا ارتفع البناء– بناء هيكل كنيسة الله .

وعقب تأسيس الكنيسة المسيحية اشتعلت نيران الاضطهاد على مدى قرون متلاحقة ، ولكن لم تعدم الكنيسة الرجال الذين كانوا يحسبون عمل بناء هيكل الله أعز لديهم من الحياة نفسها. أمثال هؤلاء يقول الكتاب عنهم : «وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا

فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ . رُجِمُوا ، نُشِرُوا ، جُرِّبُوا ، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى ، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ . تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ» (عبرانيين ١١: ٣٦ – ٣٨) .

إن عدو البر لم يترك مجهوداً إلا وبذله لإيقاف العمل الذي وكل إلى أيدي بنائي السيد الرب . ولكن الله «لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ» (أعمال ١٤: ١٧) . لقد أقيم خدام دافعوا بكل جدارة وقوة عن الإيمان المسلم مرة للقديسين . والتاريخ يشهد لثبات هؤلاء الرجال وبطولتهم . وكثيرون منهم سقطوا وماتوا في مكان حراستهم كالرسل ، ولكن عملية بناء الهيكل ظلت ماضية إلى الأمام في طريقها بكل ثبات . كان العمال يقتلون ولكن العمل ظل يتقدم إلى الأمام .. إن الولدنسيين وجون ويكلف وهس وجيروم ومارتن لوثر وزوينجلي وكرانمر ولايتمر ونوكس والهيجونوت وجون وتشارلس وسلي وآخرون كثيرون وضعوا في أساس البناء مواد تبقى مدى أجيال الأبد . وفي السنوات اللاحقة نجد أن أولئك الذين بكل نبل حاولوا أن يساعدوا في نشر كلمة الله ، والذين بخدمتهم في البلدان الوثنية أعدوا الطريق لإذاعة الرسالة الأخيرة العظيمة– هؤلاء أيضاً أعانوا في إقامة البناء .

وفي غضون العصور التي مرت منذ أيام الرسل لم يتوقف بناء هيكل الله . يمكننا أن نتطلع إلى الخلف عبر القرون لنرى الأحجار الحية التي يتكون منها هذا الهيكل متألقة بالنور مبددة ظلمات الضلال والخرافات . وعلى مدى دهور الأبد ستضيء هذه الجواهر الكريمة ببهاء متزايد شاهدة لقوة حق الله . إن النور الساطع المنبثق من هذه الأحجار المصقولة يرينا الفرق الشاسع بين النور والظلمة بين ذهب الحق وزغل الضلال .

إن بولس والرسل الآخرين وجميع الأبرارالذين عاشوا على الأرض منذ ذلك الحين قاموا بدورهم في بناء الهيكل . ولكن البناء لما يكمل بعد . فنحن الذين نعيش في هذا العصر لنا عمل لنعمله ودور لنقوم به . علينا أن نضع على الأساس مواد تثبت أمام اختبار النار- كالذهب والفضة والحجارة الكريمة : «مَنْحُوتَاتٍ حَسَبَ بِنَاءِ هَيْكَل» (مزمور ١٤٤: ١٢) . إن بولس ينطق بكلام التشجيع والإنذار لأولئك الذين يبنون هكذا لله فيقول : «إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً . إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ» (١كورنثوس ٣: ١٤،١٥) . إن المسيحي الذي يقدم كلمة الحياة بأمانة مرشداً الرجال والنساء في طريق القداسة والسلام إنما يضع على الأساس مواد تثبت أمام الامتحان ، وفي ملكوت الله سيكرم كبناء حكيم .

أما الرسل فالكتاب يقول عنهم: «وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ» (مرقس ١٦: ٢٠) . وكما أرسل المسيح التلاميذ كذلك هو اليوم يرسل أعضاء كنيسته . ونفس القوة التي كانت للرسل هي لأجل هؤلاء أيضاً . فإذا جعلوا الله قوتهم فسيعمل معهم ولن يكون تعبهم باطلاً . وليتحققوا أن هذا العمل الذي يأخذونه على عاتقهم هو العمل الذي قد ختمه الرب بختمه . لقد قال الله لإرميا: «لاَ تَقُلْ إِنِّي وَلَدٌ ، لأَنَّكَ إِلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِ تَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ . لاَ تَخَفْ مِنْ وُجُوهِهِمْ ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ لأُنْقِذَكَ ، يَقُولُ الرَّبُّ . وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي ، وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ» (ارميا ١: ٧ – ٩) . وهو يأمرنا بأن نخرج لنتكلم بالكلام الذي يضعه في أفواهنا ونحن شاعرون بلمسته المقدسة على شفاهنا .

لقد أعطى المسيح الكنيسة عهدة مقدسة . وعلى كل عضو أن يكون قناة يوصل الرب عن طريقها كنوز نعمته للعالم وغنى المسيح الذي لا

يستقصى . إن أعظم ما يتوق إليه المخلص هو وكلاء يصورون للعالم روحه وصفاته . وأعظم ما يحتاجه العالم هو إظهار محبة المخلص بواسطة البشر . إن كل سكان السماء ينتظرون الرجال والنساء الذين يمكن لله ان يعلن عن طريقهم قوة المسيحية .

فالكنيسة هي وسيلة الله لإذاعة الحق ، وهى مفوضة من قبله للقيام بعمل خاص . فإذا كانت خالصة الولاء له ومطيعة لكل أوامره فسيسكن فيها جمال وبهاء النعمة الإلهية . فإذا كانت أمينة في ولائها ، وإذا كانت تكرم الرب ، فلن تستطيع أية قوة أن تقف ضدها .

إن الغيرة لله وملكوته هي التي حركت التلاميذ للشهادة للإنجيل بقوة عظيمة . أفلا يجب أن تلتهب قلوبنا بغيرة كتلك الغيرة فنعزم على أن نخبر الناس برواية المحبة الفادية والمسيح وإياه مصلوباً ؟ إنه امتياز لكل مسيحي ليس فقط أن ينتظر مجيء المخلص بل أيضاً أن يعجل ذلك المجيء .

إذا كانت الكنيسة تتسربل بثوب بر المسيح منصرفة عن كل ولاء للعالم ، فإنه يوجد أمامها فجر نهار منير ومجيد . ووعد الله لها سيظل ثابتاً إلى الأبد . وسيجعلها فخراً أبدياً وفرح أجيال طويلة . والحق الذي يجوز تاركاً أولئك الذين يحتقرونه ويرفضونه ، سينتصر . مع أنه قد بدا أن الحق قد تأخر في بعض الأحيان ، فإنه لم يتوقف قط عن تقدمه . وعندما تواجه رسالة الله مقاومة فهو يزيد من قوتها لكي يكون لها تأثير أعظم . وحيث أنها مزودة بالقوة الإلهية فستشق لنفسها طريقا في وسط أقوى الحواجز ، وتنتصر على كل العوائق .

ما الذي دعم ابن الله وأعانه في أثناء حياة التعب والتضحية التي عاشها ؟ لقد رأى من تعب نفسه يروى ويشبع . وإذ اخترق نظره حجب الأبدية رأى سعادة

الذين عن طريق اتضاعه حصلوا على الغفران والحياة الأبدية . فسمعت أذناه هتاف المفديين . كما سمع المفديين يرتلون ترنيمة موسى والخروف .

ونحن يمكننا أن نرى رؤى المستقبل وسعادة السماء . في الكتاب . أعلنت رؤى عن المجد العتيد ومشاهد صورتها يد الله ، وهذه غالية القيمة في نظر كنيسته ومحبة إليها . ونحن يمكننا بالإيمان أن نقف على عتبات المدينة الأبدية ونسمع الترحيب الكريم بأولئك الذين يتعاونون مع المسيح في هذه الحياة والذين يحسبون احتمال الآلام لأجله كرامة عظيمة . وإذ ينطق الرب بهذا القول : «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي» ، يطرحون اكاليلهم عند قدمي الفادي هاتفين وقائلين : «مُسْتَحِقٌ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ... لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (متى ٢٥: ٣٤؛ رؤيا ٥: ١٢،١٣) .

وهناك يحيِّي المفديون من قد أرشدوهم إلى المخلص ، والجميع يتحدثون معاً في تمجيد ذاك الذي مات لتكون لبني الإنسان حياة تقاس على قدر حياة الله . لقد انتهت الحرب . وقد جاءت نهاية الضيق والخصومات والمنازعات . وستمتلئ السماء بأغاني الانتصار إذ يشترك المفديون في التسبيح قائلين : مستحق ، مستحق هو الخروف المذبوح والحي أيضاً وهو الغالب المنتصر .

«بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ . وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ:«الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ» (رؤيا ٧: ٩،١٠)

«هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي

هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ». «وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤيا ٧: ١٤ – ١٧؛ ٢١: ٤).